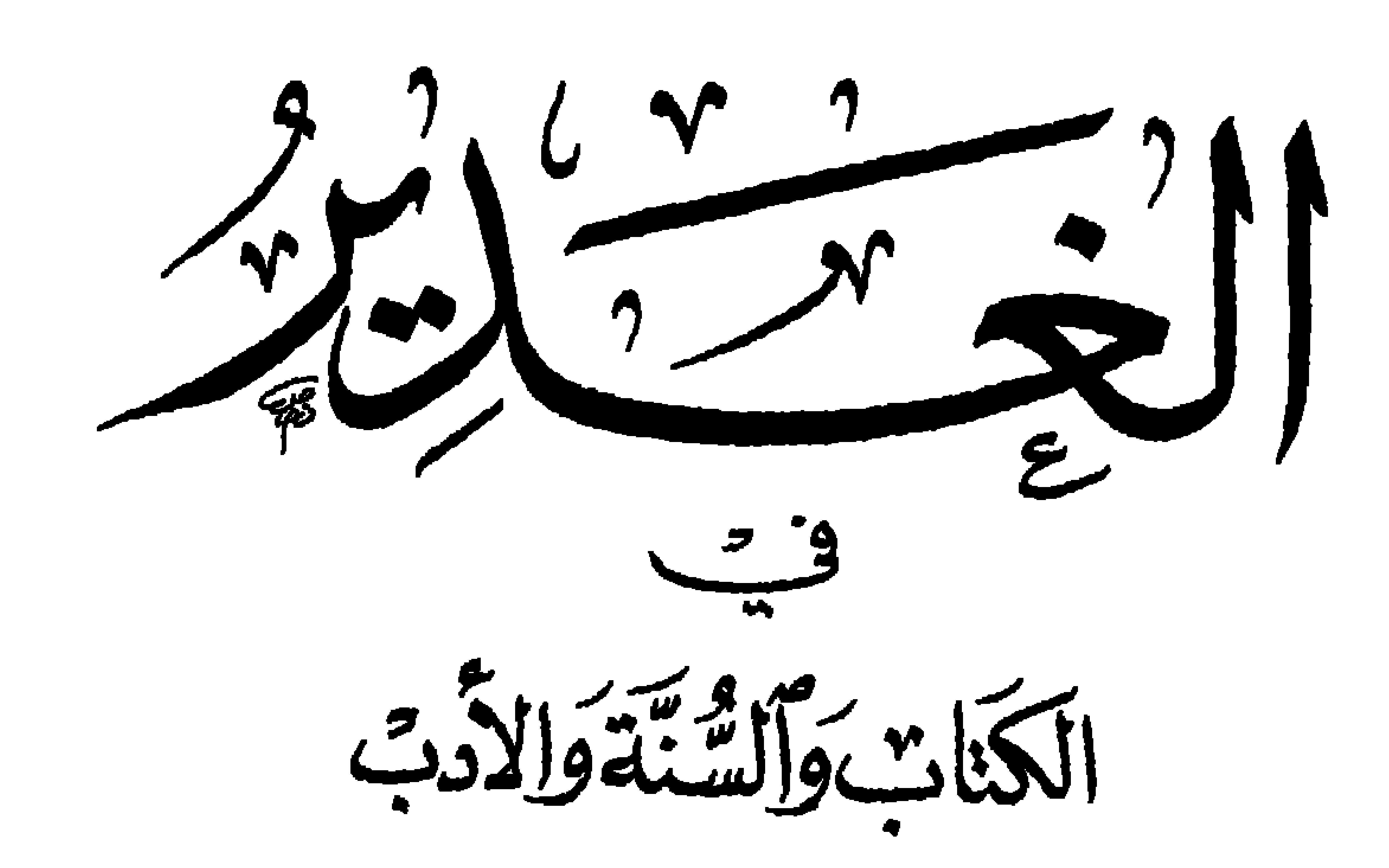

الغدير
في
الكتاب والسنة والأدب
تأليف
الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي
الجزء الثاني
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
الغدير

الغدير

في

الكتاب والسنة والأدب

٢



الغدير

في الكتاب والسنة والأدب

كتاب ديني. علمي. فني. تاريخي. أدبي. أخلاقي
مبتكر في موضوعه فريد في بابه يبحث فيه عن حديث الغدير كتاباً وسنةً وأدباً
ويتضمن تراجم أمة كبيرة من رجالات العلم والدين والأدب من الذين نظموا هذه الأثارة
من العلم وغيرهم

تأليف

الحبر العلم الحجة المجاهد شيخنا الأكبر الشيخ
عبد الحسين أحمد الأميني النجفي

الجزء الثاني

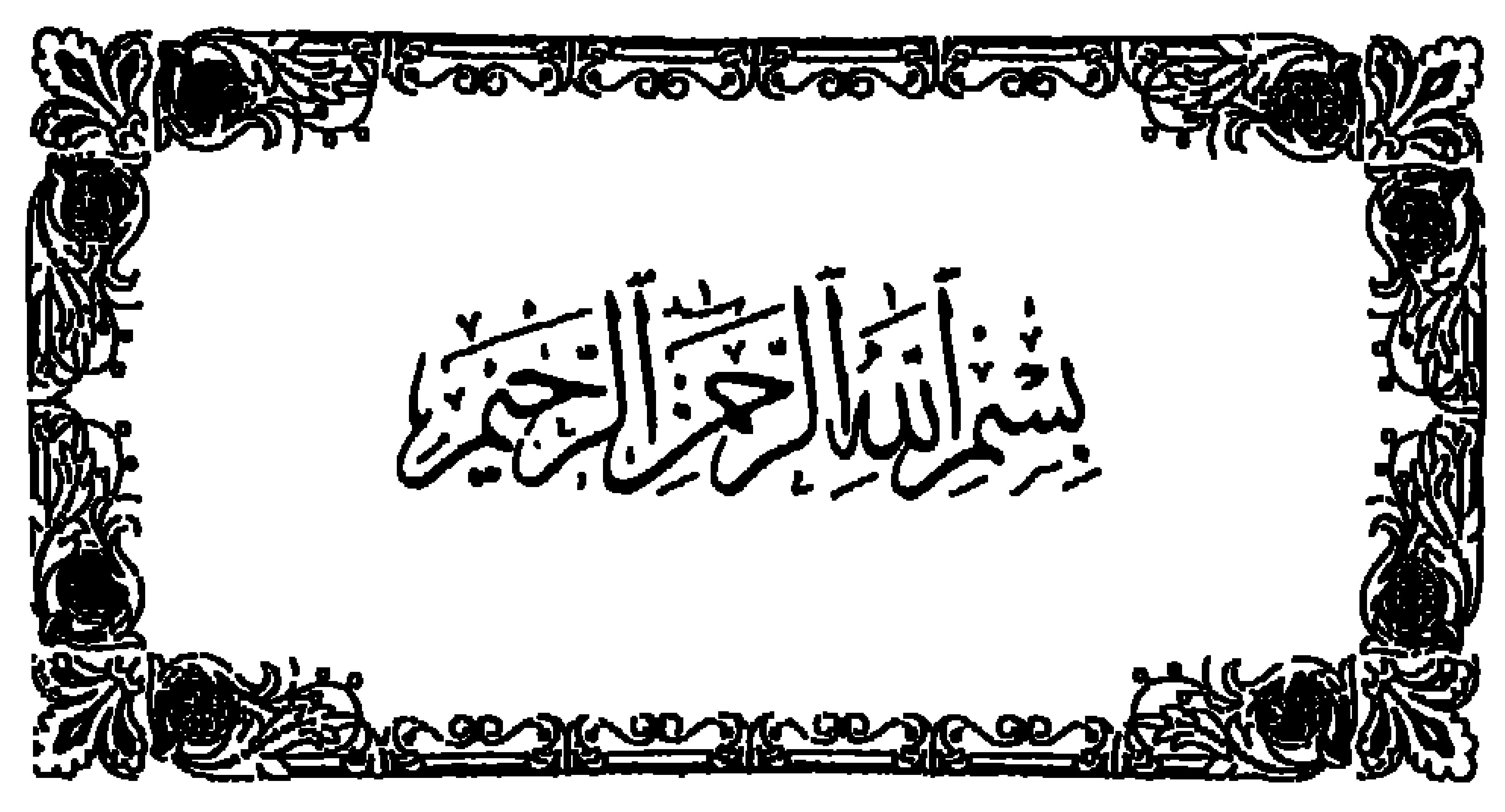
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص. ب: ٧١٢٠

الطبعة الأولى المميّزة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات:
بيروت - شارع المطار - قرب كلية الهندسة .
ملك الأعلمي - ص.ب : ٧١٢٠
الهاتف : ٨٣٣٤٤٧ - ٨٣٣٤٥٣

PUBLISHED BY
Al Alami Library
BEIRUT - LEBANON
P.O. BOX 7120



كتاب كريم

أتانا من الأُستاذ الفذّ الشيخ محمد سعيد دحدوح ، أحد أئمّة الجمعة والجماعة من حلب «محلة الفوقاني» والكتاب كغيره مما بعثته إلينا يد ولائه من الأيكة الغرّاء تطفح من جوانبه بينات ثقافته وحرّيته في الرأي الصالح ، وتحليه بمكارم الأخلاق ، وبخوعه بحقائق التاريخ الناصعة ، وسيره وراء العلم العربي ، وتجرّده عمّا يشين المرء من النزعات الوبيلة ، وتزحزحه عن الإنكباب على بهرج القول والهوى السائد .

فقد زينا هذه الطبعة من «الغدير» بكتابه العزيز تقديراً لمكانته ، وإعجاباً بذلك الخطاب المبين ، مشفوعاً بشكر غير مجذوذ .

نص الكتاب

بِسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لِلهِ والصّلاة والسّلام على رسوله ومُجتباه، وآله وصحبه ومَن والاه السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سيّدي العلاّمة الأوحد والحجّة الجليل الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ، حفظه الله وأبقاه.

وصلني كتابك المؤرّخ ٢٣ الماضي في غرّة الحاضر، وقرأت وأكبرت فيك تلك الأخلاق الكريمة والسجايا، والولاء الأكيد، والحبّ السعيد،

والنفسيَّة الطاهرة، والشمائل الباهرة التي نمت وربت بحبِّ آل البيت الأطهار، وأعطت أُكلها، وأظهرت نتاجها، وفاح عبير حبِّها، وعبيق ياسمين ودِّها، فأرج الأرجاء، وعمَّ الآفاق، وجعل حديث المحبِّين يفوح من شذاء المسكيِّ، وريحه الطيِّب نداً كبيراً .

سيِّدي أبيت إلاّ أن تتحفني بتقديم « الغدير » في طبعته الجديدة، ولم ترض منّي عذراً، وأنا كنت أحبُّ أن أتحف «الغدير» بغير هذه الكلمة بدراسة واسعة، بعد أن تنتهي من طبعه كلّه، وبعد أن يطّلع عليه كافّة الأدباء وجميع أهل الخبرة بالتاريخ وأدواره، ولكن نزولاً عند رغبتك، أرسل هذه الجمل وأنا العليم بعجزي الآن عن ايفاءها للغدير من حقٍّ عليٍّ، وما لصاحبه من عملٍ قدَّمه لروّاد الحقيقة، وطلّاب البحث الحرِّ.

الغـــديـــر

كلمةٌ عذبةٌ، ولفظٌ جميلٌ، أُطلق على مؤلَّف ضمَّ وجمع ما قيل عن تلك الوقفة الَّتي وقفها الرَّسول ﷺ بعد إنصرافه من حجَّة الوداع، يُعلن لذلك الجمِّ الغفير، والجمع المحتشد ما [لعلّي عليه السلام] من مكانة عنده بعد أن ربّاه وأنشأه، وما هو عليه من فضائل ومحامد أهَّلته أن يكون وصيّاً، وجعلته إماماً بعد الرَّسول وخليفةً هادياً مهديّاً، يأخذ بالناس إلى الطريق المستقيم، والمهيع الحقِّ .

فالغدير ألّف هذا، والغدير يُحدِّث حول ما قيل في هذا البحث، وكشف للناس عن أمور كانوا غافلين عنها ـ وإن كانت في الكتب ـ وعن أنباء أصبحت نسياً منسياً، فأظهر صورها من كتاب الله ـ دامت قدسيّته ـ وسنَّة نبيه الذي لا ينطق عن الهوى، وقول المحدِّثين والمفسِّرين، وكلام أهل السير والتاريخ، ونثر الأدباء، وقصائد الشعراء.

ولم يكتف بما قيل سابقاً عن هذا، ولم يقنع بما سطرته أقلام القرون الأولى حتّى صال وجال، وتوسَّع بتراجم الرجال وامتدَّ إلى كلِّ بحث، يمتُّ بصلةٍ ما إليه، وينسب بوشيجة مضارعةٍ ومشابهةٍ بوجه من الوجوه معه.

فهو موسوعةٌ تذكر كلام المادح والقادح، والمحكم، والمتشابه، ثمَّ يدحض كلَّ حديثٍ مُفترى، وقولٍ مشينٍ، وإعتقادٍ فاسدٍ، ولفظٍ دخيلٍ، وجملةٍ نكراء، أُريد بها إلصاق تُهمٍ باطلةٍ، وآراءٍ فاسدةٍ بالمرتضى علي عليه السلام وبوالده شيخ الأبطح أبي طالب، وأَهله وذويه وأبناءه وأحفاده وذريَّته، وعترته وأشياعه وأتباعه الأموات والأحياء ما هم برءاء منها، وبيَّن ماللإمام علي عليه السلام من خصائص، وما للأوصياء من مزايا وفضائل بكلامٍ سهبٍ، وسياقٍ رصينٍ، وسباقٍ متينٍ.

هذا ما لمسته من « الغدير » حينما أرسل إليَّ بعض أجزاء العلاّمة الحجَّة محمَّد الحسين المظفَّري حفظه الله وأبقاه، صاحب المؤلَّفات النافعة الدالَّة على رجحان عقله وقوَّة بيانه، والّذي رأيت فيه فكر العلماء، وثقابة العرفاء، وأخلاق الخيار، وسمة الصلحاء الأبرار.

وهذا الّذي جعلني أمرح وأسرُّ حينما علمت بتجديد طبع أجزاءه الأُول، لأنّني على علم بنفادها، وعلى اطّلاع انّها تحوي أبحاثاً جمَّة، وعلماً وافراً، واموراً كانت كأن لم تكن، ولكن بنشرها بالغدير عاد للعلم ما فاته، وللباحث ما يرجوه، وللمؤرِّخ ما يجهله، وللمفكّر ما يستند عليه عقله ويستنتجه من أسباب وأحوال.

فالغدير دعم اموراً، وأزال أوهاماً، وأقرَّ حقائق، وأثبت أشياء كنّا نجهلها، ودحض أقوالاً مشينا عليها قروناً عديدة ونحن نقول: ـ أي هكذا خلقت ـ لا نعلم لها مأتى ولا نفكّر بأسرارها.

والحوادث يجب أن تُعطينا أخباراً تجعلنا نبني عليها صرحاً متيناً من التفكير والتعمّق بما جرى وما وقع.

وكلُّ ذلك أصبح من الضروريِّ للباحث أن يعلمه ويفقهه لا ليثير خلافا، ولا لينبش أحقاداً، وإنّما ليبين للنّاس: ما هو الحقُّ؟! ومن هم شيعة المرتضى؟! ومن أين أتاهم ذلك الحبُّ للبيت الطاهر النبوي؟! وما منشأ العاطفة؟! وما هي الأشياء التي نسبت إليهم إفكا وزوراً؟!

نعم للباحث أن يعلم هذا، ويسير وراء الوعي ويدع العاطفة جانبا، ويأخذ من أخطاء الماضي درساً للحاضر، ووصايا لأبناء هذا الجيل تكلّمهم: أنَّ الخلاف منشأ التفرقة، وأنَّ التباغض معولٌ يهدم الوحدة، ويقضي على الإعتصام، ويدع المسلمين لا حبٌّ بينهم ولا إخاء يجمعهم، كلٌّ يعمل لمصلحة قومه، وتدعيم آراء من يحبُّ، ويدعون ناحية الأخلاق، ولا يُقيمون لها وزنا.

فبالأخلاق تُعرف الأمم، وبالأخلاق يكون السموُّ، وعليها يُبنى العزُّ، وبغيرها فلا نجاح لنا، وطالما الرَّسول الأعظم وآله الأطهار دعونا إليه، وحضّونا على التمسّك بالإتّحاد، والقرآن يُنادي: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾**. ويقول: **﴿إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾**. **﴿وتلك أُمَّةٌ قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾**. **﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أُخرىٰ﴾**. **﴿إتّقوا وكونوا مع الصّادقين﴾**.

وإنّني لا يسعني قبل أن يجفَّ القلم، إلّا أن أقوم بما يجب عليَّ من تقديم الشكر، والثناء على جهود مؤلّفه العلّامة الحجّة سماحة الشيخ عبد الحسين أحمد الأمينيّ النجفيّ، على ما أسداه للعصر وللأجيال في مؤلّفه ممّا يدلُّ على غزارة علم، ووفرة فهم، واستطلاع واسع، واستقراء بعيد المدى، وسبك بارع، فجزاه الله أحسن الجزاء، وجعل مؤلّفه يدعو إلي الحقيقة، وإلى الوحدة معاً، ويشير وراءده الإتّحاد، وبغيته جمع الكلمة والإعتصام بالثقلين: الكتاب الكريم والعترة الّذين طهّرهم الله من الرِّجس والآثام تطهيرا.

وفي الختام تقبَّل سلام أخيك ومحبِّك

٤/ربيع الآخر - ١٣٧٢ هـ.

٢١/١٢/١٩١٢ م

محمد سعيد دحدوح



شعـراء الغـديـر

في القرن الاول والثاني ،

وشطر من القرن الثالث

وهم عشـرة كاملـة

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه وسلام على عباده الّذين اصطفى :

نُجّز الجزء الأوّل ولله الحمد من هذا الكتاب، بعد أن ألمسك باليد حقيقة ناصعة، هي من أجلى الحقائق الدينيّة. ألا وهي: مغزى نصّ الغدير ومفاده، ذلك النصّ الجليّ على إمامة مولانا أسير المؤمنين، بحيث لم يدع لقائل كلمةً، ولا لمجادل شبهة في تلك الدلالة، وقد أوعزنا في تضاعيف ذلك البحث الضافي، إلى أنّ هذا المعنى من الحديث هو الذي عرفته منه العرب منذ عهد الصحابة الوعاة له، وفي الأجيال من بعدهم وإلى عصرنا الحاضر؛ فهو معنى اللفظ اللغويّ المراد لا محالة قبل القرائن المؤكّدة له وبعدها، وقد أسلفنا نزراً من شواهد هذا المدّعى، غير أنّه يروقنا هٰهنا التبسّط في ذلك بإيراد الشعر المقول فيه؛ مع يسيرٍ من مكانة الشاعر وتوغّله في العربيّة، ليزداد القارىء بصيرةً على بصيرته.

ألا إنّ كلًا من أولئك الشعراء الفطاحل (وقل في أكثرهم: العلماء) معدودٌ من رواة هذا الحديث، فإنّ نظمهم إيّاه في شعرهم القصصي، ليس من الصور الخياليّة الفارغة، كما هو المطّرد في كثير من المعاني الشعريّة، ولدى سواد عظيم من الشعراء، ألم ترهم في كلّ وادٍ يهيمون؟ لكن هؤلاء نظموا قصّةً لها خارجٌ، وأفرغوا ما فيها من كلم منثورة أو معان مقصودة، من غير أيّ تدخّل للخيال فيه، فجاء قولهم كأحد الأحاديث المأثورة، فتكون تلكم القوافي المنضّدة في عقودها الذهبيّة، من جملة المؤكّدات لتواتر الحديث.

ومن هنا لم نعتبر في بعض ما أوردناه أن يكون من عليّة الشعر، ولا لاحظنا تناسبه لأوقات نبوغ الشاعر في القوّة، لما ذكرناه من أنّ الغاية هي روايته للحديث وفهمه المعنى المقصود منه، ولن تجد أيّ فصيح من الشعراء والكتّاب تشابهت ولاتئد فكرته في القوّة والضعف في جميع أدواره وحالاته.

الشعر والشعراء

ونحن لا نرى شعر السلف الصالح، مجرّد ألفاظ مسبوكة في بوتقة النظم، أو كلمات منضّدة على أسلاك القريض فحسب، بل نحن نتلقّاه بما هناك من الأبحاث الراقية في المعارف من علمي الكتاب، والسنّة، إلى دروس عالية من الفلسفة والعِبر، والموعظة الحسنة والأخلاق، أضف إليها ما فيه من فنون الأدب، وموادّ اللغة، ومباني التاريخ، فالشعر الحافل لهذه النواحي بغية العالم، ومقصد الحكيم، ومأرب الأخلاقيّ، وطلبة الأديب، وأُمنيّة المؤرّخ وقل: مرمى المجتمع البشريّ أجمع.

وهناك للشعر المذهبيّ مآرب أُخرى هي من أهمّ ما نجده في شعر السلف. ألا وهي الحجاج في المذهب، والدعوة إلى الحقّ، وبثّ فضائل آل الله، ونشر روحيّات العترة الطاهرة في المجتمع، بصورةٍ خلّابة، وأُسلوب بديع، يُمازج الأرواح، ويُخالط الأدمغة، فيبلغ هتافه القاصي والداني، وتلوكه أشداق الموالي والمناوىء مهما علت في الكون عقيرته، ودوّخت الأرجاء شهرته، وشاع وذاع وطار صيته في الأقطار، وقرّطت به الآذان.

مهما صار أُحدوّة تحدو بها الحُداة، وأغاني تغنّي بها الجواري في أندية الملوك والخلفاء والأمراء، وتُناغي بها الأمّهات الرضّع في المهود، ويرقصنها بها بعد الفطام في الحجور، ويُلقّنها الآباء أولادهم على حين نعومة الأظفار، فينمو ويشبّ، وفي صفحة قلبه أسطرٌ نوريّة من الولاء المحض بسبب تلك الأهازيج، وهذه الناحية (الفارغة اليوم) لا تسدّها خطابة أيّ مفوّهٍ لَسِن، ولا تلحقه دعاية أيّ متكلّم، كما يقصر دون إدراكها السيف والقلم.

وأنت تجد تأثير الشعر الرائق في نفسيَّتك فوق أيِّ دعاية وتبليغ، فأيُّ أحد يتلو ميميَّة الفرزدق، فلا يكاد أن يطير شوقاً إلى الممدوح وحبّاً لـه؟ أو ينشد هاشميّات الكميت، فلا يمتلىء حِجاجاً لِلحقّ؟ أو يترنَّم بعينيَّة الحميري، فلا يعلم أن الحقَّ يدور على الممدوح بها؟ أو تلقى عليه تائيَّة دعبل، فلا يستاء لاضطهاد أهل الحقِّ؟ أو تصكُّ سمعه ميميّة الأمير أبي فراس فلا تقف شعرات جلدته؟ ثمَّ لا يجد كلُّ عضو منه يخاطب القوم بقوله:

يا باعة الخمر كُفّوا عن مفاخركم ... لِعصبــةٍ بيعهم يـوم الحيــاج دمُ

وكم وكم لهذه من أشباه ونظائر، في شعراء أكابر الشيعة، وسوف تقف عليها في طيّات أجزاء كتابنا هذا إن شاء الله تعالى.

وبهذه الغاية المهمَّة كان الشعر في القرون الاولى، مدحاً وهجاءاً ورثاءاً كالصارم المسلول بيد موالي أئمَّة الدين، وسهماً مغرقاً في أكباد أعـداء الله، ومجلّة دعاية إلى ولاء آل الله في كلِّ صقع وناحية، وكانوا صلوات الله عليهم يُضحّون دونه ثروةً طائلة، ويبذلون من مال الله للشعراء ما يُغنيهم عن التكسّب والاشتغـال بغير هـذه المهمَّة، وكـانوا يُـوجّهون الشعـراء إلى هذه النـاحيـة، ويحتفظون بها بكلِّ حول وَطوْل، ويُحرِّضون الناس عليها، ويُبشّرونهم عن الله و(هم أُمناء وحيه) بمثل قولهم: مَن قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنَّة. ويحثّونهم على تعلّم مـا قيـل فيهم وحفـظه، بمثـل قـول الصـادق الأمين عليه السلام. علّموا أولادكم بشعر العبدي. وقوله: ما قال فينا قائلٌ بيت شعر حتى يؤيَّد بروح القدس[1]. وروى الكشي في رجاله ص ١٦٠ عن أبي طالب القمي، قال: كتبت إلى أبي جعفر بأبيات شعر وذكرت فيها أباه وسألته أن يأذن لي في أن أقـول فيـه، فقـطع الشعـر وحبسـه، وكتب في صـدر مـا بقي من القرطاس: قد أحسنت فجزاك الله خيراً. وعنه في لفظ آخر: فأْذن لي أن أرثي أبا الحسن أعني أباه وكتب إليَّ: أن اندبه واندب لي.

---

(١) عيون أخبار الرضا، رجال الكشي ص ٢٥٤.

الشعر والشعراء في السنّة والكتاب

كلّ ما ذكرنا عنهم صلوات الله عليهم، كان تأسّياً بقدوتهم النبيِّ الطاهر صلّى الله عليه وآله، فإنّه أوّل فاتح لهذا الباب بمصراعيه مدحاً وهجاءاً، بإصاخته للشعراء المادحين له ولأسرته الكريمة، وكان ينشد الشعر ويستنشده ويجيز عليه ويرتاح له، ويكرم الشاعر مهما وجد في شعره هذه الغاية الوحيدة، كإرتياحه لشعر عمّه شيخ الأباطح أبي طالب سلام الله عليه، لمّا استسقى فسقي قال: لله درُّ أبي طالب لو كان حيّاً لقرَّت عيناه، مَن يُنشدنا قوله؟ فقام عمر بن الخطاب فقال: عسى أردت يا رسول الله: .

وما حملت من ناقة فوق ظهرها ... أبـرّ وأوفى ذمّـةً من محمّـدِ

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: ليس هذا من قول أبي طالب، هذا من قول حسّان بن ثابت. فقام علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: كـأنّك أردت يا رسول الله:

وأبيضُ يُستسقى الغمام بوجهه ... ربيع اليتامى عصمةٌ للأراملِ
تلوذ به الهُلاّكُ من آل هـاشم ... فهل عنده في نعمةٍ وفواضلِ

فقال رسول الله: أجل. فقام رجل من بني كنانة فقال:

لك الحمدُ والحمدُ ممّن شكر ... سُقينـا بـوجـه النبيِّ المطر
دعـا الله خـالـقـه دعـوةً ... وأشخص منـه إليـه البصـر
فلم يـك إلاّ كـإلقـا الـردا ... وأسـرع حتى أتانـا الـدّرر
دفـاق العزالى جمّ البُعـاق[١] ... أغـاث بـه الله عليـا مضـر
فكـان كمـا قـالـه عمّـه ... أبـو طـالـب ذا رواءٍ غـزر
بـه الله يسقي صيوب الغمـام ... فهـذا العيـان وذاك الخـبـر

فقال رسول الله: يا كناني؟ بوّأك الله بكلِّ بيت قلته بيتاً في الجنّة[٢].

---

(١) العزالى جمع العزلاء: مصب الماء. والبعاق بالضم: السحاب الممطر بشدة.
(٢) أمالي شيخ الطائفة ص ٤٦.

ولَمّا نظر رسول الله صلّى الله عليه وآله، يوم بدر إلى القتلى مصرَّعين قال لأبي بكر: لو أنّ أبا طالب حيٌّ لعلم أن أسيافنا أخذت بالأماثل وذلك لقول أبي طالب:

وإنّا لعمر الله إن جدَّ ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأماثل

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله لشعر عمّه العبّاس بن عبد المطلب، لَمّا قال: يا رسول الله! أُريد أن أمتدحك. فقال رسول الله: قل لا يفضض الله فاك. فأنشأ يقول:

من قبلها طبتَ في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورقُ
ثمَّ هبطتَ البلاد لا بشرٌ أنت ولا مضغةٌ ولا علقُ
بل نطفةٌ تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرقُ
تُنقل من صالبٍ إلى رحمٍ إذا مضى عالَمٌ بدا طبقُ
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطقُ
وأنت لَمّا وُلدتَ أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأُفقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترقُ(١)

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله، لشعر عمرو بن سالم، وقوله له: نصرت يا عمرو بن سالم لَمّا قدمه وأنشده أبياتاً أوّلها(٢):

لا همَّ إنّي ناشدٌ محمَّدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
كنت لنا أباً وكنّا ولدا ثُمّتَ أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر رسول الله نصراً عتدا وادع عباد الله يأتوا مددا

إلى آخر الأبيات:

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله، لِشعر النابغة الجعدي، ودعائه له بقوله: لا يفضض فاك. لَمّا أنشده أبياتاً من قصيدته مائتي بيت أوّلها:

---

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢٧، اسد الغابة ج ١ ص ١١٩.
(٢) تاريخ الطبري ج ٣ ص ١١١، اسد الغابة ج ٤ ص ١٠٤.

خليليَّ غضّا ساعة وتهجّرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا

وممّا أنشده رسول الله صلّى الله عليه وآله:

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتاباً كالمجرَّة نيِّرا

وجاهدت حتى ما أحسُّ ومن معي سهيلاً إذا ما لاح ثمّ تحوّرا

أُقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أحذرا

ولَمّا بلغ إلى قوله:

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: أين المظهر يا أبا ليلى؟ قال: الجنَّة.
قال: أجل إن شاء الله تعالى. ثمَّ قال:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يُكدَّرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أجدتَ لا يفضض الله فاك. مرّتين فكانت أسنانه كالبَرد المنهل ما انفصمت له سن ولا انفلتت وكان معمَّراً[1].

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله، لِشعر كعب بن زهير، لَمّا أنشده في مسجده الشريف لاميّته التي أوّلها:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ مُتيَّمٌ أثرها لم يفد مكبولُ

فكساه النبيُّ صلّى الله عليه وآله بردة إشتراها معاوية بعد ذلك بعشرين ألف درهم، وهي التي يلبسها الخلفاء في العيدين[2]، وفي مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٥٨٢: لَمّا أنشد كعب قصيدته هذه رسول الله وبلغ قوله:

إنَّ الرَّسول لسيفٌ يُستضاء به وصارمٌ من سيوف الله مسلولُ

---

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٦، الاستيعاب ج ١ ص ٣١١، الإصابة ج ٣ ص ٥٣٩.
(٢) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٢، الامتاع للمقريزي ٤٩٤، الإصابة ج ٥ ص ٢٩٦.

أشار صلّى الله عليه وآله بكمّه إلى الخلق ليسمعوا منه. ويُروى أنَّ كعباً أنشد (من سيوف الهند) فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: من سيوف الله[١].

وكإرتياحه صلّى الله عليه وآله، لِشعر عبدالله بن رواحة، قال البراء بن عازب: رأيت النبيَّ صلّى الله عليه وآله ينقل من تراب الخندق حتى وارى التراب جلد بطنه وهو يرتجز بكلمة عبدالله بن رواحة.

لا هُمَّ لولا أنت ما اهتدينا　　ولا تصدَّقنا ولا صلّينا
فأنزلن سكينةً علينا　　وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إنَّ أولآء قد بغوا علينا　　وإن أرادوا فتنةً أبينا[٢]

ويظهر من رواية ابن سعد في طبقاته، وابن الأثير، انَّ الأبيات لعامر بن الأكوع، روى الثاني في اسد الغابة ج ٣ ص ٧٢ انَّ النبيَّ ﷺ قال لعامر في مسيره إلى خيبر: انزل يا بن الأكوع واحد لنا من هناتك[٣] قال: نزل يرتجز رسول الله ﷺ:

لا هُمَّ لولا أنت ما اهتدينا　　ولا تصدَّقنا ولا صلّينا «الخ»

فقال رسول الله ﷺ: يرحمك ربّك. وفي لفظ: رحمك الله. وفي الطبقات لابن سعد ج ٣ ص ٦١٩: غفر لك ربّك.

وكإرتياحه ﷺ لِشعر حسّان بن ثابت، يوم غدير خمّ، ودعائه له بقوله: لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. وكان صلّى الله عليه وآله، يضع لحسّان منبراً في مسجده الشريف، يقوم عليه قائماً يفاخر عن رسول الله، ويقول رسول الله: إن الله يؤيِّد حسّان بروح القدس ما نافخ أو فاخر عن رسول الله[٤].

---

(١) شرح قصيدة: بانت سعاد. لجمال الدين الأنصاري ص ٩٨.
(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ٣٠٢.
(٣) أي كلماتك وأراجيزك وفي رواية: هنيأتك. على التصغير، وفي اخرى: هنيهاتك.
(٤) مستدرك الحاكم ج ٢ ص ٤٧٧ وصححه هو والذهبي في تلخيصه.

وكإرتياحه لِشعر أبي كبير الهذلي، قالت عائشة: كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يخصف نعله وكنت جالسة أغزل فنظرت إليه فجعل جبينه يعرق وعرقه يتولّد نوراً قالت: فبهتُّ فنظر إليّ فقال: ما لك بهتّ؟ فقلت يا رسول الله! نظرت إليك فجعل جبينك يعرق وعرقك يتولّد نوراً، ولو رآك أبو كبير الهذلي لعلم أنّك أحقُّ بشعره، قال: وما يقول أبو كبير؟ قلت يقول:

ومبرّىءُ من كلِّ غبَّر حيضة ... وفساد مرضعة وداء معضل

وإذا نظرت إلى أسرَّة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

قالت: فوضع رسول الله صلّى الله عليه وآله ما كان بيده وقام وقبّل ما بين عينيَّ، وقال: جزاك الله خيراً يا عائشة؟ ما سررت منّي كسروري منك[١].

وكان صلّى الله عليه وآله، يحثُّ الشعراء إلى هذه الناحية، ويأمرهم بالاحتفاظ بها، ويُرشدهم إلى أخذ حديث المخالفين له، وأحسابهم وتأريخ نشئاتهم ممّن يعرفها وهجاءهم، كما كان يأمرهم بتعلّم القرآن العزيز، وكان يراه نصرةً للإسلام، وجهاداً دون الدين الحنيف؛ وكان يصوِّر للشاعر جهاده وينصّ به ويقول: إهجوا بالشعر إنّ المؤمن يجاهد بنفسه وماله، والّذي نفس محمّد بيده كأنّما تنضحونهم بالنبل. وفي لفظ آخر: فكأنّ ما ترمونهم به نضح النبل. وفي ثالث: والّذي نفس محمّد بيده فكأنّما تنضحونهم بالنبل فيما تقولون لهم من الشعر[٢].

وكان صلّى الله عليه وآله، يثوِّر شعراءه إلى الجدال بنبال النظم وحسام القريض ويحرِّضهم إلى الحماسة في مجابهة الكفّار، في قولهم المضادِّ لمبدئه القدسيِّ، ويبثُّ فيهم روحاً دينيّاً قويّاً، ويؤكِّد فيهم حميّةً تجاه الحميّة الجاهليّة، وكان يوجد فيهم هياجاً ونشاطاً في النشر والدعاية، وشوقاً مؤكّداً إلى الدفاع عن حامية الإسلام المقدَّس، ورغبةً في المجاهدة بالنظم بمثل قوله صلّى الله عليه

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم ج ٢ ص ٤٥، تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ٢٥٣.

(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٦، ٤٦٠، ج ٦ ص ٣٨٧.

وآله، للشاعر: إهج المشركين فإنّ روح القدس معك ما هاجيتهم[١] وقوله: إهجهم فإنّ جبريل معك[٢].

قال البراء بن عازب: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قيل له: إنّ أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يهجوك، فقال عبدالله بن رواحة: يا رسول الله؟ إئذن لي فيه فقال: أنت الذي تقول: ثبّت الله؟ قال: نعم قلت يا رسول الله:

فثبّت الله ما أعطاك من حسن   تثبيت موسى ونصراً مثل ما نُصروا

قال صلّى الله عليه وآله: وأنت يفعل الله بك خيراً مثل ذلك. قال: ثُمَّ وثب كعب فقال: يا رسول الله؟ ائذن لي فيه. قال: أنت الذي تقول: همَت؟ قال: نعم، قلت يا رسول الله :

همت سخينة أن تغالب ربّها   فليغلبنّ مغالب الغلّابِ

قال صلّى الله عليه وآله: إنّ الله لم ينس ذلك لك. قال ثمَّ قام حسّان فقال: يا رسول الله! ائذن لي فيهِ وأخرج لساناً له أسود فقال: يا رسول الله! إئذن لي إن شئت أفريت به المزاد[٣] فقال: إذهب إلى أبي بكر ليحدِّثك حديث القوم وأيّامهم وأحسابهم ثمَّ إهجهم وجبريل معك[٤].

وهذه الطائفة من الشعراء هم المعنيّون بقوله تعالى: ﴿إلاّ الّذين آمنوا وعَملوا الصّالحات وذَكروا الله كثيراً وانتصروا مِن بَعدِ ما ظُلموا﴾ وهم المستثنون في صريح القرآن من قوله تعالى: ﴿والشعراء يتّبعهم الغاوون﴾. الآية، سورة الشعراء ولَمّا نزلت هذه الآية جاءت عدّةٌ من الشعراء إلى رسول الله ﷺ وهم يبكون، قائلين إنّا شعراء، والله أنزل هذه الآية فتلا

---

(١) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٨، مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٧.

(٢) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٩٩، ٣٠٢، ٣٠٣.

(٣) أي شققته. كناية عن إسقاطه بالفضيحة.

(٤) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٤٨٨.

النبيُّ ﷺ: إلّا الّذين آمنوا وعَملوا الصّالحات. قال: أنتم. وذُكروا الله كثيراً، قال: أنتم. وانتصروا مِنْ بَعدِ ما ظُلموا، قال: أنتم(١).

وإنّ كعب بن مالك، أحـد شعراء النبيِّ الأعـظم حين أنزل الله تبـارك وتعالى في الشعر ما أنزل أتى النبي ﷺ فقال: إنَّ الله تبارك وتعالى قد أنزل في الشعر ما قد علمت وكيف ترى فيه؟ فقال النبيُّ ﷺ إنّ المؤمن يجاهد بسيفـه ولسانه(٢).

على أنّ في وسع الباحث أن يقول: إنّ المراد بالشعراء في الآية الكريمة كلُّ مَن يأتي بكـلام شعريّ- منظوماً أو منثوراً، فتكون مصاديقها أحزاب الباطـل وقوّالة الزور، فعن مولانا الصادق عليه السلام: إنّهم القصّاصون. رواه شيخنا الصدوق في عقائـده، وفي تفسير علي بن إبراهيم ص ٤٧٤ أنّه قال: نزلت في الّذين غيّروا دين الله وخالفوا أمر الله، هل رأيتم شاعراً قطّ تبعه أحد؟ إنّما عني بذلك الذين وضعوا ديناً بآرائهم فتبعهم على ذلك الناس، ويؤكّد ذلك قوله: ألم ترهم في كلِّ واد يهيمون. يعني يُناظرون بالأباطيل ويُجادلون بالحجج وفي كلِّ مذهب يذهبون. وفي تفسير العيّاشي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: هم قومٌ تعلّموا وتفقّهوا بغير علم فضلّوا وأضلّوا.

فليس في الآية حطٌّ لمقام الشعر بما هو شعر، وإنّما الحطُّ على الباطل منه، ومن المنثور، وقد ثبت عنه صلّى الله عليه وآله عند فريقي الإسلام قوله: إنّ من الشعر لحكمة. ـ وإنّ من البيان لسحرا(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٣ ص ٣٥٤.

(٢) مسند أحمد ج ٣ ص ٤٥٦.

(٣) مسند أحمد ج ١ ص ٢٦٩، ٢٧٣، ٣٠٣، ٣٣٢، سنن الدارمي ج ٢ ص ٢٩٦، صحيح البخاري كتاب ألطب، باب: إن من البيان سحراً، المجتنى لابن دريد ص ٢٢، تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ ص ٩٨، ٢٥٨، وج ٤ ص ٢٥٤، وج ٨ ص ١٨، ٣١٤، البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢١٢، ٢٧٥، رسائل الجاحظ ص ٢٣٥، مصابيح السنة للبغـوي ج ٢ ص ١٤٩، الروض الانف ج ٢ ص ٣٣٧، تاريخ ابن كثير ج ٩ ص ٤٥، تاريخ ابن عساكـر ج ١ ص ٣٤٨، وج ٦ ص ٤٢٣، الإصابة ج ١ ص ٤٥٣، وج ٤ ص ١٨٣، تهذيب التهذيب ج ٩ ص ٤٥٣.

الهواتف بالشعر

وهناك هتافاتٌ غيبيَّة شعريَّة في الدعاية الدينيَّة، خوطبَ بها أُنـاسٌ في بدء الإسلام فاهتدوا بها، وهي معدودةٌ من معاجز النبيِّ صلّى الله عليه وآله، وتنمُّ عن أهميَّة الشعر في باب الإلقاء والحجاج وإفهام المستمع، وإنَّ أخذه بمجامع القلوب والأفئدة، آكد من الكلام المنثور، فليتَّخذ دستوراً في إصلاح المجتمع، وبثُّ الدعاية الروحيَّة ومنها:

١ ـ سمعت آمنة بنت وهب في ولادة النبيِّ صلّى الله عليه وآله، هاتفاً يقول:

صلّى الإلّه وكلُّ عبـد صالـح ... وَالطيِّبون على السراج الواضحِ
المصـطفى خير الأنـام محمَّد ... الطاهر العلم الضياء اللايـحِ
زين الأنام المصطفى علم الهدى ... الصـادق البرّ التقيّ النـاصحِ
صلّى عليه الله ما هبت الصبا ... وتجاوبت ورق الحمام النايحِ [(١)]

٢ ـ هتف هاتفٌ من صنم بصوت جهير ليلة مولد النبيِّ ﷺ وقد خرّت فيها الأصنام، وهو يقول:

تـردّى لمـولـودٍ أنـارت بنـوره ... جميع فجاج الأرض بالشرق والغرب
وخرَّت له الأوثـان طُرّاً وأرعـدت ... قلوب ملوك الأرض طُرّاً من الرعبِ
ونارُ جميع الفرس باخَت وأظلمت ... وقد بات شاه الفرس في أعظم الكربِ
وصدَّت عن الكهّان بالغيب جِنّها ... فـلا مخبرٌ منهم بحقٍّ ولا كـذبِ
فيالقصيٍّ إرجعوا عن ضـلالكم ... وهبّوا إلى الإسلام والمنزل الرحبِ [(٢)]

٣ ـ قال ورقة: بتُّ ليلة مولد النبيِّ ﷺ عند صنم لنا إذ سمعت من جوفه هاتفاً يقول:

وُلـد النبيُّ فـذلّت الأمـلاكُ ... ونـأى الضلالُ وأدبـر الإشراكُ

---

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ٧٣.

(٢) تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤١، الخصائص الكبرى للسيوطي ج ١ ص ٥٢.

ثمّ انتكس الصنم على رأسه[1].

٤ - قال العوام بن جُهيل (مصغّراً) الهمداني سادن (يغوث): بتُّ ليلاً في بيت الصنم: وسمعت هاتفاً من الصنم يقول: يا ابن جُهيل! حلَّ بالأصنام الويل، هذا نورٌ سطع من الأرض الحرام، فودِّع يغوث بالسّلام. فكلّمت قومي ما سمعت فإذا هاتفٌ يقول:

هل تسمعنَّ القول يا عوام | أم أنت ذو وقرٍ عن الكلام؟
قد كشفت دياجر الظلامِ | وأصفقَ الناس على الإسلام

فقلت:

يا أيّها الهاتف بالعوامِ | لست بذي وقرٍ عن الكلامِ
فبيِّنن عن سنّة الإسلامِ

قال: وما كنت والله عرفت الإسلام قبل ذلك فأجابني يقول:

أرحل على اسم الله والتوفيق | رحلةَ لا وانٍ ولا مَشسيقِ
إلى فريق خير ما فريقِ | إلى النبيِّ الصادقِ المصدوقِ

فرميت الصنم وخرجت أُريد النبيَّ صلّى الله عليه وآله وسلّم، فصادفت وفد همدان يدور بالنبيِّ فدخلت عليه فأخبرته خبري، فسرَّ النبيُّ ﷺ ثمّ قال: أخبر المسلمين: وأمرني بكسر الأصنام فرجعت إلى اليمن وقد إمتحن الله قلبي بالإسلام وقلت في ذلك:

من مبلغٌ عنّا شآم قومنا | ومن حلَّ بالأجواف سرّاً وجهرا
بأنّا هدانا الله لِلحقِّ بعدما | تهوَّد منّا حائرٌ وتنصّرا
وإنّا سرينا من يغوث وقربه | يعوق، وتابعناك يا خيِّر الورى[2]

---

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ٥٢.
(٢) اسد الغابة ج ٤ ص ١٩٣، الإصابة ج ٣ ص ٤١.

٥ ـ أخرج أبو نعيم في دلائل النبوَّة ج ١ ص ٣٤ عن العبّاس بن مرداس السلمي قال: دخلت على وثن يقال له (الضمار) فكنست ما حوله ومسحته وقبَّلته فإذا بصائحٍ يصيح يا عبّاس بن مرداس!

قـل للقبـايـل من سليم كلّهـا   هلك الأنيس وفاز أهل المسجدِ
أودى «ضمار» وكان يعبد مرَّة   قبل الكتاب إلى النبيِّ محمَّدِ
إنّ الذي ورث النبوَّة والهـدى   بعد ابن مريم من قريش مُهتدِ

فخرج العبّاس في ثلاثمائة راكب من قومه إلى النبيِّ صلّى الله عليه وآله فلمَّا رآه النبيُّ تبسَّم ثمَّ قال: يا عبّاس بن مرداس، كيف كان إسلامك؟ فقصَّ عليه القصَّة فقال: صدقت وسرَّ بذلك[1].

٦ ـ أخرج أبو نعيم في دلائله ج ١ ص ٣٣ عن رجل خثعميّ قال: إنّ قوماً من خثعم كانوا مجتمعين عند صنم لهم، إذ سمعوا بهاتف يهتف:

يـا أيّها النـاس ذَوو الأجسامِ   ومسنـدو الحكم إلى الأصنامِ
مـا أنتمُ وطـائش الأحـلامِ   هـذا نـبيٌّ سـيِّـدُ الأنـامِ
أعـدل ذي حُكم من الحكّامِ   يصـدع بـالنـور وبـالإسـلامِ
ويـردع النـاس عن الآثـامِ   مستعلنٌ فـي البـلد الحـرامِ

وأخرج أبو نعيم عن عمر قال: سمعت هاتفاً يهتف ويقول:

يـا أيّها النـاس ذَوو الأجسامِ   ومسندوا الحكم إلى الأصنامِ
مـا أنتم وطـائش الأحـلامِ   فـكلّكـم أوره كـالنعـامِ[2]
أما تـرون مـا أرى أمـامي؟   قـد لاح لِلنـاظـر من تهـامِ

---

(١) ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ٦١، تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤١.
(٢) في البحار ج ٦ ص ٣١٩. فكلكم أوره كالكهام. وره فهو أوره. أي حمق. الكهام: الكليل. البطيء. المسنّ.

أكــرم بــه لله مــن إمــامِ قد جاء بعد الكفر بـالإسلامِ

والبرّ والصّلات للأرحام(١)

ورواه الخرائطي كما في تاريخ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٣ بإسناده واللفظ فيه:

يـا أيّها النـاس ذوو الأجسامِ من بين أشيـاخ إلـى غـلامِ

مـا أنتمُ وطـائش الأحـلامِ ومسند الحُكم إلى الأصنامِ

أكـلّكم فـي حيـر النيـامِ؟ أم لا ترون ما الّذي أمامي؟

من ساطعٍ يجلو دُجى الظلامِ قـد لاح للنـاظـر من تهـامِ

ذاك نـبـيٌّ سيِّـد الأنـامِ قد جاء بعـد الكفر بـالإسلام

أكـرمـه الـرَّحمٰن من إمـامِ ومن رسـول صـادق الكـلامِ

أعدل ذي حُكم من الحكّامِ يـأمر بـالصَّـلاة والصيـامِ

والبرِّ والصّلات لـلأرحامِ ويـزجر النـاس عن الآثـامِ

والـرجس والأوثـان والحرامِ من هـاشم في ذروة السنـامِ

مستعلناً في البلد الحرامِ

٧ - أخرج أبو نعيم عن يعقوب بن يزيد بن طلحة التيمي، عن رجل قال: كنّا بقفرة من الأرض إذا هاتفٌ من خلفنا يقول:

قـد لاح نجمٌ فأضـاء مشرقـه يخرج من ظلماء عسوف موبقه

ذاك رسـولٌ مفلحٌ مَن صدَّقـه الله أعـلى أمـره وحقّـقـه(٢)

٨ - أخرج البيهقي وابن عساكر عن ابن عبّاس، إنَّ رجلاً قال: يا رسول الله! خرجت في الجاهليَّة أطلب بعيراً شرد فهتف بي هاتفٌ في الصبح يقول:

يا أيّها الراقد في اللّيل الأجمْ قـد بعث الله نبيّاً في الحـرمْ

من هاشمٍ أهل الوفاء والكرمْ يجلو دجنّات الدياجي والظلمْ

---

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٣٣.

(٢) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٠٤.

فأدرت طرفي فما رأيت له شخصاً فقلت:

يا أيّها الهاتف في داجي الظُّلَمْ　　أهلاً وسهلاً بك مِن طيف ألمْ
بيِّن هداك الله في لحن الكَلِمْ　　ماذا الذي يدعو إليه؟ يغتنمْ

فإذا أنا بنحنحة وقائل يقول:

ظهر النور، وبطل الزور، وبعث الله محمَّداً بالخيور. ثمّ أنشأ يقول:

الحمد لله الّذي　　لم يخلق الخلق عبثْ
أرسلَ فينا أحمداً　　خير نبيٍّ قد بَعثْ
صلّى عليه الله ما　　حجَّ لهُ ركبٌ وحثّ(١)

٩ ـ أخرج أبو سعد في (شرف المصطفى) عن الجعد بن قيس المرادي قال: خرجنا أربعة أنفس نريد الحجَّ في الجاهليَّة فمررنا بواد من أودية اليمن إذا بهاتف يقول:

ألا أيّها الركب المعرِّس بلِّغوا　　إذا ما وقفتم بالحطيم وزمزما
محمَّدٍ المبعوث منّا تحيّةً　　تُشيِّعه من حيث سار ويمَّما
وقولوا له: إنّا لدينك شيعةً　　بذلك أوصانا المسيح بن مريما(٢)

١٠ ـ أخرج الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ٢٥٣، عن عيش بن جبر، قال: سمعت قريش في ليلة قائلاً يقول على أبي قبيس:

فإن يسلم السعدان يصبح محمَّدٌ　　بمكّة لا يخشى خلافَ مخالف

فظنَّت قريش أنّهما سعد تميم، وسعد هذيم، فلمّا كانت الليلة الثانية سمعوه يقول:

أيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً　　ويا سعد سعد الخزرجين الغطارفِ

---

(١) الخصائص الكبرى ج ١ ص ١٠٩.
(٢) الخصائص الكبرى ج ١ ص١٠٩.

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنّيا ... على الله في الفردوس منية عارفِ
فإنّ ثواب الله يا طالب الهدى! ... جنانٌ من الفردوس ذات رفارفِ

فلمّا أصبحوا قال سفيان: هو والله سعد بن معاذ وسعد بن عبادة[1].

١١ ـ روى ابن سعد في طبقاته الكبرى ج ١ ص ٢١٥ ـ ٢١٩ ما ملخّصه: لَمّا هاجر رسول الله ﷺ من مكّة إلى المدينة، ومرَّ هو ومن معه بخيمتي أُمّ معبد الخزاعيَّة، وهي قاعدة بفناء الخيمة فسألوها تمراً أو لحماً يشترون، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك، وإذا القوم مرملون[٢] مسنتون[٣] فقالت: والله لو كان عندنا شيءٌ ما أعوزكم القِرى، فنظر رسول الله ﷺ إلى شاة في كسر الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أُمّ معبد؟ قالت: هذه شاة خلّفها الجهد عن الغنم، فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك، قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأُمي إن رأيت بها حلباً، فدعا رسول الله ﷺ بالشاة فمسح ضرعها، وذكر اسم الله وقال: اللهمَّ بارك لها في شاتها. قال: فتفاجّت[٤] ودرّت واجترّت[٥] فدعا بإناء لها يربض[٦] الرهط فحلب فيه ثجّاً[٧] حتى غلبه الثُمال[٨] فسقاها فشربت حتّى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا وشرب ﷺ آخرهم وقال: ساقي القوم آخرهم، فشربوا جميعاً عللاً بعد نهل[٩] حتّى أراضوا[١٠] ثمّ حلب فيه ثانياً عوداً على بدء فغادره عندها ثمّ ارتحلوا عنها.

---

(١) ورواه ابن شهر آشوب في المناقب ج ١ ص ١٥٩.
(٢) نفد زادهم وافتقروا.
(٣) مجدبون.
(٤) من التفاج هو المبالغة في تفريج ما بين الرجلين، وهو من الفج أي الطريق.
(٥) من الجرة وهي: ما يخرجه البعير من بطنه فيمضغه ثانياً.
(٦) أي يرويهم حتى يناموا ويأخذوا راحتهم.
(٧) ثج الماء ثجوجاً: سال.
(٨) الثمال بضم الثاء واحده ثمالة: الرغوة. وما بقي في الإناء من ماء غيره.
(٩) عللاً. بالتحريك: شرباً بعد شرب. نهل بالتحريك: أول الشرب.
(١٠) من أراض إراضة: روى.

الحديث. وأصبح صوت بمكّة عالياً بين السماء والأرض يسمعونه ولا يرون مَن يقول وهو يقول:

جزى الله ربُّ الناس خير جزائه   رفيقين حلّا خيمتي أمّ معبدِ
هما نزلا بالبرِّ وارتحلا به   فأفلح مَن أمسى رفيق محمَّدِ
فيالقُصيٍّ ما زوى الله عنكم   به من فعالٍ لا يجازى وسؤددِ
سلوا أُختكم عن شاتها وإنائها   فإنّكم إن تسألوا الشاة تشهدِ
دعاها بشاةٍ حائلٍ فتحلّبت   له بصريحٍ ضرَّة الشاة مزبدِ[1]
فغادره رهناً لديها لحالبٍ   تدرُّ بها في مصدر ثمَّ موردِ[2]

١٢ ـ أخرج ابن الأثير في اسد الغابة ج ٥ ص ١٨٨ عن أبي ذؤيب الهذلي الشاعر أنّه سمع ليلة وفاة النبيِّ ﷺ هاتفاً يقول:

خطبٌ أجلّ أناخ بالإسلام   بين النخيل ومعقد الأطامِ[3]
قُبض النبيُّ محمَّدٌ فعيوننا   تذري الدموع عليه بالتسجامِ

وهناك هواتف في شؤون العترة النبويّة منها:

١٣ ـ أخرج الحافظ الگنجي في كفايته ص ٢٦١: لَمّا وُلد في الكعبة عليٌّ «أمير المؤمنين» دخل أبو طالب الكعبة، وهو يقول:

يا ربَّ هذا الغسق الدُجيّ   والقمر المنبلج المضيّ
بيِّن لنا من أمرك الخفيّ   ماذا ترى في اسم ذا الصبيّ

قال: فسمع صوت هاتفٍ وهو يقول:

يا أهل بيت المصطفى النبيِّ   خُصصتمُ بالولد الزكيِّ
إنَّ اسمه من شامخ العليِّ   عليٌّ اشتقَّ من العليِّ

---

(١) الصريح: الخالص. الضرة. أصل الثدي. المزبد: القاذف بالزبد.
(٢) ورواها أبو نعيم في دلائل النبوة ج ٢ ص ١١٨.
(٣) واحده الاطم بالضم: الأبنية المرتفعة كالحصون.

ثمّ قال: هذا حديثٌ تفرَّد به مسلم بن خالد الزنجي، وهو شيخ الشافعيِّ.

١٤ - ذكر الشبلنجي في نور الأبصار ص ٤٧ : إنّ عليّاً «أمير المؤمنين» كان يزور قبر فاطمة في كلِّ يوم فأقبل ذات يوم فانكبَّ على القبر وبكى، وأنشأ يقول:

ما لي مررت على القبور مسلّماً   قبر الحبيب فلا يردّ جوابي
يا قبرُ ما لك لا تجيب منادياً؟   أمللت بعدي خُلّة الأحبابِ؟

فأجابه هاتف يسمع صوته ولا يرى شخصه وهو يقول:

قال الحبيب:

وكيف لي بجوابكم وأنا   رهين جنادل وترابِ؟
أكل التراب محاسني فنسيتكم   وحُجبت عن أهلي وعن أترابي
فعليكمُ منّي السّلام تقطعت   منّي ومنكم خُلّة الأحباب

١٥ - روى ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣٤١، والگنجي في الكفاية، عن أُمّ سلمة قالت: لَمّا كانت ليلة قتل الحسين (الإمام السبط) سمعت قائلاً يقول:

أيّها القاتلون جهلاً حسيناً   أبشروا بالعذاب والتنكيلِ
كلُّ أهل السماء يدعو عليكم   من نبيٍّ ومرسلٍ وقبيلِ
قد لُعنتم على لسان ابن داود   وموسى وحامل الإنجيل[١]

موكب الشعراء

فمن هنا وهنا جاء بيمن السنّة والكتاب، من الصحابة الواكبين على الشعر مواكب بعين سيِّدهم نبيِّ العظمة كالأُسود الضارية، تفترس أعراض الشرك والضلال، وصقور جارحة تصطاد الأفئدة والمسامع، وتلك المواكب كانت ملتفّةً حوله في حضره، وتسري معه في سفره، ورجالها فرسان الهيجاء، ومعهم حسام

(١) ذكر ابن حجر منها بيتين، ورواها شيخنا ابن قولويه المتوفّى سنة ٣٦٧ وفي الكامل ج ٨ ص ٣٠.

الشعـر ونبل القـريض، يُجادلـون دون مبدء الإسـلام المقدَّس، ويُجـاهـدون بألسنتهم في سبيل الله، وفيهم نظراء:

العبّاس عمّ النبيّ	كعب بن مالك	عبدالله بن رواحة	حسّان بن ثابت
النابغة الجعدي	ضرار الأسدي	ضرار القرشي	كعب بن زهير
قيس بن صرمة	أُميَّة بن الصلت	نعمان بن عجلان	العبّاس بن مرداس
طفيل الغنوي	كعب بن نمط	مالك بن عوف	صرمة بن أبي أنس
قيس بن بحر	عبدالله بن حرب	بُحير بن أبي سلمى	سراقة بن مالك

وقد أخذت هذه الروح الدينيَّة بمجامع قلوب أفراد المجتمع، ودبّت في النفـوس ودبّجتهـا، وخـالـطت الأرواح، حتى مـازجت نفـوس المسلمـات، فأصبحت تغار على الدين وتكلأه، وهنَّ ربّات الحجال تذبُّ عن نبيِّ الأُمّة ببديع النظم وجيِّد الشعر نظيرات:

١ ـ أُمّ المؤمنين (المِلكـة) خديجـة بنت خـويلد، زوج النبيِّ الـطاهـر صلّى الله عليه وآله، وكانت رقيقة الشعر جدّاً، ومن شعرها في تمريغ البعيـر وجهه على قدمي النبيٍّ، ونطقه بفضله كرامةً له صلّى الله عليه وآله قولها:

نطق البعير بفضل أحمد مخبراً ... هذا الّذي شرفت به أُمُّ القرى

هـذا محمَّد خيـر مبعوث أتى ... فهو الشفيع وخير من وطىء الثرى

يا حاسديه تمزَّقوا من غيظكم ... فهو الحبيب ولا سواه في الورى[1]

٢ ـ سعدى بنت كريز، خالة عثمان بن عفان، ومن شعرها في الدعاية الدينيَّة:

عثمـان يا عثمـانُ يا عثمـانُ! ... لـك الجمـالُ ولـك الشـانُ

---

(١) بحار الأنوار ج ٦ ص ١٠٣.

هـذا نبيٌّ مـعـه البـرهـانُ أرسـله بـحـقِّـه الـديّـانُ
وجاءه التنـزيـل والبـرهـانُ فـاتبعـه لا تغيا بـك الأوثـانُ

فقالت: إنّ محمَّد بن عبدالله رسول الله، جاء إليه جبريل يدعوه إلى الله.

مصباحه مصباحٌ وقوله صلاحُ ودينـه فلاحُ وأمـره نجـاحُ
لِقرنه نطاحٌ ذلّت له البطاحُ ما ينفع الصياحُ لو وقع الرماحُ
وسـلّت الـصـفـاحُ ومـدّت الـرمـاحُ

وتقول في إسلام عثمان:

هدى الله عثمان الصفيَّ بقوله فأرشده والله يهدي إلى الحقِّ
فتابع بالرأي السديد محمَّداً وكان ابن أروى لا يصدُّ عن الحقِّ
وأنكحه المبعوث إحدى بناته فكان كبدر مازج الشمس في الأفقِ
فداءك يابن الهاشميين مهجتي فأنت أمين الله أرسلت في الخلقِ[١]

٣ - الشيماء بنت الحارث بن عبد العزّى، أخت النبيِّ الأقدس من الرضاعة، تقول في النبيِّ صلّى الله عليه وآله:

يـا ربّنا! أبق لنـا محمَّـدا حتى أراه يـافعـاً وأمـردا
ثـمَّ أراه سـيِّـداً مـسـوَّدا واكبتْ أعاديه معاً والحسَّدا

وأعطه عزّاً يدوم أبدا[٢]

٤ - هند بنت أبان[٣] بن عباد بن المطلب، لها عدّة قواف في النبيِّ الطاهر صلّى الله عليه وآله، توجد في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤.ص ١٤٨، وهي تجابه هند بنت عتبة في وقعة أُحد في قولها تفتخر بقتل حمزة ومن أُصيب من المسلمين:

نحن جـزينـاكم بيـوم بـدرِ والحرب بعد الحرب ذات سعرِ

---

(١) الإصابة ج ٤ ص ٣٧٢ و٣٢٨.
(٢) الإصابة ج ٤ ص ٣٤٤.
(٣) في الطبقات الكبرى لابن سعد واسد الغابة: أثاثة بن عباد.

ما كان عن عتبة لي من صبرٍ　　أبي وعمّي وشقيق بكري
شفيت وحشيّ غليل صدري　　شفيت نفسي وقضيت نذري

فأجابتها هند بنت أبان بقولها:

جزيت في بدر وغير بدر　　يا بنت وقّاع عظيم الكفرِ
صبّحك الله غداة الفجرِ　　بالهاشميّين الطوال الزهرِ
بكلّ قطّاع حسام يفري　　حمزة ليثي وعليٌّ صقري[1]

٥ ـ خنساء بنت عمرو حفيدة امرىء القيس، قد أكثرت من الشعر، وأجمع أهل العلم بالشعر أنّه لم تكن إمرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها، وكان النبي ﷺ يعجبه شعرها ويستنشده[2].

٦ ـ رُقيقة (بقافين مصغّرة) بنت أبي صيفي بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم، هي التي أخبرت رسول الله بأنّ قريشاً قد اجتمعت تريد شأنك الليلة فتحوّل رسول الله ﷺ عن فراشه وبات فيه عليٌّ أمير المؤمنين[3] لها شعرٌ جيّد منها قولها في استسقاء عبد المطلب لقريش، ومعه رسول الله ﷺ يافعاً أوّله:

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا　　وقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطرُ[4]

٧ ـ أروى بنت عبد المطلب، عمّة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وصاحبة الإحتجاج المشهور على معاوية يأتي في ترجمة عمرو بن العاص، ولها شعر في رثاء النبيّ صلّى الله عليه وآله منه أبيات أوّلها:

ألا يا عين ويحكِ أسعديني . بدمعكِ ما بقيتِ وطاوعيني

ومنها أبيات مستهلّها:

ألا يا رسول الله، كنتَ رجاءنا　　وكنتَ بنا برّاً ولم تك جافيا

---

(١) اسد الغابة ج ٥ ص ٥٥٩، الإصابة ج ٤ ص ٤٢١.
(٢) الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٤ ص ٢٩٥، ٢٩٦، اسد الغابة ج ٥ ص ٤٤١.
(٣) الإصابة ج ٤ ص ٣٠٣.
(٤) اسد الغابة ج ٥ ص ٤٥٥، الخصائص الكبرى ج ١ ص ٨٠.

وتقول فيها:

أفاطم، صلّى الله ربُّ محمَّد   على جدث أمسى بيثرب ثاويا
أبا حسن، فارقته وتركته   فبكِّ بحزن آخر الدهر شاجيا[١]

٨ عاتكة بنت عبد المطلب   ٩ صفيَّة بنت عبد المطلب
١٠ هند بنت الحارث   ١١ زوج النبيِّ أُمّ سلمة
١٢ عاتكة بنت زيد بن عمرو   ١٣ خادمة النبيِّ أُمُّ أيمن [٢].

وكانت عائشة زوج النبيِّ صلّى الله عليه وآله، تحفظ الشعر الكثير، وكانت تقول: أُرويت للبيد إثنى عشر ألف بيت[٣] وكان صلّى الله عليه وآله، يستنشدها الشعر ويقول: أبياتكِ. وممّا أنشدت:

إذا ما التِّبرُ حُكَّ على محكٍّ   تبيَّن نشّه من غير شكٍّ
وبان الزيف والذهب المصفّى   «عليٌّ» بيننا شبه المحكِّ[٤]

الشعر والشعراء عند الأئمة

هذه الدعاية الروحيَّة، والنصرة الدينيَّة، المرغَّب فيها بالكتاب والسنَّة، والمجاهدة دون المذهب بالشعر ونظم القريض، كانت قائمة على ساقها في عهد أئمَّة العترة الطاهرة تأسِّياً منهم بالنبيِّ الأعظم، وكانت قلوب أفراد المجتمع تلين لِشعراء أهل البيت، فتتأثَّر بأهازيجهم حتى تعود مزيجة نفسيَّاتهم.

وكان الشعراء يقصدون أئمَّة العترة، من البلاد القاصية بقصائدهم المذهبيَّة، وهم صلوات الله عليهم يحسنون نزل الشاعر وقِراه، ويرحِّبون به بكلِّ

---

(١) توجد بقية الأبيات في الطبقات الكبرى لابن سعد ج ٤ ص ١٤٢، ١٤٣.
(٢) تجد شعر هؤلاء في طبقات ابن سعد ج ٤ ص ١٤٤، ١٤٨، مناقب ابن شهر اشوب ج ١ ص ١٦٩ وغيرهما.
(٣) الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٣ ص ٣٢٨.
(٤) الكنز المدفون للسيوطي ص ٢٣٦.

حفاوة وتبجيل، ويحتفلون بشعره ويدعون له، ويُزوّدونه بكلّ صلة وكرامة، ويُرشدونه إلى صواب القول إن كان هناك خللٌ في النظم، ومن هنا أخذ الأدب في تلك القرون في التطوّر والتوسّع حتى بلغ إلى حدّ يقصر دونه كثيرٌ من العلوم والفنون الإجتماعيّة.

وقد يكسب الشعر بناحيته هذه أهميّة كبرى عند حماة الدين أهل بيت الوحي حتى يُعدُّ الإحتفال به، والإصغاء إليه، وصرف الوقت النفيس دون سماعه واستماعه من أعظم القربات وأولى الطاعات، وقد يُقدَّم على العبادة والدعاء في أشرف الأوقات وأعظم المواقف، كما يُستفاد من قول الإمام الصادق عليه السلام وفعله بهاشميّات الكميت لمّا دخل عليه في أيّام التشريق بمنى فقال له: جعلت فداك ألا أُنشدك؟ قال: إنّها أيّام عظام قال: إنّها فيكم، فلمّا سمع الإمام عليه السلام مقاله بعث إلى ذويه فقرّبهم إليه وقال: هات فأنشده لاميّته من الهاشميّات فحظي بدعائه عليه السلام له وألف دينار وكسوة. وسنوقفك على تفصيل هذا الإجمال في ترجمة كميت والحميري ودعبل.

ونظراً إلى الغايات الإجتماعيّة كان أئمّة الدين يغضّون البصر من شخصيّات الشاعر المذهبيّ وأفعاله، ويضربون عنها صفحاً إن كان هناك عملٌ غير صالح يسوؤهم مهما وجدوه وراء صالح الأُمّة، وفي الخير له قدم، وصرح به الحقّ عن محضه، وصرح المحض عن الزبد، وصار الأمر عليه لزام[1] وكانوا يستغفرون له ربّه في سوء صنعه، ويجلبون له عواطف الملأ الدينيّ بمثل قولهم: لا يكبر على الله أن يغفر الذنوب لمحبّنا ومادحنا، وقولهم أيعزُّ على الله أن يغفر الذنوب لمحبّ عليّ، وإنّ محبّ عليٍّ لا تزلُّ له قدمٌ إلّا تثبت له أُخرى[2]. وفي تلك القدم الثابتة صلاح المجتمع، وعليها نموت ونحيى.

وهناك لأئمة الدين صلوات الله عليهم فكرةٌ صالحةٌ، صرفت في هذه

(١) ثل من هذه الجمل مثل بصرب لزام بكسر الميم مثل حذام، أي: صار هذا الأمر لازماً له.
(٢) توجد هذه الأحاديث في ترجمة أبي هريرة الشاعر والسيد الحميري وغيرهما.

الناحية، وهي كدستور فيها تعاليم وإرشادات إلى مناهج الخدمة للمجتمع، وتنوير أفكار المثقّفين وتوجيهها إلى طرق النشر والدعاية، ودروسٌ في توطيد أسس المذهب، وكيفيّة احتلال روحيّات البلاد وقلوب العباد، وبرنامجٌ في صرف مال الله، وتلويحٌ إلى أهمّ موارده.

تُعرب عن هذه الفكرة المشكورة إيصاء الإمام الباقر، ابنه الإمام الصادق عليه السلام، بقوله: يا جعفر أوقف لي من مالي كذا وكذا النوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى[1] وفي تعيينه عليه السلام ظرف الندبة من الزمان والمكان، لأنّهما المجتمع الوحيد لزرافات المسلمين، من أدنى البلاد وأقاصيها من كلّ فجّ عميق، وليس لهم مجتمعٌ يضاهيه في الكثرة، دلالةٌ واضحةٌ على أنّ الغاية من ذلك إسماع الملأ الدينيّ مآثر الفقيد «فقيد بيت الوحي» ومزاياه، حتى تنعطف عليه القلوب، وتحنُّ إليه الأفئدة، ويكونوا على أمم من أمره، وبمقربة من اعتناق مذهبه، فيحدوهم ذلك بتكرار الندبة في كلّ سنة إلى الإلتحاق به، والبخوع لحقّه، والقول بإمامته، والتحلّي بمكارم أخلاقه، والأخذ بتعاليمه المنجية، وعلى هذا الأساس الدينيّ القويم أُسّست المآتم والمواكب الحسينيّة، ليس إلا.

ونظراً إلى المغازي الكريمة المتوخّاة من الشعر، كان شعراء أهل البيت ممقوتين ثقيلين جدّاً على مناوئيهم، وكانت العداء عليهم محتدمة، والشحناء لهم متشزّنة، وكان حامل ألوية هذه الناحية من الشعر لم يزل خائفاً يترقّب، آيساً من حياته مستميتاً مستقتلاً، لا يقرُّ له قرار؛ ولا يأويه منزل. وكان طيلة حياته يكابد المشاقّ، ويقاسي الشدائد من شنقٍ وقتلٍ وحرقٍ وقطع لسانٍ وحبسٍ وعذابٍ وتنكيلٍ وضربٍ وهتك حرمةٍ وإقصاءٍ من الأهل والوطن إلى شدائد اخرى سجّلها لهم التاريخ في صحائفه.

---

(١) رواه بطريق صحيح رجاله ثقات شيخنا الكليني في الكافي ج ١ ص ٣٦٠.

الشعر والشعراء عند أعلام الدين

إقتفى أثر الأئمَّة الطاهرين فقهاء الأُمَّة، وزعماء المذهب، وقاموا لخدمة الدين الحنيف، بحفظ هذه الناحية من الشعر كلاءةً لناموس المذهب، وحرصاً لبقاء مآثر آل الله، وتخليداً لذكرهم في الملأ، وكانوا يتَّبعون منهاج أئمَّتهم في الإحتفاء بشاعرهم وتقديره، والإثابة على عمله والشكر له بكلِّ قول وكرامة، وكانوا يحتفظون بهذه المغازي بالتأليف في الشعر وفنونه، ويعدّونه من واجبهم كما كانوا يؤلِّفون في الفقه وسائر العلوم الدينيَّة، مهما كان كلٌّ منهم للغايات حفيّاً.

هذا: شيخنا الأكبر الكليني، الذي قضى من عمره عشرين سنة في تأليف الكافي أحد الكتب الأربعة مراجع الإماميَّة، له كتاب ما قيل من الشعر في أهل البيت. والعيّاشي، الذي ألّف كتباً كثيرة في الفقه الإماميِّ لا يستهان بعدَّتها، له كتاب «معاريض الشعر». وشيخنا الأعظم الصدوق، الذي بذل النفس والنفيس دون التأليف والنشر في الفقه والحديث، له كتاب الشعر. وشيخ الشيعة بالبصرة الجلودي ذلك الشخصيَّة البارزة في العلم وفنونه، له كتاب ما قيل في عليّ عليه السلام من الشعر. وشيخ الإماميّة بالجزيرة أبو الحسن الشمشاطي مؤلِّف مختصر فقه أهل البيت، له كتبٌ قيِّمة في فنون الشعر. ومعلِّم الأُمَّة شيخنا المفيد الذي لا تخفى على أيٍّ أحد أشواطه البعيدة في خدمة الدين، وإحياء الأُمَّة، وإصلاح الفاسد، له كتاب مسائل النظم. وسيِّد الطائفة المرتضى علم الهدى، له ديوان، وتآليف في فنون الشعر، إلى زرافات آخرين من حملة الفقه وأعضاد العلم الإلّهي من الطبقة العليا.

ولم يزالوا يعقدون الحفلات والأندية في الأعياد المذهبيَّة، من مواليد أئمَّة الدين عليهم السّلام ويوم العيد الأكبر (الغدير) ومجالس تعقد في وفياتهم، فتأتي إليها الشعراء شُرَّعاً فيلقون ولائد أفكارهم من مدائح وتهاني وتأبينات ومراثي فيها إحياء أمرهم، فتثبت لها القلوب، وتشتدُّ بها العلائق الودِّية بين أفراد

المجتمع ومواليهم عليهم السّلام، ويتبعها الحفاوة والتكريم والإثابة والتعظيم لمنضّدي تلك العقود وجامعي أوابدها، هذا وما عند الله خيرٌ وأبقى.

وكانت الحالة في بعض تلك القرون الخالية أكيدة، والنشاط الروحيّ بالغاً في رجالاته فوق ما يُتصوّر، والأُمّة بيمن تلك النفوس الطاهرة سعيدةٌ جدّاً كعصر سيّد الأُمّة آية الله بحر العلوم، والشيخ الأكبر كاشف الغطاء، وأمّا اليوم فإنّ تلك المحتشدات الروحيّة:

أمست خلاءً وأمسى أهلها احتملوا ... أخنى عليها الذي أخنى على لبدِ

نعم بالأمس، كان بقيّة العترة الطاهرة الإمام المجدّد الشيرازي، نزيل سامراء المشرّفة ذلك العلم الخفّاق للأُمّة جمعاء، الذي طنّبت زعامته الدينيّة على أطراف العالم كلّه، لا تنقطع حفلاته في الأيّام المذكورة كلّها فتقصدها صاغة القريض بأناشيدهم المبهجة من شتّى النواحي، فتجد عنده فناءً رحباً، وانبساطاً شاملاً، وتقديراً معجباً، ونائلاً جزيلاً، وبشاشةً مرغّبة. ولكن:

ذهب الّذين يُعاش في أكنافهم ... .

ومن نماذج هاتيك الأحوال، أنّ شاعر أهل البيت المفلق السيّد حيدر الحلي، قصده بشعر في بعض وفداته إليه فأضمر السيّد المجدّد في نفسه أن يُثيبه بعشرين ليرة عثمانيّة، فأفضى بعزمه إلى ابن عمّه العلم الحجّة[1] الحاج ميرزا إسماعيل، فاستقلّ ذلك المبلغ، وقال: إنّه شاعر أهل البيت، وإنّه أجلّ وأفضل من أمثال دعبل، والحميري ونظرائهما، وكان أئمّة الدين يُقدّمون إليهم الصُرر والبُدر، فاستحفاه عن مقتضى الحال فقال له: إنّ الحريّ أن تعطيه مائة ليرة بيدك الشريفة. هناك قصد السيّد المجدّد زيارة السيّد حيدر، وناوله المبلغ المذكور بكلّ حفاوة وتبجيل، وقبّل يد شاعر أهل البيت. حكاه جمعٌ ممّن أدرك ذلك العصر الذهبيّ، ومنهم خلفه الصالح آية الله ميرزا علي آغا، الذي خلف

---

(١) تأتي ترجمته في شعراء القرن الرابع عشر.

والده على تلك المجالس والمجتمعات واستنشاد الشعر، والإصاخة إليه والتقدير والترحيب في النجف الأشرف.

ولا يسعنا بسط المقال حول هذه كلّها. وليس هذا المجمل إلاّ نفثة مصدور، ولهفة متحسّر على فراغ هذه الناحية في اليوم، وإهمال تلك الغاية المهمّة، وإقلاق تلك الطمأنينة، وضياع تلك الفوائد الجمّة على الأُمّة، فالأيّام عوج رواجع[1]، فكأنّ الدنيا رجعت إلى ورائها القهقرى، واكتسى الشعر كسوة الجاهليّة الاولى، وذهب أمس بما فيه[2]، فلا فقيه هناك كأولئك، ولا شاعر كهؤلاء، ولا رأي لمن لا يُطاع.

ومهما نتلقّى شعر السلف (في القرون الاولى) تلقّي الحديث والسنّة، نذكر في شعرهم المقول في فضائل آل الله بعض ما وقفنا عليه من الحديث الوارد هناك من طرق العامّه، ولعلّ الباحث يقف بذلك على سعة باع الشاعر، في علمي الكتاب والسنّة.


عبد الحسين الأميني

﴿آخِرُ دَعْوانَا أنِ الْحَمدُ لله رَبُّ العَالَمينَ﴾

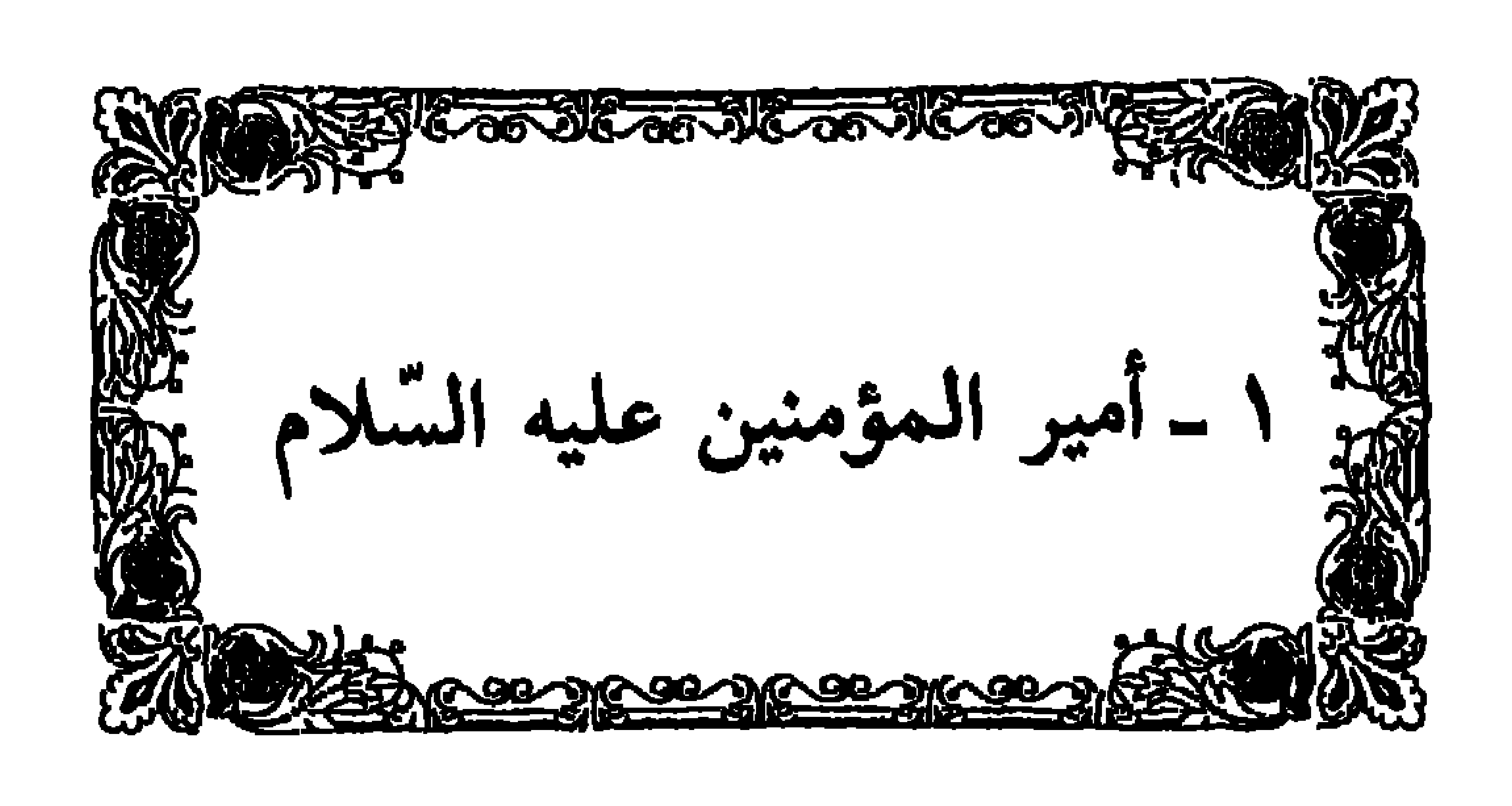
---

(١) مثل يضرب يعني: الدهر تارة يعرج عليك وتارة يرجع إليك.

(٢) مثل سائر يضرب.



شعراء الغدير
في القرن الأوّل



١ - أمير المؤمنين عليه السّلام

نتيمّن في بدء الكتاب بذكر سيّدنا أمير المؤمنين عليّ، خليفة النبيّ المصطفى، صلّى الله عليهما وآلهما، فإنّه أفصح عربيٍّ، وأعرف الناس بمعاريض كلام العرب، بعد صنوه النبيِّ الأعظم، عرف من لفظ المولى في قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، معنى الإمامة المطلقة، وفرض الطاعة التي كانت لرسول الله صلّى الله عليه وآله، وقال عليه السلام:

محمّدٌ النبيُّ أخي وصنوي[١] ... وحمزة سيّد الشهداء عمّي

وجعفر الذي يُضحي ويُمسي ... يطير مع الملائكة ابن أُمّي

وبنت محمّد سكني وعرسي ... منوطٌ لحمها بدمي ولحمي

وسبطا أحمد ولداي منها ... فأيّكمُ له سهمٌ كسهمي

سبقتكمُ إلى الإسلام طرّاً ... على ما كان من فهمي وعلمي[٢]

فأوجب لي ولايته عليكم ... رسول الله يوم غدير خمٍّ[٣]

---

(١) في تاريخ ابن عساكر وغير واحد من المصادر: صهري.

(٢) في رواية ابن أبي الحديد وابن حجر وابن شهر آشوب: غلاماً ما بلغت أوان حلمي. وفي رواية ابن الشيخ وبعض آخر: صغيراً ما بلغت أوان حلمي. وفي رواية الطبرسي بعد هذا البيت:

وصليت الصلاة وكنت طفلاً ... مقراً بالنبي في بطن امي

(٣) وذكر الدكتور أحمد رفاعي في تعليقه على معجم الادباء:

وأوصاني النبي على اختيار ... ببيعته غداة غدير خم

وهناك في هذا البيت تصحيف سنوقفك عليه.

فـويــلٌ ثـمَّ ويــلٌ ثمَّ ويــلٌ　　　لمن يلقى الإلّـه غداً بـظلمي

ما يتبع الشعر :

هذه الأبيات كتبها الإمام عليه السلام، إلى معاوية لمّا كتب معاوية إليه: إنّ لي «فضائل كان أبي سيّداً في الجاهليّة، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله، وخال المؤمنين، وكاتب الوحي، فقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: أبالفضائل يبغي عليٌّ ابن اكلة الأكباد؟ اكتب يا غلام! :

محمّـدٌ النبيُّ أخي وصنـوي　　　إلى اخـر الأبيات المـذكـورة

فلمّا قرأ معاوية الكتاب قال: اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالب.

والأُمّة قد تلقّتها بالقبول، وتسالمت على روايتها، غير أنّ كُلّاً أخذ منها ما يرجع إلى موضوع بحثه، من دون أيّ غمز فيها، بل ستقف على أنّها مشهورة، ورواها النقلة الأثبات، ونقلها الحفظة الثقـات، وذكر جمـع من أعلام السنّـة والجماعة عن البيهقي: أنّ هذا الشعر ممّا يجب على كلّ متوالٍ لعليٍّ حفظه، ليعلم مفاخره في الإسلام. فرواها من أصحابنا:

١ ـ معلّم الأُمّة شيخنا المفيد المتوفّى سنة ٤١٣، رواها بـأجمعها في «الفصول المختارة» ج ٢ ص ٧٨ وقال: كيف يمكن دفع شعر أمير المؤمنين في ذلك؟ وقد شاع في شهرته علي حدٍّ يـرتفع فيـه الخلاف، وانتشر حتى صار مذكوراً مسموعاً من العامّة فضلاً عن الخاصّة، وفي هذا الشعر كفايةٌ في البيان عن تقدُّم إيمانه عليه السلام، وانّه وقع مع المعرفة بالحجّة والبيان، وفيه أيضاً: أنّه كان الإمام بعد الرسول صلّى الله عليه واله، بدليل المقال الظاهر في يوم الغدير الموجب له للإستخلاف.

٢ ـ شيخنـا الكراجكي المتـوفى سنة ٤٤٩، رواهـا في «كنز الفـوائد» ص١٢٢.

٣ ـ أبو علي الفتّال النيسابوري، في «روضة الواعظين» ص ٧٦.

٤ - أبو منصور الطبرسي أحمد مشايخ ابن شهر آشوب، في «الإحتجاج» ص ٩٧.

٥ - ابن شهر آشوب المتوفى سنة ٥٨٨، في «المناقب» ج ١ ص ٣٥٦.

٦ - أبو الحسن الأربلي المتوفّى سنة ٦٩٢، في «كشف الغمّة» ص ٩٢.

٧ - ابن سنجر النخجواني، في «تجارب السلف» ص ٤٢ وقال ما تعريبه: لِعليّ ديوان[1] لا مجال لِلترديد والشكّ فيه.

٨ - الشيخ علي البياضي المتوفّى سنة ٨٧٧، في «الصراط المستقيم».

٩ - المجلسيُّ العظيم المتوفّى سنة ١١١١، في «بحار الأنوار» ج ٩ ص ٣٧٥.

١٠- السيِّد صدر الدين علي خان المدنّي المتوفّى سنة ١١٢٠، في درجاته الرفيعة.

١١ - الشيخ أبو الحسن الشريف، في «ضياء العالمين» المؤلّف ١١٣٧.

ورواها من أعلام العامّة

١ - الحافظ البيهقي المتوفّى سنة ٤٥٨ (المترجم ج١ ص ١٤٥) رواها برمَّتها، وقال: إن هذا الشعر ممّا يجب على كلِّ أحد متوال في عليّ حفظه، ليعلم مفاخره في الإسلام.

٢ - أبو الحجّاج يوسف بن محمّد البلوي المالكي الشهير بابن الشيخ، المتوفّى حدود سنة ٦٠٥، قال في كتابه «ألف باء» ج ١ ص ٤٣٩: وأمّا عليٌّ رضي الله عنه فمكانه عليٌّ، وشرفه سنيٌّ، أوّل من دخل في الإسلام، وزوج فاطمة عليها السلام بنت النبيِّ، وقد نظم في أبيات المفاخرة، وذكر فيها مآثره

---

(١) لعله يريد ما دونه الفنجكردي من شعره عليه السلام مما يبلغ مائتي بيت كما يأتي في ترجمته، لا هذا الديوان الكبير المطبوع المنتشر فإن فيه كل الشك.

حين فاخره بعض عداه ممّن لم يبلغ مداه، فقال رضي الله عنه يفخر بحمزة عمّه وبجعفر ابن عمّه رضي الله عنهم:

محمّـد النبيُّ أخي وصنوي　　　وذكـر إلى آخـر بيت الغـدير

فقال: يريد بذلك قوله عليه السلام: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم وال من والاه، وعاد من عاده.

٣ ـ أبـو الحسين الحافظ زيـد بن الحسن تاج الـدين الكندي الحنفي المتوفّى سنة ٦١٣، رواه من طريق ابن دُريد في كتابه «المجتنى» ص ٣٩ ذكر منها خمسة أبيات.

٤ ـ ياقوت الحموي المتوفّى سنة ٦٢٦ (المترجم ج ١ ص ١٥٤) ذكر ستّة أبيات منها في «معجم الادباء» ج ٥ ص ٢٦٦، وزاد الدكتور أحمد رفاعي المصري بيتين في التعليق.

٥ ـ أبو سالم محمّد بن طلحة الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٢، تأتي ترجمته في شعراء القرن السابع، رواها برمّتها في «مطالب السئول» ص ١١ (ط إيران) فقال: هذه الأبيات نقلها عنه عليه السلام الثقات، ورواها النقلة الأثبات.

٦ ـ سبط ابن الجوزي الحنفيّ المتوفّى سنة ٦٥٤ (المترجم ج ١ ص ١٥٥) رواها بجملتها في [تذكرة خواصّ الأمّة] ص ٦٢ وفي بعض أبياته تغييرٌ يسيرٌ.

٧ ـ ابن أبي الحديد المتوفّى سنة ٦٥٨، ذكر منها في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٣٧٧ بيتين مكتفياً عن البقيّة بشهرتها.

٨ ـ أبو عبدالله محمّد بن يوسف الگنجيّ الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٨، رواه في «المناقب» المطبوع بمصر ص ٤١، وقال في الإستدلال على سبق أمير المؤمنين إلى الإسلام: وقد أشار عليٌّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه إلى شيء من ذلك في أبيات قالها، رواها عنه الثقات. ثمّ ذكر البيت الأول، والثالث، والخامس، والسابع.

٩ - سعيد الدين الفرغاني المتوفّى سنة ٦٩٩ (المترجم ج ١ ص ١٥٨) ذكر في شرح تائيّة ابن الفارض في قوله:

وأوضح بالتأويل ما كان مشكلاً   عليٌّ بعلم ناله بالوصيّةِ

بيتين وهما:

وأوصاني النبيُّ على اختيار   لأُمّته رضىً منه بحكمي
وأوجب لي ولايته عليكم   رسول الله يوم غدير خمّ

١٠ - شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمويي المتوفّى سنة ٧٢٢ (المترجم ج ١ ص ١٥٨) رواها في «فرائد السمطين» وذكر من أوّلها إلى آخر بيت الولاية وزاد قبله:

وأوصاني النبيُّ على اختيار   لأُمّته رضىً منه بحكمي

١١ - أبو الفداء المتوفّى سنة ٧٣٢، أخذ منها في تاريخه ج ١ ص ١١٨، ما يرجع إلى إسلامه عليه السلام.

١٢ - جمال الدين محمّد بن يوسف الزرندي المتوفّى بضع و٧٥٠ ذكرها برمّتها غير البيت الأخير: فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ. إلخ في كتابه [نظم درر السمطين].

١٣ - ابن كثير الشاميّ المتوفّى سنة ٧٧٤ (المترجم ج ١ ص ١٦٢) رواها في «البداية والنهاية» ج ٨ ص ٨ عن أبي بكر ابن دريد، عن دماد، عن أبي عبيدة، وذكر منها خمسة أبيات.

١٤ - خواجه پارسا الحنفي المتوفّى سنة ٨٢٢ (المترجم ج ١ ص ١٦٥) رواها برمّتها في «فصل الخطاب» عن الإمام تاج الإسلام الخدابادي البخاري في أربعينه.

١٥ - ابن الصبّاغ المكّيُّ المالكيّ المتوفّى سنة ٨٥٥ (المترجم ج ١ ص ١٦٧) رواها في «الفصول المهمّة» ص ١٦ وذكر منها أربعة أبيات، وقال: رواها الثقات الأثبات.

١٦ ـ غياث الدين خواندمير[1] رواها في «حبيب السير» ج ٢ ص ٥ نقلاً عن «فصل الخطاب» لخواجه پارسا.

١٧ ـ ابن حجر المتوفّى سنة ٩٧٤ (المترجم ج ١ ص ١٧١) ذكر خمسة أبيات منها في «الصواعق» ص ٧٩ ونقل كلام الحافظ البيهقي المذكور.

توجد في المخطوط من الصواعق سبعة أبيات، وكذلك في المنقول عنه كينابيع المودّة للقندوزي ص ٢٩١، ويؤيّد صحّة نقله عن البيهقي، فإنّه ذكرها برمّتها، لكن يد الطبع الأمينة حرّفت عنه بيت الولاية وما بعده.

١٨ ـ المتّقي الهندي المتوفّى سنة ٩٧٥ (المترجم ج ١ ص ١٧٢) روى كتاب معاوية في «كنز العمّال» ج ٦ ص ٣٩٢ وذكر من الأبيات خمسة.

١٩ ـ الإسحاقي روى كتاب معاوية باللفظ المذكور في [لطائف أخبار الدول] ص ٣٣ وذكر الأبيات كلّها، ولفظ بيت الولاية فيه كذا:

وأوجب طاعتي فرضاً عليكم ... رسول الله يوم غدير خمٍّ

فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ ... لمن يرد القيامة وهو خصمي

٢٠ ـ الحلبيُّ الشافعيُّ المتوفّى سنة ١٠٤٤ (المترجم ج ١ ص ١٧٦) أخذ منها في «السيرة النبويّة» ج ١ ص ٢٨٦ ما يرجع إلى إسلامه عليه السلام.

٢١ ـ الشبراويّ الشافعي شيخ جامع الأزهر، المتوفّى سنة ١١٧٢ رواها في [الإتحاف بحبّ الأشراف] ص ١٨١، وفي طبع ص ٦٩ وذكر منها خمسة أبيات.

٢٢ ـ السيد أحمد قادين خاني، رواها في «هداية المرتاب» وحكى عن البيهقي قوله المذكور.

٢٣ ـ السيّد محمود الآلوسي البغداديُّ المتوفّى سنة ١٢٧٠ (المترجم ج ١

---

(١) مذهبه يحتاج إلى إمعان النظر فيه.

ص ١٨٤) رواها غير البيت الأوّل والأخير، في شرح عينيّة الشاعر المفلق عبد الباقي العمري ص ٧٨، وقال: هي ممّا رواها الثقات عنه عليه السلام.

٢٤ ـ القندوزي الحنفيُّ المتوفّى سنة ١٢٩٣ (المترجم ج ١ ص ١٨٥) رواها في «ينابيع المودّة» ص ٢٩١، نقلاً عن ابن حجر، وص ٣٧١ نقلاً عن أربعين الإمام تاج الإسلام الخدابادي البخاري.

٢٥ ـ السيِّد أحمد زيني دحلان المتوفّى سنة ١٣٠٤ (المترجم ج ١ ص ١٨٥) ذكر منها في «السيرة النبويّة» ـ هامش السيرة الحلبيّة ـ ج ١ ص ١٩٠ ما يرجع إلى إسلامه، وقال: هي ممّا كتبه عليٌّ عليه السلام، لمعاوية ثمَّ ذكر كلام البيهقي المذكور.

٢٦ ـ الشيخ محمَّد حبيب الله الشنقيطيّ المالكيّ، ذكرها برمَّتها في «كفاية الطالب» ص ٣٦ وعدَّها ممّا وثق به أنّه من شعر أمير المؤمنين.

(لفت نظر):

أخذ منها ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ٣١٥ بيتاً في بيان الفرق بين الصهر والختن، وقال: قال أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه:

محمَّدٌ النبيُّ أخي وصهري ... أحبُّ الناس كلّهمُ إليّا

وذهل عن أنَّ الشطر الثاني المذكور، هو لأبي أسود الدؤلي من قوله:

بنو عمِّ النبيِّ وأقربوه ... أحبُّ الناس كلهمُ إليّا

تصحيح غلط

لا أحسب أنَّ أساتذة مصر، يخفى عليهم صحيح لفظة (غدير خمّ) أو لا يوقفهم السير على مسمّاها وقصّتها، وإن قال قائلهم: إنّها واقعة حرب معروفة، أو يكون لهم معها حساب آخر دون سائر الألفاظ، أو يروقهم أن تكون الأُمّة على جهل منها، لكن أسفي على إغضائهم من تصحيح هذه اللفظة في غير واحد من التآليف، بل تركوها بصورة يتيه بها القارىء.

هذا الدكتور أحمد رفاعي، ذلك الأستاذ الفذّ فإنّه يذكر في تعليقه على «معجم الأدباء» ـ ط مصر سنة ١٣٥٧ هـ ج ١٤ ص ٤٨ من شعر أمير المؤمنين بيت الولاية بهذه الصورة:

وأوصـاني النبيُّ على اختيار ببيعتـه غـداة غـد بـرحـم

وأعجب من ذلك، أنّه جعل للكتاب فهرس البلدان والبقاع والمياه في ٤٧ صحيفة وأهمل فيها غدير خمّ، وقد ذكرت في عدّة مواضع من المعجم.

والأستاذ محمّد حسين مصحّح «ثمار القلوب» (ط مصر سنة ١٣٢٦ هـ) فإنه يقف على هذه اللفظة، في صحيفة واحدة ص ٥١١ وهي مذكورةٌ فيها غير مرّة ص ٦ و٨ و١٢ ويدعها (غدير خمّ) وهذا «ثمار القلوب» المخطوط بين أيدينا وفيها: (غدير خمّ).

ومصحّـح لطائف أخبـار الدول (ط مصـر سنة ١٣١٠ هـ) فإنّـه يترك البيت المذكور من شعر أمير المؤمنين في ص ٣٣ هكذا:

وأوجب طاعتي فرضـاً عليكم رسـول الله يوم غـدا بـرحمي

وأنت تجد في مطبوعات غير مصر، لدة هذا التصحيف أيضاً.

شكر ونقد

لا أفتىء معجباً بكتابين فخمين هما من حسنات العصر الحاضر، عني بجمعهما بحّاثة كبير حظي به هـذا القرن، ألا وهمـا: كتاب جمهـرة خطب العرب، وجمهرة رسائل العـرب، للكاتب الشهيـر أحمد زكي صفـوت. فقد أسدى بهما إلى الأُمّة يده الواجبة، أعاد ذكريات قديمة للأُمّة العربيّة أتى عليها الدثور، وكابد في ذلك جهوداً جبّارة، فعلى الأُمّة جمعاء أن تشكره على تلك المثابرة الناجعة، وتقدّر منه ذلك الجهاد المتواصل، فله العتبى على ما أجاد وأفاد.

غير أنّا نعاتب الأستاذ على إهماله هذه الرسالة الموجودة في جملة من مصادر كتابه، وغيرها من الكتب القيّمة، وقد ذكر ما هو أخصر منه، وأضعف مدركاً، وأقلُّ نفعاً، وذكر من التافهات ما لم يقلّه مستوى الصدق والأمانة كبعض رسائلِ ابن عبّاس، إلى أمير المؤمنين عليه السلام، المكذوبة على حَبر الأُمّة خطَّتها أقلام مستأجرة من زبائن الأمويّين، هذا ما نعاتبه عليه، وأمّا هو فلماذا ذكر؟ ولِماذا أهمل؟ فلنطو عنه كشحاً.

ويشبه هذا الإهمال أو يزيد عليه إهماله خطبة الغدير، في جمهرة خطب العرب، ولها وليومها المشهود أهميَّة كبرى في تاريخ الإسلام، وقد أثبتتها المصادر الوثيقة بأسانيد تربو على حدِّ التواتر، كما وقفت عليها في الجزء الأوّل من كتابنا، هب أنَّ تمام الخطبة لم يثبت عنده في كتب يعوِّل عليها، إلاّ أنّ المقدار الذي أصفق عليه الفريقان، وأنهوا إليه أسانيدهم لا مفرّ له عن إثباته، لكن الكاتب يعلم أنّه لِماذا ترك، ونحن أيضاً لم يفتنا عرفانه، لكن نضرب عن البيان صفحاً.

ويروى لأمير المؤمنين عليه السلام

ما أخرجه الإمام عليُّ بن أحمد الواحدي، عن أبي هريرة قال: اجتمع عدّةٌ من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله، منهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، والفضل بن عبّاس، وعمّار، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو ذر، والمقداد، وسلمان، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم أجمعين، فجلسوا وأخذوا في مناقبهم فدخل عليهم عليٌّ عليه السلام فسألهم: فيم أنتم؟ قالوا: نتذاكر مناقبنا ممّا سمعنا من رسول الله فقال عليٌّ إسمعوا منّي. ثمّ أنشأ يقول:

لقد علم الأُناس بأنَّ سهمي ... من الإسلام يفضل كلَّ سهمِ
وأحمد النبيُّ أخي وصهري ... عليه الله صلّى وابن عمّي
وإنّي قائدٌ لِلناس طرّاً ... إلى الإسلام من عرب وعجمِ

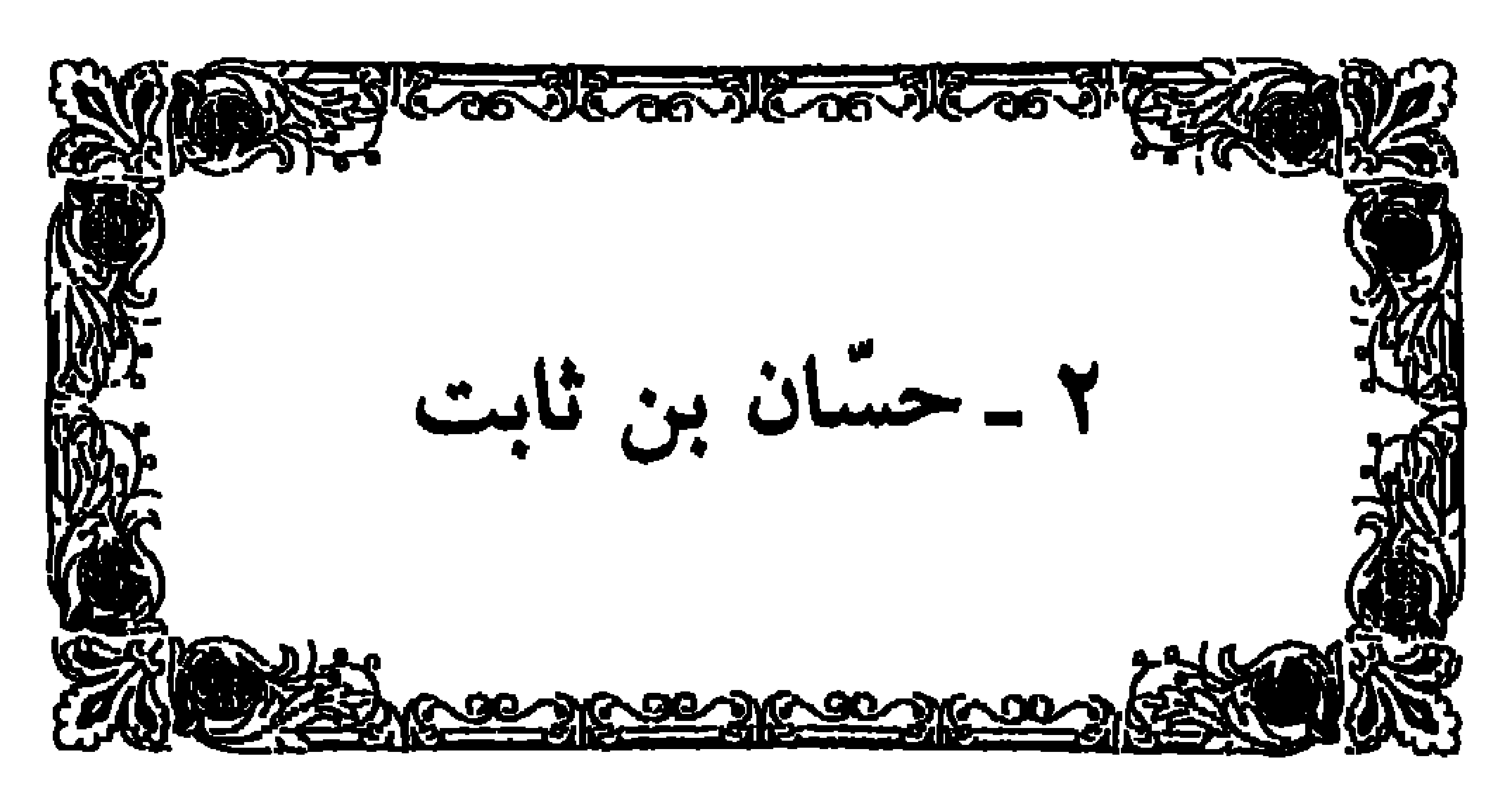
وقاتل كلَّ صنديدٍ رئيسٍ ... وجبّارٍ من الكفّار ضخمِ
وفي القرآن ألزمهم ولائي ... وأوجب طاعتي فرضاً بعزمِ
كما هارون من موسى أخوه ... كذاك أنا أخوه وذاك إسمي
لذاك أقامني لهمُ إماماً ... وأخبرهم به بغدير خمٍّ
فمن منكم يعادلني بسهمي ... وإسلامي وسابقتي ورحمي؟
فويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ ... لمن يلقى الإلّه غداً بظلمي
وويلٌ ثمّ ويلٌ ثمّ ويلٌ ... لجاحد طاعتي ومريد هضمي
وويلٌ لِلذي يشقي سفاهاً ... يريد عداوتي من غير جرمي

وذكره عن الواحدي القاضي الميبذيّ الشافعيّ، في شرح الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين ص ٤٠٥ ـ ٤٠٧، والقندوزيّ الحنفيّ في ينابيع المودّة ص ٦٨.

الشاعر

أمير المؤمنين، وسيّد المسلمين، وقائد الغرّ المحجّلين، وخاتم الوصيّين، وأوّل القوم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأعظمهم مزيّة، وأقومهم بأمر الله، وأعلمهم بالقضيّة، وراية الهدى، ومنار الإيمان، وباب الحكمة، والممسوس في ذات الله، خليفة النبيّ الأقدس[1] صلّى الله عليهما وآلهما.
عليُّ بن أبي طالب الهاشميُّ الطاهر، وليد الكعبة المشرّفة، ومطهّرها من كلّ صنم ووثن، الشهيد في البيت الإلّهيّ (جامع الكوفة) في محرابه حال صلاته سنة ٤٠، وقد اتّصل ها هنا المنتهى بالمبدأ، فوليد البيت فاض شهيداً في بيت هو من أعظم بيوت الله، وبين الحدّين لم تزل عرى حياته متواصلة بالمبدأ الأعلى سبحانه.

(١) كل من هذه الجمل الخمس عشرة كلمة قدسية نبوية أخرجها الحفاظ، راجع مسند أحمد ج ١ ص ٣٣١، وج ٥ ص ١٨٢، ١٨٩، حلية الأولياء ج ١ ص ٦٢ ـ ٦٨.



٢ - حسّان بن ثابت

يُناديهمُ يـوم الغـدير نبيّـهم ... بخمّ وأسمع بالرّسول مناديـا
فقـال: فمن مـولاكُم ونبيّكم ... فقالوا ولم يبدوا هناك التعاميا:
إلهـك مـولانـا وأنت نبيّنـا ... ولم تلق منّا في الولاية عاصيا
فقال له: قم يـا عليُّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مـولاهُ فهـذا وليّـه ... فكونوا له أتباع صـدقٍ مواليـا
هنـاك دعـا اللهمَّ وال وليّـه ... وكن لِلذي عـادا عليّاً معـاديا

ما يتبع الشعر

هذا أوَّل ما عُرف من الشعر القصصيِّ في رواية هذا النبأ العظيم، وقد ألقاه في ذاك المحتشد الرهيب، الحافل بمائة ألف أو يزيدون، وفيهم البلغاء، ومداره الخطابة، وصاغة القريض، ومشيخـة قريش العـارفون بلحن القـول، ومعارض الكلام، بمسمع من أفصح مَن نطق بالضاد (النبيّ الأعظم) وقد أقرَّه النبيُّ صلّى الله عليه وآله على ما فهمه من مغزى كلامه، وقرَّظه بقوله: لا تزال يا حسّان مؤيَّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك[1].

وأقدم كتاب سبق إلى رواية هذا الشعر هو كتاب سليم بن قيس الهلالي التابعيِّ، الصدوق الثبت المعوَّل عليه عند علماء الفريقين (كما مـرّ في ج ١ ص ٢٣٨) فرواه بلفظ يقرب ممّا يأتي عن كتاب «علم اليقين» للمحقّق الفيض الكاشاني، وتبعه على روايته لفيفٌ من علماء الإسلام لا يستهان بعدَّتهم فرواه

(١) هذا من أعلام النبوة ومن مغيبات رسول الله، فقد علم أنه سوف ينحرف عن إمام الهدى صلوات الله عليه في اخريات أيامه، فعلق دعائه على ظرف استمراره في نصرتهم.

من الحفّاظ:

١ ـ الحافظ أبو عبدالله المرزباني محمّد بن عمران الخراساني المتوفّى سنة ٣٧٨[1] أخرج في (مرقاة الشعر) عن محمّد بن الحسين عن حفص عن محمّد بن هارون عن قاسم بن الحسن عن يحيى بن عبد الحميد، عن قيس بن الربيع، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: لَمّا كان من غدير خمّ أمر رسول الله منادياً فنادى الصلاة جامعة فأخذ بيد عليّ وقال: مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهّم وال مَن والاه، وعاد من عاداه. فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله! أقول في عليّ شعراً؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إفعل، فقال:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم الأبيات

٢ ـ الحافظ الخركوشي أبو سعد المتوفّى سنة ٤٠٦ (المترجم ج١ ص ١٤٢) أخرجه في كتابه (شرف المصطفى).

٣ ـ الحافظ ابن مردويه الأصبهاني المتوفّى سنة ٤١٠ (المترجم ج١ ص ١٤٢) أخرج بإسناده عن أبي سعيد الخدري، حديث الغدير كما مرّ ج ١ ص ٢٧٦ وفيه: فقال حسّان بن ثابت: يا رسول الله! أتأذن لي أن أقول أبياتاً؟ فقال: قل على بركة الله فقال: يناديهمُ يوم الغدير نبيّهم الأبيات

ورواه عن ابن عبّاس بلفظ مرّ ج ١ ص ٢٦١ .

٤ ـ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني المتوفّى سنة ٤٣٠ (المترجم ج١ ص١٤٤) أخرجه في كتابه ـ ما نزل من القرآن في عليّ ـ بالسند والمتن اللذين أسلفناهما ج ١ ص ٢٧٧ وفيه: فقال حسّان: إئذن لي يا رسول الله أن أقول في عليّ أبياتاً تسمعهنّ. فقال: قل على بركة الله. فقام حسّان فقال: يا معشر مشيخة قريش! أتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية. إلخ . .

٥ ـ الحافظ أبو سعيد السجستاني المتوفّى سنة ٤٧٧ (المترجم ج١ ص

(١) لنا في مذهب الرجل نظر.

١٤٦) أخرجه في ـ كتاب الولاية ـ بسند ولفظ مرّا ج ١ ص ٢٧٨ .

٦ ـ أخطب الخطباء الخوارزمي المالكي المتوفّى سنة ٥٦٨، تأتي ترجمته في شعراء القرن السادس، رواه في ـ مقتل الإمام السبط الشهيد ـ و«المناقب» ص ٨٠ بسند ولفظ ذُكرا في ج ١ ص ٢٧٩

٧ ـ الحافظ أبو الفتح النطنزي (المترجم ج١ ص ١٤٩) رواه في ـ الخصائص العلويّة على سائر البريّة ـ عن الحسن بن أحمد المهري، عن أحمد بن عبدالله بن أحمد، عن محمّد بن أحمد بن علي، عن ابن أبي شيبة محمّد بن عثمان، عن الحِمّاني عن ابن الربيع عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري بلفظ أبي نعيم الإصبهاني، وذكر من الأبيات أربعة من أوّلها.

٨ ـ أبو المظفّر سبط الحافظ ابن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤ (المترجم ج ١ ص ١٥٥) رواه في ـ تذكرة خواصّ الأمّة ـ ص ٢٠ .

٩ ـ صدر الحفّاظ الكنجيّ الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٨ (المذكور ج ١ ص ١٥٦) ذكره في «كفاية الطالب» ص ١٧ بلفظ أبي نعيم المذكور.

١٠ ـ شيخ الإسلام صدر الدين الحمّويي المتوفّى سنة ٧٢٢ (المترجم ج ١ ص ١٥٨) رواه في ـ فرائد السمطين ـ في الباب الثاني عشر عن الشيخ تاج الدين أبي طالب علي بن الحب بن عثمان الخازن، عن برهان الدين ناصر بن أبي المكارم المطرزي، عن أخطب خوارزم بسنده ولفظه المذكورين.

١١ ـ الحافظ جمال الدين محمّد بن يوسف الزرندي شمس الدين الحنفيّ المتوفّى بضع و٧٥٠ «المترجم ج ١ ص ١٦١» أخرجه في كتابه: [نظم درر السمطين].

١٢ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي المتوفّى سنة ٩١١ (المترجم ج ١ ص ١٦٩) ذكره في رسالته ـ الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأشعار ـ نقلاً عن تذكرة الشيخ تاج الدين ابن مكتوم الحنفي المتوفّى سنة ٧٤٩.

ورواه من أعلام الإمامية

١ ـ أبو عبدالله محمّد بن أحمد المفجّع المتوفّى سنة ٣٢٧[١]، رواه في شرح قصيدته المعروفة بالأشباه، عن عبدالله بن محمّد بن عائشة القرشي، عن المبارك، عن عبدالله بن أبي سلمان عن عطا، عن جابر بن عبدالله: أنّ رسول الله صلّى الله عليه واله نزل بغدير خمّ، ونصب بدوحات، وكان يوم حارّ وإنّ أحدنا ليستظلّ بثوبه، ويبلُّ خرقةً فيضعها على رأسه من شدّة الحرّ فقام عليه السلام فقال: أيّها االناس! الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم، وأزواجي أمّهاتهم؟ قلنا: بلى يا رسول الله! فأخذ بيد عليّ فرفعها ثُمّ قال: اشهدوا من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهّم وال من والاه، وعاد من عاداه. يقولها ثلاثاً. فقال عمر: هنيئاً لك يا أبا الحسن، أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، فقام رجل إلى رسول الله فقال: يا رسول الله! أتأذن لي في إنشاء أبيات في عليّ؟ فقال عليه السلام: قل يا حسّان! فقال:

يُنـاديهمُ يـوم الغـدير نبيّهم   إلى آخر الأبيات .

٢ ـ أبـو جعفر محمّـد بن جريـر بن رستم بن يزيـد الـطبـري رواه في (المسترشد) بإسناده عن يحيى الجمّاني، عن قيس عن العبدي، عن أبي سعيد بلفظ الحافظ أبي نعيم الإصبهاني المذكور إلاّ أنّ البيت الثالث فيه:

إلهـك مـولانـا وأنت وليّنـا   ولا تجدن منّا لك اليوم عاصيا

٣ ـ شيخنا أبو جعفر الصدوق محمّد بن بابويه القمّي المتوفّى سنة ٣٨١، رواه في «الأمالي» ص ٣٤٣ بالسند والمتن المذكورين عن الحافظ المرزباني.

٤ ـ الشـريف الرضيّ المتـوفّى سنة ٤٠٦ صـاحب نهج البـلاغة[٢] في

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع يأتي هناك شعره وترجمته.

(٢) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع يأتي هناك شعره وترجمته.

خصائص الأئمّة.

٥ - معلّم الامّة شيخنا المفيد المتوفّى سنة ٤١٣، رواه في «الفصول المختارة» ج ١ ص ٨٧ وقال: وممّا يشهد بقول الشيعة في معنى المولى وأنّ النبيَّ أراد به يوم الغدير، الإمامة قول حسّان بن ثابت على ما جاء به الأثر: انّ رسول الله لَمّا نصب عليّاً يوم الغدير لِلناس عَلماً وقال فيه ما قال، استأذنه حسّان بن ثابت في أن يقول شعراً فأنشأ يقول:

يُناديهمُ يوم الغدير نبيّهم   إلى آخر الأبيات .

فلمّا فرغ من هذا القول، قال له النبيُّ صلّى الله عليه وآله: لا تزال يا حسّان مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك، فلولا أنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وآله، أراد بالمولى الإمامة لمَا أثنى على حسّان بإخباره بذلك، ولأنكره عليه، وردّه عنه.

ورواه في رسالته في معنى المولى وقال بعد ذكره: شعر حسّان مشهورٌ في ذلك، وهو شاعر رسول الله صلّى الله عليه وآله، وقد قال له: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك. وهذا صريحٌ في الإقرار بإمامته من جهة القول الكائن في يوم الغدير من رسول الله له، لا يمكن تأويله، ولا يسوغ صرفه إلى غير حقيقته.

ورواه في تأليفه - النصرة لسيِّد العترة في حرب البصرة - وفي كتابه «الإرشاد» ص ٣١، ٦٤ بلفظ يقرب من رواية الحافظ أبي نعيم الإصبهاني المذكور.

٦ - الشريف المرتضى علم الهدى المتوفّى سنة ٤٣٦، في شرح بائيَّة السيِّد الحميري.

٧ - أبو الفتح الكراجكي المتوفّى سنة ٤٤٩ في «كنز الفوائد» ص ١٢٣ وقال ما ملخّصه: إنَّ شعر حسّان هذا قد صارت به الركبان، وقد تضمَّن الإقرار

لأمير المؤمنين عليه السلام بالإمامة، والرياسة على الأنام لَمّا مدحه بذلك يوم الغدير، بحضرة رسول الله صلّى الله عليه وآله، وعلى رُؤوس الأشهاد فصوَّبه النبيُّ في مقاله، وقال له: لا تزال يا حسّان مؤيَّداً ما نصرتنا بلسانك.

٨ ـ الشيخ عبيدالله بن عبدالله السد آبادي رواه في «المقنع» في الإمامة.

٩ ـ شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٠ في تلخيص الشافي.

١٠ ـ المفسِّر الكبير الشيخ أبو الفتوح الخزاعي الرازي من مشايخ ابن شهر اشوب المتوفّى سنة ٥٨٨، رواه في تفسيره ج ٢ ص ١٩٢ بلفظ يقرب من لفظ الحافظ أبي نعيم وزاد فيه[1]:

فخصَّ بها دون البريَّة كلِّها عليّاً وسمّاه الوزير المواخيا

١١ ـ شيخنا الفتّال أبو علي الشهيد المترجم في كتابنا «شهداء الفضيلة» ص ٣٧، رواه في «روضة الواعظين» ص ٩٠.

١٢ ـ أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، رواه في «إعلام الورى» ص ٨١.

١٣ ـ ابن شهر اشوب السروي المتوفّى سنة ٥٨٨، في «المناقب» ج ٣ ص ٣٥.

١٤ ـ أبو زكريّا يحيى بن الحسن الحلّي الشهير :بابن بطريق، رواه في «الخصائص» ص ٣٧ من طريق الحافظ أبي نعيم الإصبهاني.

١٥ ـ السيِّد هبة الدين رواه في كتابه (المجموع الرائق) المخطوط.

١٦ ـ رضي الدين سيِّدنا عليّ بن طاووس المتوفّى سنة ٦٦٤ في «الطرائف» ص ٣٥.

---

(١) ستقف على أن هذه الزيادة في محلها من شعر حسان.

١٧ - بهاء الدين أبو الحسن الإربلي المتوفّى سنة ٣/٦٩٢ في «كشف الغمّة» ص ٩٤.

١٨ - عماد الدين الحسن الطبري، في «الكامل البهائي» ص ١٥٢ و٢١٧.

١٩ - الشيخ يوسف بن أبي حاتم الشامي، في موضعين من كتابه (الدرّ النظيم).

٢٠ - الشيخ عليّ البياضي العاملي، في كتابه «الصراط المستقيم».

٢١ - القاضي نور الله المرعشي الشهيد سنة ١٠١٩، المترجم في كتابنا «شهداء الفضيلة» ص ١٧١، ذكره في «مجالس المؤمنين» ص ٢١.

٢٢ - مولانا المحقِّق المحسن الكاشاني المتوفّى سنة ١٠٩١ في «علم اليقين» ص ١٤٢ نقلاً عن - إلتهاب نيران الأحزان - بلفظ يقرب من لفظ سليم بن قيس الهلاليّ التابعيّ في كتابه وهو:

يُناديهمُ يوم الغدير نبيّهم ... بخمٍّ وأسمع بالنبيِّ منـاديا
وقد جاءه جبريل عن أمر ربِّه ... بأنّك معصومٌ فلا تك وانيا
ويلّغهمُ ما أنزل الله ربّهم إليك ... ولا تخش هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفّه ... بكفِّ عليٍّ مُعلن الصوت عاليا
فقال: فمن مولاكمُ ووليّكم؟ ... فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
: إلَهك مولانا وأنت وليّنا ... ولن تجدن فينا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا عليُّ فإنّني ... رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاهُ فهذا وليّه ... فكونوا له أنصار صدق مواليا
هناك دعا اللهمّ وال وليّه ... وكن لِلّذي عادى عليّاً معاديا
فيا ربّ أُنصر ناصريه لنصرهم ... إمام هدى كالبدر يجلو الدياجيا

٢٣ - الشيخ إبراهيم القطيفي، في «الفرقة الناجية» بلفظ الكاشاني.

٢٤ - السيِّد هاشم البحراني المتوفّى سنة ١١٠٧، في «غاية المرام» ص ٨٧.

٢٥ ـ العلاّمة المجلسي المتوفّى سنة ١١١١ في «بحار الأنوار» ج ٩ ص ٢٣٤، ٢٥٩.

٢٦ ـ شيخنا البحراني صاحب «الحدائق» المتوفّى سنة ١١٨٦، في «كشكوله» ج ٢ ص ١٨.

وهناك جمع آخرون رووا هذا الحديث وفي المذكورين كفاية.

لفت نظر

والذي يظهر لِلباحث، أنَّ حسّاناً أكمل هذه الأبيات قصيدةً ضمنها نبذاً من مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، فكلٌّ أخذ منها شطراً يناسب موضوعه، وذكر الحافظ ابن أبي شيبة قال: حدّثنا ابن فضل، قال: حدَّثنا سالم بن أبي حفصة، عن جُميع بن عمير، عن عبدالله بن عمر، وصدر الحفّاظ الكنجي الشافعي في كفايته (ط نجف) ص ٣٨، و(ط مصر) ص ١٦، و(ط إيران) ص ٢١، وابن الصبّاغ المالكي في فصوله المهمّة ص ٢٢ وغيرهم منها قوله:

وكان عليٌّ أرمد العين يبتغي ... دواءً فلمّا لم يحسّ مداويا
شفاه رسول الله منه بتفلةٍ ... فبورك مرقيّاً وبورك راقيا
فقال: سأُعطي الراية اليوم ضارباً ... كميّا محبّاً لِلرسول مواليا
يحبُّ إلٰهي والإلٰه يحبّه ... به يفتح الله الحصون الأوابيا
فخصَّ بها دون البريّة كلّها ... عليّاً وسمّاه الوزير المؤاخيا[1]

هذه الأبيات إشارة إلى حديث صحيح متواتر، أخرجه أئمّة الحديث بأسانيد رجال جلّها كلّهم ثقات أنهوها إلى:

بريدة بن الخصيب	عبدالله بن عمر	عبدالله بن العبّاس
عمران بن حصين	أبي سعيد الخدري	أبي ليلى الأنصاري

---

(١) ورواه شيخنا الطبري في «المسترشد» رواية عن الحافظ ابن أبي شيبة المذكور، وأبو علي الفتال في «روضة الواعظين» وغيرهما.

سهل الساعدي أبي هريرة الدوسي سلمة بن الأكوع.
البراء بن عازب سعد بن أبي وقاص

فأخرجه البخاري في صحيحه ج ٤ ص ٣٢٣ عن سهل، وج ٥ ص ٢٦٩ عنه، و ٢٧٠ عن سلمة، وج ٢ ص ١٩١ عن سلمة وسهل، وأخرجه مسلم في صحيحه ج ٢ ص ٣٢٤، والترمذي في صحيحه ج ٢ ص ٣٠٠ وصحّحه، وأحمد بن حنبل في مسنده ج ١ ص ٩٩، وج ٥ ص ٣٥٣، ٣٥٨ وغيرها، وابن سعد في طبقاته ج ٣ ص ١٥٨، وابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٣٨٦، والطبري في تاريخه ج ٢ ص ٩٣، والنسائي في خصائصه ج ٤ ص٨، ١٦، ٢٣، والحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٩٠، ١١٦ وقال: هذا حديثٌ دخل في حدّ التواتر، والخطيب في تاريخه ج ٧ ص ٣٨٧، وأبو نعيم الإصبهاني في الحلية ج ١ ص ٦٢، بعدّة طرق وصحّح بعضها، وج ٤ ص ٣٥٦، وابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٢ ص ٣٦٣، في ترجمة عامر، والحمّويي[1] في فرائده وقال: قال الإمام محيي السنّة: هذا حديثٌ صحيحٌ متّفقٌ على صحّته، ومحبُّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٨٧، واليافعي في مرآة الجنان ج ١ ص ١٠٩ وصحّحه، والقاضي الإيجي في المواقف ج ٣ ص ١٠، ١٢، وهناك آخرون رووا هذه الأثارة وصحّحوها لو نذكرهم بأجمعهم لجاء منه كتاب مفرد، ونحن نقتصر من المتون على لفظ البخاري ألا وهو:

إنّ رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: لأعطينّ هذه الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه، يحبُّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، قال فبات الناس يدوكون[2] ليلتهم أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلّهم يرجو أن

---

(١) بفتح المهملة ثم الميم المضمومة المشددة نسبة إلى جده حمويه، ونحن تبعاً على المؤلفين ذكرناه في المجلد الأول (الحمويني) وقد أوقفنا السير على كلام ابن الأثير من أن رجال هذه الاسرة يكتبون لأنفسهم (الحمويي) وضبطه على ما ذكر فعدلنا عما كنا عليه.

(٢) أي يخوضون. يقال: الناس في دوكة. أي: في اختلاط وخوض. وأصله من الدوك، وهو السحق. وفي كثير من الكتب: يذكرون. وهو تصحيف.

يُعطاها، فقال: أين عليّ بن أبي طالب؟ فقيل: هو يا رسول الله يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأُتي به فبصق رسول الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتّى لم يكن به وجعٌ فأعطاه الراية، فقال عليٌّ: يا رسول الله! أُقاتلهم حتّى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتّى تنزل بساحتهم ثمّ ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لإن يهدي الله بك رجلاً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النّعم وفي لفظه الآخر: ففتح الله عليه.

ديوان حسان

إنَّ لحسّان في مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، مدائح جمّة غير ما سبقت الإشارة إليه، وسنوقفك على ما التقطناه من ذلك، فمن هذه الناحية نعرف أنّ يد الأمانة لم تقبض عليها يوم مدّت إلى ديوانه، فحرّفت الكلم عن مواضعها، ولعبت بديوان حسّان كما لعبت بغيره من الدواوين والكتب والمعاجم التي أسقطت منها مدائح أهل البيت عليهم السلام و فضائلهم، والذكريات الحميدة لأتباعهم، كديوان الفرزدق الذي أسقطوا منه ميميّته المشهورة في مولانا الإمام زين العابدين عليه السلام، مع إشارة الناشر إليها في مقدّمة شرح ديوانه، وقد طفحت بذكرها الكتب والمعاجم، وكديوان كميت، فإنّه حرّفت منه أبيات كما زيدت عليه اخرى، وكديوان أمير الشعراء أبي فراس، وكديوان كشاجم، الذي زحزحوا عنه كميّةً مهمّة من مراثي سيّدنا الإمام السبط الشهيد سلام الله عليه، وكتاب «المعارف» لابن قتيبة الذي زيد فيه ما شاءه الهوى للمحرِّف ونقّص منه ما يلائم خُطّته، بشهادة الكتب الناقلة عنه من بعده كما مرّ بعض ما ذكر في محلّه من هذا الكتاب ويأتي بعضه، إلى غير هذه من الكتب التي عاثوا فيها لَدى النشر، أو حرّفوها عند النقل، ونحن نحيل تفصيل ذلك إلى مظانّه من مواقع المناسبة لئلاّ نخرج عن وضع الكتاب، فلنعد الآن إلى ما شذّ من شعر حسان عن ديوانه، وأثبتته له المصادر الوثيقة كنفس يائيّته السابقة فمن ذلك:

في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٠٧، وشرح ابن أبي الحديد ج ٣ ص ١٤

وغيرهما: صعد أبو بكر المنبر عند ولايته الأمر فجلس دون مجلس رسول الله ﷺ بمرقاة ثمّ حمد الله وأثنى عليه وقال: إنّي وليت عليكم ولست بخيركم، فإن استقمت فاتبعوني، وإن زغت فقوّموني، لا أقول إنّي أفضلكم فضلاً، ولكنّي أفضلكم حملاً، وأثنى على الأنصار خيراً وقال: أنا وإيّاكم معشر الأنصار كما قال القائل:

جزى الله عنّا جعفراً حين أزلقت ... بنا نعلنا في الواطئين فولّتِ
أبوا أن يملّونا ولو أنّ أُمّنا ... تلاقي الذي يلقون منّا لملّتِ

فاعتزلت الأنصار عن أبي بكر فغضبت قريش وأحفظها ذلك فتكلّم خطباؤها، وقدم عمرو بن العاص فقالت له قريش: قم فتكلّم بكلام تنال فيه من الأنصار، ففعل ذلك، فقام الفضل بن العبّاس فردّ عليهم، ثمّ صار إلى عليّ فأخبره وأنشده شعراً قاله، فخرج عليٌّ مغضباً حتى دخل المسجد فذكر الأنصار بخير وردّ على عمرو بن العاص قوله، فلمّا علمت الأنصار ذلك سرّها وقالت: ما نبالي بقول من قال مع حسن قول عليّ، واجتمعت إلى حسّان بن ثابت فقالوا: أجب الفضل، فقال: إن عارضته بغير قوافيه فضحني فقالوا[1]: فاذكر عليّاً فقط، فقال:

جزى الله خيراً والجزاء بكفّه ... أبا حسن عنّا ومَن كأبي حسن؟
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله ... فصدرك مشروحٌ وقلبك ممتحن[2]
تمنّت رجالٌ من قريشٍ أعزّةٌ ... مكانك هيهات الهزال من السمن
وأنت من الإسلام في كلّ منزل ... بمنزلة الطرف البطين من الرسن
غضبت لنا إذ قال عمرو بخصلة ... أمات بها التقوى وأحيى بها الإحن
وكنت المرجّى من لويّ بن غالب ... لما كان منه والذي بعدُ لم يكن
حفظت رسول الله فينا وعهده ... إليك ومَن أولى به منك مَن ومَن؟

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد: فقال له خزيمة بن ثابت: اذكر علياً وآله يكفيك عن كل شيء.
(٢) هذان البيتان ذكرهما لحسان شيخ الطائفة المفيد كما في (الفصول) ج ٢ ص ٦١ و٦٧.

ألستَ أخاه في الهدى ووصيَّه وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن؟
فحقّك ما دامت بنجد وشيجةٌ عظيمٌ علينا ثمَّ بعدُ على اليمن

قوله:

فصندرك مشروحٌ. إشارة إلى ما ورد في قوله تعالى: ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾، فإنّها نزلت في عليّ وحمزة. رواه الحافظ محبّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢٠٧ عن الحافظين الواحدي، وأبي الفرج، وفي ذخائر العقبى ص ٨٨.

قوله:

وقلبك ممتحَن. أشار به إلى الحديث النبويِّ الوارد في أمير المؤمنين: إنّه امتحن الله قلبه بالإيمان[1] أخرجه جمعٌ من الحفّاظ والعلماء منهم: النسائي في خصائصه ص ١١، والترمذي في الصحيح ج ٢ ص ٢٩٨، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ١ ص ١٣٣، والبيهقي في المحاسن والمساوي ج ١ص ـ٢٩، ومحبّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٩١، وذخائر العقبى ص ٧٦ وقال: أخرجه الترمذي وصحّحه، والكنجي في الكفاية ص ٣٤، وقال: هذا حديثٌ عالٍ حسنٌ صحيحٌ، والحمّويي في فرائده في الباب الـ٣٣، والسيوطي في جمع الجوامع بعدّة طرق كما في كنز العمّال ج ٦ ص ٣٩٣ و٣٩٦، والبدخشي في نزل الأبرار ص ١١ وغيرهم.

قوله:

ألست أخاه في الهدى ووصيّه. أوعز به إلى حديثي الإخاء والوصيّة وهما من الشهرة والتواتر بمكان عظيم يجدهما الباحث في جلّ مسانيد الحفّاظ والأعلام.

قوله:

وأعلم فهر بالكتاب وبالسنن. أراد به ما ورد في علم عليّ أمير المؤمنين بالكتاب

---

(١) كذا في لفظ الخطيب، وفي بعض المصادر: على الإيمان. وفي بعضها: للإيمان.

والسنّة. أخرج الحفّاظ عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله، في حديث فاطمة سلام الله عليها: زوّجتكِ خير أهلي أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم إسلاماً. وفي حديث آخر: أعلم أُمّتي من بعدي عليٌّ بن أبي طالب. وفي ثالث: أعلم الناس بالله وبالناس.

وفي حديث: يا عليّ لك سبع خصال، وعدّ منها: وأعلمهم بالقضيّة[1] وأخرج محبّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ١٩٣، والذخائر ص ٧٨، وابن عبد البرّ في الاستيعاب (هامش الإصابة) ج ٣ ص ٤٠ عن عائشة: أنّه أعلم الناس بالسنّة. وفي كفاية الكنجي ص ١٩٠ عن أبي أمامة عنه صلّى الله عليه وآله: أعلم أُمّتي بالسنّة والقضاء بعدي عليّ بن أبي طالب. وأخرج الخوارزمي في المناقب ص ٤٩، وشيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب الثامن عشر بإسناده عن سلمان عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله: أعلم أُمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب.

وأخرج الحفّاظ عن أمير المؤمنين عليه السلام، أنّه قال: والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت وعلى مَن نزلت، إنَّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً[2] وعن النبيّ ﷺ قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأُعطي عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً[3].

وقال السيِّد أحمد زيني دحلان في «الفتوحات الإسلاميّة» ج ٢ ص ٣٣٧: كان عليٌّ رضي الله عنه، أعطاه الله علماً كثيراً وكشفاً غزيراً، قال أبو الطفيل: شهدت عليّاً يخطب وهو يقول: سلوني[4] من كتاب الله فوالله ما من آية إلّا وأنا

---

(١) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٦، كنز العمال ج ٦ ص ١٥٣، ١٥٦، ٣٩٨.

(٢) حلية الأولياء ج ١ ص ٢٨، كفاية الكنجي ص ٩٠، كنز العمال ج ٦ ص ٣٩٦، إسعاف الراغبين ص ١٦٢.

(٣) حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥.

(٤) في الإصابة ج ٢ ص ٥٠٩: سلوني سلوني عن كتاب الله. الحديث.

أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، ولو شئت أوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب، وقال ابن عبّاس رضي الله عنه: علم رسول الله من علم الله تبارك وتعالى، وعلم عليّ رضي الله عنه من علم النبيّ ﷺ وعلمي من علم عليّ رضي الله عنه، وما علمي وعلم أصحاب محمّد ﷺ في علم عليّ رضي الله عنه إلاّ كقطرة في سبعة أبحر، ويقال: إنَّ عبدالله بن عبّاس أكثر البكاء على عليّ رضي الله عنه حتى ذهب بصره، وقال ابن عبّاس أيضاً، لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارك الناس في العشر العاشر، وكان معاوية رضي الله عنه، يسأله ويكتب له فيما ينزل به فلمّا توفّي عليٌّ رضي الله عنه قال معاوية: لقد ذهب الفقه والعلم بموت عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يتعوّذ من معضلة ليس فيها أبو الحسن[1]، وسُئل عطاء أكان في أصحاب محمّد ﷺ أحدٌ أعلم من عليّ؟ قال: لا والله ما أعلمه. انتهى. وعن عبدالله بن مسعود: إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ما منها حرفٌ إلاّ وله ظهرٌ وبطنٌ، وإنّ علياً عنده علم الظاهر والباطن[2].

وهناك نظير هذه الأحاديث والكلمات، حول علم أمير المؤمنين، بالكتاب والسنّة، كثير جدّاً لو جمعته يد التأليف لجاء كتاباً ضخماً.

ومن شعر حسّان في أمير المؤمنين

ذكر له أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفيّ في تذكرته ص ١١٥، والگنجي الشافعي في كفايته ص ٥٥، وابن طلحة الشافعي في «مطالب السئول» ص ٢٠ وقال: فشت هذه الأبيات من قول حسّان، وتناقلها سمعٌ عن سمعٍ ولسانٌ عن لسانٍ:

أنزل الله والكتاب عزيز ... في عليٍّ وفي الوليد قرانا

---

(١) أخرجه كثير من الحفاظ وأئمّة الحديث.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ج ١ ص ٦٥.

فتبوّا الوليد من ذاك فسقاً وعليٌّ مبوّأ إيمانا
ليس من كان مؤمناً عرف الله كمن كان فاسقاً خوّانا
فعليٌّ يلقى لدى الله عزّاً ووليدٌ يلقى هناك هوانا
سوف يُجزى الوليد خزياً وناراً وعليٌّ لا شكّ يُجزى جنانا

ورواها له ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ١٠٣، وفيه بعد البيت الثالث:

سوف يُدعى الوليد بعد قليل وعليٌّ إلى الحساب عيانا
فعليٌّ يُجزى بذاك جناناً ووليدٌ يُجزى بذاك هوانا[1]
رُبَّ جَدّ لعقبة بن أبان لابسٌ في بلادنا تُبّانا[2]

وذكرها له نقلاً عن شرح النهج الأستاذ أحمد زكي صفوت في «جمهرة الخطب» ج ٢ ص ٢٣.

أشار بهذه الأبيات إلى قوله تعالى: ﴿أفَمَن كان مُؤمِناً كمَن كانَ فاسِقاً لا يَستَوون﴾ ونزوله في عليّ عليه السلام، والوليد بن عقبة بن أبي معيط فيما شجر بينهما، أخرج الطبري في تفسيره ج ٢١ ص ٦٢ بإسناده عن عطاء بن يسار قال: كان بين الوليد وعليّ كلامٌ فقال الوليد: أنا أبسط منك لساناً، وأحدُّ منك سناناً، وأردُّ منك للكتيبة فقال عليٌّ: اسكت فإنّك فاسقٌ. فأنزل الله فيهما: ﴿أفَمنْ كانَ مؤمِناً كمنْ كانَ فاسقاً﴾ الآية.

وفي الأغاني ج ٤ ص ١٨٥، وتفسير الخازن ج ٣ ص ٤٧٠: كان بين عليّ والوليد تنازعٌ وكلامٌ في شيء فقال الوليد لعليّ: اسكت فإنّك صبيٌّ وأنا شيخ، والله إنّي أبسط منك لساناً، وأحدُّ منك سناناً، وأشجع منك جناناً، وأملأ

---

(١) في التذكرة: هناك. بدل «بذاك» في الموضعين.
(٢) أبان: هو أبو معيط جد الوليد. والتبان: سروال صغير مقدار شبر يستر العورة فقط كان يخص بالملاحين.

منك حشواً في الكتيبة. فقال له عليٌّ: اسكت فإنَّك فاسقٌ. فأنزل الله هذه الآية.

وأخرجه: الواحدي بإسناده من طريق ابن عبّاس في «أسباب النزول» ص ٢٦٣، ومحب الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ٢٠٦، عن ابن عبّاس، وقتادة من طريق الحافظين السلفي، والواحدي، وفي ذخائر العقبى ص ٨٨، والخوارزمي في المناقب ص ١٨٨، والگنجي في الكفاية ص ٥٥؛ والنيسابوري في تفسيره، وابن كثير في تفسيره ج ٣ ص ٤٦٢ قال: ذكر عطاء بن يسار والسدّي وغيرهما: أنّها نزلت في عليّ بن أبي طالب وعقبة (فيه تصحيفٌ لا يخفى)، ورواه جمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين».

وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ١ ص ٣٩٤، ج ٢ ص ١٠٣، وحكى عن شيخه: أنَّه من المعلوم الذي لا ريب فيه لاشتهار الخبر به وإطباق الناس عليه. وأخرجه السيوطي في الدرّ المنثور ج ٤ ص ١٧٨، وقال: أخرج أبو الفرج في الأغاني، والواحدي، وابن عدي، وابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر، من طرق عن ابن عبّاس، وأخرج ابن إسحاق، وابن جرير، عن عطا بن يسار، وأخرج ابن أبي حاتم عن السدّي رضي الله عنه مثله، واخرج ابن أبي حاتم، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى رضي الله عنه، وأخرج ابن مردويه، والخطيب، وابن عساكر، عن ابن عبّاس. ـ وذكره الحلبي في السيرة ج ٢ ص ٨٥.

ومن شعر حسان في أمير المؤمنين

ذكر له أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفيُّ في تذكرته ص ١٠:

مَن ذا بخاتمه تصدَّق راكعاً ... وأسرَّها في نفسه إسرارا
مَن كان بات على فراش محمَّد ... ومحمَّدٌ أسرى يؤمُّ الغارا
مَن كان في القرآن سُمِّي مؤمناً ... في تسع آيات تُلين غزارا[1]

---

(١) وذكرها الكنجي في الكفاية ص ١٢٣ ونسبها إلى بعضهم وفيه: في تسع آيات جعلن كبارا.

في البيت الأوّل إيعازٌ إلى مأثرة تصدّقه صلوات الله عليه بخاتمه للسائل راكعاً وفيها نزل قوله تعالى: ﴿إنّما وَلِيّكم الله وَرَسولهُ وَالّذينَ آمنوا﴾. الآية. وسنوقفك على بيانها في شرح البيت الثالث إن شاء الله تعالى.

وبثاني الأبيات أشار إلى حديث أصفقت الامّة عليه من أنَّ عليّاً عليه السلام، لبس بُرد النبيِّ صلّى الله عليه وآله، الحضرميَّ الأخضر ونام على فراشه ليلة هرب النبيُّ من المشركين إلى الغار وفداه بنفسه ونزلت فيه: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يشري نَفسهُ إبتغاء مرضاةِ الله﴾ (سورة البقرة آية ٢٠٧).

قال أبو جعفر الإسكافي، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٧٠: حديث الفراش قد ثبت بالتواتر فلا يجحده إلّا مجنونٌ أو غير مخالط لأهل الملّة، وقد روى المفسِّرون كلّهم: أنّ قول الله تعالى: ﴿ومِنَ الناسِ مَنْ يَشري﴾. الآية. نزلت في عليّ ليلة المبيت على الفراش. وروى الثعلبي في تفسيره: أنَّ النبيَّ ﷺ لَمّا أراد الهجرة إلى المدينة خلّف عليّ بن أبي طالب، بمكّة لقضاء ديونه وأداء الودائع التي كانت عنده، وأمر ليلة خرج إلى الغار وقد أحاط المشركون بالدار أن ينام على فراشه وقال له: إتّشح ببردي الحضرميِّ الأخضر ونم على فراشي فإنّه لا يصل منهم إليك مكروهٌ إن شاء الله تعالى ففعل ذلك عليٌّ عليه السلام فأوحى الله تعالى إلى جبرئيل وميكائيل: إنّي آخيت بينكما وجعلت عمر أحدكما أطول من الآخر فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كلاهما الحياة، فأوحى الله تعالى إليهما: أفلا كنتما مثل عليٍّ بن أبي طالب؟ آخيت بينه وبين محمَّد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، إهبطا إلى الأرض فاحفظاه من عدوِّه. فنزلا فكان جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل ينادي: بخ بخ من مثلك يا عليُّ؟ يباهي الله تبارك وتعالى بك الملائكة. فأنزل الله على رسوله وهو متوجِّهٌ إلى المدينة في شأن عليّ: ﴿ومِن الناسِ مَنْ يَشري نَفسه إبتغاءَ مَرضاةِ الله﴾. وقال ابن عباس: نزلت الآية في عليّ حين هرب ـ رسول الله ـ من المشركين إلى الغار مع أبي بكر ونام على فراش النبيِّ.

وحديث الثعلبيِّ هذا، رواه بطوله الغزالي في «إحياء العلوم» ج ٣ ص ٢٣٨، والگنجي في «كفاية الطالب» ص ١١٤، والصفوريّ في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٠٩ نقلاً عن الحافظ النسفي. ورواه ابن الصبّاغ المالكيّ في فصوله ص ٣٣، وسبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ٢١، والشبلنجي في نور الأبصار ص ٨٦، وفي المصادر الثلاثة الأخيرة: قال ابن عبّاس: أنشدني أمير المؤمنين شعراً قاله في تلك الليلة:

وقيتُ بنفسي خير من وطىء الحصا　　وأكرم خلقٍ طاف بالبيت والحجرْ
وبتُّ أُراعي منهمُ ما يسوءني　　وقدصبرت نفسي على القتل والأسرْ
وبات رسول الله في الغار آمناً　　وما زال في حفظ الإِلّه وفي السترْ[1]

ويوجد حديث ليلة المبيت في مسند أحمد ج ١ ص ٣٤٨، تاريخ الطبري ج ٢ ص ٩٩ - ١٠١، الطبقات لابن سعد ج ١ ص ٢١٢، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٢٩، سيرة ابن هشام ج٢ ص ٢٩١، العقد الفريد ج ٣ ص ٢٩٠، تاريخ الخطيب البغدادي ج ١٣ ص ١٩١، تاريخ ابن الأثير ج ٢ ص ٤٢، تاريخ أبي الفدا، ج ١ ص ١٢٦، مناقب الخوارزمي ص ٧٥، الإمتاع للمقريزي ص ٣٩، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٣٣٨، السيرة الحلبيّة ج ٢ ص ٢٩.

ويوجد الإيعاز إلى هذه المأثرة، في حديث صحيح عن ابن عبّاس أخرجه جمعٌ من الحفّاظ الأثبات راجع ما مرّ ج ١ ص ٧٦ و ٧٧، وهي مرويّةٌ في حديث عن الإمام السبط الحسن، وقال: بات أمير المؤمنين يحرس رسول الله صلّى الله عليه وآله، من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه: ﴿وَمِنَ الناسِ مَن يَشري نَفسهُ إبتغاءَ مرضاةِ الله﴾[2].

(البيت الثالث)

أشار به إلى الآيات التسع، النازلة في أمير المؤمنين التي سُمّي فيها مؤمناً،

---

(١) وتوجد هذه الأبيات في مناقب الخوارزمي مع زيادة بيت.

(٢) تذكرة السبط ص ١١٥، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٣، جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٢.

ونحن وقفنا من تلك على عشر[1] آيات، ولم نعرف خصوص التسع المراد لحسّان في قوله، وقال معاوية بن صعصعة في قصيدة له ذكرها نصر بن مزاحم في كتاب صفّين ص ٣١:

ومن نـزلت فيه ثـلاثـون آيـة   تُسمّيه فيها مؤمناً مخلصاً فردا
سوى موجبات جئن فيه وغيره   بهـا أوجب الله الولايـة والودّا

والآيات:

١ - ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾.
«سـورة السجدة، الآية ١٨».

مـرَّ الإيعاز إلى حـديث نزولهـا في عليّ عليه السـلام ص ٤٦ من هذا الجزء.

٢ - ﴿هُوَ الَّذي أَيَّدَكَ بِنصرِهِ وَبِالمُؤمِنينَ﴾.

«سورة الأنفال، الآية ٦٢»

أخرج الحافظ أبو القاسم ابن عساكر في تاريخه قال: أخبرنا أبو الحسن عليّ بن مسلم الشافعيّ، أخبرنـا أبو القـاسم بن العلا، وأبـو بكر محمّـد بن عمر بن سليمان العرينيّ النصيبيّ، حدّثنا أبو بكر أحمد بن يوسف بن خلّاد، حدَّثنا أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل المهري، حدّثنا عبّاس بن بكّار، حدَّثنا خالد بن أبي عمر الأسدي، عن الكلبي عن أبي صالح عن أبي هريرة قـال: مكتوبٌ على العرش لا إلّه إلّا الله وحدي لا شريك لي، ومحمَّد عبدي ورسولي أيَّدته بعليّ، وذلك قوله عزّ وجلَّ في كتابـه الكريم: هُـوَ الذي أيّـدكَ بنصرهِ وَبالمؤمنينَ عليٌّ وحده.

ورواه بإسناده الگنجيّ الشافعيّ في كفايتـه ص ١١٠، ثمّ قال: قلت: ذكـره ابن جريـر في تفسيره[2] وابن عسـاكـر في تـاريخـه في تـرجمـة عليّ

---

(١) وكذا قال الإمام الحسن السبط الزكي في حديث: سمّي أبي مؤمناً في عشر آيات.
(٢) لم نجد هذا الحديث في تفسير الطبري تحت هذه الآية.

عليه السلام. ورواه الحافظ جلال الدين السيوطي في الدرّ المنثور ج ٣ ص ١٩٩، نقلاً عن ابن عساكر، والقندوزي في ينابيعه ص ٩٤ نقلاً عن الحافظ أبي نعيم بإسناده عن أبي هريرة، ومن طريق أبي صالح، عن ابن عبّاس.

وصدر الحديث أخرجه جمعٌ من الحفّاظ منهم: الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١١ ص ١٧٣، بإسناده عن أنس بن مالك، قال: قال النبيُّ ﷺ: لَمّا عُرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً: لا إلّه إلّا الله محمّد رسول الله أيّدته بعليٍّ، نصرته بعليّ. ومحبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ٢ ص ١٧٢ عن أبي الحمراء من طريق الملّا في سيرته، وفي ذخائر العقبى ص ٦٩، والخوارزمي في المناقب ص ٢٥٤، والحمّويي في فرائده في الباب السادس والأربعين من طريقين بلفظ: لَمّا أُسري بي إلى السماء رأيت في ساق العرش مكتوباً: لا إلّه إلّا الله محمَّدٌ رسول الله صفوتي من خلقي، أيّدته بعليٍّ ونصرته به. وبإسناد آخر عن أبي الحمراء خادم النبيِّ صلّى الله عليه وآله، بلفظ: ليلة أُسري بي رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوباً: أنا الله وحدي لا إلّه غيري، غرست جنّةَ عدن بيدي لمحمَّد صفوتي أيّدته بعليّ. وبهذا اللفظ رواه الحافظ السيوطي كما في كنز العمّال ج ٦ ص ١٥٨، من غير طريق عن أبي الحمراء. ومن طريق آخر عن جابر، عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله: مكتوبٌ في باب الجنة قبل أن يخلق الله السموات والأرض بألفي سنة: لا إلّه إلّا الله محمَّدٌ رسول الله أيَّدته بعليّ. ـ وذكره الحافظ الهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٢١ من طريق الطبراني عن أبي الحمراء، والسيوطي في الخصائص الكبرى ج ١ ص ٧ نقلاً عن ابن عدي، وابن عساكر من طريق أنس.

وروى السيِّد الهمداني في «مودَّة القربى» في المودَّة الثامنة، عن عليّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّي رأيت اسمك مقروناً باسمي في أربعة مواطن: فلمّا بلغت البيت المقدس في معراجي إلى السماء وجدت على صخرة بها: لا إلّه إلّا الله محمَّدٌ رسول الله، أيَّدته بعليّ وزيره. ولَمّا انتهيت إلى سدرة المنتهى وجدت عليها: إنّي أنا الله لا إلّه إلّا أنا وحدي، محمَّد صفوتي

من خلقي أيّدته بعليّ وزيره ونصرته به. ولَمّا انتهيت إلى عرش ربِّ العالمين فوجدت مكتوباً على قوائمه: إنّي أنا الله لا إلٓه إلاّ أنا، محمّد حبيبي من خلقي، أيّدته بعليّ وزيره ونصرته به. فلمّا وصلت الجنّة وجدت مكتوباً على باب الجنّة: لا إلٓه إلاّ أنا، ومحمّد حبيبي من خلقي أيّدته بعليّ وزيره ونصرته به.

٣ - ﴿يا أيّها النبيُّ حَسبُكَ الله وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤمِنينَ﴾.

«سورة الأنفال، الآية ٦٣».

أخرج الحافظ أبو نعيم في فضائل الصحابة بإسناده: إنّها نزلت في عليّ، وهو المعنيّ بقوله: المؤمنين.

٤ - ﴿مِنَ المؤمنينَ رِجالٌ صَدَقوا ماعاهدوا الله عليهِ فَمنهُم مَن قَضى نَحبَهُ وَمِنهُمْ مَنْ يَنتَظِرُ وَمابَدَّلوا تَبديلا﴾. [سورة الأحزاب، الآية ٢٣].

أخرج الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ١٨، وصدر الحفّاظ الگنجي في «الكفاية» ص ١٢٢ نقلاً عن ابن جرير، وغيره من المفسّرين أنّه نزل قوله: فمنهم من قضى نحبه في حمزة وأصحابه، كانوا عاهدوا الله تعالى لا يُولّون الأدبار فجاهدوا مقبلين حتّى قُتلوا، ومنهم مَن ينتظر، عليُّ بن أبي طالب مضى على الجهاد ولم يُبدِّل ولم يُغيِّر الآثار.

وفي الصواعق لابن حجر ص ٨٠: سُئل (عليٌّ) وهو على المنبر بالكوفة، عن قوله تعالى: ﴿مِنَ المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾. الآية. فقال: اللهمّ غفراً هذه الآية نزلت فيَّ وفي عمّي حمزة وفي ابن عمّي عُبيدة بن الحرث بن عبد المطلب، فأمّا عُبيدة فقضى نحبه شهيداً يوم بدر، وحمزة قضى نحبه شهيداً يوم أُحد، وأمّا أنا فأنتظر أشقاها يخضب هذه من هذه - وأشار إلى لحيته ورأسه - عهد عهده إليَّ حبيبي أبو القاسم ﷺ.

٥ - ﴿إنّما وَليّكم الله وَرَسولُهُ وَالّذينَ آمنوا الّذينَ يُقِيمُونَ الصّلاة وَيُؤتُون الزكاةَ وَهُمْ رَاكِعونَ﴾.

«سورة المائدة ٥٥»

أخرج أبو إسحاق الثعلبي، في تفسيره بإسناده عن أبي ذرّ الغفاري قال: أما إنّي صلّيت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيّام الظهر فسأل سائلٌ في المسجد فلم يُعطه أحدٌ شيئاً فرفع السائل يديه إلى السماء، وقال. اللهمّ أشهد إنّي سألت في مسجد نبيِّك محمّد ﷺ فلم يُعطني أحدٌ شيئاً، وكان عليٌّ رضي الله عنه في الصَّلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنى، وفيه خاتمٌ فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبيِّ ﷺ وهو في المسجد فرفع رسول الله ﷺ طرفه إلى السَّماء وقال: اللهمَّ إنّ أخي موسى سألك فقال: ربِّ اشرح لي صَدري، وَيَسِّر لي أمري، واحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي، واجعل لي وزيراً مِن أهلي هارون أخي، أشدد به أرزي، وأشركه في أمري، فأنزلت عليه قرآناً: سنشدُّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون إليكما اللهمَّ وإنّي محمَّد نبيّك وصفيّك اللهمَّ، واشرح لي صدري ويسِّر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي عليّاً أشدد به ظهري. قال أبو ذر رضي الله عنه: فما استتمَّ دعاءه حتّى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله عزَّ وجلَّ وقال: يا محمَّد ﴿إقرأ إنَّما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾. الآية.

أخرج هذه الأثارة، ونزول الآية فيها جمعٌ كثيرٌ من أئمّة التفسير والحديث منهم: الطبري في تفسيره ج ٦ ص ١٦٥ من طريق ابن عبّاس، وعتبة بن أبي حكيم، ومجاهد. الواحدي في أسباب النزول ص ١٤٨ من طريقين. الرازي في تفسيره ج ٣ ص ٤٣١ عن عطا عن عبدالله بن سلام وابن عبّاس وحديث أبي ذرّ المذكور. الخازن في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦. أبو البركات في تفسيره ج ١ ص ٤٩٦. النيسابوري في تفسيره ج ٣ ص ٤٦١. ابن الصبّاغ المالكي في «الفصول المهمّة» ص ١٢٣ حديث الثعلبي المذكور. ابن طلحة الشافعي في «مطالب السئول» ص ٣١ بلفظ أبي ذر المذكور. سبط ابن الجوزي في «التذكرة» ص ٩ عن تفسير الثعلبي، عن السدّي، وعتبة، وغالب بن عبدالله. الگنجي الشافعيّ في «الكفاية» ص ١٠٦ بإسناده عن أنس، وص ١٢٢ عن ابن عبّاس من طريق حافظ العراقين، والخوارزمي ، وابن عساكر، عن أبي نعيم،

والقاضي أبي المعالي. الخوارزمي في مناقبه ص ١٧٨ بطريقين. الحمّوبي في فرائده في الباب الرابع عشر من طريق الواحدي، وفي التاسع والثلاثين عن أنس، ومن طرق اخرى عن ابن عبّاس، وفي الباب الأربعين عن ابن عباس وعمّار بن ياسر. القاضي عضد الإيجي في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦. محبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ٢ ص ٢٢٧ عن عبدالله بن سلام من طريق الواحدي، وأبي الفرج والفضائلي، وص ٢٠٦، وفي الذخائر ص ١٠٢ من طريق الواقدي، وابن الجوزي. ابن كثير الشامي في تفسيره ج ٢ ص ٧١ بطريق عن أمير المؤمنين، ومن طريق ابن أبي حاتم عن سلمة بن كهيل، وعن ابن جرير الطبري بإسناده عن مجاهد، والسديّ، وعن الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن ابن عبّاس، وبطريق الحافظ ابن مردويه بالإسناد عن سفيان الثوري، عن ابن عبّاس، ومن طريق الكلبي عن ابن عبّاس فقال: هذا إسنادٌ لا يُقدح به، وعن الحافظ ابن مردويه بلفظ أمير المؤمنين، وعمّار، وأبي رافع. ابن كثير أيضاً في البداية والنهاية ج ٧ ص ٣٥٧ عن الطبراني بإسناده عن أمير المؤمنين، ومن طريق ابن عساكر عن سلمة بن كهيل. الحافظ السيوطي في «جمع الجوامع» كما في الكنز ج ٦ ص ٣٩١ من طريق الخطيب في «المتّفق» عن ابن عبّاس، وص ٤٠٥ من طريق أبي الشيخ، وابن مردويه عن أمير المؤمنين. ابن حجر في «الصواعق» ص ٢٥. الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٧٧ حديث أبي ذرّ المذكور عن الثعالبي. الآلوسي في «روح المعاني» ج ٢ ص ٣٢٩ وغيرهم. ولحسّان بن ثابت في هذه المأثرة شعرٌ يأتي إن شاء الله تعالى.

٦ ـ ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسجِدِ الحَرامِ كمَن آمَنَ بِالله وَالْيَومِ الآخِرِ وَجاهَدَ في سَبيلِ الله لا يَستَوُون عِندَ الله﴾.

(سورة التّوبة، الآية ١٩).

أخرج الطبري في تفسيره ج ١٠ ص٥٩ بإسناده عن أنس أنّه قال: قعد العبّاس وشيبة (ابن عثمان) صاحب البيت يفتخران، فقال له العبّاس: أنا أشرف منك أنا عمّ رسول الله ووصيّ أبيه وساقي الحجيج. فقال شيبة: أنا أشرف منك

أنا أمين الله على بيته، وخازنه أفلا ائتمنك كما ائتمنني. فهما على ذلك يتشاجران حتّى أشرف عليهما عليٌّ، فقال له العبّاس: إنَّ شيبة فاخرني فزعم أنَّه أشرف منّي، فقال: فما قلت له يا عمّاه؟ قال: قلت: أنا عمُّ رسول الله ووصيُّ أبيه وساقي الحجيج أنا أشرف منك. فقال لشيبة: ماذا قلت أنت يا شيبة؟ قال قلت: أنا أشرف منك أنا أمين الله على بيته وخازنه أفلا ائتمنك كما ائتمنني. قال فقال لهما: إجعلاني معكما فخراً، قالا: نعم. قال: فأنا أشرف منكما أنا أوّل من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأُمّة وهاجر وجاهد. وانطلقوا ثلاثتهم إلى النبيِّ فأخبر كلٌّ واحد منهم بمفخره فما أجابهم النبيُّ بشيء فانصرفوا عنه، فنزل جبرئيل عليه السلام بالوحي بعد أيّام فيهم، فأرسل النبيُّ إليهم ثلاثتهم حتى أتوه فقرأ عليهم: ﴿أَجَعلتم سِقايَةَ الحاجِّ وَعِمارةَ الْمسجدِ الْحَرامِ كمن آمنَ باللهِ وَالْيوْمِ الآخرِ﴾. الآية.

حديث هذه المفاخرة ونزول الآية فيها أخرجه كثيرٌ من الحفّاظ والعلماء مجملاً ومفصّلاً منهم: الواحدي في أسباب النزول ص ١٨٢ نقلاً عن الحسن والشعبي والقرظي. القرطبي في تفسيره ج ٨ ص ٩١ عن السدِّي. الرازي في تفسيره ج ٤ ص ٤٢٢. الخازن في تفسيره ج ٢ ص ١٢٢ قال: وقال الشعبي، ومحمّد بن كعب القرظي: نزلت في عليّ بن أبي طالب، والعبّاس بن عبد المطلب، وطلحة بن أبي شيبة، افتخروا فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفاتيحه. وقال العبّاس: وأنا صاحب السقاية والقيام عليها. وقال عليٌّ: ما أدري ما تقولون، لقد صلّيت إلى القبلة ستّة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله هذه الآية.

ومنهم: أبو البركات النسفي في تفسيره ج ٢ ص ٢٢١. الحمّويي في «الفرائد» في الباب الواحد والأربعين بإسناده عن أنس. ابن الصبّاغ المالكيّ في «الفصول المهمّة» ص ١٢٣ من طريق الواحدي عن الحسن والشعبي والقرظي جمال الدين محمّد بن يوسف الزرندي في نظم درر السمطين. الگنجي في «الكفاية» ص ١١٣ من طريق ابن جرير، وابن عساكر، عن أنس بلفظه

المذكور. ابن كثير الشامي في تفسيره ج ٢ ص ٣٤١ عن الحافظ عبد الرزاق بإسناده عن الشعبي، ومن طريق ابن جرير، عن محمَّد بن كعب القرظي، وعن السدّي وفيه: افتخر عليٌّ، والعبّاس، وشيبة كما مرّ، ومن طريق الحافظ عبد الرزاق أيضاً عن الحسن، ومحمَّد بن ثور عن معمَّر عن الحسن. الحافظ السيوطي في الدرّ المنثور ج ٣ ص ٢١٨ من طريق الحافظ ابن مردويه، عن ابن عبّاس، ومن طريق الحفّاظ عبد الرزّاق، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن منذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن الشعبي، وعن ابن مردويه عن الشعبي، وعن عبد الرزاق، عن الحسن، ومن طريق ابن أبي شيبة، وأبي الشيخ، وابن مردويه، عن عبيدالله بن عبيدة، ومن طريق الفرياني، عن ابن سيرين، وعن ابن جرير، عن محمَّد بن كعب القرظي، ومن طريق ابن جرير، وأبي الشيخ، عن الضحّاك، وعن الحافظين أبي نعيم، وابن عساكر بإسنادهما عن أنس باللفظ المذكور.

ومنهم: الصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٤٢ وفي طبعة ٢٠٩ نقلاً عن شوارد الملح وموارد المنح: أنّ العباس، وحمزة رضي الله عنهما، تفاخرا فقال حمزة: أنا خيرٌ منك لأنّي على عمارة الكعبة. وقال العبّاس: أنا خيرٌ منك لأنّي على سقاية الحاجّ فقالا: نخرج إلى الأبطح ونتحاكم إلى أوّل رجل نلقاه فوجدا عليّاً رضي الله عنه، فتحاكما على يديه فقال: أنا خيرٌ منكما لأنّي سبقتكما إلى الإسلام. فأخبر النبيُّ بذلك فضاق صدره لافتخاره على عمّيه فأنزل الله تعالى تصديقاً لكلام عليّ وبياناً لفضله: ﴿أجَعلتم سِقايَة الحاجّ﴾. الآية.

ولا يسعنا ذكر جميع المصادر التي وقفنا فيها على هذه المفاخرة، ونزول الآية فيها وكذلك في بقيَّة الآيات والأحاديث، بل لم نذكر جلّها روماً للإختصار، وقد بسطنا القول في جميعها في كتابنا (العترة الطاهرة في الكتاب العزيز) يتضمَّن الآيات النازلة فيهم صلوات الله عليهم.

وهذه المفاخرة ونزول الآية فيها نظمها غير واحد من شعراء السلف،

الحافظين لناموس الحديث كسيِّد الشعراء الحميري، والناشي، والبشنوي، ونظرائهم وستقف عليه في تراجمهم إن شاء الله.

٧- ﴿إنَّ الَّذينَ آمنوا وَعمِلوا الصَّالحاتِ سَيَجعَلُ لهُمُ الرَّحمنُ وُدّاً﴾.

«سورة مريم آية ٩٦»

أخرج أبو إسحاق الثعلبي، في تفسيره بإسناده عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: قل: اللهمَّ اجعل لي عندك عهداً واجعل لي في صدور المؤمنين مودَّة. فأنزل الله هذه الآية.

ورواه أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفيُّ في تذكرته ص ١٠ وقال: ورُوي عن ابن عبّاس: إنَّ هذا الودّ جعله الله لعليّ في قلوب المؤمنين. وفي مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٢٥ عن ابن عبّاس قال: نزلت في عليّ بن أبي طالب: ﴿إنَّ الذين آمنوا﴾. الآية. قال: محبّة في قلوب المؤمنين. وأخرج الخطيب الخوارزمي في مناقبه ص ١٨٨ حديث ابن عبّاس وبعده بإسناده عن عليّ عليه السلام، انّه قال: لقيني رجلٌ فقال: يا أبا الحسن والله إنّي أُحبّك في الله. فرجعت إلى رسول الله فأخبرته بقول الرجل، فقال: لعلّك يا عليُّ اصطنعت إليه معروفاً. قال فقلت: والله ما اصطنعت إليه معروفاً. فقال رسول الله: الحمد لله الذي جعل قلوب المؤمنين تتوق إليك بالمودَّة. فنزل قوله: ﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهم الرَّحمن وُدّا﴾.

وأخرجه صدر الحفّاظ الگنجي في الكفاية ص ١٢١. وأخرج محبُّ الدين الطبري في رياضه ج ٢ ص ٢٠٧ في الآية من طريق الحافظ السلفي عن ابن الحنفيَّة: لا يبقى مؤمنٌ إلاّ وفي قلبه ودٌّ لعليّ وأهل بيته. وأخرج الحمّويي في فرائده في الباب الرابع عشر من طريق الواحدي بسندين عن ابن عباس، والسيوطي في الدرّ المنثور ج ٤ ص ٢٨٧ من طريق الحافظ ابن مردويه، والديلمي، عن البراء، ومن طريق الطبراني، وابن مردويه، عن ابن عبّاس، والقسطلاني في المواهب ج ٧ ص ١٤ من طريق النقّاش، والشبلنجي في نور

الأبصار ص ١١٢ عن النقّاش وذكر ما مرّ عن ابن الحنفيّة، والحضرمي في رشفة الصادي ص ٢٥.

٨ - ﴿أمْ حَسِبَ الّذينَ اجتَرَحوُا السَّيِّئاتِ أنْ نَجعَلهُمْ كالّذين آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحات﴾.

«سورة الجاثية الآية ٢١»

قال أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١١: قال السدّي، عن ابن عبّاس: نزلت هذه الآية في عليّ عليه السلام يوم بدر: فَالّذينَ اجترحوا السيِّئات عتبة، وشيبة، والوليد والمغيرة، والّذينَ آمنوا وَعمِلوا الصالحاتِ عليٌّ عليه السلام. وتجد ما يقرب منه في كفاية الگنجي ص ١٢٠.

٩ - ﴿إنَّ الّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ أولئِكَ هُمْ خَيرُ البَرِيَّة﴾.

«سورة البيّنة الآية ٧»

أخرج الطبري في تفسيره ج ٣٠ ص ١٤٦ بإسناده، عن أبي الجارود، عن محمَّد بن علي: أولئك هُمْ خَيرُ البريَّة. فقال: قال النبيُّ ﷺ أنت يا عليُّ وشيعتك. وروى الخوارزمي في مناقبه ص ٦٦ عن جابر قال: كنّا عند النبي ﷺ فأقبل عليٌّ بن أبي طالب فقال رسول الله: قد أتاكم أخي ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده، ثمّ قال: والّذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة، ثمّ قال: إنّه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد الله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيَّة، وأقسمكم بالسويَّة، وأعظمكم عند الله مزيَّة، قال: وفي ذلك الوقت نزلت فيه: ﴿إنّ الّذين آمنوا وَعمِلوا الصّالحاتِ أولئِكَ هُم خَيرُ البريَّة﴾، وكان أصحاب النبيِّ ﷺ إذا أقبل عليٌّ قالوا: قد جاء خير البريَّة.

وروى في ص ١٧٨ من طريق الحافظ ابن مردويه، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام قال: سمعت عليّاً يقول: حدَّثني رسول الله وأنا مسنده إلى صدري فقال: أي عليّ، ألم تسمع قول الله تعالى إنَّ الّذينَ آمنوا وَعمِلوا الصالحاتِ هُم خَيرُ البريَّةِ؟ أنت وشيعتك، وموعدي وموعدكم الحوض

إذا جاءت الأُمم للحساب تُدعون غرّاً محجّلين. وأخرج الگنجي في الكفاية ص ١١٩ حديث يزيد بن شراحيل.

وأرسل ابن الصبّاغ المالكيّ في فصوله ص ١٢٢ عن ابن عبّاس قال: لَمّا نزلت هذه الآية قال (النبيّ ﷺ) لعليّ: أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة أنت وهم راضين مرضيّين، ويأتي أعداؤك غضاباً مقمحين. وروى الحمّوبي في فرائده بطريقين عن جابر: إنّها نزلت في عليّ، وكان أصحاب محمّد إذا أقبل عليٌّ قالوا: قد جاء خير البريّة.

وقال ابن حجر في «الصواعق» ص ٩٦ في عدِّ الآيات الواردة في أهل البيت: الآية الحادية عشرة قوله تعالى: ﴿**إنّ الّذين آمنوا وَعَمِلوا الصالِحاتِ أولئكَ هُمْ خير البريّة**﴾.

أخرج الحافظ جمال الدين الزرندي، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: إنّ هذه الآية لَمّا نزلت قال صلّى الله عليه وآله لعليّ: هو أنت وشيعتك، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، ويأتي عدوُّك غضاباً مقمحين، قال: ومَن عدوّي؟ قال: مَن تبرّأ منك ولعنك، ثمّ قال رسول الله ﷺ: ومن قال: رحم الله عليّاً، رحمه الله.

وقال جلال الدين السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٦ ص ٣٧٩: أخرج ابن عساكر، عن جابر بن عبدالله قال: كنّا عند النبيّ ﷺ فأقبل عليٌّ فقال النبيُّ ﷺ: والّذي نفسي بيده إنّ هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة. ونزلت: ﴿**إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ أولئكَ هُمْ خير البريّة**﴾، فكان أصحاب النبيِّ ﷺ إذا أقبل عليٌّ قالوا: جاء خير البريّة، وأخرج ابن عدي عن ابن عبّاس قال: لَمّا نزلت ﴿**إنّ الّذين آمَنوا وعَمِلوا الصالحات**﴾. الآية قال رسول الله ﷺ لعليّ: أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيّين، وأخرج ابن مردويه عن عليّ قال: قال رسول الله ﷺ، وذكر حديث يزيد بن شراحيل المذكور، وذكر الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٧٨ و١١٢ عن ابن عبّاس باللفظ المذكور عن ابن الصبّاغ المالكيّ.

١٠ - ﴿وَالْعَصرِ إنَّ الإنسانَ لَفي خُسر إلاّ الّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ﴾.
(سورة العصر)

قال جلال الدين السيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٦ ص ٣٩٢ : أخرج ابن مردويه، عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿والعصر إنَّ الإنسان لَفي خُسر﴾. يعني أبا جهل بن هشام ﴿إلاّ الّذين آمنوا وَعَمِلوا الصالحاتِ﴾. ذكر عليّاً، وسلمان.

ومن شعر حسّان في أمير المؤمنين

أبا حسن! تفديك نفسي ومهجتي ... وكلّ بطيءٍ في الهدى ومسارعِ
أيذهب مدحي والمحبّين ضايعاً؟ ... وما المدح في ذات الإلٓه بضايعِ
فأنت الّذي أعطيت إذ أنت راكعٌ ... فدتك نفوس القوم يا خير راكعِ
بخاتمك الميمون يا خيرَ سيّد ... ويا خيرَ شارٍ ثمَّ يا خيرَ بايعِ
فأنزل فيك الله خيرَ ولاية ... وبيّنها في محكمات الشّرايعِ

نظم بها حديث تصدّق أمير المؤمنين عليه السلام، خاتمه للسائل راكعاً ونزول قوله تعالى: ﴿إنّما وَلِيّكم الله ورَسوله وَالّذين آمَنوا يُقيمونَ الصّلاة ويُؤتونَ الزّكاةَ وهُم راكعون﴾. فيه كما مرّ حديثه ص ٧١ .

ذكرها لحسّان الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ١٧٨، وشيخ الإسلام الحمّويي في فرائده في الباب التاسع والثلاثين، وصدر الحفّاظ الگنجيّ في «الكفاية» ص ١٠٧ وسبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١٠، وجمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين».

ومن شعر حسّان في أمير المؤمنين

جبريلُ نادى معلناً ... والنقعُ ليس بمنجلي
والمسلمون قد أحدقوا ... حول النبيِّ المرسلِ
لا سيفَ إلاّ ذو الفقار ... ولا فتى إلاّ علي

يشير بها إلى ما هتف به أمين الوحي جبرئيل عليه السلام، يوم أُحد في عليّ وسيفه. أخرج الطبري في تاريخه ج ٣ ص ١٧، عن أبي رافع قال: لَمّا قَتل عليٌّ بن أبي طالب (يوم أُحد) أصحاب الألوية أبصر رسول الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش، فقال لعليّ: إحمل عليهم. فحمل عليهم ففرّق جمعهم، وقتل عمرو بن عبدالله الجمحي قال: ثمّ أبصر رسول الله ﷺ جماعةً من مشركي قريش، فقال لعليّ: إحمل عليهم. فحمل عليهم ففرّق جماعتهم وقتل شيبة بن مالك، فقال جبريل: يا رسول الله! إنّ هذا للمواساة فقال رسول الله ﷺ: إنّه منّي وأنا منه. فقال جبريل: وأنا منكما. قال فسمعوا صوتاً:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي

وأخرجه أحمد بن حنبل في الفضائل، عن ابن عبّاس، وابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٥٢ عن ابن أبي نُجيح، الخثعمي في «الروض الانف» ج ٢ ص ١٤٣، وابن أبي الحديد في «شرح النهج» ج ١ ص ٩ وقال: إنّه المشهور المرويّ، وفي ج ٢ ص ٢٣٦ وقال: إنّ رسول الله قال: هذا صوت جبريل، وج ٣ ص ٢٨١، والخوارزمي في «المناقب» ص ١٠٤ عن محمّد بن إسحاق بن يسار، قال: هاجت ريحٌ في ذلك اليوم فسمع منادٍ يقول:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي
فإذا ندبتم هالكاً فابكوا الوفيّ أخا الوفيّ[1]

وروى الحمّويي نحوه في فرائده في الباب التاسع والأربعين، وروى بإسناده من طرق شتّى عن الحافظ البيهقي إلى عليّ عليه السلام قال: أتى جبريل النبيّ ﷺ فقال: إنّ صنماً في اليمن مغفّراً في حديد فابعث إليه فادققه وخذ الحديد، قال: فدعاني وبعثني إليه فدققت الصنم وأخذت الحديد فجئت به إلى رسول الله، فاستنصرت منه سيفين فسمّى واحداً ذا الفقار، والآخر

---

(١) يعني حمزة سيد الشهداء قتيل ذلك اليوم سلام الله عليه.

مجذماً، فقلّد رسول الله ذا الفقار، وأعطاني مجذماً ثمّ أعطاني بعدُ ذا الفقار، ورآني رسول الله وأنا أُقاتل دونه يوم أُحد فقال:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

وفي تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٦: ذكر أحمد في الفضائل أيضاً أنّهم سمعوا تكبيراً من السماء في ذلك اليوم (يوم خيبر) وقائلاً يقول:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

فاستأذن حسّان بن ثابت رسول الله ﷺ أن ينشد شعراً فأذن له فقال:

جبريلُ نادى مُعلناً إلى آخر الأبيات المذكورة

ثمّ قال ما ملخّصه: يقال: إنَّ الواقعة كانت يوم أُحد كما رواه أحمد بن حنبل عن ابن عبّاس، وقيل: إنَّ ذلك كان يوم بدر، والأصحّ أنَّه كان في يوم خيبر، فلم يطعن فيه أحدٌ من العلماء. إنتهى.

قال الأميني: إنّ الأحاديث تؤذننا بتعدّد الواقعة، وأنَّ المنادي يوم أُحد كان جبريل كما مرَّ، والمنادي يوم بدر ملَك يقال له: رضوان، قد أجمع أئمّة الحديث على نقله كما قال الكنجي، وأخرجه في كفايته ص ١٤٤ من طريق أبي الغنائم، وابن الجوزي، والسلفي، وابن الجواليقي، وابن أبي الوفا البغدادي، وابن الوليد، وابن أبي الفهم، والمفتي عبد الكريم الموصلي، ومحمّد بن القاسم العدل، والحافظ محمّد بن محمود، وابن أبي البدر، والفقيه عبد الغني بن أحمد، وصدقة بن الحسين، ويوسف بن شروان المقري، والصاحب أبي المعالي الدوامي، وابن بطّة، وشيخ الشيوخ عبد الرحمن بن اللطيف، وعليّ بن محمّد المقري، وابن بكروس، والحافظ ابن المعالي، وأبي عبدالله محمّد بن عمر، بأسانيدهم عن سعد بن طريف الحنظلي، عن أبي جعفر محمّد بن علي «الإمام الباقر» قال: نادى ملَكٌ من السماء يوم بدر يقال له:

رضوان:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

ثمّ قال: قلت: أجمع أئمّة الحديث على نقل هذا الجزء كابراً عن كابر رزقناه عالياً بحمد الله عن الجمّ الغفير كما سقناه، ورواه الحاكم مرفوعاً، وأخرجه عنه البيهقي في مناقبه، أخبرنا بذلك الحافظ ابن النجّار، أخبرنا المؤيَّد الطوسي (إلى آخر السند) عن جابر بن عبدالله، قال قال رسول الله يوم بدر: هذا رضوان ملك من ملائكة الله ينادي:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

وأخرجه محبّ الدين الطبري باللفظ المذكور في رياضه ص ١٩٠، وذخائر العقبى ص ٧٤، والخوارزمي في المناقب ص ١٠١ حديث جابر، وفي كتاب «صفّين» لنصر بن مزاحم ص ٢٥٧، وفي ط مصر ص ٥٤٦ عن جابر بن نُمير - الصحيح: عُمير - الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول كثيراً:

لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ

ومن شعر حسّان

وإن مريمٌ أحصنت فرجها وجاءت بعيسى كبدر الدجى
فقد أحصنت فاطم بعدها وجاءت بسبطي نبيِّ الهدى[1]

يشير إلى ما صحّ عن النبيِّ الطاهر في بضعته الصدّيقة (فاطمة): إنَّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّم الله ذرِّيتها على النار. أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥٢ وقال: هذا حديثٌ صحيح الإسناد. والخطيب في تاريخه ج ٣

---

(١) ذكره ابن شهر آشوب السروي في «المناقب» ج ٤ ص ٢٤.

ص ٥٤، ومحبّ الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ص ٤٨ عن أبي تمام في فوائده، وصدر الحفّاظ الكنجيّ الشافعيّ في «الكفاية» ص ٢٢٢ بإسناده عن حذيفة بن اليمان، قال قال رسول الله: إنّ فاطمة أحصنت فرجها فحرّمها الله وذرّيتها على النار، وفي ص ٢٢٣ بسند آخر عن ابن مسعود بلفظ حذيفة، والسيوطي في «إحياء الميت» ص ٢٥٧ عن ابن مسعود من طريق البزّاز، وأبي يعلى، والعقيلي، والطبراني، وابن شاهين، وأخرجه في «جمع الجوامع» من طريق البزّار، والعقيلي، والطبراني، والحاكم بلفظ حذيفة اليماني، وذكر المتّقي الهندي في إكماله في «كنز العمّال» ج ٦ ص ٢١٩ من طريق الطبراني بلفظ: إنّ فاطمة أحصنت فرجها وإنّ الله أدخلها بإحصان فرجها وذرّيتها الجنّة. وابن حجر في «الصواعق» من طريق أبي تمام[١] والبزّار، والطبراني، وأبي نعيم، باللفظ المذكور وقال: وفي رواية فحرّمها الله وذرّيتها على النار. ورواه في ص ١١٢ من طريق البزّار، وأبي يعلى، والطبراني، والحاكم، باللفظ الثاني، وذكره الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ٤٥ باللفظين.

الشاعر

أبو الوليد حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي ابن عمرو بن مالك النجّار (تيم الله) بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة العنقاء (سُمّي به لطول عنقه) ابن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف ابن امرىء القيس البطريق ابن ثعلبة البهلول ابن مازن بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٢].

بيت حسّان أحد بيوتات الشعر، عريقٌ في الأدب ونظم القريض، قال

---

(١) في الصواعق: تمام. والصحيح: أبو تمام.
(٢) كذا سرده أبو الفرج في الأغاني ج ٤ ص ٣.

المرزباني في «معجم الشعراء» ص ٣٦٦: قال دعبل، والمبرّد: أعرق الناس كانوا في الشعر آل حسّان، فمنهم يُعدّون ستّة في نسق كلّهم شاعر: سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام. اهـ. وولده عبد الرحمن المذكور شاعرٌ قليل الحديث تُوفّي سنة ١٠٤، وفيه وفي والده حسّان قال شاعر:

فمن للقوافي بعد حسّان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

وأمّا المترجم نفسه فعن أبي عبيدة: انَّ العرب قد اجتمعت على أنَّ حسّان أشعر أهل المدن، وأنّه فضل الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار. وشاعر النبيِّ في أيّامه صلّى الله عليه وآله. وشاعر اليمن كلّها في الإسلام. قال له النبيُّ صلّى الله عليه وآله: ما بقي من لسانك؟ فأخرج لسانه حتى قرع بطرفه طرف أرنبته ثمَّ قال: والله إنّي لو وضعته على صخر لفلقه، أو على شعر لحلقه، وما يسرُّني به مقول من معد[1] وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يضع له منبراً في مسجده الشريف يقوم عليه قائماً ويفاخر عن رسول الله ويقول رسول الله صلّى الله عليه وآله: إنّ الله يؤيِّد حسّان بروح القدس ما نافَحَ أو فاخَرَ عن رسول الله[2].

كانت الحالة على هذا في عهد النبيِّ صلّى الله عليه وآله، ولَمّا توفّي صلّى الله عليه وآله مرّ عمر على حسّان وهو ينشد في المسجد فانتهره[3] فقال: أفي مسجد رسول الله تنشد؟ فقال: كنت أُنشد وفيه مَن هو خيرٌ منك. ثمَّ التفت إلى أبي هريرة فقال سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: أجب عنّي، اللهمَّ أيِّده بروح القدس، قال: نعم. قال أبو عبدالله الآبيُّ المالكيُّ في شرح صحيح مسلم ٣١٧: وهذا يدلُّ على أن عمر رضي الله عنه، كان يكره إنشاد

(١) البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٦٨ و١٥٠.
(٢) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٢٨٧ بإسناد صححه هو والذهبي.
(٣) كذا في لفظ ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١٢٦، وفي لفظ مسلم في الصحيح ج ٢ ص ٣٨٤: فلحظ إليه. وفي لفظ لأحمد في مسنده ج ٥ ص ٢٢٢: فقال: مه.

الشعر في المسجد، وكان قد بنى رحبةً خارجه وقال: من أراد أن يلغط أو ينشد شعراً فليخرج إلى هذه الرحبة.

كلُّ ذلك على خلاف ما كان عليه النبيُّ صلّى الله عليه وآله، وفي وقته أفحمه حسّان بما ذكر من قوله: لكن لا رأي لمن لا يُطاع. وقبل حسّان نهاه النبي صلّى الله عليه وآله، عن فكرته هذه وفهّمه بما هناك من الغاية الدينيّة المتوخّاة حين تعرّض على عبدالله بن رواحة، لَمّا كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يطوف البيت على بعير وعبدالله آخذٌ بغرزه وهو يقول:

خلّوا بني الكفّار عن سبيلهِ ... خلّوا فكلُّ الخير مع رسولهِ
نحن ضربناكم على تنزيلهِ ... ضرباً يُزيل الهام عن مقيلهِ
ويُذهل الخليل عن خليلهِ ... يا ربِّ إنّي مؤمنٌ بقيلهِ

فقال له عمر: أو ها هنا يا ابن رواحة أيضاً؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله :أو ما تعلمن أو لا تسمع ما قال؟؟!! (وفي رواية أبي يعلى) إنّ النبيَّ قال: خلِّ عنه يا عمر؟ فوالّذي نفسي بيده لكلامه أشدُّ عليهم من وقع النبل(١).

وكان حسّان من المعروفين بالجبن، ذكره ابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٢ ص ٦ وقال: كان من أجبن الناس. وعدّه الوطواط في «غرر الخصائص» ص ٣٥٥ من الجبناء وقال: ذكر ابن قتيبة في كتاب «المعارف»: إنّه لم يشهد مع رسول الله ﷺ مشهداً قطُّ، قالت صفيّة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله: كان معنا حسّان في حصن فارغ يوم الخندق مع النساء والصبيان، فمرَّ بنا في الحصن رجلٌ يهوديٌّ فجعل يطوف بالحصن (وقد حاربت بنو قُريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله، وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنّا، ورسول الله والمسلمون في نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا أتانا آتٍ) قالت: فقلت: يا حسّان! أنا والله لا آمن أن يدلَّ علينا هذا اليهوديُّ أصحابه، ورسول الله ﷺ قد شغل عنّا

---

(١) تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٣٩١.

فانزل إليه واقتله، قال: يغفر الله لكِ (يا ابنة عبد المطلب) ما أنا بصاحب شجاعة، قالت: فلمّا قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً إعتجرت[1] ثمّ أخذت عموداً ونزلت إليه فضربته بالعمود حتّى قتلته، ثمّ رجعت إلى الحصن وقلت: يا حسّان انزل إليه واسلبه فإنّه لم يمنعني من سلبه إلاّ أنّه رجل، فقال: ما لي بسلبه من حاجة [يا ابنة عبد المطلب][2] وكان حسّان اقتدى في فعله بهذا الشاعر في قوله:

باتت تشجّعني هندٌ وما علمت ... انَّ الشجاعة مقرونٌ بها العطبُ
لا والّذي مَنعَ الأبصار رؤيته ... ما يشتهي الموت عندي من له إربُ
للحرب قومٌ أضلّ الله سعيهمُ ... إذا دعتهم إلى نيرانها وثبوا
ولست منهم ولا أبغي فعالهمُ ... لا القتل يُعجبني منهم ولا السلبُ

قال الأميني: هذا ما نقله الوطواط عن «المعارف» لابن قتيبة، لكن أسفي على مطابع مصر، وعلى يد الطبع الأمينة فيها فإنّها تُحرِّف الكلم عن مواضعها فأسقطت هذه القصّة عن «المعارف» كما حرّفت عنه غيرها.

وُلد المترجم قبل مولد النبيِّ القدسيِّ صلّى الله عليه وآله بثمان سنين، وعاش عند الجمهور مائة وعشرين سنة، وقال ابن الأثير: لم يختلفوا في عمره. وفي المستدرك ج٣ ص ٤٨٦، واسد الغابة ج ٢ ص ٧: أربعة تناسلوا من صلب واحد عاش كلٌّ منهم مائة وعشرين سنة، وهم: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام.

يُكنى بأبي الوليد، وأبي المضرب، وأبي حسام، وأبي عبد الرحمن، والأوّل أشهر، وكان يقال له: الحسام. وذلك لكثرة دفاعه عن حامية الإسلام

---

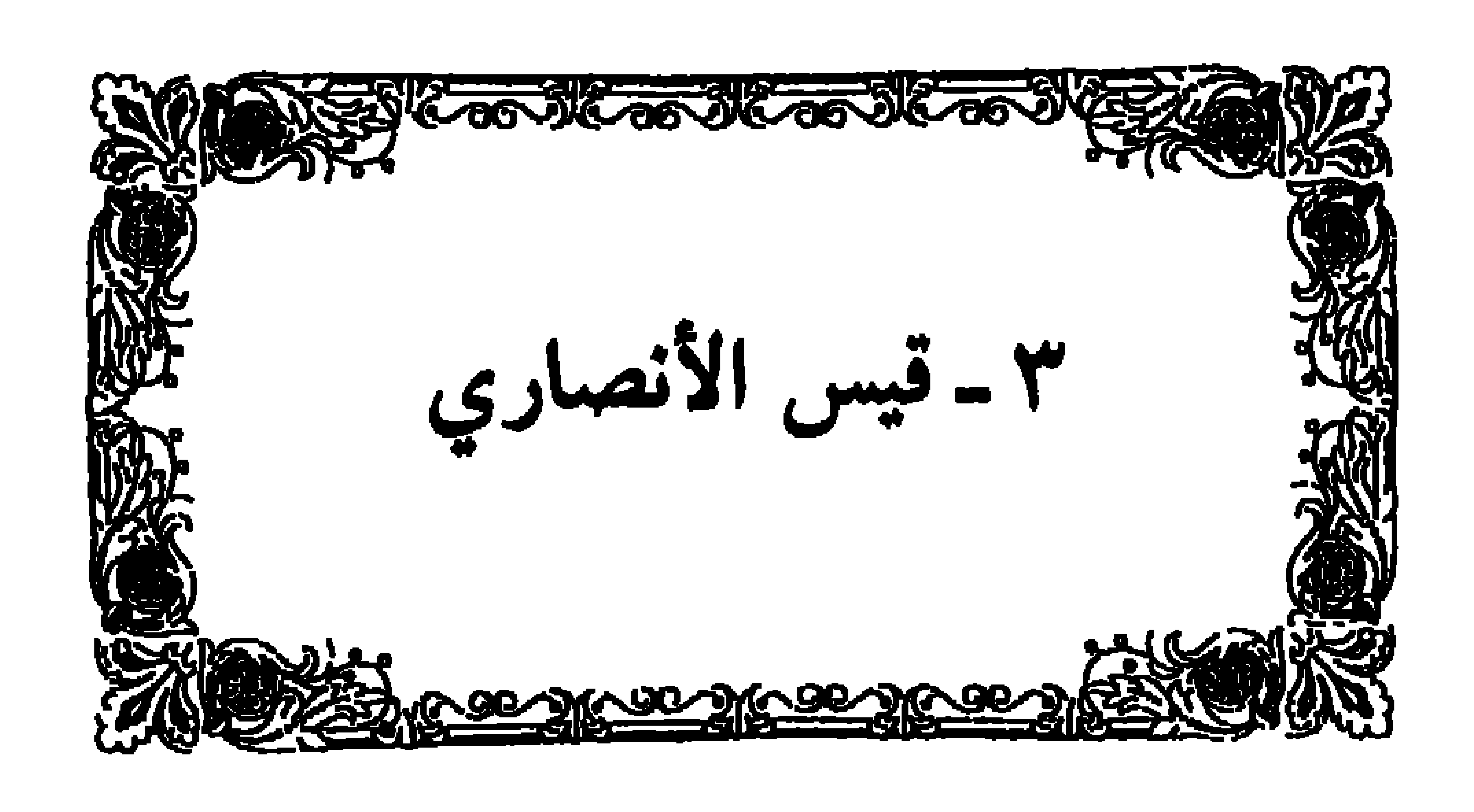
(١) أي لبست المعجر. وفي سيرة ابن هشام: احتجزت. يقال: احتجزت المرأة. أي شدت وسطها.

(٢) وإلى هنا ذكره ابن هشام في سيرته ج ٣ ص ٢٤٦، وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١٤٠، وابن الأثير في اسد الغابة ج ٢ ص ٦، والعباسي في المعاهد ج ١ ص ٧٤، والجمل التي جعلناها بين القوسين من لفظ ابن هشام.

المقدَّس بشعره. وروى الحاكم عن المصعب أنَّه قال: عاش حسّان ستّين في الجاهليَّة وستّين في الإسلام. وذهب بصره وتُوفّي على قول سنة ٥٥[١] أعمى البصر والبصيرة كما نصَّ عليه الصحابيُّ الكبير سيِّد الخزرج قيس بن سعد بن عبادة لَمّا عزله أمير المؤمنين عليه السلام من ولاية مصر، ورجع إلى المدينة فإنَّه حينما قدمها جاءه حسّان شامتاً به وكان عثمانيّاً بعدما كان علويّاً فقال له: نزعك عليٌّ بن أبي طالب وقد قتلتَ عثمان فبقي عليك الإثم ولم يحسن لك الشكر. فزجره قيسٌ وقال: يا أعمى القلب وأعمى البصر، والله لولا أن أُلقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، ثمَّ أخرجه من عنده[٢].

---

(١) هذا أحد القولين في المستدرك، وقد كثر الخلاف في وفاته، وصحح ابن كثير في تاريخه سنة ٥٤.
(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥.



٣ ـ قيس الأنصاري

قلتُ لَمّـا بغى العـدوُّ علينـا حسبنـا ربّنا ونعم الـوكيـلُ
حسبنـا ربّنا الـذي فتح البصـ ـرة بـالأمس والحديث طـويلُ

ويقول فيها:

وعـليٌّ إمـامـنـا وإمـامٌ لسـوانا أتى بـه التنـزيـلُ
يوم قال النبيُّ: من كنت مولا هُ فهـذا مـولاه خـطبٌ جليـلُ
إنّمـا قـالـه النبيُّ على الأُمّـة حتمٌ مـا فيـه قـالٌ وقيـلُ

ما يتبع الشعر

هذه الأبيات أنشدها الصحابيُّ العظيم،سيِّد الخزرج،قيس بن سعد بن عبادة بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين، رواها شيخنا المفيد، معلّمُ الأُمّة المتوفّى سنة ٤١٣ في «الفصول المختارة» ج ٢ ص ٨٧ وقال بعد ذكرها: إنَّ هذه الأشعار مع تضمنها الإعتراف بإمامة أمير المؤمنين، فهي دلائل على ثبوت سلف الشيعة وإبطال عناد المعتزلة في إنكارهم ذلك.

وذكرها في رسالته في معنى المولى وقال فيها: قصيدة قيس التي لا يشكُّ أحدٌ من أهل النقل فيها، والعلم بها من قبوله كالعلم بنصرته لأمير المؤمنين وحربه أهل البصرة وصفّين معه، وهي التي أوّلها:

قلتُ لَمّـا بغى العـدوُّ علينـا حسبنـا ربّنا ونعم الـوكيـلُ

فشهد هكذا شهادةً قطعيَّةً بإمامة أمير المؤمنين عليه السّلام من جهة خبر يوم الغدير، صرّح بأنَّ القول فيه يوجب رياسته على الكلِّ وإمامته عليهم.

ورواها سيِّدنا الشريف الرضيُّ المتوفّى سنة ٤٠٦ في خصائص الأئمّة، وقال: اتّفق حملة الأخبار على نقل شعر قيس وهو يُنشده بين يدي أمير المؤمنين عليه السَّلام، بعد رجوعهم من البصرة في قصيدته التي أوّلها:

قلتُ لَمّا بغى العدوُّ علينا　　　حسبنا ربّنا ونعم الوكيلُ

وهذان الشاعران [قيس، وحسّان] صحابيّان شهدا بالإمامة لأمير المؤمنين شهادة من حضر المشهد وعرف المصدر والمورد.

وأخرجها العَلم الحجَّة الشيخ عبيدالله السدابادي في المقنع - الموجود عندنا - فقال: قالوا: ومن الدليل على أنّ أمير المؤمنين، هو الإمام المنصوص عليه قول قيس بن سعد بن عبادة، وقال الكميت بن زيد يصدِّق قول قيس بن سعد، وحسّان بن ثابت.

ورواها العلاّمة الكراجكي المتوفّى سنة ٤٤٩ في كنز الفوائد ص ٢٣٤ فقال: إنّه ممّا حُفظ عن قيس بن سعد بن عبادة وإنّه كان يقوله بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين ومعه الراية.

وأخرجها أبو المظفَّر سبط ابن الجوزي الحنفيُّ المتوفّى سنة ٦٥٤ في «التذكرة» ص ٢٠ فقال: انَّ قيس أنشدها بين يدي عليّ بصفِّين.

ورواها سيِّدنا هبة الدين الراوندي في «المجموع الرائق» - الموجود عندنا - والمفسِّر الكبير الشيخ أبو الفتوح الرازي في تفسيره ج ٢ ص ١٩٣، وشيخ السرويّ الآتي شيخنا الشهيد الفتّال في «روضة الواعظين» ص ٩٠، وسيِّدنا القاضي نور الله المرعشيّ الشهيد سنة ١٠١٩ في «مجالس المؤمنين» ص ١٠١، والعلاّمة المجلسي المتوفّى سنة ١١١١ في «البحار» ج ٩ ص ٢٤٥، والسيِّد علي خان المتوفّى سنة ١١٢٠ في «الدرجات الرفيعة» - الموجود عندنا - في ذكر غزوة صفّين، وشيخنا صاحب «الحدائق» البحراني

المتوفّى سنة ١١٨٦ في كشكوله ج ٢ ص ١٨. وجمع آخر من متأخّري أعلام الطائفة.

الشاعر

أبو القاسم وقيل: أبو الفضل[١] قيس بن سعد بن عبادة بن دليم[٢] بن حارثة ابن أبي حزيمة [بالحاء المهملة المفتوحة][٣] ابن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأكبر[٤] بن حارثة بن ثعلبة. إلى آخر النسب المذكور ص ٨٢ ، امّه فكيهة بنت عبيد بن دليم بن حارثة.

هو ذلك الصحابيُّ العظيم، كان يعدُّ من أشراف العرب، وأمرائها، ودهاتها وفرسانها، وأجوادها، وخطبائها، وزهّادها، وفضلائها، ومن عمد الدين وأركان المذهب.

أما شرفه

فكان هو سيِّد الخزرج وابن سادتها، وقد حاز بيته الشرف والمجد جاهليَّةً وإسلاماً، قال سليم بن قيس الهلالي في كتابه: إنّ قيس بن سعد، كان سيِّد الأنصار وابن سيِّدها. وفي كامل المبرّد ج ١ ص ٣٠٩: كان شجاعاً جواداً سيِّداً. وقال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ٧٣: لم يزل قيس سيِّداً في الجاهليَّة والإسلام وأبوه وجدُّه وجدُّ جدِّه لم يزل فيهم الشرف، وكان سعد يُجير فيُجار وذلك له لسؤدده، ولم يزل هو وأبوه أصحاب إطعام في الجاهليَّة والإسلام، وقيس ابنه بعده على مثل ذلك. وفي الاستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨: كان قيس شريف قومه غير مدافع هو وأبوه وجدُّه. وفي اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥: كان شريف قومه غير مدافع ومن بيت سيادتهم. وقال ابن كثير في تاريخه ج ٨

---

(١) وقيل: أبو عبدالله. وقيل: أبو عبد الملك.

(٢) في تهذيب التهذيب: دليهم.

(٣) وقيل: حارثة بن خزيم بن أبي خزيمة بالمعجمة المضمومة، تاريخ الخطيب ج ١ ص ١٧٧.

(٤) هنا يتحد المترجم مع حسان في النسب.

ص ٩٩: كان سيِّداً مطاعاً كريماً ممدوحاً شجاعاً. وقال المترجم له في أبيات له:

وإنّي من القوم اليمانين سيِّدٌ وما النّاس إلاّ سيِّدٌ ومسودُ
وبزَّ جميع النّاس أصلي ومنصبي وجسمٌ به أعلو الرجالَ مديدُ

وكان والده أحد النقباء الإثني عشر الذين ضمنوا لرسول الله ﷺ إسلام قومهم والنَّقيب: الضمين: راجع تاريخ ابن عساكر ج ١ ص ٨٦.

وأما إمارته

ففي العهدالنبويِّ كان من النبيِّ صلّى الله عليه وآله، بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير يلي ما يلي من أموره[١] وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، في بعض الغزوات، واستعمله على الصدقة، وكان من ذوي الرأي من الناس[٢] وبعده ولاّه أمير المؤمنين عليه السلام، مصر وكان أميرها الطاهر.

كان قيس من شيعة عليٍّ عليه السلام، ومناصحيه بعثه عليٌّ أميراً على مصر في صفر سنة ٣٦، وقال له: سر إلى مصر فقد ولّيتكها، واخرج إلى ظاهر المدينة، واجمع إليك ثقاتك ومن أحببت أن يصحبك حتى تأتي مصر ومعك جند، فإنَّ ذلك أرعب لعدوِّك وأعزُّ لوليِّك، فإذا أنت قدمتها إن شاء الله فأحسن إلى المحسن، واشدد على المريب، وارفق بالعامّة والخاصّة فإنَّ الرفق يُمنٌ.

فقال قيس: رحمك الله يا أمير المؤمنين، قد فهمتُ ما ذكرتَ، فأمّا الجند فإنّي أدعه لك، فإذا احتجت إليهم كانوا قريباً منك، وإن أردتَ بعثتهم إلى وجه من وجوهك كان لك عدَّة، ولكنّي أسير إلى مصر بنفسي وأهل بيتي، وأمّا ما أوصيتني به من الرفق والإحسان فالله تعالى هو المستعان على ذلك.

---

(١) صحيح الترمذي ج ٢ ص ٣١٧، سنن البيهقي ج ٨ ص ١٥٥، مصابيح البغوي ج ٢ ص ٥١، الاستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، الإصابة ج ٥ ص ٣٥٤، تهذيب التهذيب ج ٦ ص ٣٩٤، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٣٤٥.

(٢) تاريخ ابن عساكر، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٩٩.

فخرج قيس في سبعة نفر من أهله حتّى دخل مصر مستهل ربيع الأوّل، فصعد المنبر فجلس عليه خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، وقال: الحمد لله الّذي جاء بالحق. وأمات الباطل، وكبت الظالمين، أيّها الناس، إنّا بايعنا خير من نعلم بعد نبيّنا محمّد «صلّى الله عليه وآله» فقوموا فبايعوا على كتاب الله وسنّة رسوله، فإن نحن لم نعلم لكم بذلك فلا بيعة لنا عليكم.

فقام الناس فبايعوا واستقامت مصر وأعمالها لقيس وبعث عليها عمّاله إلا أنّ قريةً منها يقال لها: خربتا[1] قد أعظم أهلها قتل عثمان وبها رجل من بني كنانة يقال له: يزيد بن الحارث، فبعث إلى قيس إنّا لا نأتيك فابعث عُمّالك فالأرض أرضك ولكن أقرّنا على حالنا حتى ننظر إلى ما يصير أمر الناس، ووثب محمّد بن مسلمة بن مخلّد بن صامت الأنصاري، فنعى عثمان ودعا إلى الطلب بدمه. فأرسل إليه قيس: ويحك أعليَّ تثب؟ والله ما أُحبُّ أنَّ لي ملك الشام، ومصر، وانّي قتلتك فاحقن دمك. فأرسل إليه مسلمة: إنّي كافٌّ عنك ما دمت أنت والي مصر، وكان قيس له حزمٌ ورأيٌ[2].

خرج أمير المؤمنين عليه السلام، إلى الجمل، وقيس على مصر، ورجع من البصرة إلى الكوفة، وهو بمكانه ووليها أربعة أشهر وخمسة أيّام، دخلها كما مرَّ في مستهلٍّ ربيع الأوّل، وصرف منها لخمسٍ خلون من رجب، كما في الخطط للمقريزي، فما في الإستيعاب وغيره: إنّه شهد الجمل الواقع في جمادى الآخرة سنة ٣٦ في غير محلّه، نعم يظهر من التاريخ شهوده في مقدِّمات الجمل.

وولّاه عليٌّ أمير المؤمنين، آذربيجان كما في تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٧٨ وكتب إليه وهو عليها: أمّا بعد: فأقبل على خراجك بالحقّ، وأحسن

(١) بفتح الخاء وكسرها وكسر الراء المهملة ثم الموحدة الساكنة.

(٢) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٧، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٠٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٣ نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي.

إلى جندك بالإنصاف، وعلّم مَن قبلك ممّا علّمك الله، ثمّ انّ عبدالله بن شبيل الأحمسي، سألني الكتاب إليك فيه بوصايتك به خيراً، فقد رأيته وادعاً متواضعاً، فألن حجابك، وافتح بابك، واعمد إلى الحقّ، فإنّ مَن وافق الحقّ ما يحبو أسره، ولا تتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله، إنّ الذين يُضلّون عن سبيل الله لهم عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم الحساب.

قال غياث: ولَمّا أجمع عليٌّ على القتال لمعاوية كتب أيضاً إلى قيس: أمّا بعد: فاستعمل عبدالله بن شبيل الأحمسي خليفةً لك وأقبل إليّ، فإنّ المسلمين قد أجمع ملأهم وانقادت جماعتهم، فعجِّل الإقبال فأنا سأحضرنّ إلى المحلّين عند غرّة الهلال إن شاء الله، وما تأخّري إلاّ لك، قضى الله لنا ولك بالإحسان في أمرنا كلّه.

وروى الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٩١، وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ١٤ عن الزهري أنّه قال: جعل عليٌّ عليه السلام قيس بن سعد على مقدّمة من أهل العراق إلى قبل آذربيجان وعلى أرضها، وشرطة الخميس التي ابتدعتها العرب وكانوا أربعين ألفاً بايعوا عليّاً عليه السلام على الموت، ولم يزل قيس يُداري ذلك البعث حتى قُتل عليٌّ عليه السلام، واستخلف أهل العراق الحسن بن عليّ عليه السّلام على الخلافة.

حديث دهائه

يجد القارىء شواهد قويّة على ذلك من مواقفه العظيمة في المغازي، ونظراته العميقة في الحروب، وآرائه المتّبعة في مهمّات القضايا، وأفكاره العالية في إمارته، وإعظام الإمام أمير المؤمنين محلّه من الدهاء، وإكباره رأيه في حكومته، فإنّه لَمّا قدم قيس من ولاية مصر على عليٍّ، وأخبره الخبر الجاري بينه وبين رجال مصر، ومعاوية علم أنّه كان يقاسي اموراً عظاماً من المكايدة، فعظم محلّ قيس عنده، وأطاعه في الأمر كلّه (تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٣١).

فعندها تجد سيِّد الخزرج (قيس) في الطبقة العليا من أصحاب الرأي،

ومن مقدِّمي رجالات النُهى والحجا، وتشاهد هناك آيات عقله المطبوع والمكتسب، وتعدُّه أعظم دهاة العرب حين ثارت الفتن، وسعرت نار الحرب، إن لم نقل: أعظم دهاة العالم، ونرى له التقدُّم في الفضيلة على الخمسة[1] الذين عدّوه منهم، وأولاهم بالعقليَّة الناضجة، وتجد دون محلّه الشامخ ما في الإستيعاب ج ٢ ص ٥٣٨ وغيره[2] من: إنَّه أحد الفضلاء الجلّة من دهاة العرب من أهل الرأي والمكيدة في الحرب، مع النجدة والسخاء والشجاعة. قال الحلبي في سيرته: من وقف على ما وقع بينه وبين معاوية لرأى العجب من وفور عقله. وقال ابن كثير في البداية ج ٨ ص ٩٩: ولاّه عليٌّ نيابةَ مصر وكان يُقاوم بدهائه وخديعته وسياسته لمعاوية وعمرو بن العاص.

وكان الإمام السبط الحسن، يوصي أمير عسكره عبيدالله بن العبّاس وهو أمير اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرّاء مصر بمشاورة قيس بن سعد والمراجعة إليه في مهامٍّ الحرب مع معاوية والأخذ برأيه في سياسة الجيش، كما يأتي حديثه.

وكان ثقيلاً جدّاً على معاوية وأصحابه، ولَمّا قدم قيس إلى المدينة من مصر، أخافه مروان والأسود بن أبي البختري، فظهر قيس إلى عليٍّ عليه السلام، فكتب معاوية، إلى مروان، والأسود يتغيّظ عليهما، ويقول: أمددتما عليّاً بقيس بن سعد ورأيه ومكايدته، فوالله لو أنَّكما أمددتماه بمأة ألف مقاتل، ما كان ذلك بأغيظ إليَّ من إخراجكما قيس بن سعد إلى عليّ (تاريخ الطبري ج ٦ ص ٥٣) وعالج معاوية قلوب أصحابه وأمنهم من ناحية قيس، بافتعال كتاب عليه وقراءته على أهل الشام، كما يأتي تفصيله.

وكان قيس يرى نفسه في المكيدة والدهاء فوق الكلّ وأولى الجميع،

---

(١) هم: معاوية. عمرو بن العاص. قيس بن سعد. المغيرة بن شعبة. عبدالله بن بديل: راجع تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٣، اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥.

(٢) اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٥، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٣.

ويقول: لولا أنّي سمعت من رسول الله ﷺ يقول: المكر والخديعة في النار. لكنت مِن أمكر هذه الأُمّة[١] ويقول: لولا الإسلام لمكرت مكراً لا تطيقه العرب[٢].

فشهرته بالدهاء مع تقيّد المعروف بالدين، وكلاءته حمى الشريعة، والتزامه البالغ في إعمال الرأي بما يوافق رضى مولاه سبحانه، وكفّه نفسه عمّا يُخالف ربّه، تُثبت له الأولويّة والتقدُّم والبروز بين دهاة العرب، ولا يعادله من الدهاة الخمسة الشهيرة أحدٌ إلّا عبدالله بن بُديل وذلك لاشتراكهما في المبدء، والتزامهما بالدين الحنيف، والكفّ عن الهوى، والوقوف عند مُضلّات الفتن.

وكلامه لمالك الأشتر (مالك وما مالك؟) ينمّ عن غزارة عقله، وحسن تدبيره، واستقامة رأيه، وقوّة إيمانه، وهو من غُرر الكَلِم، ودُرر الحِكَم، رواه شيخ الطائفة في أماليه ص ٨٦ في حديث طويل فقال: قال الأشتر لعليٍّ عليه السّلام: دعني يا أمير المؤمنين، أُوقع بهؤلاء الذين يتخلّفون عنك. فقال له: كفّ عنّي. فانصرف الأشتر وهو مغضبٌ، ثمّ إنّ قيس بن سعد لقي مالكاً في نفر من المهاجرين والأنصار فقال: يا مالك؟ كلّما ضاق صدرك بشيء أخرجته، وكلّما استبطأت أمراً استعجلته، إنّ أدب الصبر: التسليم، وأدب العجلة: الأناة، وإنّ شرّ القول: ما ضاهى العيب، وشرّ الرأي: ما ضاهى التهمة، فإذا ابتُليت فاسأل، وإذا أُمرت فأطع، ولا تسأل قبل البلاء، ولا تكلّف قبل أن ينزل الأمر، فإنّ في أنفسنا ما في نفسك، فلا تشقّ على صاحبك.

ولَمّا بويع أمير المؤمنين بلغه: أنّ معاوية قد وقف من إظهار البيعة له وقال: إن أقرّني على الشام وأعمالي التي ولّانيها عثمان بايعته. فجاء المغيرة إلى أمير المؤمنين فقال له: يا أمير المؤمنين إنّ معاوية مَن قد عرفت وقد ولّاه الشام مَن كان قبلك فولّه أنت كيما تتّسق عُرى الأمور ثمّ اعزله إن بدا لك فقال

---

(١) اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ١٠١.
(٢) الدرجات الرفيعة، الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩.

أمير المؤمنين: أتضمن لي عمري يا مغيرة فيما بين توليته إلى خلعه؟ قال: لا. قال: لا يسألني الله عزَّ وجلَّ عن توليته على رجلين من المسلمين ليلة سوداء أبداً، وما كنت متّخذ المضلّين عضداً، لكن أبعث إليه وأدعوه إلى ما في يدي من الحقّ، فإن أجاب فرجلٌ من المسلمين، له ما لهم، وعليه ما عليهم، وإن أبى حاكمته إلى الله، فولّى المغيرة وهو يقول: فحاكمه إذاً، فحاكمه إذاً، فأنشأ يقول:

نصحتُ عليّاً في ابن حرب نصيحةً ... فردّ فما منّي لـه الدّهـر ثانيـهْ
ولم يقبل النصح الذي جئته به ... وكانت له تلك النصيحة كافيهْ
وقالوا له: ما أخلص النصح كلّه ... فقلت له: إنَّ النصيحة غـاليهْ

فقام قيس بن سعد، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ المغيرة أشار عليك بأمر لم يُرد الله به، فقدَّم فيه رجلاً وأخّر فيه اخرى، فإن كان لك الغلبة يقرّب إليك بالنصيحة، وإن كانت لمعاوية يقرّب إليه بالمشورة. ثمّ أنشأ يقول:

يكاد ومَن أرسى بُثيراً مكانه(١) ... مغيرةُ أن يقوى عليك معاويـهْ
وكنت بحمـدالله فينـا مـوفَّقـاً ... وتلك التي أرءاكها غير كـافيهْ
فسبحان من علاّ السماء مكانها ... وأرضاً دحاها فاستقرّت كما هيه

فكان هو صاحب الرأي الوحيد بعين الإمام الطاهر تجاه تلك الآراء التعسة الفارغة عن النزعات الروحيّة في كلّ منحسة ومَتعسة بين حاذف وقاذف(٢).

فروسيته

إنَّ الباحث لا يقف على أيّ معجم يُذكر فيه قيس، إلاّ ويجد في طيّه جمل الثناء متواصلةً على حماسته وشجاعته، ويقرأ له دروساً وافية حول فروسيّته، وبأسه في

---

(١) الواو: للقسم. بثير مصغراً: جبل معروف بمنى.

(٢) مثل يضرب لمن هو بين شرين: الحاذف بالعصا، القاذف بالحصا.

الحروب وشدَّته في المواقف الهائلة، فما عساني أن أكتب عن فارس سجَّل له التاريخ: إنّه كان سيّاف النبيِّ الأعظم، وأشدّ الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين[١]؟ وما عساني أن أقول في باسل كان أثقل خلق الله على معاوية؟ جبَّن أصحابه الشجاع والجبان، وكان أشدَّ عليه من جيش عرام، وكتائب تُحشد مائة ألف مقاتل، وكان يوم صفِّين يقول والله إنّ قيساً يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس القيل[٢].

تُعرب عن هذه الناحية مواقفه في العهدين: النبويِّ والعلويِّ. أمّا مواقفه على العهد النبويِّ فتجد نبأها العظيم في صحائف بدر وفتح وحنين وأُحد وخيبر ونضير وأحزاب، وهو يعدُّ مواقفه هذه كلّها في شعره ويقول:

إنّنا إنّنا الّذين إذا الفتح   شهدنا وخيبراً، وحُنينا
بعد بدر وتلك قاصمة الظهر   وأُحد، وبالنضير، ثنينا

وقال سيِّدنا صاحب «الدرجات الرفيعة»: إنّه شهد مع النبيِّ المشاهد كلّها، وكان حامل راية الأنصار مع رسول الله، أخذ النبيّ ﷺ يوم الفتح الراية من أبيه ـ سعد ـ ودفعها إليه. وقال الخطيب في تاريخه ج ١ ص ١٧٧: إنّه حمل لواء رسول الله في بعض مغازيه. وفي تاريخي الطبري وابن الأثير ج ٣ ص ١٠٦: إنّه كان صاحب راية الأنصار مع رسول الله ﷺ وكان من ذوي الرأي والبأس. وفي الاستيعاب[٣]: إنّه كان حامل راية النبيّ في فتح مكّة إذ نزعها من أبيه، وأرسل عليّاً رضي الله عنه أن ينزع اللواء منه ويدفعه لابنه قيس ففعل.

وأمّا مواقفه على العهد العلويِّ فكان يحضُّ أمير المؤمنين، على قتال معاوية ويحثّه على محاربة مناوئيه ويقول: يا أمير المؤمنين، ما على الأرض أحدٌ أحبُّ إلينا أن يُقيم فينا منك. لأنّك نجمنا الّذي نهتدي به، ومفزعنا الّذي نصير

---

(١) إرشاد القلوب للديلمي ج ٢ ص ٢٠١.
(٢) يأتي ذكر مصادر هذه كلها إن شاء الله تعالى.
(٣) ج ٢ ص ٥٣٧، والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٩٣، وهامشها سيرة زيني دحلان ج ٢ ص ٢٦٥.

إليه، وإن فقدناك لتظلمنَّ أرضنا وسماؤنا، ولكن والله لو خلّيت معاوية للمكر ليرومنَّ مصر، وليفسدنَّ اليمن، وليطمعنَّ في العراق، ومعه قومٌ يمانيّون قد أُشربوا قتل عثمان، وقد اكتفوا بالظنِّ عن العلم، وبالشكِّ عن اليقين، وبالهوى عن الخير، فسر بأهل الحجاز وأهل العراق ثمّ ارمه بأمرٍ يضيق فيه خناقه، ويقصر له من نفسه. فقال: أحسنت والله يا قيس وأجملت[1].

فأرسله عليٌّ عليه السلام، مع ولده الحسن الزكيِّ، وعمّار بن ياسر إلى الكوفة، ودعوا أهلها إلى نصرته فخطب الحسن عليه السلام، هناك وعمّار وبعدهما قام قيس فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس، إنّ هذا الأمر لو استقبلنا به الشورى، لكان عليٌّ أحقَّ الناس به في سابقته وهجرته وعلمه، وكان قتل مَن أبى ذلك حلالاً وكيف؟ والحجَّة قامت على طلحة، والزبير وقد بايعاه وخلعاه حسداً. فقام خطباؤهم وأسرعوا إلى الردِّ بالإجابة فقال النجاشي:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا ... عليّاً وأبناء النبيِّ محمّدِ
وقلنا له: أهلاً وسهلاً ومرحباً ... نُقبّل يديه من هوى وتودّدِ
فمرنا بما ترضى نجبك إلى الرضى ... بصمِّ العوالي والصفيح المهنّدِ[2]
وتسويد مَن سوَّدت غير مدافع ... وإن كان من سوَّدت غير مسوَّدِ
فإن نلتَ ما تهوى فذاك نريده ... وإن تخط ما تهوى فغير تعمدِ

وقال قيس بن سعد حين أجاب أهل الكوفة:

جزى الله أهلِ الكوفة اليوم نصرة ... أجابوا ولم يأبوا بخذلان مَن خذلْ
وقالوا: عليٌّ خير حافٍ وناعلٍ ... رضينا به من ناقضي العهد مِن بدلْ
همـا أبرزا زوج النبيِّ تعمّداً ... يسوق بها الحادي المنيخ على جملْ

---

(١) امالي شيخ الطائفة، ص ٨٥.
(٢) صم الرجل بحجر: ضربه به. السيف المصمم: الماضي. العوالي ج العالية: ما يلي السنان من القناة. ويطلق على الرمح. الصفيح ج الصفيحة. السيف العريض. هند السيف: أحد.

فما هكذا كـانت وصاة نبيِّكم وما هكذا الإنصاف أعظم بذا المثلْ
فهل بعد هذا من مقال لقائل؟ ألا قبَّـح الله الأمـانيَّ والعللْ

هذا لفظ شيخ الطائفة في أمالي ولده ص ٨٧ و٩٤، ورواه شيخنا المفيد في(النصرة لسيِّد العترة) ونسب الأبيات الـداليَّة إلى قيس بن سعـد، بتغيير وزيـادة وهذا لفـظه: فلمّا قـدم الحسن عليه السـلام، وعمّار، وقيس الكـوفة مستنفرين لأهلها (إلى أن قال): ثمَّ قام قيس بن سعـد رحمه الله فقـال: أيّها الناس إنَّ هذا الأمر لو استقبلناه فيه شورى لكان أمير المؤمنين أحقَّ الناس به لمكانه من رسول الله، وكان قتال من أبى ذلك حلالاً، فكيف في الحجة على طلحة والزبير؟ وقد بايعاه طوعاً ثمّ خلعاه حسداً وبغياً، وقد جـاءكم عليٌّ في المهاجرين والأنصار، ثمَّ أنشأ يقول:

رضينا بقسم الله إذ كان قسمنا عليّـاً وأبناء الـرسـول محمَّـدِ
وقلنا لهم: أهلاً وسهلاً ومرحباً نمـدُّ يدينـا من هـوى وتـودُّدِ
فما للزبير الناقض العهد حرمةٌ ولا لأخيه طلحة اليـوم من يدِ
أتاكم سليل المصطفى ووصيّه وأنتم بحمد الله عار من الهَدِّ[1]
فمن قائم يُرجى بخيل إلى الوغا وصمّ العوالي والصفيح المهنَّدِ
يسـوِّد مَن أدنـاه غيـر مـدافـع وإن كان ما نقضيه غير مسوَّدِ
فإن يأتي ما نهوى فذاك نُريده وإن نخط ما نهوى فغير تعمّدِ

وكان يسير في تلك المواقف بكلِّ عـظمة وجـلال بهيئة فخمـة، تُرهب القلوب، وتُرعب الفوارس، وتُرعد الفـرائص، قال المنـذر بن الجارود يصف مواكب المجاهدين مع أمير المؤمنين وقد رآهم في الزاوية[2]: ثمَّ مرَّ بنا فارسٌ على فرس أشقر عليه ثياب بيض، وقلنسوة بيضاء، وعمـامة صفـراء، متنكِّبٌ قوساً، متقلّدٌ سيفاً تخطّ رِجلاه في الأرض، في ألف من الناس، الغالب على

---

(١) الهد: الضعيف والجبان.

(٢) موضع قرب البصرة، وقرية بين واسط والبصرة على شاطىء دجلة.

تيجانهم الصفرة والبياض، معه راية صفراء، قلت: مَن هذا؟ قيل: هذا قيس بن سعد بن عبادة في الأنصار وأبناءهم وغيرهم من قحطان. «مروج الذهب ج ٢ ص ٨».

ولَمّا أراد أمير المؤمنين، المسير إلى أهل الشام دعا إليه مَن كان معه مِن المهاجرين والأنصار، فحمد الله وأثنى عليه وقال: أمّا بعد: فإنّكم ميامين الرأي، مراجيح الحلم، مقاويل بالحقّ؛ مباركو الفعل والأمر، وقد أردنا المسير إلى عدوّنا وعدوّكم فأشيروا علينا برأيكم.

فقام قيس بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا أمير المؤمنين، إنكمش[1] بنا إلى عدوّنا، ولا تعرّج[2] فوالله لجهادهم أحبُّ إليّ من جهاد الترك والروم لادّهانهم في دين الله، واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله من المهاجرين والأنصار، والتابعين بالإحسان، إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيّروه، وفيأنا لهم في أنفسهم حلالٌ، ونحن لهم فيما يزعمون قطينٌ. قال: يعني رقيق «كتاب صفّين ص ٥٠».

قال صعصعة بن صوحان: لَمّا عقد عليّ بن أبي طالب الألوية لأجل حرب صفّين أخرج لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله ولم يُرَ ذلك اللواء منذُ قبض رسول الله، فعقده عليٌّ ودعا قيس بن سعد بن عبادة فدفع إليه واجتمعت الأنصار وأهل بدر، فلمّا نظروا إلى لواء رسول الله صلّى الله عليه وآله بكوا فأنشأ قيس بن سعد يقول:

هذا اللواء الذي كنّا نحفُّ به ... مع النبيِّ وجبريلٌ لنا مددُ
ما ضرَّ مَن كانت الأنصار عيبته ... أن لا يكون له من غيرهم أحدُ
قومٌ إذا حاربوا طالت أكفّهم ... بالمشرفيّة حتّى يُفتح البلدُ

---

(١) انكمش الرجل: أسرع.
(٢) من عرج: وقف ولبث.

ابن عساكر في تاريخه ج ٣ ص ٢٤٥، وابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ج ٢ ص ٥٣٩، وابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٤ ص ٢١٦، والخوارزمي في «المناقب» ص ١٢٢ [١].

ولّما تعاظمت الأمور على معاوية دعاعمرو بن العاص، وبُسر بن أرطأة، وعبيدالله بن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، فقال لهم: إنّه قد غمّني رجال من أصحاب عليٍّ منهم: سعيد بن قيس في همدان، والأشتر في قومه، والمرقال (هاشم بن عتبة)، وعديّ بن حاتم، وقيس بن سعد في الأنصار، وقد وقتكم يمانيّكم بأنفسها حتّى لقد استحييت لكم وأنتم عُدُدتم من قريش، وقد أردت أن يعلم الناس أنّكم أهل غنا، وقد عبّأت لكلّ رجل منهم رجلاً منكم فاجعلوا ذلك إليّ. فقالوا: ذلك إليك. قال: فأنا أكفيكم سعيد بن قيس وقومه غداً. وأنت يا عمرو لأعور بني زهرة: المرقال. وأنت يا بُسر لقيس بن سعد. وأنت يا عبيدالله للأشتر النخعي. وأنت يا عبد الرحمن بن خالد لأعور طيّ يعني: عديّ بن حاتم. ثمّ ليرد كلّ رجل منكم عن حماة الخيل فجعلها نوائب في خمسة أيّام لكلّ رجل منهم يوماً.

وإنّ بُسر بن أرطأة، غدا في اليوم الثالث في حماة الخيل فلقي قيس بن سعد في كماة الأنصار فاشتدّت الحرب بينهما وبرز قيس كأنّه فنيق[٢] مقرم[٣] وهو يقول:

أنـا ابن سعـد زانـه عُبـاده	والخـزرجيّـون رجـالٌ سـاده
ليس فـراري بـالـوغـا بعـاده	إنّ الـفـرار لـلفـتـى قـلاده
يـا ربّ أنت لقّني الشهاده[٤]	والقتـل خيـرٌ من عنـاق غـاده

حتّى متى تُثنى لي الوساده

(١) ذكر الأبيات له شيخنا المفيد في يوم الجمل وهو في غير محله.

(٢) فنيق كشريف: الفحل المكرم لا يؤذى ولا يركب لكرامته.

(٣) أقرم الفحل: ترك عن الركوب والعمل للفحلة.

(٤) في مناقب ابن شهر آشوب: يا ذا الجلال لقني الشهادة.

فطعن خيل بُسر وبرز له بعد مليّ وهو يقول:

أنا ابن أرطاة عظيم القدر   مراود في غالب بن فهرِ
ليس الفرار من طباع بُسر   إن يرجع اليوم بغير وترِ
وقد قضيت في عدوّي نذري   يا ليت شعري ما بقي من عمري

وجعل يطعن بُسر قيساً فيضربه قيس فيردّه على عقبيه، ورجع القوم جميعاً ولقيس الفضل (كتاب صفّين ص ٢٢٦).

وروى نصر في كتابه ص ٢٢٧ ـ ٢٤٠: إنّ معاوية دعا النعمان بن بشر بن سعد الأنصاري، ومسلمة بن مخلّد الأنصاري ولم يكن معه من الأنصار غيرهما فقال: يا هذان؟ لقد غمّني ما لقيت من الأوس والخزرج، صاروا واضعي سيوفهم على عواتقهم يدعون إلى النزال حتّى والله جبّنوا أصحابي الشجاع والجبان، وحتّى والله ما أسأل عن فارس من أهل الشام إلّا قالوا: قتلته الأنصار، أما والله لألقينّهم بحدّي وحديدي، وَلأعبينّ لكل فارس منهم فارساً ينشب[1] في حلقه، ثمّ لأرمينهم بأعدادهم من قريش رجالاً لم يغذهم التمر والطُفيشل[2] يقولون: نحن الأنصار قد والله آووا ونصروا، ولكن أفسدوا حقّهم بباطلهم.

فغضب النعمان فقال: يا معاوية، لا تلومنّ الأنصار بسرعتهم في الحرب، فإنّهم كذلك كانوا في الجاهليّة، فأمّا دعاؤهم إلى النزال فقد رأيتهم مع رسول الله صلّى الله عليه وآله، وأمّا لقاؤك إيّاهم في أعدادهم من قريش فقد علمت ما لقيت قريش منهم فإن أحببت أن ترى فيهم مثل ذلك آنفاً، فافعل، وأمّا التمر والطُفيشل فإنّ التمر كان لنا فلمّا أن ذقتموه شاركتمونا فيه، وأمّا الطُفيشل فكان لليهود فلمّا أكلناه غلبناهم عليه كما غلبت قريشٌ على سَخينة[3] ثمّ تكلّم مسلمة بن مخلد (إلى أن قال):

---

(١) نشب الشيء في الشيء: علق فيه.

(٢) كسميدع: نوع من المرق.

(٣) طعام يتخذ من دقيق وسمن كانت قريش تكثر من أكلها فعيرت بها وسميت: قريش السخينة.

وانتهى الكلام إلى الأنصار فجمع قيس بن سعد الأنصاري الأنصار ثمّ قام خطيباً فيهم فقال: إنّ معاوية قد قال ما بلغكم وأجاب عنكم صاحبكم، فلعمري لئن غظتم معاوية اليوم لقد غظتموه بالأمس، وإن وترتموه في الإسلام لقد وترتموه في الشرك، وما لكم إليه من ذنب أعظم من نصر هذا الدين الذي أنتم عليه، فجدّوا اليوم جدّاً تنسونه به ما كان أمس، وجدّوا غداً جدّاً تنسونه به ما كان اليوم، وأنتم مع هذا اللواء الذي كان يُقاتل عن يمينه جبرئيل وعن يساره ميكائيل، والقوم مع لواء أبي جهل والأحزاب، وأمّا التمر فإنا لم نغرسه ولكن غلبنا عليه من غرسه، وأمّا الطُفيشل فلو كان طعامنا لَسُمّينا به كما سُمّيت: قريش السخينة. ثمّ قال قيس بن سعد في ذلك:

يابن هند: دع التوثّب في الحرب	إذا نحن في البلاد نأينا[1]
نحن مَن قد رأيت فادنُ إذا	شئتَ بمن شئتَ في العجاج إلينا
إن برزنا بالجمع نلقك في الجمع	وإن شئتَ محضةً أُسرينا
فالقنا في اللفيف نلقك في الخزرج	تدعو في حربنا أبوينا
أيَّ هذين ما أردتَ فخذه،	ليس منّا وليس منك الهُوينا
ثمَّ لا يُنزع العجاجة حتّى	تنجلي حربنا لنا أو علينا
ليت ما تطلب العداة أتانا	أنعم الله بالشهادة عينا
إننا إنّنا الّذين إذا الفتح	شهدنا وخيبراً وحنينا
بعد بدرٍ وتلك قاصمة الظهر	وأُحد وبالنضير ثنينا
يوم الأحزاب قد علم النّاس	شفينا من قبلكم واشتفينا

فلمّا بلغ معاوية شعره، دعا عمرو بن العاص فقال: ما ترى في شتم الأنصار؟ قال: أرى أن توعد ولا تشتم، ما عسى أن تقول لهم؟ إذا أردت ذمَّهم ذمَّ أبدانهم ولا تذمَّ أحسابهم قال معاوية: إنَّ خطيب الأنصار قيس بن سعد يقوم كلَّ يوم خطيباً وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس القيل، فما الرأي؟ قال: الرأي: التوكّل والصبر.

---

(١) ذكر ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ٢٩٧ ستة من هذه الأبيات مع اختلاف فيها.

فأرسل معاوية إلى رجال من الأنصار فعاتبهم، منهم: عقبة بن عمرو، وأبو مسعود والبراء بن عازب، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وخزيمة بن ثابت، وزيد بن أرقم، وعمرو بن عمرو، والحجّاج بن غُزيّة. وكانوا هؤلاء يُلقون في تلك الحرب فبعث معاوية بقوله: لتأتوا قيس بن سعد. فمشوا بأجمعهم إلى قيس فقالوا: إنّ معاوية لا يريد شتمنا فكفّ عن شتمه فقال: إنّ مثلي لا يشتم ولكنّي لا أكفّ عن حربه حتّى ألقى الله. وتحرّكت الخيل غدوة فظنّ قيس بن سعد أنّ فيها معاوية فحمل على رجل يشبهه فقنّعه بالسيف فإذا غير معاوية، وحمل الثانية على رجل يشبهه أيضاً فضربه ثم انصرف وهو يقول:

قولوا لهذا الشاتمي معاويه ... إن كلّما أوعدت ريحٌ هاويه
خوّفتنا لكلب قوم عاويه ... إليّ بابن الخاطئين الماضيه
ترقل إرقال العجوز الخاويه[1] ... في أثر الساري ليال الشاتيه

فقال معاوية: يا أهل الشام، إذا لقيتم هذا الرجل فأخبروه بمساويه (فلمّا تحاجز الفريقان شتمه معاوية شتماً قبيحاً وشتم الأنصار)[2] فغضب النعمان ومسلمة على معاوية، فأرضاهما بعدما همّا أن ينصرفا إلى قومهما.

ثمّ إنّ معاوية، سأل النعمان أن يخرج إلى قيس فيعاتبه ويسأله السّلم، فخرج النعمان حتى وقف بين الصفّين فقال يا قيس، أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يا ابن بشير؟ فما حاجتك؟ فقال النعمان: يا قيس، إنّه قد أنصفكم من دعاكم إلى ما رضي لنفسه، ألستم معشر الأنصار تعلمون أنّكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار؟ وقتلتم أنصاره يوم الجمل؟ وأقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفّين؟ فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً لكان واحدة بواحدة، ولكنّكم خذلتم حقّاً ونصرتم باطلاً، ثمّ لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتّى أعلمتم

---

(١) أرقل: أسرع. الخاوية: الساقطة.

(٢) هذه الجملة من لفظ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

في الحرب، ودعوتم إلى البراز، ثمّ لم ينزل بعليٍّ أمرٌ[١] قط إلّا هوّنتم عليه المصيبة، ووعدتموه الظفر، وقد أخذت الحرب منّا وعنكم ما قد رأيتم فاتّقوا الله في البقيّة.

فضحك قيس ثمّ قال: ما كنت أراك يا نعمان تجتري على هذه المقالة، انّه لا ينصح أخاه مَن غشّ نفسه، وأنت والله الغاشّ الضالّ المضلّ. أمّا ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذ منّي واحدة: قتل عثمان من لستَ خيراً منه، وخذله من هو خيرٌ منك، أمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. وأمّا معاوية فوالله لو اجتمعت عليه العرب لقاتلته الأنصار. وأمّا قولك: إنّا لسنا كالناس فنحن في هذا الحرب كما كنّا مع رسول الله نتّقي السيوف بوجوهنا، والرماح بنحورنا، حتى جاء الحقّ وظهر أمر الله وهم كارهون، ولكن انظر يا نعمان، هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أو أعرابياً أو يمانيّاً مستدرجاً بغرور؟ انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون لهم بإحسان الذين رضي الله عنهم، ثمّ انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك؟ ولستما والله ببدريّين ولا أُحديّين ولا لكما سابقةٌ في الإسلام، ولا آيةٌ في القرآن[٢] ولعمري لئن شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك. ثمّ قال قيس في ذلك:

والرّاقصات بكلّ أشعث أغبر ... خوص العيون تحثّها الركبانُ
ما ابن المخلّد ناسياً أسيافنا ... عمّن نحاربه ولا النعمانُ
تركا العيان وفي العيان كفايةٌ ... لو كان ينفع صاحبيه عيانُ

ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام، دعا قيس بن سعد فأثنى عليه خيراً وسوّده على الأنصار[٣] وخرج قيس في نهروان إلى الخوارج فقال لهم: عباد الله، أخرجوا إلينا طلبتنا منكم وادخلوا في هذا الأمر الذي خرجتم منه، وعودوا بنا إلى قتال عدوّنا وعدوّكم فإنّكم ركبتم عظيماً من الأمر، تشهدون علينا بالشرك، والشرك

---

(١) في شرح النهج: خطب.
(٢) وإلى هنا رواه ابن قتيبة أيضاً في الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٤.
(٣) إلى هنا تنتهي رواية نصر بن مزاحم في كتاب صفين.

ظلمٌ عظيم، تسفكون دماء المسلمين، وتعدّونهم مشركين. فقال له عبدالله بن شجرة السلمي: إنَّ الحقَّ قد أضاء لنا فلسنا متابعيكم أو تأتونا بمثل عمر. فقال قيس: ما نعلمه فينا غير صاحبنا فهل تعلمونه فيكم، قالوا: لا. قال: نشدتكم الله في أنفسكم أن تهلكوها فإنّي لا أرى الفتنة إلاّ وقد غلبت عليكم[1].

أمّا موقفه بعد العهدين فكان مع الإمام السبط المجتبى سلام الله عليه ولمّا وجّه عسكره إلى قتال أهل الشام دعا عليه السلام عبيدالله بن العبّاس بن عبد المطلب فقال له: يا بن عمّ؟ إنّي باعثٌ إليك إثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرّاء مضر، الرجل منهم يريد الكتيبة، فسر بهم، وألن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم في مجلسك، فإنهم بقيّة ثقات أمير المؤمنين، وسر بهم على شطّ الفرات حتّى تقطع بهم الفرات حتّى تسير بمسكن[2]. ثم امض حتّى تستقبل بهم معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتّى آتيك فإنّي على أثرك وشيكاً، وليكن خبرك عندي كلّ يوم، وشاور هذين يعني: قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، وإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتّى يقاتلك فإن فعل فقاتله، وإن أُصبت فقيس بن سعد، وإن أُصيب قيس بن سعد فسعيد بن قيس على الناس. فسار عبيدالله....

فأمّا معاوية فإنّه وافى حتّى نزل قرية يقال لها: الحيوضة (بمسكن) وأقبل عبيدالله بن عبّاس، حتى نزل بإزائه فلمّا كان من غدٍ وجّه معاوية بخيل إلى عبيدالله فيمن معه فضربهم حتى ردّهم إلى معسكرهم، فلمّا كان الليل أرسل معاوية إلى عبيدالله بن عبّاس أنّ الحسن قد أرسلني في الصلح، وهو مسلّمٌ الأمر إليّ فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلاّ دخلت وأنت تابع، ولك إن أجبتني الآن أن أُعطيك ألف ألف درهم، أُعجّل لك في هذا الوقت نصفها، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر، فأقبل عبيدالله إليه ليلاً فدخل عسكر معاوية،

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٧، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٣٧.

(٢) بفتح الميم ثم السكون ثم الكسر: موضع قريب من أوانا ناحية دجيل بينه وبين بغداد عدة فراسخ من جهة تكريت.

فوفى له بما وعده، وأصبح الناس ينتظرون عبيدالله أن يخرج حتّى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه، فصلّى بهم قيس بن سعد بن عبادة ثمّ خطبهم فثبّتهم وذكر عبيدالله فنال منه، ثمّ أمرهم بالصبر والنهوض إلى العدوّ فأجابوه بالطاعة وقالوا له: انهض بنا إلى عدوّنا على اسم الله فنزل فنهض بهم وخرج إليه بسر بن أرطاة فصاح إلى أهل العراق: ويحكم هذا أميركم عندنا قد بايع، وإمامكم الحسن قد صالح، فعلام تقتلون أنفسكم؟ فقال لهم قيس بن سعد: اختاروا إحدى اثنتين: إمّا القتال مع غير إمام، وإمّا أن تبايعوا بيعة ضلال. فقالوا: بل نقاتل بلا إمام فخرجوا فضربوا أهل الشام حتّى ردّوهم إلى مصافهم، فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويُمنّيه فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلا بيني وبينك الرمح. (شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٤).

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩١: إنّه وجّه الحسن عليه السلام بعبيدالله بن العبّاس في إثني عشر ألفاً لقتال معاوية، ومعه قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، وأمر عبيدالله، أن يعمل بأمر قيس ورأيه فسار إلى ناحية الجزيرة وأقبل معاوية لَمّا انتهى إليه الخبر بقتل عليّ فسار إلى الموصل بعد قتل عليّ بثمانية عشر يوماً، والتقى العسكران فوجّه معاوية إلى قيس بن سعد: يبذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه، فأرسل إليه بالمال وقال: تخدعني عن ديني؟

فيقال: إنّه أرسل إلى عبيدالله بن عبّاس، وجعل له ألف ألف درهم فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه، وأقام قيس على محاربته، وكان معاوية يدسّ إلى عسكر الحسن مَن يتحدّث: أنّ قيس بن سعد قد صالح معاوية وصار معه، ووجّه إلى عسكر قيس مَن يتحدّث: أنّ الحسن قد صالح معاوية وأجابه.

وفي الاستيعاب ج ٢ ص ٢٢٥ عن عروة قال: كان قيس مع الحسن بن عليّ على مقدّمته ومعه خمسة آلاف قد حلقوا رؤوسهم بعدما مات عليٌّ وتبايعوا على الموت، فلمّا دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل وقال لأصحابه: ما شئتم؟ إن شئتم جادلت بكم حتى يموت الأعجل منّا، وإن شئتم

أخذت لكم أماناً؟؟!! فقالوا: خُذ لنا أماناً، فأخذ لهم انَّ لهم كذا وكذا، وأن لا يعاقَبوا بشيء وأنَّه رجلٌ منهم، ولم يأخذ لنفسه خاصَّة شيئاً. (ثمَّ ارتحل نحو المدينة ومضى بأصحابه).

حديث جوده

لا يسعنا بسط المقال في أخبار (قيس) من هذه الناحية لكثرتها، غير أنّا نورد لك شيئاً من ذلك الكثير الطيّب، وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق[1] وكانت هذه الخلّة من هذا البيت على عنق الدهر «أي قديماً» وكان رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول: الجود من شيمة أهل ذلك البيت[2].

باع قيس مالاً من معاوية بتسعين ألفاً فأمر منادياً فنادى في المدينة: من أراد القرض فليأت منزل سعد فأقرض أربعين أو خمسين وأجاز الباقي، وكتب على مَن أقرَّ له صكّاً فمرض مرضاً قلَّ عوّاده فقال لزوجته قُريبة بنت أبي قحافة اخت أبي بكر: يا قريبة! لِمَ ترين قلّ عُوَّادي؟ قالت للّذي لك عليهم من الدين. فأرسل إلى كلّ رجل بصكه المكتوب عليه فوهبه ما له عليهم[3].

قال جابر: خرجنا في بعث كان عليهم قيس بن سعد ونحر لهم تسع ركائب فلمّا قدموا على رسول الله ﷺ ذكروا له من أمر قيس فقال: إنّ الجود من شيمة أهل ذلك البيت، ولمّا ارتحل من العراق نحو المدينة ومضى بأصحابه جعل ينحر لهم كلَّ يوم جزوراً حتى بلغ[4].

روى عبدالله بن المبارك، عن جويرة قال: كتب معاوية إلى مروان: أن اشتر دار كُثير بن الصلت منه فأبى عليه فكتب معاوية إلى مروان: أن خذه بالمال الذي عليه، فإن جاء به وإلاّ بع عليه داره، فأرسل إليه مروان فأخبره قال: إني

---

(١) مثل يضرب: أي حسبك بالقليل من الكثير.
(٢) الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.
(٣) تاريخ الخطيب البغدادي ج ١ ص ١٧٧، تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٦٩.
(٤) الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٥، تهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٤.

أؤجلك ثلاثاً فإن جئت بالمال وإلاّ بعت عليك دارك. قال: فجمعها إلاّ ثلاثين ألفاً فقال: مَن لي بها؟ ثمّ ذكر قيس بن سعد فأتاه فطلبها منه فأقرضه فجاء بها إلى مروان فلمّا رآه قد جاء بها ردّها إليه وردّ عليه داره، فردّ كُثير الثلاثين ألفاً على قيس فأبى أن يقبلها(١).

روى المبرّد في كامله ج ١ ص ٣٠٩: أنّ عجوزاً شكت إلى قيس أن ليس في بيتها جرذ فقال: ما أحسن ما سألت، أما والله لأكثرنّ جرذان بيتك. فملأ بيتها طعاماً وودكاً وإداماً، وقال ابن عبد البرّ: هذه القصّة مشهورةٌ صحيحةٌ.

في كامل المبرّد ج ١ ص ٣٠٩: إنّه توفّي أبوه عن حمل لم يعلم به، فلمّا وُلد وقد كان سعد رضي الله عنه قسّم ماله في حين خروجه من المدينة بين أولاده، فكلّم أبو بكر وعمر في ذلك قيساً وسألاه أن ينقض ما صنع سعد من تلك القسمة فقال: نصيبي للمولود ولا أُغيّر ما صنع أبي ولا أنقضه. وذكره ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ج ٢ ص ٥٢٥ وقال: صحيحٌ من رواية الثقات.

ومن مشهور أخبار قيس: أنّه كان له مالٌ كثيرٌ ديوناً على الناس فمرض واستبطأ عوّاده فقيل له: إنّهم يستحيون من أجل دَينك، فقال: أخزى الله مالاً يمنع الإخوان من العيادة. فأمر منادياً ينادي: من كان لقيس عليه مالٌ فهو في حلٍّ. فأتاه الناس حتى هدموا درجةً كانوا يصعدون عليها إليه، وفي لفظ: فما أمسى حتى كسرت عتبة بابه من كثرة العوّاد(٢).

كان قيس في سريّة فيها أبو بكر وعمر فكان يستدين ويطعم الناس، فقال أبو بكر وعمر: إن تركنا هذا الفتى أهلك مال أبيه فمشيا في الناس فلمّا سمع سعد قام خلف النبيّ فقال: مَن يعذرني من ابن ابي قحافة، وابن الخطاب يبخّلان عليّ ابني. «اسد الغابة» ج ٤ ص ٤١٥.

وفي لفظ: كان قيس مع أبي بكر، وعمر في سفر في حياة رسول الله ﷺ

---

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٥، الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري، الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٦، البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠.

فكان يُنفق عليهما وعلى غيرهما، ويفضل فقال له أبو بكر: إنّ هذا لا يقوم به مال أبيك فأمسك يدك. فلمّا قدموا من سفرهم قال سعد بن عبادة لأبي بكر: أردت أن تبخِّل ابني، إنّا لَقومٌ لا نستطيع البخل[١].

حكى ابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ٩٩: إنّه كانت لقيس صحفة يُدار بها حيث داروا كان ينادي له مناد: هلمّوا اللحم، والثريد. وكان أبوه، وجدّه، من قبله يفعلان كفعله.

قال الهيثم بن عدي: اختلف ثلاثة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم فقال أحدهم: عبدالله بن جعفر. وقال الآخر: قيس بن سعد. وقال الآخر: عُرابة الأوسي. فتماروا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهم عند الكعبة، فقال لهم رجل: فليذهب كلُّ رجل منكم إلى صاحبه الذي يزعم أنّه أكرم من غيره، فلينظر ما يعطيه وليحكم على العيان. فذهب صاحب عبدالله بن جعفر إليه فوجده قد وضع رجله في الغرز[٢] ليذهب إلى ضيعة له، فقال له: يا ابن عمّ رسول الله! ابن سبيل ومنقطعٌ به. قال: فأخرج رجله من الغرز وقال: ضع رجلك واستوِ عليها، فهي لك بما عليها، وخذ ما في الحقيبة[٣] ولا تخدعنّ في السيف فإنّه من سيوف عليّ، فرجع إلى أصحابه بناقة عظيمة وإذا في الحقيبة أربعة آلاف دينار، ومطارف من خزّ وغير ذلك، وأجلُّ ذلك سيف عليّ بن أبي طالب. ومضى صاحب قيس إليه فوجده نائماً، فقالت له الجارية: ما حاجتك إليه؟ قال ابن سبيل ومنقطعٌ به. قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيسٌ فيه سبعمائة دينار ما في دار قيس مالٌ غيره اليوم، واذهب إلى مولانا في معاطن الإبل فخذ لك ناقةً وعبداً، واذهب راشداً. فلمّا استيقظ قيس من نومه أخبرته الجارية بما صنعت، فأعتقها شكراً على صنيعها ذلك وقال. هلّا أيقظتني حتى أعطيه ما يكفيه أبداً، فلعلّ الذي أعطيتيه لا يقع منه موقع حاجته. وذهب صاحب عُرابة

---

(١) الدرجات الرفيعة نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم بن سعيد الثقفي.

(٢) الغرز بالفتح ثم السكون: ركاب من جلد.

(٣) الحقيبة بفتح المهملة: ما يحمل على الفرس خلف الراكب.

الأوسي إليه فوجده وقد خرج من منزله يريد الصلاة وهو يتوكّأ على عبدين له - وكان قد كفّ بصره - فقال له: يا عرابة! فقال: قل. فقال: ابن سبيل ومنقطعٌ به. قال: فخلى عن العبدين ثمّ صفق بيديه باليمنى على اليسرى ثمّ قال: أوه أوه والله ما أصبحت ولا أمسيت وقد تركت الحقوق من مال عُرابة شيئاً ولكن خذ هذين العبدين. قال: ما كنت لأفعل. فقال: إن لم تأخذهما فهما حرّان، فإن شئت فأعتق، وإن شئت فخذ. وأقبل يلتمس الحائط بيده، قال: فأخذهما وجاء بهما إلى صاحبيه. قال فحكم الناس على أنّ ابن جعفر قد جاد بمال عظيم وأنّ ذلك ليس بمستنكر له، إلّا أن السيف أجلّه. وإنّ قيساً أحد الأجواد حكمت مملوكته في ماله بغير علمه، واستحسن فعلها وعتقها شكراً لها على ما فعلت، وأجمعوا على أنّ أسخى الثلاثة عُرابة الأوسي، لأنّه جاد بجميع ما يملكه، وذلك جهد من مقلّ. « البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠ ».

حديث خطابته

إنّ تقدُّم سيِّد الأنصار في المعالم الدينيّة، وتضلّعه في علمي الكتاب والسنّة، وعرفانه بمعاريض القول، ومخاريق القيل، وسقطات الرأي، وتحلّيه بما يحتاج إليه مداره الكلام ومشيخة الخطابة من العلم الكثار، والأدب الجمّ، وربط الجاش، وقوّة العارضة، وحسن التقرير، وجودة السرد، وبلاغة المنطق، وطلاقة اللسان، ومعرفة مناهج الحجاج والمناظرة، وأساليب إلقاء المحاضرة، كلّها براهين واضحة على حظّه الوافر وقسطه البالغ من هذه الخُلّة، وانّه أعلى الناس ذافوق[١] على أنّ فيما مرّ وما يأتي من كلمه وخطبه خُبراً يصدِّق الخبر، وشاهد صدق على أنّه أحد أمراء الكلام كما كان في مقدَّم أمراء السيف، فهو خطيب الأنصار المفوّه، واللسن الفذّ من الخزرج، ومتكلِّم الشيعة الأكبر، ولسان العترة الطاهرة الناطق، والمجاهد الوحيد دون مبدئه المقدَّس بالسيف واللسان، أخطب من سحبان وائل، وأنطق من قُسّ الأيادي، وأصدق في مقاله من قطاة[٢].

---

(١) مثل يضرب: أي أعلى الناس سهماً. (٢) أصدق من قطاة. مثل مشهور.

وناهيك بقول معاوية بن أبي سفيان لقومه يوم صفّين: إنّ خطيب الأنصار قيس بن سعد، يقوم كلّ يوم خطيباً، وهو والله يريد أن يفنينا غداً إن لم يحبسه عنّا حابس القيل(مرّ ص ١٠٣) وفي قول أمير المؤمنين عليه السلام له عند بعض مقاله كما مرَّ ص ٩٧: أحسنت والله يا قيس وأجملت، لغنىً وكفاية عن أيٍّ إطراء وثناءٍ عليه.

حديث زهده

لا نُحاول في البحث عن هذه النواحي في أيّ من التراجم سرد تاريخ امَّة غابرة، أو ذكريات أماثل الامَّة أو حثالتها في القرون الخالية فحسب، بل إنّما نخوض فيها بما فيها من عظات دينيَّة، وفلسفة أخلاقيَّة، وحِكَم عمليَّة، ومعالم روحيَّة، ومصالح اجتماعيّة، ودستور في مناهج السير إلى المولى سبحانه، وبرنامج في إصلاح النفس، ودروس في التحلّي بمكارم الأخلاق التي بُعث لإتمامها نبيُّ الإسلام.

وهناك نماذج من نفسيّات شيعة العترة الطاهرة وما لهم دون مناوئيهم من خلاق من المكارم والفضائل والقداسة والنزاهة يحقُّ بذلك كلّه أن يكون كلٌّ من نظراء قيس قدوةً للبشر في السلوك إلى المولى، وقادةً للخلق في تهذيب النفس، ومؤدِّباً للامّة بالخلائق الكريمة، ومُصلحاً للمجتمع بالنفسيّات الراقية، والروحيّات السليمة، فلن تجد فيهم جُرفٌ منهال، ولا سحابٌ مُنجال(١).

ففي وسع الباحث أن يستخرج من تاريخ تلكم النفوس القدسيَّة مِن قيس ومَن يصافقه في المبدء الدينيّ، ومِن ترجمة مَن يضادُّهم في التشيّع بآل الله من عمرو بن العاص ومَن يُشاكله، حقيقةً راهنةً دينيَّة أثمن وأغلى من معرفة حقائق الرجال، والوقوف على تاريخ الأجيال الماضية، ويمكنه أن يقف بذلك على غاية كلٍّ من الحزبين (العلويّ والأمويّ) مهما يكن القارىء شريف النفس، حرّاً في تفكيره، غير مقلّد ولا أمّعة، مهما حداه التوفيق إلى اتّباع الحقّ، والحقُّ أحقُّ

---

(١) مثل يضرب. جرف منهال: أي لا حزم عنده ولا عقل. سحاب منجال: أي لا يطمع في خيره.

أن يُتّبع، غير ناكبٍ عن الطريقة المثلى في البخوع للحقائق، والجنوح إليها.

فخذ قيس بن سعد، وعمرو بن العاص مثالاً من الفريقين وقس بينهما، وضع يدك على أيّ مأثرة تحاوله من طهارة مولـد، وإسلام، وعقـل، وحزم، وعفّة، وحياء، وشمم، وإباء، ومنعة، وبذخ، وصدق، ووفاء، ووقار، ورزانة، ومجد، ونجدة، وشجاعة، وكرم، وقداسة، وزهد، وسداد، ورشد، وعدل، وثبات في الدين، وورع عن محارم الله، إلى مآثر اخرى لا تُحصى؛ تجد الأوّل منهما حامل عبء كلّ منها بحيث لو تجسّم أيٌّ من تلكم الصفات ليكون هو مثاله وصورته. وهل ترى الثاني كذلك؟ اللهمّ لا. بل كلٌّ منها في ذاته محكومٌ بالسلب؛ أضف إلى مخاز في المولد والمحتـد والدين والفـروسيّة والأخـلاق والنفسيّات كلّها، وسنلمسك كلّ هذه بيديك عن قريب إن شاء الله تعالى.

عندئذٍ يعرف المنقّب نفسيّة كلٍّ من إمامي الحزبين (إذ الناس على دين ملوكهم) ويكـون على بصيرة من أمـرهما، وحقيقـة دعوة أيٍّ منهمـا، وتكون أمثلتهما نصب عينيه، إن لم يتّبع الهوى، ولا تضلّه تعمية مَن يروقه جهل الامّة الإسلاميّة بالحقائق بقوله في مقاتلي أمير المؤمنين والخارجين عليه: إنّهم كانوا مجتهدين مخطئين ولهم أجرٌ واحدٌ، أو بقوله: الصحابة كلّهم عدول. وإن فعل أحدهم ما فعل وجنت يداه ما جنت، وخرج عن طاعة الإمام العادل، وسنّ لعنه وسبّه وحاربه وقاتله وقتله.

فالناظر إلى هذه التراجم بعين النصفة إذا أمعن فيها بما فيها من المغازي المذكورة يعتقد بأنّ[١] أفضل عباد الله عند الله إمامٌ عادلٌ هُدِي وهَدى فأقام سنّةً معلومةً وأمات بدعةً مجهولة وإنّ السُّنن لنيِّرةٌ لها أعلامٌ، وإنّ البدع لظاهرةٌ لها أعلامٌ، وإنّ شرّ الناس عند الله إمامٌ جائرٌ ضلّ وأُضلّ به، فأمات سنّةً مأخوذةً، وأحيا بدعةً متروكةً، وصدّق بقول النبيّ الطاهر: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر

---

(١) من هنا إلى آخر الكلمة لمولانا أمير المؤمنين إلا كلمتي صدق والطاهر.

وليس معه نصيرٌ ولا عاذرٌ، فيلقى في نار جهنّم، فيدور فيها كما تدور الرحى، ثمّ يرتبط في قعرها.

لعلّ الباحث لا يمرُّ على شيء من خُطب سيِّد الخزرج وكتبه وكلمه ومحاضراته إلّا ويجده طافحاً بقداسة جانبه عن كلّ ما يلوِّث ويدنّس من اتّباع الهوى، وبزهادته عن حطام الدنيا، مُعرباً عن ورعه عن محارم الله وخشونته في ذات ربِّه، وتعظيمه شعائر الدين، وقيامه بحقِّ النبيِّ الأعظم، ورعايته في أهل بيته وذويه بكلِّ حول وطول، وبذل النفس والنفيس دون كلائة دينه وإعلاء كلمة الحقِّ، وإرحاض معرَّة الباطل، وإصلاح الفاسد، وكسر شوكة المعتدين، وبعد اليأس عن صلاح امّته، والعجز عن الدعوة إلى الحقِّ، لزم عقر داره بالمدينة المشرَّفة بقيَّة حياته، وأقبل على العبادة حتى أدركه أجله المحتوم كما ذكره ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٢ ص ٥٢٤.

وأوفى كلمة في زهده وعبادته، ما قاله المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣ قال: كان قيس بن سعد من الزهد والديانة والميل إلى عليّ بالموضع العظيم، وبلغ من خوفه لله وطاعته إيّاه أنّه كان يُصلّي فلّما أهوى للسجود إذا في موضع سجوده ثعبانٌ عظيمٌ مطرقٌ، فمال على الثعبان برأسه وسجد إلى جانبه، فتطوَّق الثعبان برقبته، فلم يقصر من صلاته، ولا نقَّص منها شيئاً حتى فرغ ثمَّ أخذ الثعبان فرمى به. كذلك ذكر الحسن بن علي بن المغيرة، عن معمَّر بن خلّاد عن أبي الحسن (الإمام) عليّ بن موسى الرضا عليه السلام. اهـ. والحديث الرضويّ هذا رواه الكشي بإسناده عنه عليه السلام في رجاله ص ٦٣.

وكان ذلك الخشوع والإقبال إلى الله في العبادة، وإفراغ القلب بكلّه إلى الصلاة من وصايا والده الطاهر له قال: يا بُنيَّ اوصيك بوصيَّة فاحفظها فإذا أنت ضيّعتها فأنت لغيرها من الأمر أضيع، إذا توضّأت فأتمّ الوضوء، ثمَّ صلِّ صلاة امرىءمودِّع يرى أنّه لا يعود، وأظهر اليأس من الناس فإنّه غنى، وإيّاك وطلب الحوائج إليهم فإنّه فقرٌ حاضرٌ، وإيّاك وكلّ شيء تعتذر منه (تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٩٠).

وكان من دعاء سيّدنا المترجم كما في «الدرجات الرفيعة» «وتاريخ الخطيب» وغيرهما قوله: اللهمّ ارزقني حمداً ومجداً، فإنّه لاحمد إلّا بفعال، ولا مجد إلّا بمال. اللهم وسّع عليّ، فإنّ القليل لا يسعني ولا أسعه. وفي البداية والنهاية ج ٨ ص ١٠٠: كان قيس يقول: اللهمّ ارزقني مالاً وفعالاً، فإنّه لا تصلح الفعال إلّا بالمال.

ومعلوم أنّ طلب المال غير مناف للزهادة فإنّ حقيقة الزهد أن لا يملكك المال لا أن لا تملك المال.

حديث فضله

إنّ خطابات (قيس) وكتاباته ومحاضراته ومقالاته المبثوثة في طيّات الكتب ومعاجم السير، شواهد صادقة على تضلّعه في المعارف الآلهيّة، وأشواطه البعيدة في علمي الكتاب والسنّة، وفي خدمته النبيّ الأعظم مدّة عشر سنين[١] أو مدّة غير محدودة، وقد كان أبوه دفعه إلى النبي صلّى الله عليه وآله، ليخدمه كما في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ ومسامرته معه صلّى الله عليه وآله سفراً وحضراً طول عمره مع ما كان له من العقل والحزم والرأي السديد والشوق المؤكّد إلى تهذيب نفسه والولع التامّ إلى تكميل روحيّاته لَغنى وكفاية عن أيّ ثناء على علمه المتدفّق، وفضله الكثار، وتقدّمه في علمي الكتاب والسنّة.

ومن المفضول أن نتعرّض لإحصاء شواهد حسن تعليم النبيّ صلّى الله عليه وآله إيّاه، وانّه كان يُجيد تربيته، ويُعلّمه معالم دينه، ويُفيض عليه من نمير فضله، ويُلقّنه بما يحتاج إليه الإنسان الكامل من المعارف الدينيّة، وإنّ ملازمته لصاحب الرسالة وهو سيّد الخزرج وابن سادتها لم تكن خدمةً بسيطةً كما هو الشأن في الخدم والأتباع من الناس، وإنّما هي كخدمة تلميذ لأستاذه للتعلّم وأخذ المعارف الدينيّة، والاقتباس من أنوار علمه، وممّا لا شك فيه أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يُعلّمه معالم دينه في كلّ حال يجده، وكان قيس يغتنم

---

(١) البداية ج ٨ ص ٩٩، الإصابة ج ٥ ص ٢٥٤.

الفرص ويظهر الشوق إليه، وينمّ عن ذلك ما رواه ابن الأثير في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ عن قيس قال: مرّ بي النبيُّ ﷺ وقد صلّيت وقال: ألا أدلّك إلى باب من أبواب الجنّة؟ قلت: نعم. قال: لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

وسماعه بعد وفاة النبي ﷺ عن أمير المؤمنين باب مدينة العلم النبويّ، وأخذه منه علمي الكتاب والسنّة كما قاله لمعاوية في حديث يأتي لما جـرت بينهما مناظرة واحتجّ قيس عليه بكلّ آية نزلت في عليّ وبكلّ حديث ورد في فضله حتّى قال معاوية: يا بن سعد: عمّن أخذت هذا، وعمّن رويته؟ وعمّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك؟ وعنه أخذته؟ قال قيس: سمعته وأخذته ممّن هو خيرٌ من أبي، وأعظم حقّاً من أبي. قال: مَن؟ قال: عليّ بن أبي طالب عليه السلام عالم الامّة وصدّيقها.

كلّ هذه آيةٌ محكمةٌ تدلّ على اطّلاعه الغزير في المعالم الدينيّة، وبرهنةٌ واضحة تُثبت طول باعه في العلوم الإلٓهيّة، ومثل قيس إذا كان أخذه وسماعه وروايته عن مثل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام، ينحسر البيـان عن استكناه فضله، ويقصر التعريف عن درك مداه.

ومن شواهد غزارة علمه إسلامه الراسخ، وإيمانه المستقرّ، وعرفانه بأولياء الأمر بعد نبيّه، وتهالكه في ولائهم، وتفانيه في نصرتهم إلى آخر نفَس لَفَظه، وعدم اكتراثه للومة أيّ لائم، وكان هناك قومٌ حناق عليه من أهل النفاق وحملة الحقد والضغينة يُعيّرونه بولاء العترة الطاهرة، وعدم إيثاره على دينـه عوامـل النهمة، وعدم تأثّره ببواعث الفخفخة أو دواعي الجشَع، وعدم انتظاره منهم في دولتهم لرُتبة ولا راتب، وعدم إرادته منهم على ولائه جزاءاً عاجلاً ولا شكوراً، ويشفُّ عن ذلك ما وقع بينه وبين حسّان بن ثابت لَمّا عزله أمير المؤمنين عن ولاية مصر ورجع إلى المدينة فإنّه حينما قدمها جاءه حسّان شامتاً به وكان عثمانيّاً فقال له: نزعك عليٌّ بن أبي طالب، وقد قتلت عثمان فبقي عليك الإثم، ولم يحسن لك الشكر، فزجره قيس وقال: يا أعمى القلب وأعمى البصر، والله لولا

أن أُلقي بين رهطي ورهطك حرباً لضربت عنقك، ثمَّ أخرجه من عنده[١].

ولولا أنَّ قيساً مستوْدع العلوم والمعارف، ومستقى معالم الدين، ومعقد جمان الفضيلة، كما كانت له الشهرة الطائلة في الدهاء والحزم، لَما ولّاه أمير المؤمنين عليه السلام مصر لإدارة شئونها الدينيَّة، والمدنيَّة، كما فوَّض إليه إقامة امورها السياسيَّة والإداريَّة والعسكريَّة، ولما كتب إليه بما مرَّ ص ٩٢ من كلامه عليه السلام: وعلّم مَن قِبلك ممّا علّمك الله، فإنَّ عامل الخليفة هو مرجع تلكم الشئون كلّها في الوسط الذي استعمل به، وموئل امَّته في كلّ مشكلة دينيّة: كما أنّ له إمامة الجمعة والجماعة، وما كان للخليفة من مُنتدح عن استعمال مَن له الكفاية لذلك كلّه.

قال الماوردي في (الأحكام السلطانيّة) ص ٢٤: وإذا قلّد الخليفة أميراً على إقليم أو بلد كانت إمارته على ضربين: عامّة وخاصّة. فأمّا العامّة على ضربين: إمارة إستكفاء بعقدٍ عن إختيار، وإمارة استيلاء بعقدٍ عن اضطرار، فأمّا إمارة الإستكفاء التي تنعقد عن اختياره، فتشمل على عمل محدود، ونظر معهود، والتقليد فيها أن يفوّض إليه الخليفة إمارة بلد أو إقليم ولايةً على جميع أهله، ونظراً في المعهود من سائر أعماله فيصير عامّ النظر فيما كان محدوداً من عمل، ومعهوداً من نظر، فيشتمل نظره فيه على سبعة امور:

١ - النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي وتقدير أرزاقهم إلّا أن يكون الخليفة قدّرها فيدرّها عليهم.

٢ - النظر في الأحكام وتقليد القضاة والحكام.

٣ - جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمّال فيهما وتفريق ما استحق منهما.

٤ - حماية الدين والذبُّ عن الحريم ومراعاة الدين من تغيير أو تبديل.

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٣١، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٥.

٥ ـ إقامة الحدود في حقِّ الله وحقوق الآدميِّين.

٦ ـ الجُمع والجماعات حتى يؤمَّ بها أو يستخلف عليها.

٧ ـ تسيير الحجيج من عمله.

فإن كان هذا الإقليم ثغراً متاخماً للعدوِّ اقترن بها ثامنٌ وهو: جهاد مَن يليه مِن الأعداء، وقسم غنائمهم في المقاتلة، وأخذ خمسها لأهل الخمس، وتعتبر في هذه الإمارة الشروط المعتبرة في وزارة التفويض.

وقال في ص ٢٠: يُعتبر في تقليد وزارة التفويض شروط الإمامة إلاّ النسب. وذكر الشروط المعتبرة في الإمامة ص ٤ وقال: إنّها سبعة.

١ ـ العدالة على شروطها الجامعة.

٢ ـ العلم المؤدّي إلى الإجتهاد في النوازل والأحكام.

٣ ـ سلامة الحواسّ من السمع والبصر واللسان.

٤ ـ سلامة الأعضاء من نقص يمنع عن استيفاء الحركة.

٥ ـ الرأي المفضي إلى سياسة الرعيّة وتدبير المصالح.

٦ ـ الشجاعة والنجدة المؤدِّية إلى حماية البيضة وجهاد العدوّ.

٧ ـ النسب وهو أن يكون من قريش.

إذا عرفتَ معنى التقليد بالولاية على المسلمين ومغزاها، ووقفتَ على الامور الثمانية التي ينظر إليها كلّ أمير بالإستكفاء بعقد عن اختيار كأمير الإسلام الكبير (قيس بن سعد) واطّلعتَ على ما يُعتبر فيها من الشروط الستّة المعتبرة في الإمامة ووزارة التفويض، فحدِّث عن فضل قيس ولا حرج.

كلمتنا الأخيرة عن قيس

إنّه من عمد الدين وأركان المذهب.

لعلّك بعد ما تلوناه عليك من فضائل المترجم له وفواضله، وعلومه ومعارفه، وحزمه وسداده، وصلاحه وإصلاحه، وتهالكه في نصرة إمامه الطاهر، وإقامته علم الدين منذ عهد النبوّة وعلى العهد العلويِّ الناصع، وثباته عند تخاذل الأيدي وتدابر النفوس على العهد الحسنيِّ، ومصارحته بكلمة الحقِّ في كلِّ محتشد إلى آخر حياته، وعدم إنخداعه ببهرجة الباطل، وزبرجة الإلحاد السفيانيِّ؛ وثراء معاوية الطائل الهاطل عليه لخدعه عن دينه حينما بذل له ألف ألف درهم على أن يصير معه أو ينصرف عنه كما مرّ ص ١٠٦ إنّك لا تشكّ بعد ذلك كلّه في أنّ قيساً من عُمد الدين، وأركان المذهب، وعظماء الامّة، ودُعاة الحق، فدون مقامه الباذخ ما في المعاجم والكتب من جمل الثناء عليه مهما بالغوا فيها.

ولولا مثل قيس في آل سعد لما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وهو رافعٌ يديه: اللهمّ اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة. وما كان يقول في غزوة ذي قرد: اللهمّ ارحم سعداً وآل سعد، نعم المرء سعد بن عبادة. وما كان يقول لَمّا أكل طعاماً في منزل سعد: أكل طعامكم الأبرار، وصلّت عليكم الملائكة، وأفطر عندكم الصائمون وما كان يقول لسعد وقيس لمّا أتيا بزاملة تحمل زاداً يوم ضلّت زاملة النبيِّ: بارك الله عليكما يا أبا ثابت[١] أبشر فقد أفلحت إنَّ الأخلاف بيد الله فمن شاء أن يمنحه منها خلفاً صالحاً منحه، ولقد منحك الله خلفاً صالحاً[٢].

فلينظر القارىء في قيس بن سعد إلى آثار رحمة الله، ومظاهر صلواته، ومجالي فضله، وما أثّرت فيه تلك الدعوة النبويّة وما ظهر فيه وفي آله من بركاتها وقد حقّت به الصلوات والرحمة الإلٓهيّة. صلوات الله عليه ورحمته وبركاته.

---

(١) كنية سعد والد المترجم له.

(٢) توجد هذه الأحاديث في امتاع المقريزي ص ٢٦٣، ٥١٥، تاريخ ابن عساكر ج ٦ ص ٨٢، ٨٨، السيرة الحلبية ج ٣ ص ٨.

ولقيس محاضرةٌ ومناظرةٌ مع الشيخين في قصّة طوق خالد ذكرها أبو محمّد الديلمي الحسن بن أبي الحسن في (إرشاد القلوب) ج ٢ ص ٢٠١، أفاضها بلسان ذلق، وإيمان مستقرّ وجنان ثابت نضرب عنها صفحاً تحرّياً للإيجاز.

مشايخ قيس والرواة عنه

يروي سيّد الخزرج عن النبيّ صلّى الله عليه وآله وصنوه الطاهر، وعن والده السعيد (سعد) كما في الإصابة وتهذيب التهذيب، ومن رواياته عن والده ما أخرجه الحافظ محمّد بن عبد العزيز الجنابذي الحنبليّ في كتاب «معالم العترة» مرفوعاً إلى قيس عن أبيه: إنّه سمع عليّاً رضي الله عنه يقول: أصابتني يوم أُحد ستّ عشرة ضربة سقطت إلى الأرض في أربع منهنّ فجاء رجلٌ حسن الوجه طيّب الريح فأخذ بضبعي فأقامني ثمّ قال: أقبل عليهم فإنّك في طاعة الله وطاعة رسوله وهما عنك راضيان. قال عليٌّ: فأتيت النبيَّ صلّى الله عليه وآله فأخبرته فقال: يا عليُّ! أقر الله عينك ذاك جبريل (كفاية الطالب ط مصر ص ٣٧، نور الأبصار ص ٨٧).

ويروي عن عبدالله بن حنظلة بن الراهب الأنصاري المقتول يوم الحرّة سنة ٦٣ وكانت الأنصار قد بايعته يومئذ، ذكر روايته عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ٢ ص ١٩٣، وج ٥ ص ١٩٣ وج ٨ ص ٣٩٦.

ويروي عن سيّدنا قيس زرافات من الصحابة والتابعين، ذكر منهم في حلية الأولياء واسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥، والإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٩٦:

١ ـ أنس بن مالك الأنصاري خادم رسول الله صلّى الله عليه وآله.

٢ ـ بكر بن سوادة يروي عن قيس حديثاً في الملاهي كما في «السنن الكبرى» للبيهقي ج ١٠ ص ٢٢٢.

٣ ـ ثعلبة بن أبي مالك القرظي.

٤ ـ عامر بن شراحيل الشعبيّ المتوفّى سنة ١٠٤.

٥ ـ عبد الرحمن بن أبي ليلى الأنصاري خاصّة أمير المؤمنين، وصاحب رايته يوم الجمل، ضربه الحجّاج حتى اسودّ كتفاه على سبِّ عليّ فما فعل، كان أصحاب رسول الله يسمعون لحديثه، وينصتون له، قال عبدالله بن حارث: ما ظننت أنّ النساء ولدن مثله. ووثّقه ابن معين والعجلي وغيرهما تُوفّي سنة ٨١/٢/٣/٦، ترجمه ابن خلكان ج ١ ص ٢٩٦ وكثيرٌ من أرباب المعاجم.

٦ ـ عبدالله بن مالك الجيشاني المتوفّى سنة ٧٧، ترجمه ابن حجر في تهذيبه ج ٥ ص ٣٨٠، وحكى عن جمع ثقته، وعن مرثد: كان أعبد أهل مصر، يروي عن أمير المؤمنين، وعمر، وأبي ذرّ ومعاذ بن جبل، وعقبة.

٧ ـ أبو عبدالله عروة بن الزبير بن العوام الأسدي المدني.

٨ ـ أبو عمّار عريب بن حميد الهمداني. يروي عن أمير المؤمنين وحذيفة وعمّار وأبي ميسرة، وثّقه أحمد وغيره، راجع تهذيب التهذيب ج ٧ ص ١٩١.

٩ ـ أبو ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني الكوفي المتوفّى سنة ٦٣، أثنى عليه شيخنا الشهيد الثاني في درايته وقال: تابعيٌّ فاضلٌ من أصحاب محمّد بن مسعود. وترجمه ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ١١٤، وفي تهذيبه ج ٨ ص ٤٧ وقال: ذكره ابن حبّان في الثقات وقال: كان من العبّاد وكانت ركبته كركبة البعير من كثرة الصّلاة.

١٠ ـ عمرو بن الوليد السهمي المصريّ المتوفّى سنة ١٠٣ مولى عمرو بن العاص، يروي عن جمع من الصحابة منهم: المترجم له (قيس) كما في تهذيب التهذيب ج ٨ ص ١١٦، ومن أحاديثه عنه حديثٌ في الملاهي أخرجه من طريقه البيهقي في «السنن» ج ١٠ ص ٢٢٢

١١ ـ أبو نصر ميمون بن أبي شبيب الربعيُّ الكوفيُّ المتوفّى سنة ٨٣ ويُقال: الرقِّيّ. يروي عن أمير المؤمنين، وعمر، ومعاذ بن جبل، وأبي ذر،

والمقداد، وابن مسعود، ترجمه ابن حجر في تهذيبه.

١٢ ـ هُزيل بن شرجيل الأزدي الكوفي. كما في حلية الأولياء ج ٥ ص ٢٤، والإصابة ج ٣ ص ٦٢٠.

١٣ ـ الوليد بن عَبَدة [بفتح الباء] مولى عمرو بن العاص، يروي عن المترجم له كما في تهذيب ابن حجر ج ١١ ص ١٤١، ولعلّه عمرو بن الوليد المذكور كما يظهر من كلام الدارقطني.

١٤ ـ أبو نُجيح يسار الثقفي المكّي المتوفّى سنة ١٠٩، حكى ابن حجر في تهذيبه عن جمع ثقته، وروى ابن الأثير في اسد الغابة ج ٤ ص ٢١٥ عنه عن قيس عن النبيّ ﷺ قوله: لو كان العلم متعلّقاً بالثّريا لناله ناسٌ من فارس. وأخرجه أبو بكر الشيرازي المتوفّى سنة ٤٠٧ في «الألقاب» كما في «تبييض الصحيفة» ص ٤.

معاوية وقيس قبل وقعة صفّين

ذكر غير واحد من رجال التاريخ في معاجمهم[1]: أنّه لَمّا قرب يوم صفّين خاف معاوية على نفسه أن يأتيه عليٌّ بأهل العراق، وقيس بأهل مصر، فيقع بينهما ففكّر في استدراج قيس، واختداعه فكتب إليه: أمّا بعد: فإنّكم إن كنتم نقمتم على عثمان في أثرة رأيتموها، أو ضربة سوط ضربها، أو في شتمه رجلاً، أو تسييره أحداً، أو في استعماله الفتيان من أهله، فقد علمتم أنّ دمه لم يحلّ لكم بذلك، فقد ركبتم عظيماً من الأمر، وجئتم شيئاً إدّا، فتب يا قيس إلى ربّك إن كنتَ من المجلبين على عثمان إن كانت التوبة من قتل المؤمن تغني شيئاً، فأمّا صاحبك فإنّا استيقنّا أنّه الّذي أغرى الناس وحملهم حتّى قتلوه، وأنّه لم يسلم من دمه عظيم قومك فإن استطعت أن تكون ممّن يطلب بدم عثمان فبايعنا على

---

(١) ذكره الطبري في تاريخه ج ٥ ص ٢٨٨، وابن الأثير في كامله ج ٣ ص ١٠٧، وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٢٣ نقلاً عن كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي المتوفّى سنة ٢٨٣.

عليّ في أمرنا، ولك سلطان العراقين إن أنا ظفرتُ ما بقيت، ولمن أحببت من أهل بيتك سلطان الحجاز ما دام لي سلطانٌ، وسلني غير هذا ما تحبّ فكتب إليه قيس:

أمّا بعد: فقد وصل إليّ كتابك، وفهمتُ الذي ذكرتَ من أمر عثمان، وذلك أمرٌ لم أُقاربه، وذكرتَ أنَّ صاحبي هو الذي أغرى الناس بعثمان ودسَّهم إليه حتّى قتلوه وهذا أمرٌ لم أطّلع عليه، وذكرت لي أنّ عظم عشيرتي لم تسلم من دم عثمان فلعمري إنَّ أولى الناس كان في أمره عشيرتي، وأمّا ما سألتني من مبايعتك على الطلب بدم عثمان وما عرضته عليّ فقد فهمته وهذا أمرٌ لي فيه نظرٌ وفكرٌ، وليس هذا ممّا يعجل إلى مثله، وأنا كافّ عنك وليس يأتيك من قبلي شيءٌ تكرهه حتى ترى ونرى.

فكتب إليه معاوية:

أمّا بعد: فقد قرأت كتابك فلم أرك تدنو فأعدُّك سلماً، ولم أرك تتباعد فأعدُّك حرباً، أراك كحبل الجزور، وليس مثلي يُصانع بالخداع، ولا يُخدع بالمكايد، ومعه عدد الرجال، وبيده أعنَّة الخيل، فإن قبلت الذي عرضت عليك فلك ما أعطيتك، وإن أنت لم تفعل ملأتُ عليك خيلاً ورجلاً، والسّلام.

فكتب إليه قيس:

أمّا بعد: فالعجب من استسقاطك رأيي والطمع في أن تسومني ـ لاأبا لغيرك ـ الخروج عن طاعة أولى الناس بالأمر، وأقولهم للحقّ، وأهداهم سبيلاً، وأقربهم من رسول الله وسيلة، وتأمرني بالدخول في طاعتك طاعة أبعد الناس من هذا الأمر، وأقولهم للزور، وأضلّهم سبيلاً، وأبعدهم من رسول الله وسيلة، ولديك قومٌ ضالّون مضلّون، طاغوتٌ من طواغيت إبليس، وأمّا قولك: إنَّك تملأ عليّ مصر خيلاً ورَجلاً فلئن لم أشغلك عن ذلك حتى يكون منك إنَّك لذو جدّ، والسّلام.

وفي لفظ الطبري: فوالله إن لم أشغلك بنفسك حتّى تكون نفسك أهمَّ إليك، إنَّك لذو جدّ.

فلما آيس معاوية منه كتب إليه[1]:

أمّا بعد: فإنك يهوديّ ابن يهوديّ، إن ظفر أحبّ الفريقين إليك عزلك، واستبدل بك، وإن ظفر أبغضهما إليك قتلك ونكل بك، وكان أبوك وتر قوسه، ورمى غير غرضه، فأكثر الحزّ، وأخطأ المفصل، فخذله قومه، وأدركه يومه، ثمّ مات طريداً بحوران والسّلام.

فكتب إليه قيس:

أمّا بعد: فإنّما أنت وثن ابن وثن، دخلت في الإسلام كرهاً، وخرجت منه طوعاً، لم يقدم إيمانك، ولم يحدث نفاقك، وقد كان أبي وتر قوسه، ورمى غرضه، وشغب عليه من لم يبلغ كعبه، ولم يشقّ غباره، ونحن أنصار الدين الّذي خرجتَ منه، وأعداء الدين الّذي دخلتَ فيه. والسّلام.

راجع كامل المبرّد ج ١ ص ٣٠٩، البيان والتبيين ج ٢ ص ٦٨، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦٣، عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٢ ص ٢١٣، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٢، مناقب الخوارزمي ص ١٧٣، شرح ابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٥.

لفظ الجاحظ في كتاب التاج ص ١٠٩:

كتب قيس إلى معاوية: يا وثن ابن وثن! تكتب إليّ تدعوني إلى مفارقة عليٍّ بن أبي طالب، والدخول في طاعتك، وتخوّفني بتفرّق أصحابه عنه، وإقبال الناس عليك وإجفالهم إليك، فوالله الذي لا إلّه غيره لو لم يبق له غيري، ولم يبق لي غيره، ما سالمتك أبداً وأنت حربه، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه، ولا اخترت عدوّ الله على وليه، ولا حزب الشيطان على حزب الله. والسّلام.

---

(١) من هنا كلام الجاحظ في «البيان والتبيين» ج ٢ ص ٦٨ والكتب المذكورة توجد في تعليق البيان ج ٢ ص ٤٨.

كتاب مُفتعلٌ

فلمّا آيس معاوية من قيس أن يتابعه على أمره، شقَّ عليه ذلك، وثقل عليه مكانه، لما كان يعرف من حزمه وبأسه، ولم تنجع حيلة فيه تكاده من قبل عليّ فقال لأهل الشام: إنّ قيساً قد تابعكم فادعوا الله له ولا تسبّوه ولا تدعوا إلى غزوه فإنّه لنا شيعة قد تأتينا كتبه ونصيحته سرّاً ألا ترون ما يفعل بإخوانكم الذين عنده من أهل (خربتا) يجري عليهم عطاياهم وأرزاقهم ويحسن إليهم. واختلق كتاباً ونسبه إلى قيس فقرأه على أهل الشام وهو:

بسم الله الرّحمن الرّحيم. للأمير معاوية بن أبي سفيان من قيس بن سعد: سلامٌ عليك، فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إلَه إلاّ هو، أمّا بعد: فإنّي لَمّا نظرت لنفسي وديني فلم أر يسعني مظاهرة قوم قتلوا إمامهم مسلماً محرَّماً برّاً تقيّاً فنستغفر الله عزَّ وجلَّ لذنوبنا ونسأله العصمة لديننا، ألا وإنّي قد ألقيت إليكم بالسلم، وإنّي أجبتك إلى قتال قتلة عثمان رضي الله عنه إمام الهدى المظلوم، فعوِّل عليَّ فيما أحببت من الأموال والرجال أُعجِّل عليك. والسّلام[1].

إنَّ شنشنة التقوّل والإفتعال غريزةٌ ثابتةٌ في سجايا معاوية، ومنذ عهده شاعت الأحاديث المزوَّرة فيما يعنيه من فضل بني اميَّة والوقيعة في بني هاشم عترة الوحي وأنصاره يوم كان يَهبُ القناطير المقنطرة من الذهب والفضّة لأهل الجباه السود فيضعون له في ذلك روايات معزوَّة إلى صاحب الرسالة صلّى الله عليه وآله، فإنّه بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم ليروي أنّ قوله تعالى: ﴿ومِنَ النّاس مَن يَشري نفسه ابتغاء مرضات الله﴾. نزل في ابن ملجم أشقى مراد. وقوله تعالى: ﴿ومِن النّاس مَن يُعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام﴾ الآية. نـزل في عليّ أمير المؤمنين. فلم يقبل، فبذل له مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل لـه أربعمائـة ألف درهم

---

(١) تاريخ الطبري ج ٥ ص ٢٢٩، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١١٧، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٤.

فقبل[١]. وله نظائر هذا شيءٌ كثيرٌ.

فليس من البدع اختلاقه على قيس وهو يفتعل على سيِّده النبيِّ الأطهر ما لم يقله، وعلى أمير المؤمنين ما لم يكن، وعلى سروات المجد من بني هاشم الأطيبين ما هم عنه بُعداء. فهو مبتدع هذه الخزايات العائدة عليه وعلى لفيفه في عهد ملوكيَّته المظلم، وعلى هذا كان دينه وديدنه، ثمَّ تمرَّنت رواة السوء من بعده على رواية الموضوعات وشاعت وكثرت إلى أن ألقت العلماء وحفظة الحديث في جهود متعبة بالتأليف في تمييز الموضوع من غيره، والخبيث من الطيِّب.

لم يزل معاوية دائباً على ذلك متهالكاً فيه حتى كبر عليه الصغير، وشاخ الكهل وهرم الكبير، فتداخل بغض أهل البيت عليهم السلام، في قلوب ران عليها ذلك التمويه، فتسنَّى له لعن أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه في أعقاب الصَّلوات في الجمعة والجماعات وعلى صهوات المنابر في شرق الأرض وغربها حتى في مهبط وحي الله (المدينة المنوَّرة) قال الحموي في معجم البلدان ج ٥ ص ٣٨: لُعن عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق والغرب ولم يُلعن على منبر سجستان إلّا مرّة وامتنعوا على بني اميَّة حتى زادوا في عهدهم: وأن لا يُلعن على منبرهم أحدٌ. وأيّ شرف أعظم من امتناعهم من لعن أخي رسول الله ﷺ على منبرهم وهو يُلعن على منابر الحرمين مكّة والمدينة. اهـ.

لمّا مات الحسن بن علي عليهما السلام، حجَّ معاوية فدخل المدينة وأراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول الله صلّى الله عليه وآله فقيل له: إنَّ ههنا سعد بن أبي وقاص ولا نراه يرضى بهذا فابعث إليه وخذ رأيه. فأرسل إليه وذكر له ذلك فقال: إن فعلت لأخرجنَّ من المسجد ثمّ لا أعود إليه. فأمسك معاوية عن لعنه حتّى مات سعد فلمّا مات لعنه على المنبر وكتب إلى عمّاله: أن يلعنوه على

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ٣٦١.

المنابر. ففعلوا فكتبت امّ سلمة زوج النبيّ صلّى الله عليه وآله إلى معاوية: إنّكم تلعنون الله ورسوله على منابركم وذلك انّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب ومن أحبّه وأنا أشهد أن الله أحبّه ورسوله. فلم يلتفت إلى كلامها[١].

قال الجاحظ في كتاب الردّ على الإماميّة: إنّ معاوية كان يقول في آخر خطبته: اللهمّ إنّ أبا تراب ألحد في دينك. وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعناً وبيلاً، وعذّبه عذاباً أليماً. وكتب بذلك إلى الآفاق فكانت هذه الكلمات يُشاد بها على المنابر إلى أيّام عمر بن عبد العزيز. وإنّ قوماً من بني اميّة قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين إنّك قد بلغت ما أمّلت فلو كففت عن هذا الرجل. فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً.

وذكره ابن أبي الحديد في شرحه ج ١ ص ٣٥٦.

قال الزمخشري في ربيع الأبرار على ما يعلق بالخاطر، والحافظ السيوطي: انّه كان في أيّام بني اميّة أكثر من سبعين ألف منبر يُلعن عليها عليّ بن أبي طالب بما سنّه لهم معاوية من ذلك. وفي ذلك يقول العلاّمة الشيخ أحمد الحفظي الشافعي في ارجوزته:

وقد حكى الشيخ السيوطي: إنّهْ ... قد كان فيما جعلوهُ سُنّهْ
سبعون ألف منبر وَعَشَرَهْ ... من فوقهنّ يلعنون حيدرهْ
وهذه في جنبها العظائمُ ... تصغر بل تُوجّه اللوائمُ
فهل ترى مَن سنّها يُعادى؟ ... أم لا وهل يُستر أو يهادى؟؟
أو عالمٌ يقول: عنه نسكتُ؟ ... أجب فإنّي للجواب منصتُ
وليت شعري هل يقال: إجتهدا ... كقولهم في بغيه أم ألحدا
أليس ذا يُؤذيه أم لا؟؟ فاسمعن ... إنّ الذي يُؤذيه مَن ومَن ومَن؟؟؟
بل جاء في حديث امّ سلمهْ ... : هل فيكم الله يُسبُّ مَهْ لِمَهْ؟
عاون أخا العرفان بالجوابِ ... وعاد من عادى أبا ترابِ

---

(١) العقد الفريد ج ٢ ص ٣٠٠.

وكان أمير المؤمنين يخبر بذلك كلّه ويقول: أما انّه سيظهر عليكم بعدي رجلٌ رحب البلعوم، مندحق البطن[١] يأكل ما يجد، ويطلب ما لا يجد، فاقتلوه ولن تقتلوه، ألا وانّه سيأمركم بسبّي والبراءة منّي. (نهج البلاغة).

ونحن لو بسطنا القول في المقام لخرج الكتاب عن وضعه إذ صحائف تاريخ معاوية السوداء ومن لفّ لفّه من بني اميّة إنّما تعدّ بالآلاف لا بالعشرات والمئات.

الصلح بين قيس، ومعاوية

أمّرت شرطة الخميس قيس بن سعد على أنفسهم (وكان يُعرف بصاحب شرطة الخميس كما في الكشي ص٧٢) وتعاهد هو معهم على قتال معاوية حتى يشترط لشيعة عليّ ولمن كان اتّبعه على أموالهم ودمائهم وما أصابوا في الفتنة، فأرسل معاوية إلى قيس يقول: على طاعة مَن تقاتل؟ وقد بايعني الذي أعطيته طاعتك. فأبى قيس أن يلين له حتّى أرسل إليه معاوية بسجلّ قد ختم عليه في أسفله وقال: اكتب في هذا ما شئت فهو لك. فقال عمرو بن العاص لمعاوية: لا تعطه هذا وقاتله. فقال معاوية: على رسلك فإنّا لا نخلص إلى قتلهم حتى يقتلوا أعدادهم من أهل الشام، فما خير العيش بعد ذلك؟ فإنّي والله لا اقاتله أبداً حتى لا أجد من قتاله بُدّاً. فلمّا بعث إليه معاوية ذلك السجل إشترط قيس له ولشيعة عليّ أمير المؤمنين عليه السلام الأمان على ما أصابوا من الدماء والأموال، ولم يسأل في سجلّه ذلك مالاً، وأعطاه معاوية ما سأل ودخل قيس ومن معه في طاعته[٢].

قال أبو الفرج: فأرسل معاوية إليه يدعوه إلى البيعة، فلمّا أرادوا إدخاله إليه قال: إنّي حلفت أن لا ألقاه إلّا بيني وبينه الرمح أو السيف. فأمر معاوية برمح وسيف فوضعا بينهما ليبرّ يمينه، فلمّا دخل قيس ليبايع وقد بايع الحسن عليه السلام فأقبل على الحسن عليه السلام فقال: أفي حلٍّ أنا من بيعتك؟

---

(١) مندحق البطن: واسعها. كان معاوية موصوفاً بالنهم وكثرة الأكل.

(٢) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٩٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٦٣.

فقال: نعم. فأُلقي له كرسيٌّ وجلس معاوية على سرير والحسن معه فقال له معاوية: أتبايع يا قيس؟ قال: نعم. ووضع يده على فخذه ولم يمدَّها إلى معاوية، فجاء معاوية من سريره وأكبّ على قيس حتى مسح يده وما رفع إليه قيسٌ يده[١].

قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩٢: بويع معاوية بالكوفة في ذي القعدة سنة ٤٠، وأحضر الناس لبيعته، وكان الرجل يحضر فيقول: والله يا معاوية إنّي لأُبايعك وإنّي لكارهٌ لك. فيقول: بايع فإنّ الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً، ويأتي الآخر فيقول: أعوذ بالله من نفسك. وأتاه قيس بن سعد بن عبادة، فقال: بايع قيس. قال: إنّي كنت لأكره مثل هذا اليوم يامعاوية! فقال له: مَه رحمك الله. فقال: لقد حرصت أن افرّق بين روحك وجسدك قبل ذلك فأبى الله يا بن أبي سفيان إلّا ما أحبَّ. قال: فلا يُردّ أمر الله. قال: فأقبل قيس على الناس بوجهه، فقال:

يا معشر الناس! لقد اعتضتم الشرّ من الخير، واستبدلتم الذلّ من العزّ، والكفر من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيِّد المسلمين، وابن عمّ رسول ربِّ العالمين، وقد وليكم الطليق ابن الطليق، يسومكم الخسف، ويسير فيكم بالعسف، فكيف تجهل ذلك أنفسكم؟ أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا تعقلون؟.

فجثا معاوية على ركبته ثمّ أخذ بيده وقال: أقسمت عليك ثمَّ صفق على كفّه ونادى الناس: بايع قيس. فقال: كذبتم والله ما بايعتُ. ولم يبايع لمعاوية أحدٌ إلّاأُخذ عليه الأيمان، فكان أوّل من استحلف على بيعته.

أخرج الحافظ عبد الرزّاق عن ابن عُيينة قال: قدم قيس بن سعد على معاوية فقال له معاوية: وأنت يا قيس؟ تلجم عليٌّ مع من ألجم؟ أما والله لقد كنت أُحبُّ أن لا تأتيني هذا اليوم إلّا وقد ظفر بك ظفرٌ من أظافري موجع. فقال له قيس: وأنا والله قد كنت كارهاً أن أقوم في هذا المقام فأُحيّيك بهذه التحيّة.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٤ ص ١٧.

فقال له معاوية: ولِمَ؟ وهل أنتَ حبرٌ من أحبار اليهود؟!. فقال له قيس: وأنت يا معاوية! كنت صنماً من أصنام الجاهليَّة، دخلتَ في الإسلام كارهاً، وخرجتَ منه طائعاً. فقال معاوية: اللهمّ غفراً مدَّ يدك. فقال له قيس: إن شئت زدت وزدت (تاريخ ابن كثير ج ٨ ص ٩٩).

قيس، ومعاوية في المدينة بعد الصلح بينهما

دخل قيس بن سعد بعد وقوع الصلح في جماعة من الأنصار على معاوية فقال لهم معاوية: يا معشر الأنصار! بِم تطلبون ما قِبلي؟ فوالله لقد كنتم قليلاً معي كثيراً عليَّ، ولفللتم حدّي يوم صفّين حتى رأيت المنايا تلظّى في أسنَّتكم، وهجوتموني في أسلافي بأشدّ من وقع الأسنَّة، حتى إذا أقام الله ما حاولتم ميله، قلتم: ارع وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله. هيهات يأبى الحقين العذرة.

فقال قيس: نطلب ما قِبلك بالإسلام الكافي به الله لا بما نمت به إليك الأحزاب، وأما عداوتنا لك فلو شئت كففتها عنك، وأما هجاؤنا إيّاك فقولٌ يزول باطنه ويثبت حقّه، وأمّا استقامة الأمر فعلى كُره كان منّا، وأمّا فللنا حدّك يوم صفّين فإنّا كنّا مع رجل نرى طاعة الله طاعته، وأمّا وصيّة رسول الله بنا فمن آمن به رعاها بعده، وأمّا قولك: يأبى الحقين العذرة، فليس دون الله يدٌ تحجزك منّا يا معاوية! فدونك أمرك يا معاوية! فإنّما مثلك كما قال الشاعر:

يــا لــك مــنْ قبَّــرة بـمَـعـمــر خلا لك الجوّ فبيضي واصفـري

فقال معاوية يموِّه: إرفعوا حوائجكم.

العقد الفريد ج ٢ ص ١٢١، مروج الذهب ج ٢ ص ٦٣، الإمتاع والمؤانسة ج ٣ ص ١٧٠.

بيان

قول معاوية: يأبى الحقين العذرة. مثلٌ سائر، أصله: أنّ رجلاً نزل بقوم فاستسقاهم لبناً فاعتلّوا عليه وزعموا أن لا لبن عندهم، وكان اللبن محقوناً في وطاب عندهم، يُضرب به للكاذب الذي يعتذر ولا عذر له، يعني: أنّ اللبن

المحقون لديكم يكذّبكم في عذركم. فما في مروج الذهب من: يأبى الحقير العذرة. وفي العقد الفريد أبى الخبير العذر. فهو تصحيف.

قيس ومعاوية في المدينة

روى التابعيُّ الكبير أبو صادق سليم بن قيس الهلالي في كتابه قال: قدم معاوية حاجّاً في أيّام خلافته بعدما مات الحسن بن عليّ عليهما السلام، فاستقبله أهل المدينة فنظر فإذا الذين استقبلوه عامّهم قريش فالتفت معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة فقال: ما فعلت الأنصار: وما بالها ما تستقبلني؟؟!! فقيل: إنّهم محتاجون ليس لهم دواب فقال معاوية: فأين نواضحهم؟ فقال قيس بن سعد: أفنوها يوم بدر وأُحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله صلّى الله عليه وآله حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى ظهر أمر الله وأنتم كارهون. فقال معاوية: اللّهمّ اغفر. فقال قيس: أما إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: سترون بعدي أثرة. فقال معاوية: فما أمركم به؟ قال أمرنا أن نصبر حتّى نلقاه. قال: فاصبروا حتّى تلقوه.

ثمّ قال يا معاوية! تعيّرنا بنواضحنا؟ والله لقد لقيناكم عليها يوم بدر وأنتم جاهدون على إطفاء نور الله، وأن تكون كلمة الشيطان هي العليا؛ ثمّ دخلتَ أنت وأبوك كرهاً في الإسلام الذي ضربناكم عليه. فقال معاوية: كأنّك تمنّ علينا بنصرتكم إيّانا فللّه ولقريش بذلك المنّ والطول. ألستم تمنّون علينا يا معشر الأنصار بنصرتكم رسول الله؟ وهو من قريش وهو ابن عمّنا ومنّا، فلنا المنّ والطول إن جعلكم الله أنصارنا وأتباعنا فهداكم بنا. فقال قيس:

إنّ الله بعث محمّداً صلّى الله عليه وآله، رحمةً للعالمين فبعثه إلى الناس كافّة، وإلى الجنّ والإنس والأحمر والأسود والأبيض اختاره لنبوّته، واختصّه برسالته، فكان أوّل من صدّقه وآمن به ابن عمّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأبو طالب يذبُّ عنه ويمنعه ويحول بين كفّار قريش وبين أن يردعوه أو يؤذوه وأمره أن يبلّغ رسالة ربّه، فلم يزل ممنوعاً من الضيم والأذى حتى مات عمّه أبو طالب، وأمر ابنه بمؤازرته فوازره ونصره، وجعل نفسه دونه في كلّ شديدة وكلّ ضيق

وكلِّ خوف، واختصَّ الله بذلك عليّاً عليه السلام من بين قريش، وأكرمه من بين جميع العرب والعجم، فجمع رسول الله صلّى الله عليه وآله جميع بني عبد المطلب فيهم أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً فدعاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وخادمه عليّ عليه السلام ورسول الله صلّى الله عليه وآله في حجر عمّه أبي طالب فقال: أيّكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في أُمّتي ووليّ كل مؤمن بعدي. فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً، فقال عليّ عليه السلام: أنا يا رسول الله صلّى الله عليك. فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال: اللهمّ املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً. ثمّ قال لأبي طالب: يا أبا طالب اسمع الآن لابنك وأطع فقد جعله الله من نبيّه بمنزلة هرون من موسى. وآخى صلّى الله عليه وآله بين عليّ وبين نفسه فلم يدع قيس شيئاً من مناقبه إلّا ذكره واحتجَّ به.

وقال: منهم: جعفر بن أبي طالب الطيّار في الجنّة بجناحين اختصّه الله بذلك من الناس. ومنهم: حمزة سيِّد الشهداء. ومنهم: فاطمة سيِّدة نساء أهل الجنَّة. فإذا وضعت من قريش رسول الله صلّى الله عليه وآله وأهل بيته وعترته الطيِّبين فنحن والله خيرٌ منكم يا معشر قريش وأحبّ إلى الله ورسوله وإلى أهل بيته منكم، لقد قُبض رسول الله فاجتمعت الأنصار إلى أبي ثمّ قالوا: نُبايع سعداً فجاءت قريش فخاصمونا بحجة عليّ وأهل بيته، وخاصمونا بحقّه وقرابته، فما يعدو قريش أن يكونوا ظلموا الأنصار وظلموا آل محمَّد، ولعمري ما لأحد من الأنصار ولا لِقريش ولا لأحد من العرب والعجم في الخلافة حقٌّ مع عليّ بن أبي طالب وولده من بعده.

فغضب معاوية وقال: يا بن سعد! عمَّن أخذت هذا؟ وعمَّن رويته؟ وعمَّن سمعته؟ أبوك أخبرك بذلك وعنه أخذته؟؟!! فقال قيس: سمعته وأخذته ممَّن هو خيرٌ من أبي وأعظم عليَّ حقّاً من أبي. قال: مَن؟ قال: عليُّ بنِ أبي طالب عالم هذه الامَّة، وصدّيقها الّذي أنزل الله فيه: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾. فلم يدع آية نزلت في عليّ إلّا ذكرها ـ قال معاوية: فإنّ صدّيقها أبو بكر، وفاروقها عمر، والّذي عنده علم الكتاب عبدالله بن سلام. قال

قيس: أحقّ هذه الأسماء وأولى بها الّذي أنزل الله فيه: ﴿أفمن كان على بيِّنة من ربِّه ويتلوه شاهدٌ منه﴾ والّذي نصبه رسول الله صلّى‌الله‌عليه وآله بغدير خمّ فقال: مَن كنت مولاه وأولى به من نفسه فعليٌّ أولى به من نفسه، وقال في غزوة تبوك: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيٌّ بعدي.

كلّما ذكره قيس في هذه المناظرة من الآيات النازلة في أمير المؤمنين، والأحاديث النبويَّة المأثورة في فضله، أخرجها الحفّاظ والعلماء في المسانيد والصحاح نذكر كُلّاً منها في محلّه إن شاء الله كما مرّ بعضها.

قيس في خلقته

إنّ للأشكال والهيئات دخلاً في مواقع الأُبّهة والإكبار، فإنّها هي التي تملأ العيون بادىء بدء، وهي أوّل ما يقع عليه النظر من الإنسان قبل كلّ ما انحنت عليه أضالعه، من جاشٍ رابط، وبطولة وبسالة، ودهاء وحزم، ولذلك قيل: إنّ للهيئة قسطاً من الثمن، وهذا في الملوك والأمراء، وذوي الشئون الكبيرة آكد، فإنّ الرعيَّة تتفرّس في العظيم في جثّته عظماً في معنويّاته، وتترسّم منه كبر نفسياته، وشدّة أمره، ونفوذ عزائمه، وترضخ له قبل الضئيل الذي يحسب أنّه لا حول له ولا طول، وانّه يضعف دون إدارة الشئون طوقه وأوقه، ولذلك انّ الله سبحانه لَمّا عرَّف طالوت لبني إسرائيل ملِكاً عرَّفه بأنّه أوتي بسطةً في العلم والجسم، فبعلمه يُدير شئون الشعب الدينيَّة والمدنيَّة، ويكون ما أوتي من البسطة في الجسم من مؤكّدات الأُبّهة والهيبة التي هي كقوَّة تنفيذيَّة لموادّ العلم وشئونه.

إنّ سيد الأنصار «قيس» لَمّا لم يدع الله سبحانه شيئاً من صفات الفضيلة ظاهرةً وباطنةً إلاّ وجمعه فيه من علم، وعمل، وهدى وورع، وحزم، وسداد، وعقل، ورأي ودهاء، وذكاء، وإمارة، وحكومة، ورياسة، وسياسة، وبسالة، وشهامة، وسخاء، وكرم، وعدل، وصلاح، لم يشأ أن يخليه عن هذه الخاصَّة المربية بمقام العظماء.

فقال شيخنا الديلمي في إرشاده ج ٢ ص ٣٢٥: إنّه كان رجلاً طوله ثمانية عشر شبراً في عرض خمسة أشبار، وكان أشدَّ الناس في زمانه بعد أمير المؤمنين. وقال أبو الفرج: وكان قيس رجلاً طوالاً يركب الفرس المشرف ورجلاه يخطّان في الأرض. ومرَّ ص ٩٨ عن المنذر بن الجارود أنه رآه في الزاوية على فرس أشقر تخطُّ رجلاه في الأرض وقال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ٧٣: كان قيس من العشرة الذين لحقهم النبيّ ﷺ من العصر الأوّل ممَّن كان طولهم عشرة أشبار بأشبار أنفسهم، وكان قيس وأبوه سعد طولهما عشرة أشبار بأشبارهم. وعن كتاب الغارات لإبراهيم الثقفي أنّه قال: كان قيس طوالاً أطول الناس وأمدّهم قامة، وكان سناطاً أصلع شيخاً شجاعاً مجرَّباً مناصحاً لعليّ ولولده ولم يزل على ذلك إلى أن مات.

عدَّ الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ٤٨٠ من الأمثال الدائرة والمضافات المعروفة والمنسوب السائر: سراويل قيس. وقال: إنَّه يُضرب مثلاً لثوب الرجل الضخم الطويل، وكان قيصر بعث إلى معاوية بعلج من علوج الروم طويل جسيم، معجباً بكمال خلقته وامتداد قامته، فعلم معاوية انّه ليس لمطاولته ومقاومته إلاّ قيس بن سعد بن عبادة فإنَّه كان أجسم الناس وأطولهم، فقال له يوماً وعنده العلج: إذا أتيت رحلك فابعث إليَّ بسراويلك. فعلم قيس مراده فنزعها ورمى بها إلى العلج والناس ينظرون فلبسها العلج فطالت إلى صدره، فعجب الناس وأطرق الرومي مغلوباً، وليمَ قيس على ما فعل بحضرة معاوية فأنشد يقول:

أردتُ لكيما يعلم الناس أنَّها ... سراويل قيس والوفود شهودُ
وأن لا يقولوا: غاب قيسٌ وهذه ... سراويل عادٍ قد نمته ثمودُ
وإنّي من القوم اليمانين سيِّدٌ ... وما الناس إلاّ سيِّدٌ ومسودُ
وبزَّ جميع الناس أصلي ومنصبي ... وجسمٌ به أعلو الرجال مديدُ

ورواها ابن كثير في «البداية والنهاية» ج ٨ ص ١٠٣ بتغيير فيها ثمَّ قال: وفي رواية: أنَّ ملك الروم بعث إلى معاوية برجلين من جيشه يزعم أنَّ أحدهما أقوى الروم والآخر أطول الروم: فانظر هل في قومك من يفوقهما في قوّة هذا

وطول هذا؟؟ فإن كان في قومك مَن يفوقهما بعثت إليك من الاسارى كذا وكذا ومن التحف كذا وكذا، وإن لم يكن في جيشك مَن هو أقوى وأطول منهما فهادنّي ثلاث سنين. فلمّا حضروا عند معاوية قال: مَن لهذا القوي؟ فقالوا: ما له إلا أحد رجلين إمّا محمّد بن الحنفيّة أو عبدالله بن الزبير، فجيء بمحمّد بن الحنفيّة وهو ابن عليّ بن أبي طالب فلمّا اجتمع الناس عند معاوية قال له معاوية: أتعلم فيمَ أرسلت إليك؟ قال: لا. فذكر له أمر الروميّ وشدّة بأسه فقال للروميّ: إمّا أن تجلس لي أو أجلس لك، وتناولني يدك أو أُناولك يدي فأيّنا قدر على أن يُقيم الآخر من مكانه غلبه وإلاّ فقد غُلب. فقال له: ماذا تريد؟ تجلس أو أجلس؟ فقال له الروميّ: بل اجلس أنت. فجلس محمّد بن الحنفيّة وأعطى الروميّ يده فاجتهد الروميّ بكلّ ما يقدر عليه من القوّة أن يُزيله من مكانه أو يحرّكه ليقيمه فلم يقدر على ذلك ولا وجد إليه سبيلاً، فغُلب الروميّ عند ذلك وظهر لمن معه من الوفود من بلاد الروم أنّه قد غُلب، ثمّ قام محمّد بن الحنفيّة فقال للروميّ: اجلس لي. فجلس وأعطى محمّداً يده فما أمهله أن أقامه سريعاً ورفعه في الهواء ثمّ ألقاه على الأرض، فسرّ بذلك معاوية سروراً عظيماً؛ ونهض قيس بن سعد فتنحّى عن الناس ثمّ خلع سراويله وأعطاها لذلك الروميّ الطويل فبلغت إلى ثدييه وأطرافها تخطّ بالأرض، فاعترف الروميّ بالغلب وبعث ملكهم ما كان التزمه لمعاوية.

يستفيد القارىء من أمثال هذه الموارد من التاريخ أنّ أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم كانوا هم المرجع لحلّ المشكلات من كلّ الوجوه كما أنّ مولاهم أمير المؤمنين عليه السلام كان هو المرجع الفذّ فيها لدى الصدر الأوّل.

وفاته

قال الواقدي، وخليفة بن خيّاط، والخطيب البغدادي في تاريخه ج ١ ص ١٧٩ وابن كثير في تاريخه ج ٨ ص ١٠٢ وغيرهم بكثير: انّه تُوفي بالمدينة في آخر خلافة معاوية فإن عُدّت سنة وفاة معاوية من سني خلافته فالمترجم له تُوفّي في سنة ستّين، وإلاّ ففي تسع وخمسين، ولعلّ هذا منشأ ترديد ابن عبد البرّ في الاستيعاب وابن الأثير في اسد الغابة في تاريخ وفاته بين السنتين، ففي

الأوّل: أنَّه توفّي سنة ستّين. وقيل تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية، وفي الثاني بالعكس، وذكر ابن الجوزي سنة ٥٩ وتبعه ابن كثير في تاريخه، وهناك قول لابن حبّان متروكٌ قال: إنَّه هرب من معاوية ومات سنة ٨٥ في خلافة عبد الملك. ذكره ابن حجر في الإصابة ج ٣ ص ٢٤٩، وأستصوب قول خليفة ومن وافقه.

بيت قيس

كان في العصور المتقادمة آل قيس من أشرف بيوتات الأنصار، وما زال منبثق أنوار العلم والمجد في أدواره، بين زعيم، وحافظ، وعالم، ومحدِّث، ومشفوع بالصلاح والقداسة، منهم:

أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عمّار بن يحيى بن العبّاس بن عبد الرحمن بن سالم بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري: ترجم له السمعاني في «الأنساب» وقال: من أشرف بيت في الأنصار، ومن أوحد مشايخ نيسابور في الثروة والعدالة والورع والقبول والإتقان من الرواية، وأكثرهم طلباً للحديث والفهم والمعرفة، سمع بنيسابور محمّد بن رافع، وإسحاق بن منصور، وعبد الرحمن بن بشير بن الحكم، وبالعراق عمر بن شبّه النميري، والحسن بن محمَّد بن الصباح، ومحمَّد بن إسماعيل الأحمسي، وأحمد بن سنان القطّان، وبالحجاز بحر بن نصر الخولاني، وبالري أبا زرعة، ومحمَّد بن مسلم بن داره، روى عنه أبو إسحاق إبراهيم بن عبدوس، ومحمَّد بن شريك الإسفرايني، وأبو أحمد إسماعيل بن يحيى بن زكريّا، مات في جمادى الآخر سنة ٣١٧ بنيسابور.

ومنهم: أبو بكر محمّد بن أبي نصر أحمد بن العبّاس بن الحسن بن جبلة بن غالب بن جابر بن نوفل بن عياض بن يحيى بن قيس بن سعد الأنصاري الشهيربالعِياضي[بكسر العين] ذكره السمعاني في «الأنساب» وقال: من أهل سمرقند كان فقيهاً جليلاً من رؤساء البلدة والمنظورين إليهم، روى عن أبي علي محمّد بن محمّد بن الحرث الحافظ السمرقندي لقيه أبو سعد الإدريسي[1] ولم

---

(١) أبو سعد عبد الرحمن بن محمد الأسترابادي نزيل سمرقند والمتوفّى بها في سلخ ذي الحجة سنة ٤٠٥.

يكتب عنه شيئاً[1].

ومنهم: أبو أحمد بن أبي نصر العياضي أخو أبي بكر العياضي المذكور.

ومنهم: ابن المطري أبو محمّد عبدالله بن محمّد بن أحمد بن خلف بن عيسى بن عسّاس بن يوسف بن بدر بن عثمان الأنصاري الخزرجي العبادي المدني. قال أبو المعالي السلامي في «المختار» كما في منتخبه ص ٧٢: إنّه من ولد قيس بن سعد بن عبادة.

كان حافظ وقته، حسن الأخلاق، كثير العبادة، جميل العشرة مع العلماء وروّاد العلم، ارتحل في سماع الحديث إلى الشام ومصر والعراق، ورأى في حياته كوارث، نهبت داره سنة ٧٤٢ وحبس مدّة ثمّ أُطلق، له كتاب [الإعلام فيمن دخل المدينة من الأعلام] سمع الحديث بالمدينة المشرّفة من أبي حفص عمر بن أحمد السوداني، وبالقاهرة من أبي الحسن عليّ بن عمر الواني، ويوسف بن عمر الختني، ويوسف بن محمّد الدبابيسي، وبالإسكندريّة من عبد الرحمن بن مخلوف بن جماعة، وبدمشق من أحمد بن أبي طالب بن الشحنة، والقاسم بن عساكر، وأبي نصر ابن الشيرازي، وببغداد من محمّد بن عبد المحسن الدواليبي. توفّي بالمدينة المشرّفة في ربيع الأوّل سنة ٧٦٥[2].

ومنهم: أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عبد المعطي بن أحمد بن عبد المعطي بن مكّي بن طرد بن حسين بن مخلوف بن أبي الفوارس بن سيف الإسلام[3] بن قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري المكّي المالكي النحوي، المولود سنة ٧٠٩ والمتوفّى في المحرّم سنة ٨٠٨، ترجم له السيوطي في «بغية الوعاة» ص ١٦١.

﴿الحمدُ لله وَسَلامٌ عَلى عِبادِهِ الَّذين اصطَفى﴾

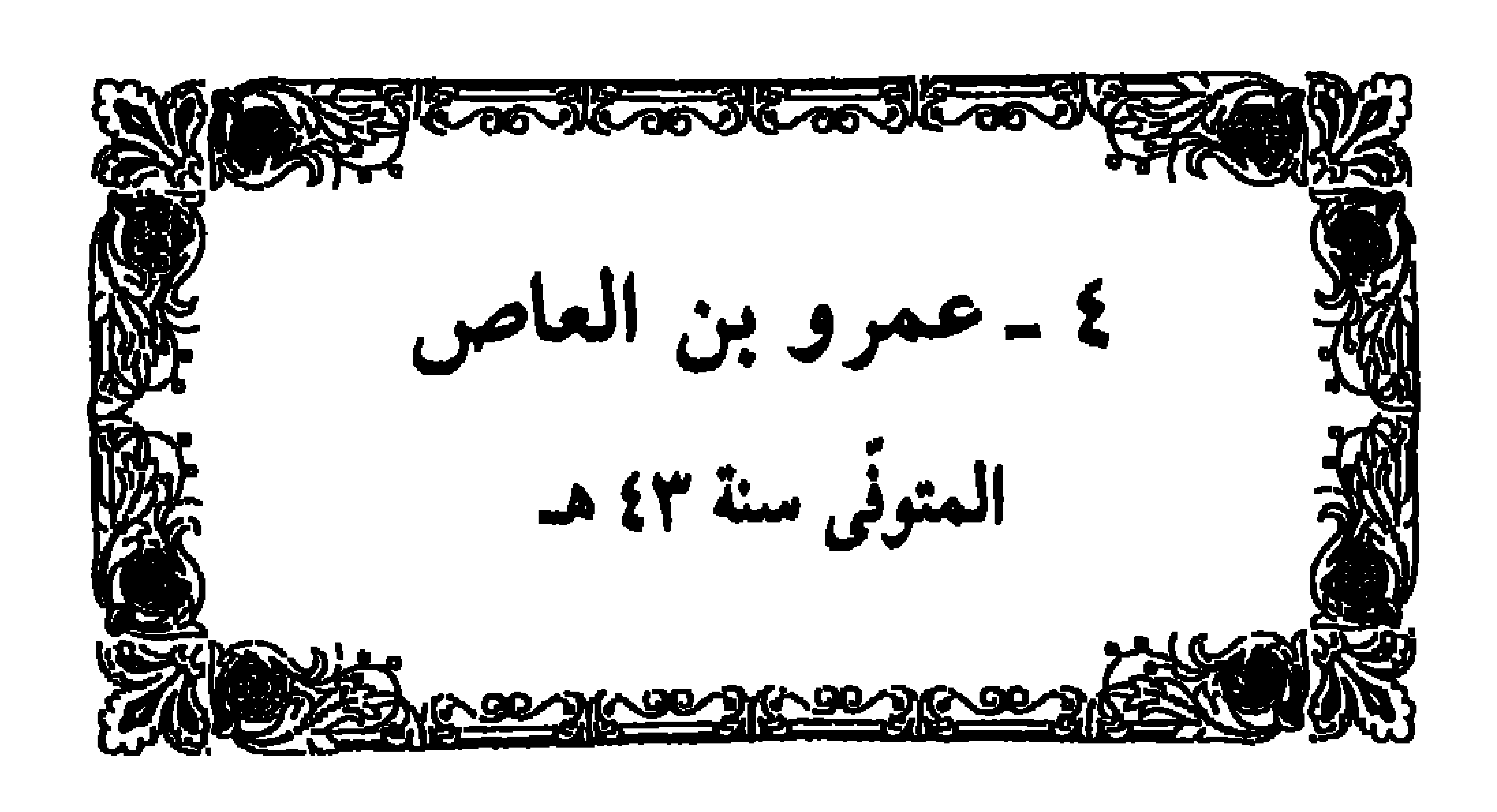
سورة النمل: الآية: ٥٩

---

(١) وذكره وأخاه محيي الدين ابن أبي الوفاء في «الجواهر المضيئة» ص ١٣ .

(٢) أخذناها من «منتخب المختار» ص ٧٢، «الدرر الكامنة» ص ٢٨٤ .

(٣) أحسب هنا سقطاً في النسب كما لا يخفى.



٤ ـ عمرو بن العاص

المتوفّى سنة ٤٣ هـ

معــاويةُ الحــال لا تجهـلِ ... وعن سُبـل الحقّ لا تعــدلِ
نسيـت احتيــالي فـي جُلّق ... على أهلها يوم لبس الحلي؟
وقــد أقبلوا زمـراً يهـرعــون ... مهـاليع كـالبقـر الجفّــلِ[١]
وقولي لهم: إنّ فرض الصّلاة ... بـغيـر وجــودك لـم تُقبــلِ
فـولّـوا ولم يعبـأوا بـالصّــلاة ... ورمت النفــار إلى القسـطلِ
ولمّـا عصيت إمـام الهـدى ... وفي جيشــه كـلُّ مُستفحــلِ
أبـا البقـر البكم أهـل الشـآم ... لأهـل التقى والحجى ابتلي؟
فقلت: نعم، قم فـإنّي أرى ... قتـال المفضّـل بـالأفضــلِ
فبي حـاربـوا سيّـد الأوصيـآء ... بقولي: دمٌ طُلّ من نعثـلِ[٢]
وكدتُ لهم أن أقاموا الرّمـاح ... عليها المصاحف في القسطلِ
وعلّمتهـم كـشف ســوءاتـهم ... لـــردّ الغضـنفـرة الـمقبــلِ
فقــام البـغــاة على حيــدرٍ ... وكفّوا عن المشعل المصطلي
نسيـت محــاورة الأشـعــري ... ونحن على دومـة الجنـدلِ؟
ألين فـيــطمــع في جــانـبي ... وسهمي قد خاض في المقتلِ
خلعتُ الخــلافـة من حيـدرٍ ... كخلع النعـــال من الأرجــلِ

---

(١) أهرع: أسرع. الهلع: الجزع. الجفل: النفر والشرد.

(٢) طل الدم: هدر أو لم يُثار له فهو طليل ومطلول ومطل.

وألبستها فيك بعد الأياس ... كلبس الخواتيم بالأنمل
ورقّيتك المنبر المشمخرّ ... بلا حدِّ سيف ولا منصلِ
ولو لم تكن أنت من أهله ... وربِّ المقام ولم تكملِ
وسيّرت جيش نفاق العراق ... كسير الجنوب مع الشمألِ
وسيّرتُ ذكرك في الخافقين ... كسير الحَمير مع المحملِ
وجهلك بي يا بن آكلة الـ ... ـكبود لأعظم ما أبتلي
فلولا موازرتي لم تُطع ... ولولا وجوديَ لم تُقبلِ
ولولاي كنتَ كمثل النساء ... تعاف الخروج من المنزلِ
نصرناك من جهلنا يابن هند ... على النبأ الأعظم الأفضلِ
وحيث رفعناك فوق الرؤوس ... نزلنا إلى أسفل الأسفلِ
وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصّصة في علي؟
وفي يوم «خمّ» رقى منبراً ... يُبلّغ والركب لم يرحلِ (١)
وفي كفّه كفّه معلناً ... يُنادي بأمر العزيز العلي
ألستُ بكم منكمُ في النفوس ... بأولى؟ فقالوا: بلى فافعلِ
فأنحله إمرة المؤمنين ... من الله مُستخلف المنحلِ
وقال: فمن كنت مولى له ... فهذا له اليوم نعم الولي
فوال مواليه يا ذا الجلا ... ل وعاد معادي أخ المرسلِ
ولا تنقضوا العهد من عترتي ... فقاطعهم بي لم يوصلِ
فبخبخ شيخك لَمّا رأى ... عُرى عقد حيدرَ لم تُحللِ
فقال: وليّكمُ فاحفظوه ... فمدخله فيكمُ مدخلي
وإنّا وما كان من فعلنا ... لفي النّار في الدرك الأسفلِ
وما دمُ عثمان منجٍ لنا ... من الله في الموقف المُخجلِ
وإنّ عليّاً غداً خصمنا ... ويعتزُّ بالله والمرسلِ (٢)

---

(١) في بعض النسخ: وبلغ والصحب لم ترحل.
(٢) في رواية الخطيب التبريزي: سيحتج بالله والمرسل.

يُحاسبنا عن أمور جرت ... ونحن عن الحقِّ في معزلِ
فما عذرنا يوم كشف الغطا؟ ... لك الويل منه غداً ثمّ لي
ألا يا بن هند أبعتَ الجنان ... بعهد عهدت ولم توف لي
وأخسرتَ اخراك كيما تنال ... يسير الحطام من الأجزلِ
وأصبحت بالنّاس حتّى استقام ... لك الملك من مِلك محولِ
وكنت كمقتنص في الشراك[1] ... تذود الظماء عن المنهلِ
كأنّك أنسيت ليل الهرير ... بصفّين مع هولها المهولِ
وقد بتّ تذرق ذَرق النّعام ... حذاراً من البطل المقبلِ
وحين أزاح جيوش الضلا ... ل وافاك كالأسد المبسلِ
وقد ضاق منك عليك الخناق ... وصار بك الرُّحب كالفلفلِ[2]
وقولك: يا عمروا أين المفرّ ... من الفارس القسور المسبلِ؟
عسى حيلة منك عن ثنيه ... فإنّ فؤاديَ في عسعلِ
وشاطرتني كلّما يستقيم ... من الملك دهرك لم يكملِ
فقمت على عجلتي رافعاً ... وأكشف عن سوأتي أذيلي
فستّر عن وجهه وانثنى ... حياءً وروعك لم يُعقلِ
وأنت لخوفك من بأسه ... هناك ملأت من الأفكلِ[3]
ولَمّا ملكت حماة الأنام ... ونالت عصاك يد الأوّلِ
منحتَ لغيريَ وزن الجبال ... ولم تُعطني زنة الخردلِ
وأنحلتَ مصراً لعبد الملك[4] ... وأنت عن الغيِّ لم تعدلِ
وإن كنت تطمع فيها فقد ... تخلّى القطا من يد الأجدلِ
وإن لم تسامح إلى ردّها ... فإنّي لحوبكمُ مُصطلي

---

(١) اقتنص الطير أو الظبي: اصطاده.
(٢) الفلفل: القرب بين الخطوات.
(٣) الأفكل: الرعدة من الخوف.
(٤) عبد الملك بن مروان والد الخلفاء الأمويين.

بخيلٍ جيادٍ وشمٍّ الأنوف ... وبالمرهفات وبالذبَّلِ
وأكشف عنك حجاب الغرور ... وأيقظ نائمة الأثكلِ
فإنَّك من إمرة المؤمنين ... ودعوى الخلافة في معزلِ
وما لك فيها ولا ذرَّة ... ولا لجدودك بالأوَّلِ
فإن كان بينكما نسبةٌ ... فأين الحسام من المنجلِ؟
وأين الحصا من نجوم السما؟ ... وأين معاويةٌ من علي؟
فإن كنتَ فيها بلغتَ المنى ... ففي عنقي عَلق الجلجلِ[1]

ما يتبع الشعر

هذه القصيدة المسمَّاة بالجلجليَّة، كتبها عمرو بن العاص، إلى معاوية بن أبي سفيان، في جواب كتابه إليه يطلب خراج مصر ويُعاتبه على امتناعه عنه، توجد منها نسختان في مجموعتين في المكتبة الخديويَّة بمصر كما في فهرستها المطبوع سنة ١٣٠٧ ج ٤ ص ٣١٤ وروى جملةً منها ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٢ ص ٥٢٢ وقال: رأيتها بخطِّ أبي زكريّا يحيى[2] بن عليّ الخطيب التبريزيّ المتوفّى سنة ٥٠٢.

وقال الإسحاقي في «لطائف أخبار الدول» ص ٤١: كتب معاوية، إلى عمرو بن العاص: أنّه قد تردَّد كتابي إليك بطلب خراج مصر وأنت تمتنع وتُدافع ولم تسيِّره فسيِّره إليَّ قولاً واحداً وطلباً جازماً، والسَّلام.

فكتب إليه عمرو بن العاص جواباً وهي القصيدة الجلجليَّة المشهورة التي أوّلها:

معاوية الفضل لا تنس لي ... وعن نهج الحقِّ لا تعدلِ

---

(١) مثل يضرب راجع مجمع الأمثال للميداني ص ١٩٥.
(٢) أحد أئمّة اللغة والنحو قال ابن ناصر: كان ثقة في النقل وله المصنفات الكثيرة. كذا ترجم له ابن كثير في تاريخه ج ١٢ ص ١٧١.

نسيتَ احتيالي في جلّق ... على أهلها يوم لبس الحلي؟
وقد أقبلوا زمراً يهرعون ... ويأتون كالبقر المهّلِ

ومنها أيضاً:

ولولاي كنتَ كمثل النساء ... تُعاف الخروج من المنزلِ
نسيت محاورة الأشعري ... ونحن على دومة الجندلِ؟
وألعقته عسلاً بارداً ... وأمزجت ذلك بالحنظلِ[1]
ألين فيطمع في جانبي ... وسهميَ قد غاب في المفصلِ
وأخلعتها منه عن خدعة ... كخلع النعال من الأرجلِ
وألبستها فيك لَمّا عجزت ... كلبس الخواتيم في الأنمل

ومنها أيضاً:

ولم تك والله من أهلها ... وربِّ المقام ولم تكملِ
وسيَّرتُ ذكرك في الخافقين ... كسير الجنوب مع الشمألِ
نصرناك من جهلنا يا بن هند ... على البطل الأعظم الأفضلِ
وكنتَ ولن ترها في المنام ... فزُفَّت إليك ولا مهر لي
وحيث تركنا أعالي النفوس ... نزلنا إلى أسفل الأرجلِ
وكم قد سمعنا من المصطفى ... وصايا مخصَّصة في علي

ومنها أيضاً:

وإن كان بينكما نسبةٌ ... فأين الحسام من المنجلِ؟
وأين الثريّا وأين الثرى؟ ... وأين معاويةُ من علي؟

فلمّا سمع معاوية هذه الأبيات لم يتعرَّض له بعد ذلك. اهـ.

---

(١) في رواية الخطيب التبريزي:
فالمظه علاً بارداً ... وأخبأ من تحته حنظلي

وذكر الشيخ محمَّد الأزهري، وفي شرح مغني اللبيب ج ١ ص ٨٢ هذه الأبيات برمَّتها حرفيّاً نقلاً عن تاريخ الإسحاقي غير أنَّه حذف قوله:

وحيث تركنا أعالي النفوس   نزلنا إلى أسفل الأرجلِ

وذكر منها ثلاث عشر بيتاً ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ٣ ص ١٠٦.

وأخذ منها السيِّد الجزائري في «الأنوار النعمانيَّة» ص ٤٣ عشرين بيتاً.

وذكر برمَّتها الزنوزي في الروضة الثانية من رياض الجنَّة وقال: هذه القصيدة تسمَّى بالجلجليَّة لِما في آخرها: وفي عنقي عَلق الجلجل.

وخمَّسها بطولها الشاعر المفلق الشيخ عبّاس الزيوري البغدادي، وقفت عليه في ديوانه المخطوط المصحَّح بقلمه، ويوجد التخميس في إحدى نسختي المكتبة الخديويَّة بمصر.

﴿يَقُولُونَ بِأفواهِهِمْ ما لَيسَ في قُلوُبِهِم والله أعلَمُ بِما يَكتُمُونَ﴾

سورة آل عمران: آية ١٦٧

الشاعر

عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بنُ سُعيد (بالتصغير) بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لوي القرشي أبو محمّد وأبو عبد الله.

أحد دُهاة العرب الخمس، منه بدئت الفتن وإليه تعود، وتقحّمه في البوائق والمخاريق ثابتٌ مشهورٌ تضمَّنته طيّات الكتب، وتناقلته الآثار والسِير، وإذا استرسلتَ في الكلام عن الجور والفجور فحدِّث عنه ولا حرج، كما تجده في كلمات الصحابة الأوَّلين، فالبغل نغل وهو لذلك أهل[١]. ويقع الكلام في ترجمته عن نواحي شتّى.

---

(١) مثل يضرب لمن لؤم أصله فخبث فعله.

نسبه

أبوه هو الأبتر بنصِّ الذكر الحميد(إنَّ شانئك هو الأبتر)وعليه أكثر أقوال المفسِّرين والعلماء[1] وفي بعض التفاسير وإن جاء ترديدٌ بينه وبين أبي جهل وأبي لهب وعقبة بن أبي معيط وغيرهم إلاّ أنّ القول الفصل ما ذكره الفخر الرازي من: أنّ كُلًّا من أولئك كانوا يشنئون رسول الله ﷺ إلاّ أنَّ ألهجهم به وأشدَّهم شنئةً العاص بن وائل. فالآية تشملهم أجمع، ويخصُّ اللعين بخزيٍ آكد، ولذلك اشتهر بين المفسِّرين أنّه هو المراد.

قال الرازي في تفسيره ج ٨ ص ٥٠٣، رُوي أنّ العاص بن وائل كان يقول: إنَّ محمّداً أبتر لا ابن له يقوم مقامه بعده، فإذا مات انقطع ذكره، واسترحتم منه، وكان قد مات ابنه عبدالله من خديجة، وهذا قول ابن عبّاس ومقاتل والكلبي وعامّة أهل التفسير. وقال ص ٥٠٤ بعد نقل الأقوال الأُخر: ولعلَّ العاص بن وائل كان أكثرهم مواظبةً على هذا القول، فلذلك اشتهرت الروايات بأنَّ الآية نزلت فيه.

وروى التابعيُّ الكبيرُ سليم بن قيس الهلالي في كتابه: أنَّ الآية نزلت في المترجم نفسه، كان أحد شانئي رسول الله صلّى الله عليه وآله لمّا مات ولده إبراهيم فقال: إنَّ محمَّداً قد صار أبتر لا عقب له. وذكره بذلك أمير المؤمنين في أبيات له تأتي فقال:

إن يقرنوا وصيّه والأبترا   شاني الرسول واللعين الأخزرا

وذكره بذلك عمّار بن ياسر يوم صفّين، وعبدالله بن جعفر في حديثيهما الآتيين. فالمترجم له هو (الأبتر ابن الأبتر) وبذلك خاطبه أمير المؤمنين

---

(١) راجع الطبقات لابن سعد ج ١ ص ١١٥، والمعارف لابن قتيبة ص ١٢٤، وتاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ٢٣٠.

عليه السلام في كتاب له يأتي بقوله: من عبدالله أمير المؤمنين، إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص شانىء محمَّد وآل محمَّد في الجاهليَّة والإسلام.

تُعرِّفنا الآية الكريمة المذكورة أنَّ كلَّ معزوٍّ إلى العاص من الولد من ذكر أو انثى من المترجم له أو غيره ليسوا لرشدة، فمن هنا تعرف فضيلة عمرو من ناحية النسب، أضف إلى ذلك حديث امِّه ليلى العنزيَّة الجلاّنيَّة.

كانت امّه ليلى أشهر بغيّ بمكّة وأرخصهنَّ اجرةً، ولَمّا وضعته ادّعاه خمسة كلّهم أتوها غير أنّ ليلى ألحقته بالعاص لكونه أقرب شبهاً به، وأكثر نفقةً عليها، ذكرت ذلك أروى بنت الحارث بن عبد المطلب لَمّا وفدت إلى معاوية فقال لها: مرحباً بك يا عمَّة! فكيف كنت بعدنا؟ فقالت: يا بن أخي! لقد كفرتَ يد النعمة، وأسأت لابن عمِّك الصحبة، وتسمَّيت بغير اسمك، وأخذتَ غير حقِّك، من غير بلاء كان منك ولا من آبائك، ولا سابقة في الإسلام، ولقد كفرتم بما جاء به محمَّد صلّى الله عليه وآله فأتعس الله منكم الجدود، وأصعر منكم الخدود، حتى ردّ الله الحقَّ إلى أهله، وكانت كلمة الله هي العليا، ونبيِّنا محمَّد صلّى الله عليه وآله هو المنصور على مَن ناواه ولو كره المشركون، فكنّا أهل البيت أعظم الناس في الدين حظّاً ونصيباً وقدراً حتّى قبض الله نبيَّه صلّى الله عليه وآله مغفوراً ذنبه، مرفوعاً درجته، شريفاً عند الله مرضيّاً، فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يُذبِّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، وصار ابن عمِّ سيِّد المرسلين فيكم بعد نبيِّنا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول: يابن امّ إنَّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني، ولم يجمع بعد رسول الله لنا شملٌ، ولم يسهل لنا وعرٌ، وغايتنا الجنّة، وغايتكم النار.

فقال لها عمرو بن العاص: أيّها العجوز الضالَّة؟ اقصري من قولكِ، وغضّي من طرفكِ. قالت: ومن أنت؟ لا امٌّ لك. قال: عمرو بن العاص. قالت يا بن اللخناء النابغة تتكلّم وامّك كانت أشهر إمرأة بمكّة وآخذهن لأجرة، اربع على

ظلعك(١) وأعن بشأن نفسك فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ولا كريم منصبها، ولقد ادّعاك ستّة(٢) نفر من قريش كلّه يزعم أنّه أبوك فسألت امّك عنهم فقالت: كلّهم أتاني فانظروا أشبههم به فألحقوه به، فغلب عليك شبه العاص بن وائل فلحقت به، ولقد رأيت امّك أيام منى بمكّة مع كل عبد عاهر، فأتمّ بهم فإنّك بهم أشبه(٣).

وقال الإمام السبط الحسن الزكيّ سلام الله عليه، بمحضر من معاوية وجمع آخر: أمّا أنت يا بن العاص فإنّ أمرك مشترك، وضعتك امّك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة(٤) من قريش فغلب عليك جزّارها، ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً، ثمّ قام أبوك فقال: أنا شانئي محمّد الأبتر فأنزل الله فيه ما أنزل(٥).

وعدّه الكلبي أبو المنذر هشام المتوفّى سنة ٢٠٦/ ٤ في كتابه «مثالب العرب» الموجود عندنا، ممّن يدين بسفاح الجاهليّة، وقال في باب تسمية ذوات الرايات: وأمّا النابغة امّ عمرو بن العاص: فإنّها كانت بغيّاً من طوائف مكّة فقدمت مكّة ومعها بنات لها، فوقع عليها العاص بن وائل في الجاهليّة في عدّة من قريش منهم: أبو لهب، وأميّة بن خلف، وهشام بن المغيرة، وأبو سفيان بن

---

(١) مثل يضرب لمن يتوعد. ربع في المكان أي أقام به. الظلع: العرج. يقال: ظلع البعير أي غمز في مشيته فالمعنى: لا تجاوز حدك في وعيدك، وأبصر نقصك وعجزك عنه.

(٢) في العقد الفريد، وروض المناظر: خمسة.

(٣) بلاغات النساء ص ٢٧، العقد الفريد ج ١ ص ١٦٤، روض المناظر ج ٨ ص ٤، ثمرات الأوراق ج ١ ص ١٣٢، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ١ ص ٢١٥، جمهرة الخطب ج ٢ ص ٣٦٣.

(٤) في لفظ الكلبي وسبط ابن الجوزي: خمسة.

(٥) أخذنا هذه الجملة من حديث المهاجاة الطويلة الواقعة بين الإمام الحسن بن علي وبين عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة، وعتبة بن أبي سفيان، والمغيرة بن شعبة، في مجلس معاوية رواه ابن أبي الحديد في شرحه ج ٢ ص ١٠١ نقلاً عن كتاب المفاخرات للزبير بن بكار، وذكره سبط ابن الجوزي في التذكرة ص ١١٤.

حرب، في طهر واحد فولدت عمراً فاختصم القوم جميعاً فيه كلٌّ يزعم أنه ابنه، ثمَّ إنَّه أضرب عنه ثلاثة وأكبَّ عليه إثنان: العاص بن وائل، وأبو سفيان بن حرب فقال أبو سفيان: أنا والله وضعته في حر أُمّه. فقال العاص: ليس هو كما تقول هو ابني فحكّما امّه فيه فقالت للعاص. فقيل لها بعد ذلك: ما حملك على ما صنعتِ وأبو سفيان أشرف من العاص؟ فقالت: إنَّ العاص كان ينفق على بناتي، ولو ألحقته بأبي سفيان لم ينفق عليَّ العاص شيئاً وخفت الضيعة، وزعم ابنها عمرو بن العاص أنَّ امَّه إمرأة من غنزة بن أسد بن ربيعة.

وكان الزناة الذين اشتهروا بمكّة جماعةٌ منهم هؤلاء المذكورون وأميَّة بن عبد شمس، وعبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص أخو مروان بن الحكم، وعتبة بن أبي سفيان أخو معاوية، وعقبة بن أبي مُعيط[1].

وعدَّه الكلبي من الأدعياء في باب ـ أدعياء الجاهليَّة ـ وقال: قال الهيثم: ومن الأدعياء عمرو بن العاص، وامّه النابغة حبشيَّةٌ، وأُخته لأمّه أُرينب (بضم الألف) وكانت تُدعى لعفيف بن أبي العاص، وفيها قال عثمان لعمرو بن العاص: لمن كانت تُدعى أُختك أُرينب يا عمرو؟ فقال: لعفيف بن أبي العاص. قال عثمان: صدقت. انتهى.

وروى أبو عبيدة معمَّر بن المثنّى المتوفّى سنة ٢٠٩/ ١١ في كتاب «الأنساب»: إنَّ عمراً اختصم فيه يوم ولادته رجلان: أبو سفيان، والعاص، فقيل: لتحكم أُمّه فقالت: إنَّه من العاص بن وائل. فقال أبو سفيان. أما إني لا أشكّ إنّني وضعته في رحم امّه فأبت إلاّ العاص فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً. فقالت: إنَّ العاص بن وائل كثير النفقة عليَّ وأبو سفيان شحيحٌ. ففي ذلك يقول حسّان بن ثابت، لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء رسول الله صلّى الله عليه وآله:

(١) وإلى هنا ذكره سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ١١٧ عن المثالب.

أبوك أبو سفيان لا شكٌّ قد بدت لنا فيك منه بيِّنات الدلائلِ
ففاخر به إمّا فخرت ولا تكن تُفاخر بالعاص الهجين بن وائلِ
وإنّ التي في ذاك يا عمرو حكّمت فقالت رجاءً عند ذاك لنائلِ
من العاص عمرو تُخبر الناس كلّما تجمّعت الأقوام عند المحاملِ (١)

وقال الزمخشري في «ربيع الأبرار»: كانت النابغة امّ عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة (بالتحريك) فسبيت فاشتراها عبدالله بن جذعان التيميّ بمكّة فكانت بغيّاً. ثمّ ذكر نظير الجملة الاولى من كلام الكلبي ونسب الأبيات المذكورة إلى أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب. وقال: جُعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن امّه ولم تكن بمنصب مرضيٍّ فأتاه بمصر أميراً عليها فقال: أردت أن أعرف امّ الأمير. فقال: نعم، كانت امرأة من عَنزة، ثمّ من بني جلّان تُسمّى ليلى وتلقّب النابغة، اذهب وخذ ما جُعل لك(٢).

وقال الحلبي في سيرته ج ١ ص ٤٦ في نكاح البغايا. ونكاح الجمع من أقسام نكاح الجاهليّة: الأوّل أن يطأ البغيّ جماعةٌ متفرِّقين واحداً بعد واحد فإذا حملت وولدت أُلحق الولد بمن غلب عليه شبهه منهم. الثاني: أن تجتمع جماعة دون العشرة ويدخلون على امرأة من البغايا ذوات الرايات كلّهم يطؤوها فإذا حملت ووضعت ومرّ عليها ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجلٌ أن يمتنع حتّى يجتمعوا عندها فتقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم وقد ولدت وهو ابنك يا فلان. تسمّي مَن أحبّت منهم فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منهم الرجل إن لم يغلب شبهه عليه، وحينئذٍ يحتمل أن تكون امُّ عمرو بن العاص رضي الله عنه من القسم الثاني فإنّه يقال: إنّه وطئها أربعة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠١.

(٢) ورواه المبرد في الكامل، ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٨٤، ابن عبد البر في الاستيعاب، وذكر في شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٠، جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٩.

وهم: العاص، وأبو لهب، وأميّة، وأبو سفيان، وادّعى كلّهم عمراً فألحقته بالعاص لإنفاقه على بناتها. ويُحتمل أن يكون من القسم الأوّل ويدلُّ عليه ما قيل: إنّه أُلحق بالعاص لغلبة شبهه عليه، وكان عمرو يُعيَّر بذلك عيّره عليّ وعثمان والحسن وعمّار بن ياسر وغيرهم من الصحابة رضي الله تعالى عنهم. وسيأتي ذلك في قصّة قتل عثمان عند الكلام على بناء مسجد المدينة(١).

عبدالله وعمرو

روى الحافظ ابن عساكر في تاريخ الشام ج ٧ ص ٣٣٠: إنّ عمرو بن العاص قال لعبدالله بن جعفر الطيّار ذي الجناحين، في مجلس معاوية: يابن جعفر! يريد تصغيره. فقال له: لئن نسبتني إلى جعفر فلست بدعيّ ولا أبتر ثمّ ولّى وهو يقول:

تعرضت قرن الشمس وقت ظهيرة ... لتستر منه ضوءه بظلامكا
كفرت اختياراً آمنت خيفةً ... وبغضك إيّانا شهيدٌ بذلكا

* * *

أخرج الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٤٣٨: إنّ عبدالله بن أبي سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب الهاشميّ قدم على معاوية وعنده عمرو فجاء الآذن فقال: هذا عبدالله وهو بالباب. فقال: إئذن له. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين! لقد أذنت لرجل كثير الخلوات للتلهّي، والطربات للتغنّي، صدوفٌ عن السنان، محبٌّ للقيان، كثيرٌ مزاحه، شديدٌ طماحه، ظاهر الطيش، ليّن العيش، أخّاذٌ للسلف، صفّاقٌ للشرف. فقال عبدالله: كذبت يا عمروا وأنت أهله ليس كما وصفت ولكنّه: لله ذكورٌ، ولبلائه شكورٌ، وعن الخنا زجورٌ، سيّدٌ كريمٌ، ماجدٌ

---

(١) ذكر قتل عثمان عند الكلام على بناء المسجد ج ٢ ص ٧٢، ٨٨ ولم يوجد هناك شيء مما أوعز إليه.

صميمٌ، جوادٌ حليمٌ، إن ابتدأ أصاب، وإن سُئل أجاب، غير حصر ولا هيَّاب، ولا فاحش عيّاب، كذلك قضى الله في الكتاب، فهو كالليث الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعيّ ولا دنيّ كمن اختصم فيه من قريش شرارها فغلب عليه جزّارها، فأصبح ينوء بالدليل، ويأوي فيها إلى القليل، قد بدت بين حيّين، كالساقط بين المهدين، لا المعتزي إليهم قبلوه ولا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعري بأيّ حَسب تُنازل للنضال؟ أم بأيٍّ قديم تُعرِّض للرجال؟ أبنفسك؟ فأنت الخوّار الوغد الزنيم. أم بمن تنتمي إليه؟ فأنت أهل السفه والطيش والدّناءة في قريش، لا بشرف في الجاهليَّة شهر، ولا بقديم في الإسلام ذُكر، غير انَّك تنطق بغير لسانك، وتنهض بغير أركانك، وأيم الله إن كان لأسهل للوعث[1] وألمّ للشعث[2] أن يكعمك[3] معاوية على ولوعك بأعراض قريش كعام الضبع في وجاره[4] فأنت لست لها بكفيّ، ولا لأعراضها بوفيّ. قال: فتهيَّأ عمرو للجواب فقال له معاوية: نشدتك الله إلاّ ما كففت. فقال عمرو: يا أمير المؤمنين دعني أنتصر فإنَّه لم يدع شيئاً. فقال معاوية: أمّا في مجلسك هذا فدع الإنتصار وعليك بالإصطبار. وأشار إلى هذه القصّة ابن حجر في الإصابة ج ٢ ص ٣٢٠.

إسلامه

إنّ الذي حدانا إليه يقينٌ لا يُخالجه شكٌّ بعد الأخذ بمجامع ما يُؤثر عن الرجل في شئونه وأطواره: أنّه لم يعتنق الدين إعتناقاً، وإنّما انتحله انتحالاً وهو في الحبشة، نزل بها مع عمارة بن الوليد لإغتيال جعفر وأصحابه رُسل النبيِّ الأعظم تنتهي إليه الأنباء عن أمر الرسالة، ويبلغه التقدُّم والنشور له، وسمع من النجاشي

---

(١) الوعث بالفتح: العسر الغليظ.
(٢) يقال: لم الله شعثهم. أي جمع أمرهم.
(٣) يقال: كعم البعير. أي شد فمه لئلاّ يعض أو يأكل.
(٤) الوجار بكسر الواو وفتحها: جحر الضبع وغيرها.

قوله: أتسألني أن أُعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله؟ فقال: أيُّها الملك! أكذلك هو؟ فقال: ويحك يا عمرو أطعني واتَّبعه فإنَّه والله لعلى الحقِّ وليظهرنَّ على من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده[١].

فراقه التزلّف إلى صاحب الرسالة بالتسليم له فلم ينكفىء إلى الحجاز إلّا طمعاً في رتبة، أو وقوفاً على لُماظة العيش، أو فَرقاً من البطش الإلّهي بالسلطة النبويَّة. فنحن لا نعرفه في غضون هاتيك المُدد التي كان يُداهن فيها المسلمين ويُصانعهم إبقاءاً لحياته، واستدراراً لمعاشه، إلّا كما نعرفه يوم كان يهجو رسول الله صلّى الله عليه وآله بقصيدة ذات سبعين بيتاً فلعنه صلّى الله عليه وآله عدد أبياته. وهو كما قال أمير المؤمنين: متى ما كان للفاسقين وليّاً، وللمسلمين عدّواً؟؟ وهل يشبه إلّا أمّه الّتي دفعت به[٢]. وكان كما يأتي عن أمير المؤمنين من قوله: والذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا.

قال ابن أبي الحديد في الشرح ج ١ ص ١٣٧: قال شيخنا أبو القاسم البلخي رحمه الله تعالى: قول عمرو بن العاص لمعاوية لَمّا قال له معاوية :يا أبا عبدالله! إنّي لأكره لك أن تتحدَّث العرب عنك انَّك إنّما دخلت في هذا الأمر لغرض الدنيا: دعنا عنك. كنايةٌ عن الإلحاد بل تصريحٌ به، أي: دع هذا الكلام لا أصل له، فإنَّ اعتقاد الآخرة وانَّها لا تُباع بعرض الدنيا من الخرافات، وما زال عمرو بن العاص مُلحداً ما تردّد قطُّ في الإلحاد والزندقة وكان معاوية مثله.

وقال في ج ٢ ص ١١٣: نقلت أنا من كتب متفرِّقة كلمات حكميَّة تُنسب إلى عمرو بن العاص استحسنتها وأوردتها لأنّي لا أجحد لفاضل فضله وإن كان دينه عندي غير مرضيّ. وقال في ص١١٤: قال شيخنا أبو عبدالله: أوّل مَن قال بالإرجاء المحض معاوية وعمرو بن العاص، كانا يزعمان أنّه لا يضرّ مع الإيمان

---

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ٣١٩ وغير واحد من كتب السيرة النبوية والتاريخ.

(٢) تذكرة خواص الامة ص ٥٦، السيرة الحلبية وغيرهما.

معصيةً، ولذلك قال معاوية لمن قال: حاربت مَن تعلم وارتكبت ما تعلم. فقال: وثقت بقوله تعالى: ﴿إنّ الله يغفر الذنوب جميعاً﴾.

وقال في ج ٢ ص ١٧٩: وأمّا معاوية فكان فاسقاً مشهوراً بقلّة الدين والإنحراف عن الإسلام، وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص ومن تبعهما من طغام أهل الشام وأجلافهم وجهّال الأعراب، فلم يكن أمرهم خافياً في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم.

وهناك كلماتٌ ذكرت في مصادر وثيقة تمثّل الرجل بين يدي القارىء بروحيّاته وحقيقته، وتخبره بعُجره وبُجره[1] وإليك نماذج منها:

١ كلمة النبيّ الأعظم

دخل زيد بن أرقم على معاوية فإذا عمرو بن العاص جالسٌ معه على السرير فلمّا رأى ذلك زيد جاء حتّى رمى بنفسه بينهما فقال له عمرو بن العاص أما وجدت لك مجلساً إلاّ أن تقطع بيني وبين أمير المؤمنين؟ فقال زيد: إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله غزا غزوة وأنتما معه فرآكما مجتمعين فنظر إليكما نظراً شديداً ثمّ رآكما اليوم الثاني واليوم الثالث كلّ ذلك يُديم النظر إليكما فقال في اليوم الثالث: إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين ففرِّقوا بينهما فإنّهما لن يجتمعا على خير.

كذا أخرجه ابن مزاحم في كتاب «صفّين» ص ١١٢ ورواه ابن عبد ربّه في «العقد الفريد» ج ٢ ص ٢٩٠ عن عبادة بن الصامت وفيه: إنّه صلّى الله عليه وآله قاله في غزوة تبوك ولفظه: إذا رأيتموهما اجتمعا ففرّقوا بينهما فإنّهما لا يجتمعان على خير.

---

(١) العجر: العروق المتعقدة. البجر: العروق المتعقدة في البطن. مثل يضرب لمن يخبر بجميع عيوبه.

٢ كلمة أمير المؤمنين

روى أبو حيّان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» ج٣ ص١٨٣ قال: قال الشعبي: ذكر عمرو بن العاص عليّاً فقال: فيه دُعابة فبلغ ذلك عليّاً فقال: زعم ابن النابغة انّي تلعابة، تمراحة، ذو دُعابة، أُعافس، وأُمارس. هيهات يمنع من العِفاس والمِراس[1] ذكر الموت وخوف البعث والحساب، ومَن كان له قلبٌ ففي هذا مِن هذا له واعظٌ وزاجرٌ، أما وشرُّ القول الكذب، إنّه ليعد فيُخلف، ويُحدِّث فيَكذب، فإذا كان يوم الباس فإنّه زاجرٌ وآمرٌ ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال، فإذا كان ذاك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم إسته.

ورواه، بهذا اللفظ شيخ الطائفة في أماليه ص ٨٢ من طريق الحافظ ابن عقدة.

صورةٌ اخرى على رواية الشريف الرضي

عجباً لابن النابغة يزعم لأهل الشام أنَّ فيَّ دُعابة، وانّي امرؤ تلعابة، أُعافس وأُمارس، لقد قال باطلاً، ونطق آثماً، أما وشرُّ القول الكذب، إنّه ليقول فيَكذب، ويعد فيُخلف، وَيسأل فيُلحف، ويُسئل فَيبخل، ويخون العهد، ويقطع الإلّ، فإذا كان عند الحرب فأيّ زاجر وآمر هو؟؟!! ما لم تأخذ السيوف مآخذها، فإذا كان ذلك كان أكبر مكيدته أن يمنح القرم سُبّته، أما والله إنّي ليمنعني من اللعب ذكر الموت، وإنّه ليمنعه من قول الحقّ نسيان الآخرة، وإنّه لم يُبايع معاوية حتّى شرط له أن يُؤتيه أتيّة، ويرضخ له على ترك الدين رضيخة[2].

«نهج البلاغة» ج ١ ص ١٤٥.

---

(١) العفاس بالكسر: الفساد. المراس: العبث واللعب.

(٢) يقال: رضخ له من ماله رضيخة. أي: قليلاً من كثير.

صورةٌ اخرى على رواية ابن قتيبة

قال زيد بن وهب: قال لي عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: عجباً لابن النابغة يزعم انّي تلعابة، أعافس وأُمارس، أما وشرُّ القول أكذبه، إنّه يَسأل فيُلحف، ويُسئل فيَبخل، فإذا كان عند البأس فإنّه امرؤٌ زاجرٌ ما لم تؤخذ السيوف مآخذها من هام القوم، فإذا كان كذلك كان أكبر همِّه أن يُبرقِط ويمنع الناس إسته، قبّحه الله وترحه. (عيون الأخبار ج ١ ص ١٦٤).

صورةٌ اخرى على رواية ابن عبد ربّه

ذُكر عمرو بن العاص عند عليّ بن أبي طالب فقال فيه عليٌّ: عجباً لابن الباغية يزعم انّي بلقائه أُعافس وأُمارس، ألا وشرُّ القول أكذبه، إنّه يَسأل فيُلحف، ويُسئل فيَبخل، فإذا احمرَّ البأس، وحمي الوطيس، وأخذت السيوف مآخذها من هام الرجال لم يكن له همٌّ إلّا غرقة ثيابه، ويمنح الناس إسته، فضّه الله وترحه. (العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٧).

٣ كلمة اخرى له عليه السلام

لَمّا رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يوم صفّين يَدعون إلى حكم القرآن قال عليٌّ عليه السلام: عباد الله! أنا أحقُّ مَن أجاب إلى كتاب الله ولكن معاوية، وعمرو بن العاص، وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالاً، وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرَّ أطفال، وشرَّ رجال، إنّها كلمة حقّ يراد بها الباطل، إنّهم والله ما رفعوها، إنّهم يعرفونها ولا يعملون بها، وما رفعوها لكم إلّا خديعة ومكيدة.

«كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٦٤».

٤ كلمة أخرى له عليه السلام

قال أبو عبد الرحمن المسعودي: حدَّثني يونس بن أرقم بن عوف عن شيخ من بكر بن وائل قال: كنّا مع عليّ بصفّين فرفع عمرو بن العاص شقّة خميصة في رأس رمح فقال ناسٌ: هذا لواء عقده له رسول الله صلّى الله عليه وآله فلم يزالوا كذلك حتى بلغ عليّاً فقال عليٌّ: هل تدرون ما أمر هذا اللواء؟ إنَّ عدوَّ الله عمرو بن العاص أخرج له رسول الله صلّى الله عليه وآله هذه الشقّة فقال: مَن يأخذها بما فيها؟ فقال عمرو: وما فيها يا رسول الله؟ قال: فيها أن لا تُقاتل به مسلماً، ولا تقرّ به من كافر. فأخذها، فقد والله قرَّبه من المشركين وقاتل به اليوم المسلمين، والّذي فلق الحبَّة وبرأ النسمة ما أسلموا ولكن استسلموا وأسرّوا الكفر فلمّا وجدوا أعواناً رجعوا إلى عداوتهم منّا إلّا أنهم لم يدعوا الصّلاة.

«كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١١٠».

٥ كتاب أمير المؤمنين إلى عمرو

من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى الأبتر ابن الأبتر عمرو بن العاص بن وائل شانىء محمَّد وآل محمَّد في الجاهليَّة والإسلام. سلامٌ على من اتَّبع الهدى - أمّا بعد - فإنّك تركت مروءتك لامرىء فاسق مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعاً كما قيل: وافق شنٌّ طبقة[1] فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك، وكان علم الله بالغاً فيك، فصرت كالذئب يتبع الضرغام إذا ما الليل دجا، أو أتى الصبح يلتمس فاضل سؤره، وحوايا فريسته، ولكن لا نجاة من القدر، ولو بالحقِّ أخذت لأدركت ما رجوتَ، وقد رشد من كان الحقُّ قائده، فإن يمكن الله منك ومن ابن آكلة الأكباد

---

(١) مثل سائر له قصة يستفاد منها. شن: اسم رجل. طبقة: اسم امرأة. راجع مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٣٢١.

ألحقتكما بمن قتله الله من ظلمة قريش على عهد رسـول الله صلّى الله عليه واله، وإن تعجزا[١] وتبقيا بعدي فالله حسبكما، وكفى بانتقامه انتقاما، وبعقابه عقابا. والسَّلام.

فائدةٌ

هذا الكتاب بهذه الصورة ذكـرها ابن أبي الحـديد[٢] في شـرحه ج ٤ ص ٦١ نقلاً عن كتاب صفِّين لنصر بن مزاحم ولم نجده فيه فمن أمعن النظر في جلِّ ما نقله ابن أبي الحديد عن هذا الكتاب يعلم بأنَّ المطبوع منه هو مختصره لا أصله وهو أكبر من الموجود بكثير.

صورة أخرى له

فإنَّك قد جعلت دينك تبعاً لدنيا امرىء ظاهر غيّه، مهتوك ستره، يشين الكريم بمجلسه، ويسفه الحليم بخلطته، فاتّبعتَ أثره، وطلبت فضله، اتّباع الكلب للضرغام، يلوذ بمخالبه، وينتظر ما يُلقى إليه من فضل فريسته، فأذهب دنياك وأخرتك، ولو بالحقِّ أخذتَ، أدركتَ ما طلبتَ، فإن يمكّن الله منك ومن ابن أبي سفيان أجزكما بما قدَّمتما، وإن تعجزا وتبقيا فما أمامكما شرٌّ لكما. والسَّلام. «نهج البلاغة ج ٢ ص ٦٤».

٦ خطبة أمير المؤمنين بعد التحكيم

لمَّـا خرجت الخوارج وهرب أبو موسى إلى مكّة وردَّ عليٌّ عليه السلام ابن عبّاس إلى البصرة قام في الكوفة خطيباً فقال: الحمد لله، وإن أتى الدهر بالخطب الفادح، والحدث الجليل، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ليس معه إلهٌ غيره، وأنّ محمداً عبده ورسوله صلّى الله عليه واله ـ أمّا بعد ـ:

---

(١) عجز الشيء: مؤخره.

(٢) وذكره عنه الدكتور أحمد زكي صفوت في جمهرة الرسائل ج ١ ص ٤٨٦.

فإنَّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرِّب، تورث الحسرة، وتعقب الندامة، وقد كنت أمرتكم في هذه الحكومة أمري، ونحلت لكم مخزون رأيي، لو كان يُطاع لقصير أمرٌ[1] فأبيتم عليَّ إباء المخالفين الجُفاة، والمنابذين العُصاة، حتّى ارتاب الناصح بنصحه، وضنَّ الزند بقدحه، فكنت أنا وإيّاكم كما قال أخو هارون[2]:

أمرتكمُ أمري بمنعرج اللّوى فلم يستبينوا النصح إلاّ ضُحى الغدِ

ألا إنَّ هذين الرجلين: (عمرو بن العاص، وأبا موسى الأشعري) اللّذين اخترتموهما حكمين قد نبذا حكم القرآن وراء ظهورهما، وأحييا ما أمات القرآن، وأماتا ما أحيى القرآن، واتّبع كلّ واحد منهما هواه بغير هُدى من الله، فحكما بغير حجّة بيّنة، ولا سنّة ماضية، واختلفا في حكمهما، وكلاهما لم يرشد[3]، فبرىء الله منهما ورسوله وصالح المؤمنين، واستعدّوا وتأهّبوا للمسير إلى الشام.

الإمامة والسياسة ج ١ ص ١١٩، تاريخ الطبري ج ٦ ص ٤٥، مروج الذهب ج ٢ ص ٣٥، نهج البلاغة ج ١ ص ٤٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ١٤٦.

ذكر ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٢٨٦ هذه الخطبة ولَمّا لم يُعجبه ذكر أهل العيث والفساد بما هم عليه، أو لم يره صادراً من أهله في محلّه، أو لم يرض أن تطّلع الامّة الإسلاميّة على حقيقة عمرو بن العاص وصُويحبه فبتر الخطبة وذكرها إلى آخر البيت فقال: ثمّ تكلّم فيما فعله الحكمان فردَّ عليهما ما حكما به وأنّبهما، وقال ما فيه حطٌّ عليهما. اهـ.

---

(١) قصير هو مولى جذيمة الأبرش، وكان قد أشار على سيده أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة، وقد دعته إليها ليزوجها، فخالفه وقصد إليها فقتلته فقال قصير: لا يطاع لقصير أمر. فذهب مثلاً.

(٢) دريد بن الصمة.

(٣) في الإمامة والسياسة: لم يرشدهما الله.

وهناك لأمير المؤمنين عليه السلام في خطبه كلماتٌ كثيرةٌ حول الرجل مثل قوله: قد سار إلى مصر ابن النابغة عدوُّ الله ووليُّ مَن عادى الله. وقوله: إنّ مصراً افتتحها الفجرة أولو الجور والظلم الذين صدّوا عن سبيل الله وبغوا الإسلام عوَجا[1]. نضرب عنها صفحاً روماً للإختصار.

٧ قنوت أمير المؤمنين بلعن عمرو

أخرج أبو يوسف القاضي في «الآثار» ص ٧١ من طريق إبراهيم قال: إنّ عليّاً رضي الله عنه قنت يدعو على معاوية رضي الله عنه حين حاربه فأخذ أهل الكوفة عنه، وقنت معاوية يدعو على عليّ فأخذ أهل الشام عنه.

وروى الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٤٠ قال: كان عليٌّ إذا صلّى الغداة يقنتُ فيقول: اللهمَّ العن معاوية، وعمراً، وأبا الأعور السلمي، وحبيباً، وعبد الرحمن بن خالد، والضحّاك بن قيس، والوليد. فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن عليّاً، وابن عبّاس، والأشتر، وحسناً، وحسيناً.

ورواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين ص ٣٠٢ وفي ط مصر ص ٦٣٦ وفيه: كان عليٌّ إذا صلّى الغداة والمغرب وفرغ من الصّلاة يقول: اللهمّ العن معاوية، وعمراً، وأبا موسى، وحبيب بن سلمة. إلى آخر الحديث باللفظ المذكور، غير أنَّ فيه: قيس بن سعد مكان الأشتر.

وقال ابن حزم في المحلّى ج٤ص١٤٥ كان عليٌّ يقنت في الصّلوات كلّهنّ، وكان معاوية يقنت أيضاً، يدعو كلّ واحد منهما على صاحبه.

ورواه الوطواط في «الخصائص» ص ٣٣٠ وزاد فيه: ولم يزل الأمر على ذلك برهةً من ملك بني أميَّة إلى أن ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة فمنع من ذلك. وذكره ابن الأثير في «اسد الغابة» ج ٣ ص ١٤٤ بلفظ الطبري.

وقال أبو عمر في «الاستيعاب» في الكنى في ترجمة أبي الأعور السلمي:

---

(١) تاريخ الطبري ج ٦ ص ٦١ و٦٢.

كان هو وعمرو بن العاص مع معاوية بصفّين، وكان من أشدّ مَن عنده على عليّ رضي الله عنه، وكان عليٌّ رضي الله عنه يذكره في القنوت في صلاة الغداة يقول: اللهمّ عليك به. مع قوم يدعو عليهم في قنوته. وذكره على لفظ الطبري أبو الفدا في تاريخه ج ١ ص ١٧٩.

وقال الزيلعي في نصب الراية ج ٢ ص ١٣١: قال إبراهيم: وأهل الكوفة إنّما أخذوا القنوت عن علي، قنت يدعو على معاوية حين حاربه، وأهل الشام أخذوا القنوت عن معاوية قنت يدعو على عليٍّ.

ورواه أبو المظفّر سبط ابن الجوزي الحنفيّ في تذكرته ص ٥٩ بلفظ الطبري حرفيّاً إلى قنوت معاوية وزاد فيه: محمَّد بن الحنفيَّة، وشريح بن هاني. وذكره ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٠٠ نقلاً عن كتابي صفّين لابن ديزيل (المترجم له ج ١ ص ٩٣) ونصر بن مزاحم. وذكره الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١١٠.

٨ دعاء عائشة على عمرو

لَمّا بلغ عائشة قتلُ محمَّد بن أبي بكر جزعت عليه جزعاً شديداً وجعلت تقنت وتدعو في دبر الصلاة على معاوية وعمرو بن العاص.

رواه الطبري في تاريخه ج ٦ ص ٦٠، ابن الأثير في «الكامل» ج ٣ ص ١٥٥، ابن كثير في تاريخه ج ٧ ص ٣١٤، ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٢ ص ٣٣.

٩ الإمام الحسن الزكي وعمرو

روى الزبير بن بكار في كتاب «المفاخرات» قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ عليه السلام

قوارص[1] ويلغه عنهم مثل ذلك فقالوا: يا أمير المؤمنين إنّ الحسن قد أحيا أباه وذكره، وقال فصُدِّق، وأمر فأُطيع، وخفقتْ له النعال، وإنّ ذلك لرافعه إلى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوءنا قال معاوية: فما تريدون ؟ قالوا: إبعث عليه فليحضر لنسبّه ونسبّ أباه ونعيّره ونُوبِّخه ونُخبره أنَّ أباه قتل عثمان ونقرّره بذلك، ولا يستطيع أن يُغيِّر علينا شيئاً من ذلك. قال معاوية: إنّي لا أرى ذلك ولا أفعله. قالوا: عزمنا عليك يا أمير المؤمنين، لتفعلنَّ. فقال: ويحكم لا تفعلوا فوالله ما رأيته قطُّ جالساً عندي إلّا خفتُ مقامه وعيبه لي. قالوا: إبعث إليه على كلِّ حال. قال: إن بعثتُ إليه لأنصفنَّه منكم. فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقّنا؟ أو يربى قوله على قولنا؟ قال معاوية: أما إنّي إن بعثتُ إليه لآمرنَّه أن يتكلّم بلسانه كلّه. قالوا: مُره بذلك. قال: أمّا إذا عصيتموني وبعثتم إليه وأبيتم إلّا ذلك فلا تمرضوا له في القول واعلموا أنَّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يَلصق بهم العار، ولكن إقذفوه بحجره تقولون له: إنَّ أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء من قبله.

فبعث إليه معاوية فجاءه رسوله فقال: إنَّ أمير المؤمنين يدعوك. قال: مَن عنده؟ فسمّاه، فقال الحسن عليه السلام: ما لهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون. ثمَّ قال: يا جارية، أبغيني ثيابي، اللهمّ إنّي أعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك في نحورهم، وأستعين بك عليهم، فاكفنيهم كيف شئت وأنّى شئت بحول منك وقوّة يا أرحم الراحمين. ثمَّ قام فدخل على معاوية. إلى أن قال: فتكلّم عمرو بن العاص، فحمد الله وصلّى على رسوله ثمَّ ذكر عليّاً عليه السلام فلم يترك شيئاً يعيبه به إلّا قاله، وقال: إنّه شتم أبا بكر وكره خلافته وامتنع من بيعته ثمَّ بايعه مكرهاً، وشرك في دم عمر، وقتل عثمان ظلماً، وادَّعى من الخلافة ما ليس له. ثمَّ ذكر الفتنة يعيِّره بها وأضاف إليه مساوي.

---

(١) الكلمة القارصة: التي تنغص وتؤلم. ج قوارص.

وقال: إنّكم يا بني عبد المطلب، لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء واستحلالكم ما حرَّم الله من الدماء، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يحلُّ، ثمَّ إنّك يا حسن، تُحدِّث نفسك أنّ الخلافة صائرةٌ إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبّه، كيف ترى الله سبحانه، سلبك عقلك، وتركك أحمق قريش يسخر منك ويهزأ بك، وذلك لسوء عمل أبيك، وإنّما دعوناك لنسبَّك وأباك، فأمّا أبوك فقد تفرَّد الله به وكفانا أمره، وأمّا أنت فإنّك في أيدينا نختار فيك الخصال، ولو قتلناك ما كان علينا إثمٌ من الله، ولا عيبٌ من النّاس، فهل تستطيع أن تردَّ علينا وتكذّبنا؟؟ فإن كنت ترى أنّا كذبنا في شيء فاردده علينا فيما قلنا، وإلاّ فاعلم أنّك وأباك ظالمان.

فتكلّم الحسن بن عليّ عليهما السلام فحمد الله وأثنى عليه وصلّى على رسوله (إلى أن قال لعمرو بعد جمل ذكرت ص ١٤٥): وقاتلت رسول الله صلّى الله عليه وآله في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكّة، وكدته كيدك كلّه، وكنت من أشدِّ الناس له تكذيباً وعداوةً، ثمَّ خرجت تريد النجاشي مع أصحاب السفينة لتأتي بجعفر وأصحابه إلى أهل مكّة، فلمّا أخطأك ما رجوت، ورجّعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلتَ حسدك على صاحبك عمارة بن الوليد فوشيت به إلى النجاشي حسداً لِما ارتكب من حليلته ففضحك الله وفضح صاحبك، فأنت عدوُّ بني هاشم في الجاهليَّة والإسلام، ثمَّ إنّك تعلم وكلّ هؤلاء الرهط يعلمون: أنّك هجوت رسول الله صلّى الله عليه وآله بسبعين بيتاً من الشعر، فقال رسول الله: اللهمّ إنّي لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهمّ العنه بكلِّ حرف ألف لعنة. فعليك إذن من الله ما لا يُحصى من اللعن.

وأمّا ما ذكرت من أمر عثمان فأنت سعرت عليه الدنيا ناراً ثمَّ لحقت بفلسطين فلمّا أتاك قتله قلت: أنا عبدالله إذا نكأتُ (أي: قشرتُ) قرحةً أدميتها. ثمَّ حبستَ نفسك إلى معاوية، وبعتَ دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نُعاتبك على ودّ، وبالله ما نصرتَ عثمان حيّاً، ولا غضبت له مقتولاً، ويحك يا بن العاص! ألست القائل؟ في بني هاشم لمّا خرجت من مكّة إلى النجاشي:

تقول ابنتي: أين هذا الرحيل؟	وما السير منّي بمستنكرِ
فقلت: ذريني فإنّي امرؤٌ	أُريد النجاشي في جعفرِ
لأكويَه عنده كيَّة	أقيم بها نخوة الأصعرِ
وشانيٌ أحمد من بنيهم	وأقولهم فيه بالمنكرِ
وأجري إلى عتبة جاهداً	ولو كان كالذهب الأحمرِ
ولا أنثني عن بني هاشم	وماسطعت في الغيب والمحضرِ
فإن قبل العتب منّي له	وإلّا لويت له مشفري[1]

تذكرة سبط ابن الجوزي ص ١٤، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٣، جمهرة الخطب ج ٢ ص ١٢.

بيانٌ قوله عليه السلام: لتأتي بجعفر وأصحابه إلى مكّة. يُشير إلى هجرته الثانية إلى الحبشة وقد هاجر إليها من المسلمين نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة إمرأة. وكان من الرجال جعفر بن أبي طالب، ولمّا رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص وعمارة الوليد بهدايا إلى النجاشيّ وبطارقته ليسلم المسلمين، فرجعا خائبين، وأبى النجاشيُّ أن يخفر ذمّته.

قوله عليه السلام: لما ارتكب من حليلته. ذلك: إنّ عمراً وعمارة ركبا البحر إلى الحبشة، وكان عمارة جميلاً وسيماً تهواه النساء، وكان مع عمرو بن العاص إمرأته، فلمّا صاروا في البحر ليالي أصابا من خمر معها فانتشى عمارة فقال لإمرأة عمرو: قبّليني. فقال لها عمرو: قبّلي ابن عمّك. فقبّلته، فهواها عمارة وجعل يُراودها عن نفسها، فامتنعت منه، ثمّ إنّ عمراً أجلس على منجاف[2] السفينة يبول، فدفعه عمارة في البحر، فلمّا وقع عمرو وسبح حتّى أخذ بمنجاف السفينة، وضغن على عمارة في نفسه، وعلم أنّه كان أراد قتله،

---

(١) لوى الحبل: فتله. لوت الناقة بذنبها والوت: حركته. المشفر: الشدة والمنعة.
(٢) منجاف السفينة: سكانها الذي تعدل به.

ومضيا حتّى نزلا الحبشة، فلمّا اطمأنّا بها لم يلبث عمارة أن دبَّ لإمرأة النجاشيّ فأدخلته فاختلف إليها، وجعل إذا رجع من مدخله ذلك يخبر عمراً بما كان من أمره فيقول عمرو: لا أُصدِّقك انّك قدرت على هذا، إنَّ شأن هذه المرأة أرفع من ذلك، فلمّا أكثر عليه عمارة بما كان يخبره ورأى عمرو من حاله وهيئته ومبيته عندها حتّى يأتي إليه من السحر ما عرف به ذلك قال له: إن كنت صادقاً فقل لها: فلتدهنك بدهن النجاشيّ الّذي لا يدهن به غيره، فإنّي أعرفه وآتني بشيء منه حتّى أصدِّقك. قال: أفعل. فسألها ذلك فدهنته منه وأعطته شيئاً في قارورة، فقال عمرو: أشهد أنّك قد صدقت لقد أصبت شيئاً ما أصاب أحدٌ من العرب مثله قطُّ: إمرأة الملك. ما سمعنا بمثل هذا، ثمَّ سكت عنه حتى اطمأنَّ ودخل على النجاشيّ فأعلمه شأن عمارة وقدَّم إليه الدهن. فلمّا أثبت أمره دعا بعمارة ودعا نسوة اخر فجردوه من ثيابه، ثمَّ أمرهنَّ ينفخن في إحليله حتّى خلّى سبيله فخرج هارباً. عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٧، الأغاني ج ٩ ص ٥٦، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٧، قصص العرب ج ١ ص ٨٩.

١٠ كتاب ابن عباس إلى عمرو

كتب ابن عبّاس مجيباً إلى عمرو بن العاص: أمّا بعد: فإنّي لا أعلم رجلاً من العرب أقلَّ حياءاً منك، أنّه مال بك معاوية إلى الهوى، وبعته دينك بالثمن اليسير، ثمَّ خبطت بالناس في عشوة طمعاً في الملك، فلمّا لم تر شيئاً، أعظمتَ الدنيا إعظام أهل الذنوب وأظهرتَ فيها نزهة أهل الورع، لا تريد بذلك إلاّ تمهيد الحرب، وكسر أهل الدين، فإن كنتَ تريد الله بذلك فدع مصر، وارجع إلى بيتك، فإنَّ هذه الحرب ليس فيها معاوية كعليّ بدأها عليٌّ بالحقِّ، وانتهى فيها إلى العذر، ويدأها معاوية بالغيِّ، وانتهى فيها إلى السرَف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق عليّاً وهو خيرٌ منهم، وبايع أهل الشام معاوية وهم خيرٌ منه، ولستَ أنا وأنت فيها بسواء، أردتُ الله، وأردتَ أنت مصر، وقد عرفت الشيء الذي باعدك منّي، وأعرف الشيء الذي قرَّبك من

معاوية، فإن تُرد شرّاً لا نسبقك به، وإن تُرد خيراً لا تسبقنا إليه، ثمّ دعا الفضل بن عبّاس فقال له: يا بن امّ، أجب عمراً. فقال الفضل:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواسِ — فاذهب فليس لداء الجهل من آسِ[1]
إلّا تواتر طعن في نحوركم — يشجي النفوس ويشفي نخوة الراسِ
هذا الدواء الّذي يشفي جماعتكم — حتى تُطيعوا عليّاً وابن عبّاس
أمّا عليٌّ فإنَّ الله فضّله — بفضل ذي شرف عالٍ على الناسِ
إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيّسة[2] — أو تبعثوها فإنّا غير أنكاسِ
قد كان منّا ومنكم في عجاجتها — ما لا يُردّ وكلٌّ عُرضة الباسِ
قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبةٌ — هذا بهذا وما بالحقِّ من باسِ
لا بارك الله في مصر لقد جلبت — شرّاً وحظّك منها حسوة الكاسِ[3]
يا عمرو إنّك عار من مغانمها — والراقصات ومن يوم الجزا كاسِ

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٩٥، كتاب صفّين ص ٢١٩، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٨.

وهناك أبياتٌ تعزى إلى حبر الامّة ابن عبّاس في كتاب «صفّين» لابن مزاحم ص ٣٠٠ ذكر فيها عمراً بكلّ قولٍ شائنٍ.

١١ ابن عباس وعمرو

حجَّ عمرو بن العاص فمرَّ بعبدالله بن عبّاس فحسده مكانه وما رأى من هيبة الناس له، وموقعه من قلوبهم، فقال له: يا بن عباس! ما لك إذا رأيتني ولّيتني قَصرة[4] كأنّ بين عينيكَ دبَرة[5] وإذا كنت في ملأ من الناس كنتَ

---

(١) أسا أسواً وأساً الجرح: داواه.
(٢) خيس: ذلل. يقال: خيس الجمل: راضه وذلله بالركوب.
(٣) الحسوة المرة من حساء: الجرعة الواحدة ج حسوات.
(٤) القصر والقصرة بفتح الصاد: الكسل.
(٥) الدبر بفتح المهملة والموحدة: قرحة الدابة تحدث من الرحل ونحوه ج دبر وأدبار.

الهوهاة[1] الهمزة[2]؟ فقال ابن عبّاس: لأنّك من اللئام الفجرة، وقريشٌ من الكرام البررة، لا ينطقون بباطل جهلوه، ولا يكتمون حقّاً علموه، وهم أعظم النّاس أحلاماً، وأرفع النّاس أعلاماً، دخلتَ في قريش ولستَ منها، فأنت الساقط بين فراشين، لا في بني هاشم رحلك، ولا في بني عبد شمس راحلتك، فأنت الأثيم الزنيم، الضالُّ المضلُّ، حملك معاوية على رقاب الناس، فأنت تسطو بحمله، وتسعو بكرمه. فقال عمرو: أما والله إنّي لمسرورٌ بك فهل ينفعني عندك؟ قال ابن عبّاس: حيث مال الحقُّ ملنا، وحيث سلك قصدنا.

«العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦».

١٢ ابن عباس وعمرو

حضر عبدالله بن جعفر، مجلس معاوية وفيه عبدالله بن عبّاس، وعمرو بن العاص، فقال عمرو: قد جاءكم رجلٌ كثير الخلوات بالتمنّي، والطربات بالتغنّي، محبٌّ للقيان، كثيرٌ مزاحه، شديدٌ طماحه، صدودٌ عن الشبّان، ظاهر الطيش، رخيّ العيش، أخّاذٌ بالسلف، منفاق بالسرف، فقال ابن عبّاس: كذبت والله أنت وليس كما ذكرت ولكنّه: لله ذكورٌ ولنعمائه شكورٌ، وعن الخنا زجورٌ، جوادٌ كريمٌ، سيِّد حليمٌ، إذا رمى أصاب، وإذا سُئل أجاب، غير حصر ولا هيّاب، ولا عيّابة مغتاب، حلَّ من قريش في كريم النصاب، كالهزبر الضرغام، الجريء المقدام، في الحسب القمقام، ليس بدعيٍّ ولا دنيء لا كمن اختصم فيه من قريش شرارها، فغلب عليه جزّارها، فأصبح ألأمها حسباً، وأدناها منصباً، ينوء منها بالذليل، ويأوي منها إلى القليل، مذبذبٌ بين الحيّين، كالساقط بين المهدين، لا المضطرُّ فيهم عرفوه، ولا الظاعن عنهم فقدوه، فليت شعري بأيِّ قدر تتعرَّض للرجال؟ وبأيٍّ حَسَب تعتدُّ به تُبارز عند النضال؟ أبنفسك؟ وأنت: الوغد اللئيم، والنكد الذميم، والوضيع الزنيم، أم بمن تنمي

---

(١) الهوهاة: ضعيف القلب. أحمق.

(٢) همز الشيطان الإنسان: همس في قلبه وسواساً.

إليهم؟ وهم: أهل السفه والطيش، والدناءة في قريش، ولا بشرف في الجاهليّة شهروا، ولا بقديم في الإسلام ذُكروا، جعلت تتكلّم بغير لسانك، وتنطق بالزور في غير أقرانك، والله لكان أبين للفضل، وأبعد للعدوان أن ينزلك معاوية منزلة البعيد السحيق، فإنّه طالما سلس داؤك، وطمح بك رجاؤك إلى الغاية القصوى الّتي لم يخضرّ فيها رعيك، ولم يورق فيها غصنك. فقال عبدالله بن جعفر: أقسمت عليك لَمّا أمسكتَ فإنّك عنّي ناضلتَ، ولي فاوضت. فقال ابن عبّاس: دعني والعبد، فإنّه قد يهدر خالياً إذ لا يجد مرامياً، وقد أُتيح له ضيغم شرس، للأقران مفترس، وللأرواح مختلس، فقال عمرو بن العاص: دعني يا أمير المؤمنين أنتصف منه فوالله ما ترك شيئاً. قال ابن عبّاس: دعه فلا يبقي المبقي إلّا على نفسه، فوالله إنّ قلبي لشديد، وإنّ جوابي لعتيد، وبالله الثقة، وانّي لكما قال نابغة بني ذبيان:

وقدماً قد قرعتُ وقارعوني ... فما نزر الكلام ولا شجاني
يصدُّ الشاعر العرّاف عنّي ... صدود البكر عن قرمٍ هجانِ

هذا الحديث أخرجه الجاحظ في (المحاسن والأضداد) ص ١٠١، والبيهقي في (المحاسن والمساوي) ج ١ ص ٦٨، وقد مرَّ ص ١٢٥ عن ابن عساكر لعبدالله بن أبي سفيان نحوه، وفي بعض ألفاظه تصحيفٌ يُصحّح بهذا.

١٣ معاوية وعمرو

لَمّا علم معاوية أنّ الأمر لم يتمّ له إن لم يبايعه عمرو فقال له: يا عمرو أتبعني. قال. لِماذا؟ للآخرة؟ فوالله ما معك آخرة، أم للدنيا؟ فوالله لا كان حتى أكون شريكك فيها. قال: فأنت شريكي فيها. قال: فاكتب لي مصر وكورها. فكتب له مصر وكورها، وكتب في آخر الكتاب: وعلى عمرو السمع والطاعة. قال عمرو: واكتب: أنّ السمع والطاعة لا ينقصان من شرطه شيئاً. قال معاوية: لا ينظر الناس إلى هذا. قال عمرو: حتّى تكتب. قال: فكتب، ووالله ما يجد بدّاً من كتابتها، ودخل عُتبة بن أبي سفيان على معاوية وهو يُكلّم عمراً في مصر

وعمرو يقول له: إنّما أُبايعك بها ديني. فقال عتبة: إئتمن الرجل بدينه فإنّه صاحب من أصحاب محمّد. وكتب عمرو إلى معاوية:

معاوي لا أعطيك ديني ولم أنل ... به منك دنياً فانظرنْ كيف تصنعُ
ومَا الدين والدنيا سواءٌ وإنّني ... لآخذ ما تُعطي ورأسي مقنّعُ
فإن تُعطني مصراً فأربح صفقة ... أخذت بها شيخاً يضرُّ وينفعُ

«العقد الفريد ج ٢ ص ٢٩١».

١٤ معاوية وعمرو بصورة مفصّلة

كتب أمير المؤمنين عليه السلام، إلى معاوية بن أبي سفيان يدعوه إلى بيعته، فاستشار معاوية بأخيه عُتبة بن أبي سفيان فقال له: استعن بعمرو بن العاص، فإنّه مَن قد علمت في دهائه ورأيه، وقد اعتزل أمر عثمان في حياته، وهو لأمرك أشدُّ إلّا أن تثمن له بدينه فسيبيعك، فإنّه صاحب دنيا، فكتب إليه معاوية وهو بالسبع من فلسطين: - أمّا بعد -: فإنّه قد كان من أمر عليّ وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة[1] أهل البصرة، وقدم علينا جرير بن عبدالله في بيعة عليّ، وقد حبستُ نفسي عليك حتى تأتيني، أقبل أذاكرك أمراً. فلمّا قرأ الكتاب استشار ابنيه عبدالله ومحمّداً فقال لهما: ما تريان؟ فقال عبدالله: أرى أنّ نبيّ الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قُبض وهو عنك راضٍ والخليفتان من بعده، وقُتل عثمان وأنت عنه غائب، فقرّ في منزلك فلستَ مجعولاً خليفة، ولا تريد أن تكون حاشيةً لمعاوية على دنياً قليلة أوشك أن تهلك فتشقى فيها. وقال محمّد: أرى أنّك شيخ قريش وصاحب أمرها، وأن تصرم هذا الأمر وأنت فيه خاملٌ تصاغر أمرك، فالحق بجماعة أهل الشام فكن يداً من أيديها واطلب بدم عثمان، فإنّك قد استلمت فيه إلى بني

---

(١) الرافضة: كل جند تركوا قائدهم

اميَّة. فقال عمرو: أمّا أنت يا عبدالله فأمرتني بما هو خيرٌ لي في ديني، وأمّا أنت يا محمَّد فأمرتني بما هو خيرٌ لي في دنياي، وأنا ناظرٌ فيه، فلمّا جنَّه الليل رفع صوته وأهله ينظرون إليه:

تطاولَ ليلي للهموم الطوارقِ — وخوف الّتي تجلو وجوه العواتقِ
وإنّ ابن هند سائلي أن أزوره — وتلك الّتي فيها بنات البوائقِ
أتاه جريرٌ من عليّ بخطّة — أمرَّت عليه العيش ذات مضائقِ
فإن نال منّي ما يُؤمِّل ردَّه — وإن لم ينله ذَلَّ ذلَّ المطابقِ
فوالله ما أدري وما كنت هكذا — أكون ومهما قادني فهو سائقي
أُخادعه، إنَّ الخداع دنيَّةٌ — أم أُعطيه من نفسي نصيحة وامقِ
أم أقعد في بيتي وفي ذاك راحةٌ — لشيخ يخاف الموت في كلّ شارقِ
وقد قال عبدالله قولاً تعلَّقت — به النفس إن لم تقتطعني عوائقي
وخالفه فيه أخوه محمَّد — وإنّي لصلب العود عند الحقائقِ

فقال عبدالله: رحل الشيخ. وفي لفظ اليعقوبي: بال الشيخ على عقبيه وباع دينه بدنياه. فلمّا أصبح دعا عمرو غلامه «وردان» وكان داهياً مارداً فقال: ارحل يا وردان، ثمّ قال: حطَّ يا وردان، ثمّ قال: ارحل يا وردان، حطَّ يا وردان، فقال له وردان: خلطت أبا عبدالله؟ أما إنَّك إن شئتَ أنبأتك بما في نفسك. قال: هات ويحك: قال: اعتركت الدنيا والآخرة على قلبك فقلتَ: عليٌّ معه الآخرة في غير دنيا وفي الآخرة عوضٌ من الدنيا. ومعاوية معه الدنيا بغير آخرة، وليس في الدنيا عوض الآخرة، فأنت واقفٌ بينهما. قال: فإنّك والله ما أخطأت فما ترى يا وردان؟ قال: أرى أن تقيم في بيتك فإن ظهر أهل الدين عشت في عفو دينهم، وإن ظهر أهلِ الدنيا لم يستغنوا عنك. قال: الآن لَمّا شهدت العرب مسيري إلى معاوية، فارتحل وهو يقول:

يا قاتل الله ورداناً وفطنته — أبدى لعمرك ما في النفس وردانُ
لَمّا تعرَّضت الدنيا عرضت لها — بحرص نفسي وفي الأطباع إدهانُ

نفسٌ تعفّ واخرى الحرص يقلبها(١) والمرء يأكل تِبناً وهو غرثانُ(٢)
أمّا عليٌّ فدينٌ ليس يشركه دنياً وذاك لـه دنيـاً وسلطانُ
فاخترت من طمعي دنياً على بصرٍ وما معي بالذي أختار برهانُ
إنّي لأعرف ما فيها وأبصره وفيّ أيضاً لما أهواهُ ألوانُ
لكنّ نفسي تُحب العيش في شرف وليس يرضى بذلّ العيش إنسانُ
عمروٌ لعمر أبيه غير مُشتبه والمرءُ يعطس والوسنان وسنانُ

فسار حتّى قدم على معاوية وعرف حاجة معاوية إليه فباعده من نفسه وكايد كلُّ واحد منهما صاحبه، فلمّا دخل عليه قال: يا أبا عبدالله، طرقتنا في ليلتنا هذه ثلاثة أخبار ليس فيها وردٌ ولا صدرٌ. قال: وما ذاك؟ قال ذاك: أنّ محمّد بن أبي حذيفة قد كسر سجن مصر فخرج هو وأصحابه، وهو من آفات هذا الدين. ومنها: انّ قيصر زحف بجماعة الروم إليّ ليغلب على الشام. ومنها: انّ عليّاً نزل الكوفة متهيّئاً للمسير إلينا. قال: ليس كلّ ما ذكرت عظيماً، أمّا ابن أبي حذيفة فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه خيلاً تقتله أو تأتيك به وإن فاتك لا يضرُّك؟! وأمّا قيصر فاهد له من وصفاء(٣) الروم ووصائفها وآنية الذهب والفضّة وسله الموادعة فإنّه إليها سريع. وأما عليٌّ فلا والله يا معاوية ما تستوي العرب بينك وبينه في شيء من الأشياء إنّ له في الحرب لحظّاً ما هو لأحد من قريش، وإنّه لصاحب ما هو فيه إلاّ أن تظلمه.

وفي رواية اخرى قال معاوية يا أبا عبدالله! إنّي أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربّه وقتل الخليفة، وأظهر الفتنة، وفرّق الجماعة، وقطع الرحم. قال عمرو: إلى مَن؟ قال: إلى جهاد عليّ. فقال عمرو: والله يا معاوية، ما أنت وعليٌّ بعكمي(٤) بعير، ما لك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا

---

(١) في شرح ابن أبي الحديد: يغلبها.
(٢) غرث غرثاً: جاع. فهو غرثان ج غرثى وغراث وغراثى.
(٣) الوصيف الغلام دون المراهق ج وصفاء. مؤنثه الوصيفة ج وصائف.
(٤) العكم بالكسر: العدل بالكسر.

جهاده ولا فقهه ولا علمه، والله إنّ له مع ذلك حدّاً وحدوداً وحظّاً وحظوةً وبلاءً من الله حسناً، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه؟ وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر. قال: حكمت. قال: مصر طعمة فتلكّأ عليه[1].

وفي حديث: قال له معاوية: إنّي أكره لك أن يتحدّث العرب عنك، أنّك إنّما دخلتَ في هذا الأمر لغرض الدنيا. قال: دعني عنك[2] قال معاوية: إنّي لو شئت أن أُمنّيك وأخدعك لفعلت. قال عمر: لا لعمر الله ما مثلي يُخدع لأنا أكيس من ذلك. قال له معاوية: ادن منّي برأسك أسارك. قال: فدنا منه عمرو يسارّه فعضّ معاوية أُذنه، وقال: هذه خدعة، هل ترى في البيت أحداً غيري وغيرك؟ فأنشأ عمرو يقول:

معاوي لا أُعطيك ديني ولم أنل ... بذلك دنياً فانظرنْ كيف تصنعُ
فأن تُعطني مصراً فاربح بصفقة ... أخذت بها شيخاً يضرُّ وينفعُ[3]
وما الدّين والدنيا سواءٌ وإنّني ... لآخذ ما تُعطي ورأسي مقنَّعُ
ولكنّني أغضي الجفون وإنني ... لأخدع نفسي والمخادع يُخدعُ
وأُعطيك أمراً فيه للملك قوّةٌ ... وإنّي به إن زلّت النعل أصرعُ
وتمنعني مصراً وليست برغبة[4] ... وإنّي بذا الممنوع قدماً لمولعُ

قال: أبا عبدالله! ألم تعلم أنّ مصراً مثل العراق؟ قال: بلى ولكنّها إنّما تكون لي إذا كانت لك، وإنّما تكون لك إذا غلبت عليّاً على العراق، وقد كان أهلها بعثوا بطاعتهم إلى عليٍّ قال: فدخل عُتبة بن أبي سفيان فقال لمعاوية: أما ترضى أن تشتري عمراً بمصر إن هي صفت لك؟ ليتك لا تغلب على الشام.

---

(١) تلكّأ عن الأمر. أبطأ وتوقف.
(٢) مر تحليل هذه الكلمة في ص ١٤٩ .
(٣) البيتان يوجدان في عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ١٨١ .
(٤) الرغبة بكسر المهملة وفتحها: العطاء الكثير.

فقال معاوية : يا عُتبة ، بت عندنا الليلة فلمّا جنَّ على عُتبة الليل رفع صوته ليسمع معاوية وقال :

أيّها المانع سيفاً لم يُهزّ ... إنّما ملت على خزٍّ وقزّ
إنّما أنت خروفٌ ماثلٌ ... بين ضرعين وصوف لم يُجزْ
أعط عمراً إنَّ عمراً تاركٌ ... دينه اليوم لدنياً لم تُحزّ
يا لك الخير فخذ من درّه ... شخبه الأولى وأبعد ما غرز(١)
واسحب الذيل وبادر فوتها ... وانتهزها إنَّ عمراً يُنتهزْ(٢)
أعطه مصراً وزده مثلها ... إنّما مصر لمن عزَّ فبزّ(٣)
واترك الحرص عليها ضلّة ... واشبب النّار لمغرور يكزْ
إنَّ مصراً لعليّ ولنا ... تغلب اليوم عليها من عجزْ

فلمّا سمع معاوية قول عتبة أرسل إلى عمرو فأعطاه مصراً فقال له عمرو: لي الله عليك بذلك شاهدٌ. قال له معاوية: نعم لك الله عليَّ بذلك لئن فتح الله علينا الكوفة قال عمرو: والله على ما نقول وكيل. فخرج عمرو من عنده فقال له ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر. قالا: وما مصر في ملك العرب؟!. قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم يشبعكما مصر، وكتب معاوية على أن لا ينقض شرط طاعة. وكتب عمرو على أن لا ينقض طاعةً شرطاً. فكايد كلٌّ واحد منهما صاحبه.

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٠ ـ ٢٤، كامل المبرّد ج ١ ص ٢٢١، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٦ ـ ١٣٨، تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ١٦١ ـ ١٦٣، رغبة الآمل من كتاب الكامل ج ٣ ص ١٠٨، قصص العرب ج ٢ ص ٣٦٢.

---

(١) الشخب: ما يخرج من تحت يد الحالب. الشخبة: الدفعة منه ج : شخاب. غرز الغنم: ترك حلبها لتسمن.
(٢) يقال: جاء يسحب ذيله: أي يمشي متبختراً. انتهز: ابتدر واغتنم.
(٣) بزه غلبه. بز الشيء منه: أخذه بجفاء وقهر.

١٥ عمار بن ياسر وعمرو

اجتمع عمّار بن ياسر، مع عمرو بن العاص، في المعسكر يوم صفّين، فنزل عمّار والّذين معه فاحتبوا بحمائل سيوفهم فتشهد عمرو بن العاص (يعني قال: أشهد أن لا إلّه إلّا الله) فقال عمّار: أُسكت فقد تركتها في حياة محمّد ومن بعده، ونحن أحقُّ بها منك، فإن شئت كانت خصومة فيدفع حقّنا باطلك، وإن شئت كانت خطبة فنحن أعلم بفصل الخطاب منك، وإن شئت أخبرتك بكلمة تفصل بيننا وبينك، وتكفرك قبل القيام، وتشهد بها على نفسك، ولا تستطيع أن تُكذّبني. قال عمرو: يا أبا اليقظان، ليس لهذا جئت إنّما جئت لأنّي رأيتك أطوع أهل هذا العسكر فيهم، أُذكّرك الله إلّا كففت سلاحهم، وحقنت دمائهم وحرضت على ذلك فعلام تقاتلنا؟! أو لسنا نعبد إلّهاً واحداً؟ ونصلّي قبلتكم؟ وندعو دعوتكم؟ ونقرأ كتابكم؟ ونؤمن برسولكم؟ قال عمّار: الحمد لله الّذي أخرجها من فيك إنّها لي ولأصحابي القبلة، والدين وعبادة الرحمن، والنبيّ والكتاب، من دونك ودون أصحابك، الحمد لله الذي قرّرك لنا بذلك دونك ودون أصحابك، وجعلك ضالاً مضلاً لا تعلم هادٍ أنت أم ضالّ، وجعلك أعمى، وسأُخبرك على ما قاتلتك عليه أنت وأصحابك، أمرني رسول الله أن أُقاتل الناكثين وقد فعلتُ، وأمرني أن أُقاتل القاسطين فأنتم هم، وأمّا المارقين فما أدري أُدركهم أم لا.

أيّها الأبتر! ألست تعلم أنّ رسول الله قال لعليّ: من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، وعاد من عاداه؟! وأنا مولى الله ورسوله وعليٌّ من بعده وليس لك مولى. قال له عمرو: لم تَشتمني يا أبا اليقظان ولست أشتمك؟ قال عمّار: وبِمَ تشتمني؟ أتستطيع أن تقول: إنّي عصيت الله ورسوله يوماً قطّ؟ قال له عمرو: إنّ فيك لمسبّات سوى ذلك. قال عمّار: إنّ الكريم مَن أكرمه الله، كنتُ وضيعاً فرفعني الله، ومملوكاً فأعتقني الله، وضعيفاً فقوّاني الله، وفقيراً فأغناني الله. وقال له عمرو: فما ترى في قتل عثمان؟ قال فتح لكم باب

كل سوء. قال عمرو: فعليٌّ قتله. قال عمّار: بل الله ربُّ عليّ قتله[١].

وروى نصر في كتابه ص ١٦٥ في حديث: فلمّا دنا عمّار بن ياسر رحمه الله بصفّين من عمرو بن العاص فقال: يا عمرو! بعتَ دينك بمصر، تبّاً لك، وطال ما بغيتَ الإسلام عوجاً. ورواه سبط ابن الجوزي في تذكرته ص ٥٣ وزاد: والله ما قصدك وقصد عدوُّ الله ابن عدوُّ الله بالتعلّل بدم عثمان إلّا الدنيا.

١٦ ـ أبو نوح الحميري وعمرو

أتى أبو نوح الحميري الكلاعي، يوم صفّين مع ذي الكلاع إلى عمرو بن العاص وهو عند معاوية وحوله الناس، وعبدالله بن عمر يحرِّض الناس على الحرب، فلمّا وقفا على القوم قال ذو الكلاع لعمرو: يا أبا عبدالله! هل لك في رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمّار بن ياسر لا يكذبك؟ قال عمرو: ومَن هو؟ قال ذو الكلاع: ابن عمّي هذا وهو من أهل الكوفة. فقال عمرو: إنّي لأرى عليك سيما أبي تراب. قال أبو نوح: عليَّ سيما محمّد صلّى الله عليه وأصحابه وعليك سيما أبي جهل وسيما فرعون.

كتاب صفّين ص ١٧٤، شرح النهج لابن أبي الحديد.

١٧ ـ أبو الأسود الدؤلي وعمرو

قدم أبو الأسود[٢] الدؤلي على معاوية بعد مقتل عليّ رضي الله عنه وقد استقامت لمعاوية البلاد، فأدنى مجلسه، وأعظم جائزته، فحسده عمرو بن العاص فقدم على معاوية فاستأذن عليه في غير وقت الإذن فأذن له فقال له معاوية: يا أبا عبدالله! ما أعجلك قبل وقت الإذن فقال: يا أمير المؤمنين؟ أتيتك لأمر قد أوجعني وأرّقني وغاظني، وهو من بعد ذلك نصيحةٌ لأمير المؤمنين. قال

---

(١) كتاب صفين لنصر بن مزاحم ص ١٧٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٧٣.

(٢) ظالم بن عمرو التابعي الكبير المتوفّى سنة ٦٩ وهو ابن خمس وثمانين سنة.

وما ذاك يا عمرو؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنَّ أبا الأسود رجلٌ مفوَّهٌ له عقلٌ وأدبٌ، مَن مثله للكلام يُذكر؟ وقد أذاع بمصرك من الذكر لعليّ، والبغض لعدوِّه وقد خشيت عليك أن يترى[1] في ذلك حتّى يُؤخذ لعنقك، وقد رأيت أن تُرسل إليه، وتُرهبه، وتُرغبه، وتَسبره، وتُخبره، فإنّك من مسألته على إحدى خبرتين، إمّا أن يُبدي لك صفحته فتعرف مقالته، وإمّا أن يستقبلك فيقول ما ليس من رأيه، فيحتمل ذلك عنه فيكون لك في ذلك عاقبة صلاح إن شاء الله تعالى. فقال له معاوية: إنّي امرؤٌ والله لقلَّ ما تركت رأياً لرأي امرىءٍ قطُّ إلّا كنت فيه بين أن أرى ما أكره وبين بين، ولكن إن أرسلتُ إليه فسألته فخرج من مساءلتي بأمر لا أجد عليه مقدماً ويملأني غيظاً لمعرفتي بما يُريد، وإنَّ الأمر فيه أن يُقبل ما أبدى من لفظه فليس لنا أن نشرح عن صدره وندع ما وراء ذلك يذهب جانباً. فقال عمرو: أنا صاحبك يوم رفع المصاحف بصفّين، وقد عرفت رأيي ولست أرى خلافي وما آلوك خيراً، فأرسل إليه ولا تفرش مهاد العجز فتتّخذه وطيئاً.

فأرسل معاوية إلى أبي الأسود فجاء حتى دخل عليه فكان ثالثاً فرحّب به معاوية وقال: يا أبا الأسود! خلوتُ أنا وعمرو فتناجزنا[2] في أصحاب محمّد ﷺ وقد أحببت أن أكون من رأيك على يقين. قال: سل يا أمير المؤمنين! عمّا بدا لك فقال: يا أبا الأسود! أيّهم كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ؟ فقال: أشدّهم حبّاً لرسول الله ﷺ وأوقاهم له بنفسه، فنظر معاوية إلى عمرو وحرّك رأسه، ثمَّ تمادى في مسألته فقال: يا أبا الأسود! فأيّهم كان أفضلهم عنده؟ قال أتقاهم لربّه وأشدُّهم خوفاً لدينه. فاغتاظ معاوية على عمرو، ثمَّ قال: يا أبا الأسود! فأيّهم كان أعلم؟ قال: أقولهم للصواب وأفصلهم للخطاب. قال: يا أبا الأسود! فأيّهم كان أشجع؟ قال: أعظمهم بلاءً، وأحسنهم عناءً، وأصبرهم على اللقاء. قال: فأيّهم كان أوثق عنده؟ قال من أوصى إليه فيما بعده. قال: فأيّهم كان

---

(١) ترى تريـاً في الأمر: تراخى فيه.

(٢) ناجزه: خاصمه. والمناجزة في الحرب المبارزة.

للنبيِّ ﷺ صَديقاً؟ قال: أوّلهم به تصديقاً. فأقبل معاوية على عمرو وقال: لا جزاك الله خيراً، هل تستطيع أن تردَّ مما قال شيئاً؟ فقال أبو الأسود: إنّي قد عرفت من أين أتيت، فهل تأذن لي فيه؟ فقال: نعم. فقل ما بدا لك فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ هذا الذي ترى هجا رسول الله ﷺ بأبيات من الشعر فقال رسول الله ﷺ: اللهم إنّي لا أُحسن أن أقول الشعر فالعن عمراً بكلِّ بيت لعنة. أفتراه بعد هذا نائلاً فلاحاً؟ أو مدركاً رباحاً؟ وأيم الله انّ امرءاً لم يُعرف إلاّ بسهم أُجيل عليه فجال لحقيقٌ أن يكون كليل اللسان ضعيف الجنان، مستشعراً للإستكانة، مقارناً للذلِّ والمهانة، غير ولوج فيما بين الرجال، ولا ناظر في تسطير المقال، إن قالت الرجال أصغى، وإن قامت الكرام أقعى[1] متعيصٌ لدينه لعظيم دينه، غير ناظر في أُبّهة الكرام ولا منازع لهم، ثمَّ لم يزل في دجَّة ظلماء مع قلّة حياء، يعامل الناس بالمكر والخداع، والمكر والخداع في النّار.

فقال عمرو: يا أخا بني الدؤل! والله إنَّك لأنت الذليل القليل، ولولا ما تمتُّ به من حسب كنانة لاختطفتك من حولك اختطاف الأجدل الحديَّة[2] غير أنَّك بهم تطول، وبهم تصول، فلقد استطبت مع هذا لساناً قوّالاً، سيصير عليك وبالاً، وأيم الله انَّك لأعدى النّاس لأمير المؤمنين قديماً وحديثاً، وما كنت قطُّ بأشدِّ عداوةً له منك الساعة، وأنَّك لتوالي عدوَّه، وتعادي وليَّه، وتبغيه الغوائل، ولئن أطاعني ليقطعنَّ عنه لسانك، وليخرجنَّ من رأسك شيطانك، فأنت العدوُّ المطرق له إطراق الأُفعوان[3] في أصل الشجرة.

فتكلّم معاوية فقال: يا أبا الأسود، أغرقت في النزع ولم تدع رجعة لصلحك. وقال لعمرو: فلم تغرق كما أغرقت ولم تبلغ ما بلغت، غير أنّه كان منه الإبتداء والإعتداء، والباغي أظلم، والثالث أحلم، فانصرفا عن هذا القول

---

(١) أقعى الكلب: جلس على إسته.

(٢) الأجدل: الصقر. والحداة بكسر الحاء: طائر من الجوارح. والعامة تسميه الحدية.

(٣) الافعوان بضم الأول: ذكر الأفعى.

إلى غيره وقوما غير مطرودين، فقام عمرو وهو يقول:

لعمري لقد أعيى القرون التي مضت   لغشّ ثـوى بين الفؤاد كمينِ

وقام أبو الأسود وهو يقول:

ألا إنّ عمراً رام ليث خفيّة(١)   وكيف ينال الذئب ليث عرينِ

«تاريخ ابن عساكر ج ٧ ص ١٠٤ ـ ١٠٦».

١٨ ـ حديث أبي جعفر وزيد

قال أبو جعفر وزيد بن الحسن: طلب معاوية إلى عمرو بن العاص يوم صفّين أن يسوي صفوف أهل الشام فقال له عمرو: على أنّ لي حكمي إن قتل الله ابن أبي طالب واستوسقت لك البلاد. فقال: أليس حكمك في مصر؟ قال: وهل مصر تكون عوضاً عن الجنّة؟ وقتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار الذي لا يُفتّر عنهم وهم فيه مبلسون؟ فقال معاوية: إنّ لك حكمك أبا عبدالله، إن قُتل ابن أبي طالب، رويداً لا يسمع أهل الشام كلامك. فقال لهم عمرو: يا معشر أهل الشام سوّوا صفوفكم، أعيروا ربّكم جماجمكم، واستعينوا بالله إلّهكم، وجاهدوا عدوّ الله وعدوّكم، واقتلوهم قتلهم الله وأدبارهم، واصبروا إنّ الأرض يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين.

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١٢٣، شرح ابن أبي الحديد.

هذه أكبر كلمة تدلّ على ضئولة الرجل في دينه لأنّها تنمّ عن عرفانه بحقّ أمير المؤمنين عليه السلام ومغبّة أمر من ناواه ومع ذلك فهو يحرّض الناس على قتاله ويموّه عليهم، وهي تردّ قول مَن يبرّر عمله بإجتهاده أو بعدله.

١٩ ـ عمرو وابن أخيه

كان لعمرو بن العاص ابن أخ (٢)أريب من بني سهم جاءه من مصر، فقال

---

(١) الخفية: الغيضة الملتفة.

(٢) في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ابن عم.

له: ألا تخبرني يا عمرو بأيّ رأي تعيش في قريش؟ أعطيت دينك، وتمنّيت دنيا غيرك، أترى أهل مصر وهم قتلة عثمان يدفعونها إلى معاوية وعليٌّ حيٌّ؟ وتراها إن صارت إلى معاوية لا يأخذها بالحرف الذي قدّمه في الكتاب [1] فقال عمرو: يا بن أخي إنَّ الأمر لله دون عليّ ومعاوية. فقال الفتى:

ألا يا هندُ أخت بني زياد ... رُمي عمروٌ بداهية البلادِ
رُين عمروٌ بأعور عبشميّ ... بعيد القعر محشيٍّ الكبادِ[2]
له خدعٌ يحار العقل فيها ... مزخرفةٌ صوائد للفؤادِ
فشرَّط في الكتاب عليه حرف ... يُناديه بخدعته المنادي
وأثبت مثله عمروٌ عليه ... كلا المرأين حيّة بطن وادي
ألا يا عمرو ما أحرزت مصراً ... وما ملتَ الغداة إلى الرَّشادِ
وبعتَ الدين بالدنيا خساراً ... فأنت بذاك من شرِّ العبادِ
فلو كنت الغداة أخذت مصراً ... ولكن دونها خرط القتادِ
وفدت إلى معاوية بن حرب ... فكنت بها كوافد قوم عادِ
وأعطيت الذي أعطيت منها ... بطرس فيه نضحٌ من مدادِ
ألم تعرف أبا حسن عليّاً ... وما نالت يداه من الأعادي؟؟!!
عدلتَ به معاوية بن حرب ... فيا بُعد البياض من السوادِ
ويا بُعد الأصابع من سُهيل ... ويا بُعد الصلاح من الفسادِ
أتأمن أن تراه على خِدبّ ... يحثّ الخيل بالاسل الخدادِ[3]
ينادي بالنزال وأنت منه ... قريبٌ فانظرن مَن ذا تُعادي

فقال عمرو: يابن أخي، لو كنت مع عليّ وسعني بيتي ولكن الآن مع معاوية. فقال له الفتى: إنّك إن لم تُرد معاوية لم يُردك. ولكنّك تُريد دنياه ويُريد

---

(١) يعني كتاباً كتبه معاوية لعمرو بمصر وجعلها طعمة له.
(٢) يعني معاوية: يقال ي النسبة إلى عبد شمس: عبشمي. حشا حشواً: ملا. احتشى: امتلأ.
(٣) خدب بالكسر وتشديد الموحدة: سنام البعير الضخم. الاسل: الرماح.

دينك. ويلغ معاوية قول الفتى، فطلبه فلحق بعليّ فحدَّثه بأمر عمرو ومعاوية. قال فسرَّ ذلك عليّاً وقرَّبه قال: وغضب مروان وقال: ما بالي لا أشتري كما اشترى عمرو؟! فقال معاوية: إنّما يشتري الرجال لك. قال: فلما بلغ عليّاً ما صنع معاوية وعمرو قال:

يا عجباً لقد سمعت منكرا ... كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرا ... ما كان يرضى أحمد لو أخبرا
أن يقرنوا وصيّه والأبترا ... شاني الرسول واللعين الأخزرا[1]
كلاهما في جنده قد عسكرا ... قد باع هذا دينه فأفجرا
مَن ذا بدنيا بيعه قد خسرا ... بملك مصر إن أصاب الظفرا
إنّي إذا الموت دنا وحضرا ... شمّرت ثوبي ودعوتُ قنبرا
قدِّم لوائي لا تُؤخّر حذرا ... لن ينفع الحذار ممّا قُدِّرا
لَمّا رأيت الموت موتاً أحمرا ... عبّأت همدان وعبّوا حِميرا
حيٌّ يمانٍ يعظمون الخطرا ... قرنٌ إذا ناطح قرناً كسرا
قل لابن حرب لا تدبّ الحمرا ... أرود قليلاً أبد منك الضجرا[2]
لا تحسبنّي يابن حرب عمرا ... وسل بنا بدراً معاً وخيبرا
كانت قريش يوم بدر جزرا ... إذ وردوا الأمر فذمّوا الصَدَرا[3]
لو أنَّ عندي يابن حرب جعفرا ... أو حمزة القرم الهمام الأزهرا

رأت قريشٌ نجم ليل ظهرا

الإمامة والسياسة ج ١ ص ٨٤، كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٤، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٣٨.

---

(١) الخزر: ضيق العين. الخزرة بالضم: انقلاب الحدقة نحو اللحاظ وهو أقبح الحول.

(٢) أدب الصبي: سيَّرة. أرود في السير: رفق وتمهل. الضجر بفتح الفاء والعين: القلق من غم وضيق نفس.

(٣) الجزرة. الشاة التي تذبح ج جزر. بالفتح وقد تكسر. الصدر، بالتحريك: رجوع المسافر من مقصده والشاربة من الورد.

٢٠ - غانمة بنت غانم وعمرو

بلغ غانمة بنت غانم، سبُّ معاوية، وعمرو بن العاص، بني هاشم وهي بمكّة قالت: يا معشر قريش، والله ما معاوية بأمير المؤمنين ولا هو كما يزعم، هو والله شانىء رسول الله ﷺ إنّي آتيةٌ معاوية وقائلةٌ له بما يعرق منه جبينه ويكثر منه عويله. فكتب عامل معاوية إليه بذلك فلمّا بلغه أنّ غانمة قد قربت منه أمر بدار ضيافة فنظفت وأُلقي فيها فرش، فلمّا قربت من المدينة استقبلها يزيد في حشمه ومماليكه، فلمّا دخلت المدينة أتت دار أخيها عمرو بن غانم فقال لها يزيد: إنّ أبا عبد الرحمن يأمرك أن تصيري إلى دار ضيافته وكان لا تعرفه فقالت: مَن أنت؟ كلأك الله. قال: يزيد بن معاوية. قالت: فلا رعاك الله يا ناقص لست بزائد. فتغيّر لون يزيد فأتى أباه فأخبره فقال: هي أسنُّ قريش وأعظمهم. فقال يزيد: كم تعدُّ لها يا أمير المؤمنين؟ قال: كانت تعدُّ على عهد رسول الله ﷺ أربعمائة عام وهي من بقيّة الكرام، فلمّا كان من الغد أتاها معاوية فسلّم عليها فقالت: على المؤمنين السّلام وعلى الكافرين الهوان. ثمّ قالت: مَن منكم ابن العاص؟[١] قال عمرو: ها أنا ذا. فقالت: وأنت تسبُّ قريشاً وبني هاشم؟ وأنت أهل السبِّ وفيك السبُّ وإليك يعود السبّ يا عمرو؟ إنّي والله لعارفةٌ بعيوبك وعيوب امِّك وإنّي أذكر لك ذلك عيباً عيباً: وُلدتَ من أمة سوداء مجنونة حمقاء، تبول من قيام، وتعلوها اللئام، إذا لامسها الفحل كانت نطفتها أنفذ من نطفته، ركبها في يوم واحد أربعون رجلاً، وأمّا أنت فقد رأيتك غاوياً غير راشد، ومفسداً غير صالح، ولقد رأيت فحل زوجتك على فراشك فما غرتَ ولا أنكرتَ، وأمّا أنت يا معاوية! فما كنت في خير ولا رُبِّيت في خير، فما لك ولبني هاشم؟ أنساء بني أُمية كنسائهم؟! الحديث. وهو طويلٌ وقد حذفنا من أوّله مقدار ما ذكر، راجع [المحاسن والأضداد] للجاحظ ص ١٠٢ - ١٠٤، وفي ط ١١٨ - ١٢١ و[المحاسن والمساوي] للبيهقي ج ١ ص ٦٩ - ٧١ - .

---

(١) في لفظ الجاحظ: أفيكم عمرو بن العاص؟.

هذه حقيقة الرجل ونفسيّاته وروحيّاته منذ العهد الجاهليّ وفي دور النبوّة وبعده إلى ما أثاره من فتن إلتقت بها حلقتا البطان في أيّام أمير المؤمنين عليه السّلام يوم تحيّزه إلى ابن آكلة الأكباد لدحض الحقّ وأهله، وما كان يتحرّى فيها من الغوائل وبعدها إلى أن اصطلمه القدَر الحاتم، واخترمته منيّته يوم خابت امنيّته فطفق يتغلّل بين أطباق الجحيم وتضربه زبانيتها بمقامع من حديد، ولعلّنا ألمسناك هذه الحقيقة باليد فلن تجد في تضاعيف هاتيك الأعوام له مأثرة يتبجّح بها ابن انثى خلا ما تقوّله زبائنه من أعداء أهل البيت عليهم السّلام، وما عسى أن يكون مقيلها من ظلّ الحقّ؟ بعدما أثبتناه من الحقيقة الراهنة، ووقفنا عليه من أحوال رواة السوء وشناشنهم في افتعال المدائح للزعانفة المؤتلفة معهم في النزعات الباطلة.

وأمّا تأميره في غزوة ذات السلاسل فلا يُجديه نفعاً بعد ما علمناه من أنّه كان يتظاهر بالإسلام ويبطن النفاق في طيلة حياته، وما كان الصالح العامّ والحكمة الإلّهية يحدوان رسول الله صلّى الله عليه وآله على العمل بالبواطن، وإنّما يجاري القوم مجاري ظواهرهم لأنّهم حديثو عهد بالجاهليّة، والإسلام لَما يتحكّم في أفئدتهم، فلو كاشفهم على السرائر لا تنكصوا على أعقابهم، وتقهقروا إلى جاهليّتهم الأولى، فكان يُسايرهم على هذا الظاهر لعلّهم يتمرّنوا باعتناق الدين، ويأخذ من قلوبهم محلّه، ولذلك انه صلّى الله عليه وآله كان يعلم بنفاق كثير من أصحابه كما أخبره الله تعالى بقوله ﴿ومِن أهل المدينة مَردوا عَلى النِّفاقِ﴾. إلى غيرها من الآيات الكريمة، لكنّه يستر عليهم رعايةً لما أبرمه حذار الإنتكاث، فكان تأمير عمرو مع علمه بنفاقه لتلك الحكمة البالغة غير ملازم لحسن حاله على ما عرفته من كلام مولانا أمير المؤمنين من أنّه صلّى الله عليه وآله لَمّا عقد له الراية شرط عليه شرطاً قد أخلفه.

ويُعرب عن حقيقة ما نرتأيه قولُ أبي عمرو وغيره: إنّ عمرو بن العاص إدّعى على أهل الإسكندريّة أنّهم قد نقضوا العهد الّذي كان عاهدهم، فعهد إليها فحارب أهلها وافتتحها، وقتل المقاتلة، وسبى الذرِّية، فنقم ذلك عليه

عثمان، ولم يصحّ عنده نقضهم العهد، فأمر بردّ السبي الّذي سُبوا من القرى إلى مواضعهم، وعزل عَمْراً عن مصر وولّى عبدالله بن سعد بن أبي سرح العامري مصراً بدله، فكان ذلك بدوُّ الشرّ بين عمرو بن العاص وعثمان بن عفان، فلمّا بدا بينهما من الشرّ ما بدا اعتزل عمرو في ناحية فلسطين بأهله، وكان يأتي المدينة أحياناً ويطعن على عثمان [١] وولّى عمر عمرو بن العاص على مصر وبقي والياً عليها إلى أوّل خلافة عثمان، سعَّر عليه الدنيا ناراً، ولَمّا أتاه قتله قال: أنا أبو عبدالله إذا نكأت[٢] قرحةً أدميتها. ثمَّ إنّ عثمان عزله عن الخراج واستعمله على الصّلاة، واستعمل على الخراج عبدالله بن سعد بن أبي سرح، ثمَّ جمعهما لعبدالله بن سعد وعزل عَمْراً، فلمّا قدم عمرو المدينة جعل يطعن على عثمان فأرسل إليه يوماً عثمان خالياً به. فقال: يابن النابغة؟ ما أسرع ما قمل جربّان [٣] جُبّتك! إنّما عهدك بالعمل عام أوّل، أتطعن عليَّ وتأتيني بوجه وتذهب عنّي بالآخر؟ والله لولا أكلة ما فعلت ذلك. فقال عمرو: إنَّ كثيراً ممّا يقول الناس وينقلون إلى وُلاتهم باطل، فاتقِّ الله يا أمير المؤمنين في رعيَّتك؟ فقال عثمان: والله لقد استعملتك على ظلعك[٤] وكثرة القالة فيك. فقال عمرو: قد كنت عاملاً لعمر بن الخطاب ففارقني وهو عنّي راض. فقال عثمان: وأنا والله لو أخذتك بما أخذك به عمر لاستقمت، ولكنّي لنتُ لك فاجترأتَ عليَّ. فخرج عمرو من عند عثمان وهو محتقدٌ عليه يأتي عليّاً مرّة فيؤلّبه على عثمان. ويأتي الزبير مرَّة فيؤلّبه على عثمان. ويأتي طلحة مرَّة فيؤلّبه على عثمان. ويعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان.

ولَمّا قصد الثوّار إلى المدينة أخرج لهم عثمان عليّاً فكلّمهم فرجعوا عنه وخطب عثمان الناس فقال: إنَّ هؤلاء القوم من أهل مصر كان بلغهم عن إمامهم

---

(١) الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٥، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٢.

(٢) نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ.

(٣) جربان الجبة بضم الميم والراء وكسرهما وتشديد الباء جيبها.

(٤) أي على ما فيك من عيب وميل. والظلع في الأصل غمز البعير في مشيه.

أمرٌ فلمّا تيقّنوا أنّه باطلٌ ما بلغهم عنه رجعوا إلى بلادهم، فناداه عمرو بن العاص من ناحية المسجد: إتّق الله يا عثمان! فإنّك قد ركبت نهابير[١] وركبناها معك، فتب إلى الله نتب، فناداه عثمان فقال: وإنّك هناك يابن النابغة؟ قملت والله جبّتك منذ تركتك من العمل. وفي لفظ البلاذري في الأنساب: يابن النابغة! وإنّك ممّن تُؤلّب عليَّ الطغام لأنّي عزلتك عن مصر.

فلمّا كان حصر عثمان الأوّل خرج عمرو من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال لها: السبع. فنزل بها، وكان يقول: أنا أبو عبدالله إذا حككتُ قرحةً نكأتها، والله إن كنت لألقى الراعي فأُحرِّضه عليه. وفي لفظ البلاذري: وجعل يحرِّض الناس على عثمان حتّى رعاة الغنم. فبينما هو بقصره بفلسطين إذ مرَّ به راكبٌ من المدينة فسأله عمرو عن عثمان فقال: تركته محصوراً. قال عمرو: أنا أبو عبدالله قد يضرط العير والمكواة في النار، فلمّا بلغه مقتل عثمان قال عمرو: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع، مَن يلي هذا الأمر من بعده؟ إن يله طلحة فهو فتى العرب سيباً، وإن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلاّ سيستنظف الحقَّ[٢] وهو أكره مَن يليه إليَّ.

فلمّا بلغه أنّ علياً قد بويع له، فاشتدَّ عليه وتربّص لينظر ما يصنع الناس، ثمَّ نمى إليه معاوية بالشام يأبى أن يبايع عليّاً، وأنّه يُعظّم قتل عثمان ويُحرِّض على الطلب بدمه، فاستشار ابنيه عبدالله ومحمّداً في الأمر، وقال: ما تريان؟ أمّا عليٌّ فلا خير عنده وهو رجلٌ يدلّ[٣] بسابقته، وهو غير مشركي في شيء من أمره. فقال عبدالله بن عمرو: توفّي النبيّ ﷺ وهو عنك راض، وتوفّي أبو بكر رضي الله عنه وهو عنك راض، وتوفّي عمر رضي الله عنه وهو عنك راض، أرى أن تكفَّ يدك وتجلس في بيتك حتّى يجتمع الناس على إمام فتبايعه. وقال محمّد بن عمرو: أنت نابٌ من أنياب العرب فلا أرى أن يجتمع هذا الأمر وليس

---

(١) جمع نهبورة بالضم: المهلكة.
(٢) استنظف الشيء. أخذ كله.
(٣) أدل وتدلل: انبسط واجترأ.

لك فيه صوتٌ ولا ذكرٌ. قال عمرو: أمّا أنت يا عبدالله؟ فأمرتني بالّذي هو خيرٌ لي في آخرتي، وأسلم في ديني، وأمّا أنت يا محمّد فأمرتني بالّذي أنبه لي في دنياي، وأشرّ لي في آخرتي. ثمّ خرج عمرو بن العاص ومعه إبناه حتّى قدم على معاوية، فوجد أهل الشام يحضّون معاوية على الطلب بدم عثمان، فقال عمرو بن العاص: أنتم على الحقّ، اطلبوا بدم الخليفة المظلوم. ومعاوية لا يلتفت إلى قول عمرو، فقال إبنا عمرو لعمرو: ألا ترى إلى معاوية لا يلتفت إلى قولك؟! إنصرف إلى غيره. فدخل عمرو على معاوية فقال: والله لعجب لك إنّي أرفدك بما أرفدك وأنت معرضٌ عنّي، أمّا والله إن قاتلنا معك نطلب بدم الخليفة إنّ في النفس من ذلك ما فيها، حيث نقاتل من تعلم سابقته وفضله وقرابته، ولكنّا إنّما أردنا هذه الدنيا. فصالحه معاوية وعطف عليه.

أنساب الأشراف للبلاذري ج ٥ ص ٧٤، ٨٧، تاريخ الطبري ج ٥ ص ١٠٨ ـ ١١١ و٢٢٤، كامل ابن الأثير ج ٣ ص ٦٨، تذكرة السبط ص ٤٩، جمهرة رسائل العرب ج ١ ص ٣٨٨.

وكان بعد تلك المساومة المشؤومة يحضّ الناس على قتل الإمام أمير المؤمنين كما فعله على عثمان حتّى قتله وافتخر به بقوله: أنا أبو عبدالله قتلته وأنا بوادي السباع. ثمّ جعل قميصه وسيلة النيل إلى الرُتبة والراتب وقام بطلب دمه قائلاً: إنّ في النفس من ذلك ما فيها. وممّن حثّ على أمير المؤمنين وألّبه حريثٌ مولى معاوية بن أبي سفيان قال ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١١٣: قال معاوية لحريث: إتّق عليّاً ثمّ ضع رمحك حيث شئت، فقال له عمرو بن العاص: إنّك والله يا حريث، لو كنت قرشيّاً لأحبّ معاوية أن تقتل عليّاً ولكن كره أن يكون لها حظّها، فإن رأيت منه فرصة فاقتحم عليه.

ولمّا قُتل أمير المؤمنين عليه السلام إستبشر بذلك وبشّره به سفيان بن عبد شمس بن أبي وقّاص قال ابن عساكر في تاريخه ج ٦ ص ١٨١: لمّا طُعن أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه ذهب سفيان يبشّر معاوية وعمرو بن

العاص بقتله فكتب معاوية إلى عمرو وهو يقول:

وقتـك وأسباب المنـون كثيرةٌ   منيَّة شيخٍ من لويٍّ بن غالبِ
فيا عمرو مهلاً إنَّما أنت عمّه   وصاحبه دون الرجال الأقاربِ
نجوت وقد بلَّ المراديُّ سيفه   من ابن أبي شيخ الأباطح طالبِ
ويضـربني بالسيف آخـر مثله   فكانت عليه تلك ضربة لازبِ
وأنت تنـاغي كـلَّ يــوم وليلة   بمصرك بيضاً كالظباء الشوازبِ

هذه نفسيَّة الرجل وتمام حقيقته اللائحة على تجارته البـائرة، وصفقتـه الخاسرة، وبضاعته المزجاة من الدين المبطن بالإلحاد، والمكتنف بالنِّفاق، ولو لم يكن كذلك لما اقتنع بتلك المساومة، وهـو يعرف الثمن والمثمن، ويعلم سابقة أمير المؤمنين وفضله وقرابته ويقول: إن يله ابن أبي طالب فلا أراه إلّا سيستنظف الحقَّ. ومع ذلك يُظهر بغضه وعداه بقوله: وهو أكره مَن يليه إليَّ. ويعترف بالحقِّ ويتحيّز إلى خلافه، ويعرف الموضع الصالح للخلافة ثمَّ يميل مع الهوى ويقول: إنّما أردنا هذه الدنيا. فيبيع دينه لمعاوية بثمن بخس (مصر وكورها) ويؤلّب الناس على الإمام الطاهر بنصِّ الكتاب العزيز، ويسرُّ بقتله، ولقد صارح بكـلِّ ذلك صـراحة لا تقبـل التأويـل وهي مستفادةٌ من نصـوصه ونصوص الصحابة الأوّلين، وبها عُرِّف في التاريخ الصحيح كما سمعت من دون أيِّ استنباط أو تحوير، فلا بارك الله في صفقة يمينه، ولا غار له بخير.

حديث شجاعته

لم نعهد لابن النابغة موقفاً مشهوداً في المغازي والحروب سواءٌ في ذلك العهد الجاهليّ، ودور النبوَّة، وأمّا وقعة صفّين فلم يُؤثر عنه سوى مخزاة سوئته مع أمير المؤمنين، وفراره من الأشتر، وقد بقي عليه عار الأولى مدى الحقب والأعوام، وجرى بها المثَل وغنّى بهـا أهل الحجـاز وجاء شعـر عتبة بن أبي سفيان:

ســوى عمـرو وقتــه خصيتـاه   نجى ولـقلبــه مـنــه وجيبُ

وفي شعر معاوية بن أبي سفيان يذكر عمراً وموقفه كما يأتي:

فلو لم يُبد عورته للاقى   به ليثاً يُذلّل كلَّ غازي

فقد لاقى أبا حسنٍ علياً   فآب الوائليُّ فآب غازي

وفي شعر الحارث بن نصر السهميّ:

فقولا لعمرو وابن أرطاة أبصرا   سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيهْ

ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما   هما كانتا لِلنفس والله واقيهْ

وفي شعر الأمير أبي فراس:

ولا خير في دفع الردى بمذلّة   كما ردَّها يوماً بسوئته عمرو

وفي شعر الزاهي البغدادي:

وصدَّ عن عمرو وبُسر كرما   إذ لقيا بالسوأتين مَن شخصْ

وقال آخر:

ولا خير في صون الحياة بذلّة   كما صانها يوماً بذلّته عمرو

وقال عبد الباقي الفاروقيُّ العمريُّ:

وليلة الهرير قد تكشّفت   عن سوءة ابن العاص لَمّا غُلبا

فحاد عنه مغضباً حيدرةٌ   وعفَّ والعفو شعار النجبا

ولو يشأ ركّب فيه زجّةً   تركيب مزجيّ كمعدي كربا

وكان قد تكرّر منه هذا العمل المخزي كما سيأتي، ولو كان للرجل شيءٌ من البسالة لجبه معيِّريه بتعداد مشاهده، وسلقهم بلسان حديد، وهو ذلك الصلف المفوّه، وفيما أمّر من الحروب كان الزحف للجيش الباسل دونه، فلم يَسط أمامه، وإنّما كان رئيّاً في أمرهم يُدير وجه الحيلة فيه، كما أنّه كان في

صفِّين كذلك لم يُبارِح سرادق معاوية وطفق يُبديه دهائه إلاّ في موقفين سيوافيك تفصيلهما، ولذلك كلّه اشتهر بدهاء دون الشجاعة. قال البيهقي في [المحاسن والمساوي] ج ١ ص ٣٩: قال عمرو بن العاص لابنه عبدالله يوم صفِّين: تبيّن لي هل ترى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؟ قال عبدالله: فنظرت إليه فرأيته فقلت: يا أبه! ها هو ذاك على بغلة شهباء عليه قباءٌ أبيض وقلنسوةٌ بيضاء. قال فاسترجع وقال: والله ما هذا بيوم ذات السلاسل ولا بيوم اليرموك ولا بيوم أجنادين، وددت أنّ بيني وبين موقفي بُعد المشرقين.

هذا هو الذي عرفه منه معاصروه، وستقف على أحاديثهم، نعم جاء ابن عبد البرّ بعد لأيٍ من عمر الدهر فتهجّس في «الإستيعاب» فعدّه من فُرسان قريش وأبطالهم في الجاهليّة مذكوراً بذلك فيهم. ولعلّ ابن منير[1] المولود بعد ابن عبد البرّ بعشر سنين وقف على كلامه في «الإستيعاب» وحكمه ببطولة الرجل فقال في قصيدته التَتريّة:

وأقول إن أخطأ معاويةٌ ... فما أخطأ القدَرْ
هذا ولم يَغدر معاويةٌ ولا عمروٌ مكرْ
بطلٌ بسوءته يُقاتل ... لا بصارمه الذَكَرْ

فإليك ما يُؤثر في مواقفه حتى ترى عيَّه عن القُحوم إلى الفوارس في مضمار النضال والدنوّ من نقع الحومة، وتقف على حقيقته من هذه الناحية أيضاً، وتعرف قيمة كلام ابن حجر في «الإصابة» ج ٣ ص ٢ من: أنّ النبيّ ﷺ كان يُقرِّبه ويُدنيه لمعرفته وشجاعته، ولا نُسائله متى قرَّبه وأدناه.

---

(١) أحد شعراء الغدير في القرن السادس تأتي هناك قصيدته التترية وترجمته.

أمير المؤمنين وعمرو
في معترك القتال بصفين

كان عمرو بن العاص عدوّاً للحرث بن نضر الخثعمي، وكان من أصحاب عليٍّ عليه السّلام، وكان عليٌّ قد تهيّبته فرسان الشام وملأ قلوبهم بشجاعته وامتنع كلٌّ منهم من الإقدام عليه وكان عمرو ما جلس مجلساً إلّا ذكر فيه الحرث بن نضر الخثعميّ وعابه فقال الحرث:

ليس عمرو بتارك ذكره الحرث	مدى الدَّهر أو يُلاقي عليّا
واضع السيف فوق منكبه الأيـ	ـمن لا يحسب الفوارس شيّا
ليت عمراً يلقاه في حومة النقع	وقد أمست السيوف عصيّا
حيث يدعو البراز حاميةُ القوم	إذا كان بالبراز مليّا
فوق شِهب مثل السحوق[1] من	النخل يُنادي المبارزين: إليّا
ثمَّ يا عمرو تستريح من الفخر	وتلقى به فتىً هاشميّا
فالقه إن أردت مكرمة الدهر	أو الموت كلّ ذاك عليّا

فشاعت هذه الأبيات حتّى بلغت عمراً فأقسم بالله ليلقينَّ عليّاً ولو مات ألف موتة. فلمّا اختلطت الصفوف لقيه فحمل عليه برمحه فتقدَّم عليٌّ وهو مخترطٌ سيفاً، معتقلٌ رمحاً، فلمّا رهقه همز فرسه ليعلو عليه، فألقى عمرو نفسه عن فرسه إلى الأرض شاغراً برجليه، كاشفاً عورته، فانصرف عنه عليٌّ لافتاً وجهه، مستدبراً له، فعدَّ الناس ذلك من مكارم عليّ وسؤدده، وضرب بها المثل.

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ٢٢٤، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١٠.

وقال ابن قتيبة - في الإمامة والسياسة - ج ١ ص ٩١: ذكروا أنَّ عمراً قال

---

(١) سحقت النخلة. طالت. فهي سحوق بالفتح ج سحق. بالضم.

لمعاوية: أتجبن عن عليٍّ وتتّهمني في نصيحتي إليك؟؟!! والله لأُبارزن عليّاً ولو متُّ ألف موتة في أوّل لقائه، فبارزه عمرو فطعنه عليٌّ فصرعه، فاتّقاه بعورته فانصرف عنه عليٌّ وولّى بوجهه دونه، وكان عليٌّ رضي الله عنه لم ينظر قطُّ إلى عورة أحد حياءً وتكرُّماً وتنزُّهاً عمّا لا يحلُّ، ولا يجلُّ بمثله كرّم الله وجهه.

وقال المسعودي في مروج الذهب ج ٢ ص ٢٥: إنّ معاوية أقسم على عمرو لمّا أشار عليه بالبراز إلى أن يبرز إلى عليّ فلم يجد عمرو من ذلك بُدّاً فبرز، فلمّا التقيا عرفه عليٌّ وشال السيف ليضربه به فكشف عمرو عن عورته وقال: مُكرهٌ أخوك لا بطل. فحوّل عليٌّ وجهه وقال: قبحت. ورجع عمرو إلى مصافه.

اجتمع عند معاوية في بعض ليالي صفّين عمرو بن العاص، وعُتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبدالله بن عامر، وابن طلحة الطلحات الخزاعي، فقال عُتبة: إنّ أمرنا وأمر عليٍّ بن أبي طالب لعجيب، ما فينا إلّا موتورٌ مُجتاحٌ، امّا أنا فقتل جدّي عتبة بن ربيعة وأخي حنظلة وشرك في دم عمّي شيبة يوم بدر، وأمّا أنت يا وليد فقتل أباك صبراً، وأمّا أنت يا ابن عامر فصرّع أباك وسلب عمّك، وأمّا أنت يا بن طلحة فقتل أباك يوم الجمل، وأيتم إخوتك، وأمّا أنت يا مروان فكما قال الشاعر[1]:

وأفلتهنّ علباء جريضاً ولو أدركته صفر الوطاب[2]

فقال معاوية: هذا الإقرار فأيّ غير غيّرت؟ قال مروان: وأيَّ غير تُريد؟! قال: أُريد أن تشجروه بالرماح. قال: والله يا معاوية ما أرك إلا هاذياً أو هاذئاً وما أرانا إلّا ثقلنا عليك. فقال ابن عقبة:

يقول لنا معاوية بن حرب : أما فيكم لواتركم طلوبُ؟

(١) البيت لامرىء القيس، قوله. صفر الوطاب. مثل يضرب لمن مات أو قتل.

(٢) أفلته خلصه وأطلقه. أفلت: تخلص. علباء من علب اللحم: تغيرت رائحته بعد اشتداده، الجريض المشرف على الهلاك. الصفر بالحركات الثلاث: الخالي. الوطب: سقاء اللبن ج وطاب

يشـدُّ على أبـي حسنٍ عليٍّ بـأسمر لا تُهجِّنه العَكوبُ(١)
فيهتـك مجمع اللبّـات منـه ونقـع القـوم مـطرَّدٌ يثـوبُ
فقلت له: أتلعب يا بن هند؟ كـأنـك بيننـا رجـلٌ غـريبُ
أتُغـرينـا بـحيَّـة بـطن وادٍ إذا نَهشت فليس لهـا طبيبُ
ومـا ضبـعٌ يـدبُّ ببطن وادٍ أُتيح(٢) لـه بـه أسدٌ مهيبُ
بـأضعف حيلة منّـا إذا مـا لـقينـاه ولُـقيـاه عـجيبُ
دعـا لِلقـاه في الهيجـاء لاقٍ فـأخطأ نفسـه الأجل القـريبُ
سـوى عمـرو وقتـه خصيتـاهُ نجى ولـقلبـه منـه وجيبُ
كـأنّ القـوم لمّـا عـاينـوهُ خـلال النقع ليس لهم قلوبُ
كعمـرو أي معاويـة بن حرب ومـا ظنّي ستلحقـه العيـوبُ
لقـد نـاداه في الهيجـا عليٌّ فـأسمعـه ولكن لا يُـجيـبُ

فغضب عمرو وقال: إن كان الوليد صادقاً فليلق عليّاً، أو فليقف حيث يسمع صوته وقال عمرو:

يُـذكّرني الـوليـد دعـا عليٍّ وبـطن المرء يمـلأه الـوعيـدُ
متى يـذكـر مشاهـده قـريشٌ يطر من خوفه القلب الشديـدُ
فـأمّـا في اللقـاء فـأين منـهُ معـاوية بن حـرب والـوليـدُ
وعيَّـر في الـوليـد لقاء ليثٍ إذا مـا زار(٣) هـابتـه الاسـودُ
لـقيتُ ولست أجهـله عليّـاً وقـد بلّت من العلق اللبُودُ(٤)
فـأطعنه ويـطعنني خـلاساً(٥) ومـاذا بعـد طعنتـه أُريدُ؟
فـرُمهـا أنت يـابن أبي مُعيط وأنت الفارس البطل النَّجيدُ(٦)

---

(١) هجنه الأمر: قبحه وعابه. العكوب بالفتح: الغبار.

(٢) تاح تيحاً وتوحاً: قدر وتهيأ. رجل متيح: أي لا يزال يقع في بلية.

(٣) من الزئير: صوت الأسد.

(٤) اللبد بالكسر: الشعر المجتمع بين كتفي الأسد. ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج ج لبود ولباد.

(٥) يقال: الرجلان يتخالسان: أي يروم كل منهما قتل صاحبه.

(٦) النجيد: الشجاع الماضي فيما يعجز غيره.

وأُقسم لــو سمعت نـدا عليٍّ　　لـطار القلب وانتفخ الـوريـدُ
ولــو لاقيتــهُ شقَّت جيــوبٌ　　عليك ولطّمت فيك الخدودُ[١]

وفي رواية سبط ابن الجوزي:

ثمَّ التفت الوليد إلى عمرو بن العاص وقال: إن لم تصدِّقوني وإلّا فسلوا. أراد تبكيت عمرو، قال هشام بن محمَّد: ومعنى هذا الكلام: إنَّ عليّاً خرج يوماً من أيام صفِّين فرأى عمرو بن العاص في جانب العسكر ولم يعـرفه فـطعنه، فوقع، فبدت عورته، فاستقبل عليّاً فأعرض عنه ثمَّ عرفه فقال: يابن النابغة! أنت طليق دبرك أيّام عمرك، وكان قد تكرَّر منه هذا الفعل.

رواية ابن عباس:

روى نصر بإسناده عن ابن عبّاس قال: تعرَّض عمرو بن العاص لعليّ يوماً من أيّام صفِّين، وظنَّ أنَّه يطمع منه في غِرة (أي: في غفلة) فيصيبه، فحمل عليه عليٌّ عليه السَّلام فلمّا كاد أن يُخالطه أذرى (أي: ألقى) نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه، وشغر[٢] برجله فبدت عورته، فصرف عليه السَّلام وجهه عنه، وقام معفَّراً بالتراب، هارباً على رجليه، معتصماً بصفوفه، فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين؟ أفلت الرجل. فقال: أتدرون من هو؟ قالوا: لا. قال: إنَّه عمرو بن العاص تلقّاني بسوأته فذكرني بالرحم (لفـظ ابن كثـير) فصرفت وجهي عنه، ورجع عمرو إلى معاوية فقـال: ما صنعت يـا أبا عبـدالله؟ فقال: لقيني عليٌّ فصرعني. قال: أحمد الله وعورتك ـ وفي لفظ ابن كثير: أحمـد الله وأحمد إستك ـ والله إنّي لأظنّك لو عرفته لما اقتحمت عليه. وقال معاوية في ذلك:

ألا لله مـن هفــوات عـمــرو　　يُعـاتبني على تـركي بــرازي
فقــد لاقى أبــا حسن عليّــاً　　فـآب الـوائليُّ مــآب خـازي

---

(١) كتاب صفين ص ٢٢٢، شرح ابن أبي الحديد ص ١١٠، تذكرة السبط ص ٥١.
(٢) شغر الكلب: رفع إحدى رجليه فبال.

فلو لم يُبـد عـورتـه لَـلاقى ... بـه ليثاً يُـذلِّـل كـلَّ غـازي
لـه كـفٌّ كـأنَّ بـراحتيهـا ... منايا القوم يخطف خطف بازِ
فـإن تكن المنيَّـة أخـطأتـه ... فقـد غنّى بهـا أهـل الحجـازِ

فغضب عمرو وقال: ما أشدّ تعظيمك عليّاً في كسري هذا - وفي لفظ ابن أبي الحديد: ما أشدَّ تغليطك أبا تراب في أمري - هل أنا إلاّ رجلٌ لقيه ابن عمِّه فصرعه؟. أفترى السماء قاطرةً لذلك دماً؟! قال: لا ولكنّها مُعقبة لك خزياً. كتاب صفّين ص ٢١٦، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٨٧، تاريخ ابن كثير ج ٧ ص ٢٦٣.

معاوية وعمرو

إستأذن عمرو بن العاص على معاوية بن أبي سفيان فلمّـا دخل عليـه استضحك معاوية فقال عمرو: ما أضحكك يا أمير المؤمنين؟ أدام الله سرورك. قال: ذكرتُ ابن أبي طالب وقد غشيك بسيفه فاتّقيته ووليّت. فقال: أتشمتُ بي يا معاويـة؟ وأعجب من هذا يـوم دعاك إلى البراز فالتمـع لونـك، وأطت[١] أضالعك، وانتفخ منخرك، والله لو بارزته لأوجع قذالك[٢] وأيتم عيالك، وبزَّك سلطانك، وأنشأ عمرو يقول:

معـاوي لا تشمت بفـارس بُهمـة ... لقى فـارسـاً لا تعتـريـه الفـوارسُ
معـاوي إن أبصرت في الخيل مقبلاً ... أبـا حسن يهوي دهتـك الـوسـاوسُ
وأيـقـنـت أنّ الـمـوت حـقٌّ وانّـه ... لنفسك إن لم تمض في الركن حابسُ
فـإنّك لـو لاقيتـه كنت بـومـة[٣] ... أُتيـح لها صقـرٌ من الجـوِّ رايسُ[٤]
ومـاذا بقـاء القـوم بعـد اختبـاطـه؟ ... وإنّ امـرؤ يـلقـى عـليّـاً لآيس

---

(١) أط: صوت. الإبل: حنت.
(٢) القذال: بين الاذنين من مؤخر الرأس ج قذل وأقذلة.
(٣) البوم والبومة: طائر يسكن الخراب. يضرب به المثل في الشؤم.
(٤) من راس يريس. مشى متبختراً. يقال راس القوم. اعتلى عليهم وغلبهم.

دعـاك فصمَّت دونـه الاذن هــاربـاً فنفسك قد ضاقت عليها الأمالسُ[١]
وأيقنتَ أنَّ المــوت أقـرب مــوعـد وأنَّ الذي ناداك فيهـا الدهـارسُ[٢]
وتشمتُ بي إن نـالني حـدُّ رمحــه وعضَّضني نابٌ من الحرب ناهسُ[٣]
أبــى الله إلّا أنَّــه لــيــثُ غــابــة أبــو أشبـلٍ تُهــدى إليـه الفــرايسُ
وأيُّ امــرىء لاقــاه لم يُلف شـلوه بمعتـرك تسفي عليـه الــروامسُ[٤]
فإن كنت في شكٍّ فـأوهج عجـاجه وإلّا فتلك التّــرهـات البســابسُ[٥]

فقال معاوية: مهلًا يا أبا عبدالله! ولا كلّ هذا. قال: أنت استدعيته.

وفي لفظ ابن قتيبـة في «عيون الأخبـار» ج ١ ص١٦٩: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك فقال له: مِمَّ تضحك يا أمير المؤمنين؟ أضحك الله سنّك. قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب، أما والله لقد وافقته منّاناً كريماً ولو شاء أن يقتلك لقتلك. قال عمرو: يا أمير المؤمنين! أما والله إنّي لعن يمينك حين دعاك إلى البراز فاحولّت عيناك، وربا سَحرك[٦] وبدا منك ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك أو دع.

وفي لفظ البيهقي في [المحــاسن والمسـاوي] ج ١ ص ٣٨: دخـــل عمرو بن العاص، على معاوية وعنده ناسٌ فلمّا رآه مقبلًا استضحك فقال: يا أمير المؤمنين! أضحك الله سنّك وأدام سرورك وأقرَّ عينك ما كلّ ما أرى يوجب الضحك. فقال معاوية: خطر ببالي يوم صفّين يوم بارزتَ أهل العراق فحمل عليك عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه فلمّا غشيك طرحتَ نفسك عن دابّتك وأبديت عورتك، كيف حضرك ذهنـك في تلك الحال؟ أمـا والله لقد واقفت

---

(١) الأمالس والأماليس ج امليس: الفلاة التي ليس فيها نبات.
(٢) الدهرس: الشدة والبلية.
(٣) نهس اللحم نهساً بفتح العين وكسره: أخذه ونتفه ومده بالفم.
(٤) الرمس: الستر والتغطية. ويقال لما يحثى على القبر من التراب: رمس.
(٥) كتاب صفين ٢٥٣، أمالي الشيخ ص ٨٤، تذكرة السبط ص ٥٢.
(٦) ربا ربواً: انتفخ. السحر بفتح السين وضمه: الرئة.

هاشميّاً منافياً ولو شاء أن يقتلك لقتلك. فقال عمرو: يا معاوية إن كان أضحكك شأني فمن نفسك فاضحك، أما والله لو بدا له من صفحتك مثل الذي بدا له من صفحتي لأوجع قذَالك، وأيتم عيالك، وأنهب مالك، وعزل سلطانك، غير أنّك تحرّزتَ منه بالرجال في أيديها العوالي، أما أنّي قد رأيتك يوم دعاك إلى البراز فاحولّت عيناك، وأربد شدقاك، وتنشّر منخراك، وعرق جبينك، وبدا من أسفلك ما أكره ذكره. فقال معاوية: حسبك حيث بلغت لم نرد كلّ هذا.

وفي لفظ الواقدي: قال معاوية يوماً لعمرو بن العاص: يا أبا عبدالله، لا أراك إلّا ويغلبني الضحك قال: بماذا؟ قال: أذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفّين فأذريت نفسك فَرقاً من شبا سنانه، وكشفت سوأتك له. فقال عمرو: أنا منك أشدُّ ضحكاً إنّي لأذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ سَحرك، وربا لسانك في فمك، وعصب ريقك، وإرتدّت فرائصك، وبدا منك ما أكره ذكره لك. فقال معاوية: لم يكن هذا كلّه، وكيف يكون؟ ودوني عكٌّ والأشعريّون. قال: إنّك لتعلم أنّ الذي وصفتُ دون ما أصابك، وقد نزل ذلك بك ودونك عكٌّ والأشعريّون، فكيف كانت حالك لو جمعكما مأقط الحرب؟ قال: يا أبا عبدالله، خض بنا الهزل إلى الجدّ: إنّ الجبن والفرار من عليّ لا عار على أحد فيهما. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١١١.

قال نصر في كتابه ص ٢٢٩: وكان معاوية لم يزل يشمت عمراً ويذكر يومه المعهود ويضحك، وعمرو يعتذر بشدّة موقفه بين يدي أمير المؤمنين، فشمت به معاوية يوماً وقال: لقد أنصفتكم إذ لقيت سعيد بن قيس وفررتم وإنّك لجبان، فغضب عمرو ثمَّ قال: والله لو كان عليّاً ما قحمتَ عليه يا معاوية! فهلّا برزتَ إلى عليٍّ إذ دعاك إن كنت شجاعاً كما تزعم؟ وقال عمرو في ذلك:

تسير إلى ابن ذي يزن سعيد	وتترك في العجاجة مَن دعاكا
فهل لك في أبي حسن عليٍّ؟	لعلّ الله يُمكن مِن قفاكا
دعاك إلى النزال فلم تُجبه	ولو نازلته تربتْ يداكا
وكنت أصمّ إذ ناداك عنه	وكان سكوته عنه مناكا

فآب الكبش قد طحنت رحاه بنجدته ولم تطحن رحاكا
فما أنصفت صحبك يا بن هند أتفرقه وتغضب مَن كفاكا؟؟!!
فلا والله ما أضمرت خيراً ولا أظهرتَ لي إلاّ هواكا

أشار عمرو بن العاص، في هذه الأبيات إلى ما رواه نصر في كتاب صفّين ص ١٤٠ وغيره من المؤرّخين من: أنَّ عليّاً عليه السّلام قام يوم صفّين بين الصفّين ثمّ نادى يا معاوية! يُكرِّرها فقال معاوية: إسألوه ما شأنه؟ قال: أُحبُّ أن يظهر لي فأُكلّمه كلمة واحدة. فبرز معاوية ومعه عمرو بن العاص فلمّا قارباه لم يلتفت إلى عمرو وقال لمعاوية: ويحك على مَ يقتتل الناس بيني وبينك، ويضرب بعضهم بعضاً؟؟!! أبرز إليّ فأيّنا قتل صاحبه فالأمر له. فالتفت معاوية إلى عمرو فقال: ما ترى يا أبا عبدالله فيما هٰهنا ؟ أُبارزه؟؟!! فقال عمرو: لقد أنصفك الرَّجل واعلم أنّه إن نكلت عنه لم تزل سبّة عليك وعلى عقبك ما بقي عربيٌّ. فقال معاوية: يا عمرو! ليس مثلي يُخدع عن نفسه. والله ما بارز ابن أبي طالب رجلاً قطُّ إلاّ سقى الأرض من دمه. ثمّ انصرف معاوية راجعاً حتّى انتهى إلى آخر الصفوف وعمرو معه.

خرج عليٌّ عليه السّلام ذات يوم في صفّين منقطعاً من خيله ومعه الأشتر يتسايران رُويداً يطلبان التلّ ليقفا عليه وعليٌّ يقول:

إنّي عليٌّ فسلوا لتخبروا ثمّ ابرزوا إلى الوغا أو ادبروا
سيفي حسامٌ وسناني أزهرُ منّا النبيُّ الطيِّبُ المطهَّرُ
وحمزة الخير ومنّا جعفرُ له جناحٌ في الجنان أخضرُ
ذا أسد الله وفيه مفخرُ هذا بهذا وابن هند محجرُ
مذبذبٌ مطّردٌ مؤخَّرُ

إذ برز له بُسر بن أرطاة مقنّعاً في الحديد لا يُعرف فناداه: ابرز إليَّ أبا

حسن! فانحدر إليه على تؤدَةٍ[١] غير مكترثٍ به حتّى إذا قاربه طعنه وهو دارعٌ فألقاه على الأرض. ومنع الدرع السنان أن يصل إليه، فاتّقاه بُسر بعورته وقصد أن يكشفها يستدفع بأسه، فانصرف عنه عليه السّلام مستدبراً له فعرفه الأشتر حين سقط فقال: يا أمير المؤمنين! هذا بُسر بن أرطاة هذا عدوّ الله وعدوّك. فقال: دعه عليه لعنة الله، أبَعد أن فعلها؟ فحمل ابن عمّ لبسر شابّ على عليّ وهو يقول:

أرديت بُسراً والغلام ثايرهْ ... أرديت شيخاً غاب عنه ناصرهْ

وكلّنا حام لبسر واترهْ

فحمل عليه الأشتر وهو يقول:

أكلَّ يوم رِجل شيخ شاغرهْ ... وعورةٌ تحت العجاج ظاهرهْ

تبرزها طعنة كفٍّ واترهْ ... عمروٌ وبُسر رُميا بالفاقرهْ

فطعنه الأشتر فكسر صلبه، وقام بُسر من طعنة عليّ وولّت خيله، وناداه عليٌّ يا بسر! معاوية كان أحقَّ بهذا منك. فرجع بُسر إلى معاوية فقال له معاوية: إرفع طرفك قد أدال[٢] الله عمراً منك. فقال في ذلك الحارث بن نضر السهمي:

أفي كلِّ يوم فارسٌ تندبونه ... له عورةٌ تحت العجاجة باديهْ

يكفُّ بها عنه عليٌّ سنانه ... ويضحكمنها في الخلاء معاويهْ

بدت أمس من عمرو فقنَّع رأسه ... وعورة بُسر مثلها حذو حاذيهْ

فقولا لعمرو وابن أرطأة أبصرا ... سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيهْ

ولا تحمدا إلّا الحيا وخصاكما ... هما كانتا لِلنفس والله واقيهْ

فلولاهما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها عن العود ناهيهْ

---

(١) أي تأنى وتمهل.

(٢) أدال الشيء. جعله متداولاً. يقال أدال الله زيداً من عمرو، أي نزع الدولة من عمرو وحولها إلى زيد.

متى تلقيا الخيل المشيجة صيحة　　وفيها عليٌّ فاتركا الخيل ناحيهْ
وكونا بعيداً حيث لا تبلغ القنا　　ونار الوغى إنّ التجارب كافيهْ
وإن كان منه بعدُ في النفس حاجةٌ　　فعودوا إلى ما شئتما هي ماهيهْ

كتاب صفّين ص ٢٤٦، الإستيعاب ج ١ ص ٦٧، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٣٠٠، مطالب السئول ص ٤٣، تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٣٠، نور الأبصار ص ٩٥.

يُنبئنا التاريخ أنّ عمرو ليس بأوّل رجل كشف عن سوءته من بأس أمير المؤمنين وإنّما قلّد طلحة بن أبي طلحة فإنّه لَمّا حمل عليه أمير المؤمنين يوم أُحد ورأى أنّه مقتولٌ لا محالة، فاستقبله بعورته وكشف عنها. راجع تاريخ ابن كثير ج ٤ ص ٢٠ وذكره الحلبي في سيرته ج ٢ ص ٢٤٧ ثمّ قال: وقع لسيِّدنا عليٍّ كرّم الله وجهه مثل ذلك في يوم صفّين مرّتين: الأولى: حمل على بُسر بن أرطأة والثانية: حمل على عمرو بن العاص فلمّا رأى أنّه مقتولٌ كشف عن عورته، فانصرف عنه عليٌّ كرّم الله وجهه.

الأشتر، وعمرو بن العاص
في معترك القتال بصفّين

إنّ معاوية دعا يوماً بصفّين مروان بن الحكم فقال: إنّ الأشتر قد غمّني وأقلقني، فاخرج بهذه الخيل في يحصب والكلاعيِّين فالقه فقاتل بها. فقال مروان: أُدع لها عمراً فإنّه شعارك دون دثارك. قال: وأنت نفسي دون وريدي. قال: لو كنت كذلك ألحقتني به في العطاء أو ألحقته بي في الحرمان، ولكنّك أعطيته ما في يدك، ومنّيته ما في يد غيرك، فإن غلبتَ طاب له المقام، وإن غُلبت خفّ عليه الهرب. فقال معاوية: سيُغني الله عنك. قال: أمّا إلى اليوم فلن يغني، فدعا معاوية عمراً وأمره بالخروج إلى الأشتر. فقال: أما إنّي لا أقول لك ما قال مروان. قال: فكيف تقول؟! وقد قدّمتك وأخّرته، وأدخلتك وأخرجته. قال: أما والله إن كنتَ فعلتَ لقد قدّمتني كافياً، وأدخلتني ناصحاً،

وقد أكثر القوم عليك في أمر مصر وإن كان لا يُرضيهم إلاّ أخذها فخذها، ثمَّ قام فخرج في تلك الخيل فلقيه الأشتر أمام القوم وهو يقول:

يا ليت شعري كيف لي بعمرو؟ ذاك الذي أوجبتُ فيه نذري

ذاك الذي أطلبه بوتري ذاك الذي فيه شفاء صدري

ذاك الذي إن ألقه بعمري تغلي به عند اللقاء قِدري

أجعله فيه طعام النسر أو لا فربّي عاذري بعذري

فلمّا سمع عمرو هذا الرجز وعرف أنَّه الأشتر فشل وجبن واستحى أن يرجع وأقبل نحو الصوت وقال:

يا ليت شعري كيف لي بمالكِ كم جاهل خيَّبته وحاركِ[1]

وفارس قتلته وفاتكِ ومقدمٌ آبّ بوجهٍ حالكِ[2]

ما زلت دهري عُرضة المهالكِ

فغشيه الأشتر بالرمح فزاغ عنه عمرو فلم يصنعِ الرمح شيئاً، ولوى عمرو عنان فرسه وجعل يده على وجهه وجعل يرجع راكضاً نحو عسكره، فنادى غلامٌ مِن يحصب: يا عمروا عليك العفا ما هبت الصبا.

كتاب صفِّين ص ٢٣٣، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٥.

يُنبئك صدر هذا الحديث عن نفسيّات أولئك المناضلين عن معاوية الدُّعاة إلى إمامته، ويُعرب عن غايات تلك الفئة الباغية بنصِّ النبيِّ الأطهر إماماً ومأموماً في تلك الحرب الزَّبون، فما ينبغي لي أن أكتب عن إمام يكون مثل عمرو بن العاص شعاره، ومثل مروان بن الحكم نفسه؟؟!! وما يحقُّ لك أن تعتقد في مأموم هذه محاوراته في معترك القتال مع إمامه المفترضة عليه طاعته - إن صحَّت الأحلام - ومشاغبته دون الرُّتبة والراتب؟؟!!.

---

(١) حرك. امتنع من الحق الذي عليه. غلام حرك: خفيف ذكي.

(٢) حلك. اشتد سواده فهو حالك وحلك.

ابن عباس وعمرو

حجَّ عمرو بن العاص، وقام بالموسم فأطرى معاوية وبني أُميَّة وتناول بني هاشم ثمَّ ذكر مشاهده بصفِّين، فقال ابن عبّاس: يا عمرو! إنّك بعتَ دينك من معاوية فأعطيته ما في يدك ومنّاك ما في يد غيره، فكان الّذي أخذ منك فوق الّذي أعطاك، وكان الّذي أخذت منه دون ما أعطيته، وكلٌّ راض بما أخذ وأعطى، فلمّا صارت مصر في يدك تتبعك فيها بالعزل والتنقّص، حتّى لو أنَّ نفسك في يدك لألقيتها إليه، وذكرت يومك مع أبي موسى فلا أراك فخرت إلاّ بالغدر، ولا منّيت إلاّ بالفجور والغشّ، وذكرت مشاهدك بصفّين فوالله ما ثقلت علينا وطأتك، ولقد كشفت فيها عورتك، ولا نكتنا فيها حربك، ولقد كنت فيها طويل اللسان، قصير السنان، آخر الحرب إذا أقبلت، وأوّلها إذا أدبرت، لك يدان: يدٌ لا تبسطها إلى خير، ويدٌ لا تقبضها عن شرّ، ووجهان: وجهٌ مونسٌ ووجه موحشٌ، ولعمري انَّ من باع دينه بدنيا غيره لحريٌّ أن يطول حزنه على ما باع واشترى، لك بيانٌ وفيك خطل، ولك رأيٌ وفيك نكد ولك قدرٌ وفيك حسد، فأصغر عيب فيك أعظم عيب غيرك. فقال عمرو: أما والله ما في قريش أحدٌ أثقل وطأةً عليَّ منك، ولا لأحد من قريش قدر عندي مثل قدرك.

البيان والتبيين ج ٢ ص ٢٣٩، العقد الفريد ج ٢ ص ١٣٦، شرح ابن أبي الحديد ج ١ ص ١٩٦ نقلاً عن البلاذري.

ابن عباس، وعمرو
في حفلة اخرى

روى المدائني قال: وفد عبدالله بن عبّاس على معاوية مرَّة وعنده ابنه يزيد، وزياد بن سميّة، وعُتبة بن أبي سفيان، ومروان بن الحكم، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن أُمّ الحكم فقال عمرو بن العاص: هذا والله يا أمير المؤمنين نجوم أوّل الشرّ، وأُفول آخر الخير، وفي حسمه قطع مادّته فبادره بالحملة، وانتهز منه الفرصة، واردع

بالتنكيل به غيره، وشرِّد به مَن خلفه، فقال ابن عبّاس: يا بن النابغة! ضلَّ والله عقلك، وسفه حلمك، ونطق الشيطان على لسانك، هلّا تولّيت ذلك بنفسك يوم صفّين حين دُعيت نزال[١] وتكافح الأبطال، وكثرت الجراح، وتقصّفت[٢] الرِّماح، وبرزتَ إلى أمير المؤمنين مصاولاً، فانكفأ نحوك بالسيف حاملاً، فلمّا رأيت الكواثر من الموت، أعددتَ حيلة السّلامة قبل لقائه، والإنكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته رجاء النجاة عورتك، وكشفت له خوف بأسه سوءتك، حذراً أن يصطلمك بسطوته، أو يلتهمك[٣] بحملته، ثمَّ أشرت على معاوية كالناصح له بمبارزته، وحسّنت له التعرُّض لمكافحته، رجاء أن تكتفي مؤنته، وتعدم صورته، فعلم غلَّ صدرك، وما انحنت عليه من النفاق أضلعك، وعرف مقرَّ سهمك في غرضك، فاكفف غرب لسانك، واقمع عوراء لفظك، فإنَّك بين أسدٍ خادر، وبحر زاجر، إن تبرَّزت للأسد إفترسك، وإن عُمت في البحر قمسك - أي: غمسك وأغرقك -. شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٠٥، جمهرة الخطب ج ٢ ص ٩٣.

عبدالله المرقال وعمرو

كان في نفس معاوية من يوم صفّين إحنٌ على هاشم بن عتبة بن أبي وقّاص المرقال وولده عبدالله، فلمّا استعمل معاوية زياداً على العراق كتب إليه: أمّا بعد: فانظر عبدالله بن هاشم فشدَّ يده إلى عنقه ثمَّ ابعث به إليَّ، فحمله زياد من البصرة مقيَّداً مغلولاً إلى دمشق، وقد كان زياد طرقه بالليل في منزله بالبصرة فأُدخل إلى معاوية وعنده عمرو بن العاص فقال معاوية لعمرو بن العاص: هل تعرف هذا؟ قال: لا. قال: هذا الّذي يقول أبوه يوم صفّين:

إنّي شريت النفس لَمّا اعتلّا ... وأكثر اللوم وما أقلّا

---

(١) نزال: اسم فعل بمعنى: انزل. أي حين قال الأبطال بعضهم لبعض: انزل.
(٢) تقصفت: تكسرت.
(٣) التهم الشيء: ابتلعه بمرة.

أعــور يـبغـي أهـله مـحــلّا   قـد عـالـج الحيـاة حتّى مـلّا
لا بـــدّ أن يــفــلّ أو يُفــلّا   أسلهمُ بـذي الكعـوب سـلّا

لا خير عندي في كريم ولّى

فقال عمرو متمثّلًا:

وقد نبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وإنّه لهو، دونك يا أمير المؤمنين الضبَّ المضبَّ[١] فأشخب أوداجه على أسباجه (أثباجه) ولا تُرجعه إلى أهل العراق فإنّهم أهل فتنة ونفاق، وله مع ذلك هوىً يُرديه وبطانةٌ تغويه، فوالّذي نفسي بيده لئن أفلتّ من حبائلك ليجهزنّ إليك جيشاً تكثر صواهله لشرِّ يوم لك، فقال عبدالله وهو المقيَّد: يا ابن الأبترا هلّا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفِّين؟ ونحن ندعوك إلى البراز، وأنت تلوذ بشمائل الخيل كالأمة السوداء والنعجة القوداء، أما انّه إن قتلني قتل رجلًا كريم المخبرة، حميد المقدرة، ليس بالحبس المنكوس، ولا الثِّلِب[٢] المركوس[٣]. فقال عمرو: دع كيت وكيت، فقد وقعت بين لحيي لَهذم[٤] فروس للأعداء، يسعطك إسعاط[٥] الكودن[٦] الملجم. قال عبدالله: أكثر إكثارك، فإنّي أعلمك بطراً في الرّخاء جباناً في اللقاء، عيَّابةً عند كفاح الأعداء، ترى أن تقي مهجتك بأن تُبدي سوأتك، أنَسيت صفّين وأنت تُدعى إلى النزال؟ فتحيد عن القتال خوفاً أن يغمرك رجالٌ لهم أبدانٌ شدادٌ، وأسنّةٌ حدادٌ، ينهبون السرح، ويذلّون العزيز. فقال عمرو: لقد علم معاوية أنّي شهدت تلك المواطن، فكنت فيها كمدرة الشوك، ولقد رأيت أباك في بعض تلك المواطن، تخفق أحشاؤه، وتنقّ

---

(١) من أضب يضب: أي صاح وتكلم وغاض وحقد.
(٢) الثلب: المعيب المهان.
(٣) المركوس: الضعيف.
(٤) اللهذم: الحاد القاطع من السيوف والأسنة والأنياب.
(٥) الأسعاط: إدخال الدواء في الأنف. يقال: اسعطه الرمح أي طعنه به في أنفه.
(٦) الكودن: البرذون الهجين. الفيل ج كوادن.

أمعاؤه. قال: أما والله لو لقيك أبي في ذلك المقام لارتعدت منه فرائصك ولم تسلم منه مهجتك، ولكنّه قاتل غيرك، فقُتل دونك. فقال معاوية: ألا تسكت لا أمّ لك؟ فقال: يا بن هند! أتقول لي هذا؟ والله لئن شئت لأغرقنّ جبينك، ولأقيمنّك وبين عينيك وسمٌ يلين له خدعاك، أبأكثر من الموت تخوّفني؟. فقال معاوية: أوَ تكفّ يا ابن أخي؟ وأمر بإطلاق عبدالله، فقال عمرو لمعاوية:

أمرتك أمراً حازماً فعصيتني ... وكان من التوفيق قتل ابن هاشمِ
أليس أبوه يا معاوية الّذي ... أعان عليّا يوم حزّ الغلاصمِ ؟![1]
فلم ينثني حتّى جرت من دمائنا ... بصفّين أمثال البحور الخضارمِ[2]
وهذا ابنه والمرء يشبه شيخه[3] ... ويوشك أن تقرع به سنّ نادمِ

فقال عبدالله يُجيبه:

معاوي إنّ المرء عمراً أبت له ... ضغينةُ صدر غشّها غير نائمِ
يرى لك قتلي يابن هند وإنّما ... يرى ما يرى عمرو ملوك الأعاجمِ
على أنّهم لا يقتلون أسيرهم ... إذا كان منه بيعةٌ للمسالمِ
وقد كان منّا يوم صفّين نقرةُ ... عليك جناها هاشمٌ وابن هاشمِ
قضى ما انقضى منها وليس الذي مضى ... ولا ما جرى إلّا كأضغاث حالمِ
فإن تعفُ عنّي تعف عن ذي قرابة ... وإن تر قتلي تستحلّ محارمي

فقال معاوية:

أرى العفو عن عليا قريش وسيلةً ... إلى الله في اليوم العصيب القماطرِ[4]
ولست أرى قتل العداة ابن هاشم ... بإدراك ثاري في لُويّ وعامرِ
بل العفو عنه بعدما بان جرمه ... وزلّت به إحدى الجدود العواثرِ

---

(١) جمع غلصمة: اللحم بين الرأس والعنق: يعني: أيام الحرب.
(٢) الخضرم بالكسر: البحر العظيم الماء.
(٣) في كامل المبرد: عيصه. يعني: أصله.
(٤) القماطر بالضم: الشديد.

فكـان أبـوه يـوم صفّين جمـرةً علينـا فـأردتـه رمـاح النهـابـرِ[1]

كتاب صفّين لابن مزاحم ص ١٨٢ ، كامل المبرّد ج ١ ص ١٨١ ، مروج الذهب ج ٢ ص ٥٧ ـ ٥٩، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ١٧٦ .

درس دين وأخلاق

لعلّ الباحث لا يخفى عليه أنّ كلّ سوءة وعورة ذُكر بها المترجم له في التـاريخ الصحيـح، وما يُعـزى إليه وعُـرِّف به من المسـاوي في طيّات تلكم الكلمـات الصادقـة المذكـورة من الوضـاعة والغـواية والغـدر والمكر والحيلة والخدعة والخيانة والفجور ونقض العهد وكذب القول وخلف الوعد وقطع الإلّ والحقد والوقاحة والحسد والرياء والشحّ والبذاء والسفه والوغد والجور والظلم والمراء والدناءة واللثم والملق والجلافة والبخل والطمع واللدد وعدم الغيرة على حليلته. إلى غير ذلك من المعاير النفسيَّة وأضداد مكارم الأخلاق، ليست هذه كلّها إلّا من علائم النِّفاق، ومن رشحات عدم الإسلام المستقرِّ، وانتفاء الإيمان بالله وبما جاء به النبيُّ الأقدس، إذ الإسلام الصحيح هو المصلح الوحيد للبشر، ومهـذِّب النفس بمكارم الأخـلاق، ومجتمع الفضائل، وأسـاس كـلّ فضـل وفضيلة، وأصل كلِّ مَحمدة ومَكرمة، وبه يتأتّى الصلاح في النفوس مهما سرى الإيمان من عاصمة مملكة البدن (القلب) إلى سائر الأعضاء والجوارح واحتلّها واستقرَّ بها.

وذلك أنَّ مثل الإيمان في المملكة البدنيَّة الجامعة لشتات آحاد الجوارح والأعضاء، كمثل دستور الحكومات في الممالك الجامعة لأفراد الأشخاص، فكما أنَّ القوانين المقرَّرة في الحكومات والدُول مبثوثةٌ في الأفراد، وكلُّ فرد من المجتمع له تكليفٌ يخصُّ به، وواجبٌ يحقّ عليه أن يقوم به، وحـدٌّ محدودٌ يجب عليه رعايته، وبصلاح الأفـراد وقيام كـلِّ فرد منهم بـواجبه يتمُّ صـلاح

(١) النهابر والنهابير: المهالك. الواحدة: نهبرة. نهبور. نهبورة.

المجتمع، ويحصل التقدُّم والرقيُّ في الحكومات، كذلك الإيمان في المملكة البدنيّة فإنّه قوانين مبثوثة في الأعضاء والجوارح العاملة فيها، ولكلٍّ منها بنصِّ الذكر الحكيم تكليفٌ يخصُّ به، وحدٌّ معيَّنٌ في السنّة يجب عليه رعايته والتحفّظ به، وأخذ كلٍّ بما وجب عليه هو إيمانه وبه يحصل صلاحه، فواجب القلب غير فريضة اللسان، وفريضته غير واجب الاذن، وواجبها غير ما كلّف به البصر، وفرضه غير واجب اليدين، وواجبهما غير تكليف الرجلين وهكذا وهكذا، وإنَّ السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً، وهذا البيان يُستفاد من قول النبيِّ صلّى الله عليه وآله فيما أخرجه الحافظ ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٣٥، الإيمان معرفةٌ بالقلب، وقولٌ باللسان، وعمل بالأركان[١] وقوله صلّى الله عليه وآله: الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها لا إلّه إلّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان[٢] ومن هنا يقبل الإيمان ضعفاً وقوّةً وزيادةً ونقصاً، ويتّصف الإنسان في آن واحد بطرفي السلب والإيجاب باعتبارين، فيثبت له الإيمان من جهة وينفى عنه بأُخرى، ومن هنا يُعلم معنى قوله صلّى الله عليه وآله: لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمنٌ[٣] فلا يتأتّى صلاح الحكمة البدنيّة إلّا بالسلم العامّ وقيام جميع أجزائها بواجبها، وامتثال كلِّ فرد منها فيما فُرض عليه، ولا يكمل الإيمان إلّا بتحقّق شُعبه.

وكما أنّ انتفاء الإيمان عن كلِّ عضو وجارحة مكلّفة يكشف عن ضعف إيمان القلب، وتضعضع حكومة الإسلام فيه، إذ هو أمير البدن ولا ترد الجوارح ولا تصدر إلّا عن رأيه وأمره، كذلك الصفات النفسيّة فإنّ منها ما هو الكاشف عن قوّة الإيمان القلبي وضعفه كما ورد في الحديث النبويِّ الشريف فيما أخرجه الحافظ

---

(١) وبهذا اللفظ يروى عن أمير المؤمنين كما في «نهج البلاغة».

(٢) أخرجه البخاري. مسلم. أبو داود. الترمذي. النسائي. ابن ماجة.

(٣) أخرجه مسلم وغيره.

المنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ١٧١ : إنَّ المرء ليكون مؤمناً وإنَّ في خلقه شيءٌ فينقص ذلك من إيمانه. ومنها ما يُلازم النفاق ولا يُفارقه ولا يجتمع مع شيء من الإيمان وإن صلّى صاحبه وصام وبه عُرِّف المنافق في القرآن العزيز. فإليك ما ورد عن النبيِّ الأقدس في كثير من الصفات المذكورة المعزوَّة إلى المترجم له، حتّى تكون على بصيرة من الأمر، فلا يغرنَّك تقلّب الذين طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد.

١ ـ آية المنافق ثلاثٌ: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتُمِن خان. أخرجه البخاري ومسلم، وفي رواية مسلم: وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم.

٢ ـ أربعٌ مَن كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهنَّ كانت فيه خصلةٌ من النِّفاق حتّى يدعها: إذا ائتمن خان. وإذا حدَّث كذب. وإذا عهد غدر. وإذا خاصم فجر، أخرجه البخاري. مسلم. أبو داود. الترمذي. النسائي.

٣ ـ لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له. أخرجه أحمد. البزّار الطبراني. ابن حبّان. أبو يعلى. البيهقي.

٤ ـ المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه. متّفقٌ عليه.

٥ ـ الكذب مُجانبٌ للإيمان. ابن عدي، البيهقي.

٦ ـ المكر والخديعة في النار. الديلمي. القضاعي.

٧ ـ المؤمن ليس بحقود. الغزالي. ابن الديبع.

٨ ـ لا إيمان لمَن لا حياء له. ابن حبّان. ابن الديبع.

٩ ـ الحسد يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل. الديلمي. ابن الديبع.

١٠ ـ الغيرة من الإيمان والمذاء من النفاق، الديلمي. القضاعي. ابن الديبع.

١١ ـ اليسير من الرياء شركٌ، ومن عادى أولياء الله فقد بارز الله بالمحاربة. ابن ماجة. الحاكم. البيهقي.

١٢ ـ من أرضى سلطاناً بما يُسخط به ربَّه خرج من دين الله. الحاكم.
١٣ ـ الحياء من الإيمان. البخاري. مسلم. أبو داود. الترمذي. النسائي. ابن ماجة.
١٤ ـ سُباب المسلم فسوقٌ وقتاله كفرٌ. البخاري. مسلم. الترمذي. النسائي. ابن ماجة.
١٥ ـ لا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد. ابن حبّان. البيهقي.
١٦ ـ الشحُّ والعجز والبذاء من النفاق. الطبراني. أبو الشيخ.
١٧ ـ لا يجتمع شحٌّ وإيمانٌ في قلب عبد أبداً. النسائي. ابن حبّان. الحاكم.
١٨ ـ خصلتان لا يجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق. البخاري. الترمذي وغيرهما.

١٩ ـ المؤمن غرٌّ كريم والفاجر خبٌّ[1] لئيم. أبو داود. الترمذي. أحمد.

٢٠ ـ إنَّ الرجل لا يكون مؤمناً حتى يكون قلبه مع لسانه سواء، ويكون لسانه مع قلبه سواء، ولا يُخالف قوله عمله. الإصبهاني.

٢١ ـ الحياء والإيمان قرناء جميعاً، فإذا رُفع أحدهما رُفع الآخر. الحاكم. الطبراني.

٢٢ ـ إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أراد أن يهلك عبداً نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلّا مَقيتاً مُمقتاً، فإذا لم تلقه إلّا مَقيتاً مُمقتاً نُزعت منه الأمانة، فإذا نُزعت منه الأمانة لم تلقه إلّا خائناً مخوناً، فإذا لم تلقه إلّا خائناً مخوناً نُزعت منه الرَّحمة، فإذا نُزعت منه الرَّحمة لم تلقه إلّا رجيماً مُلعناً، فإذا لم تلقه إلّا رجيماً مُلعناً نُزعت منه ربقة الإسلام. ابن ماجة. المنذري.

---

(١) الخب الخداع.

وفاته

توفّي ليلة الفطر سنة ٤٣ على ما هو الأصحّ عند المؤرّخين وقيل غير ذلك، وعاش نحو تسعين سنة وقال العجلي: عاش تسعاً وتسعين سنة. قال اليعقوبي في تاريخه ج ٢ ص ١٩٨ : لَمّا حضرت عمراً الوفاة قال لابنه: لودَّ أبوك أنّه كان مات في غزاة ذات السلاسل، إنّي قد دخلت في امور لا أدري ما حجّتي عند الله فيها. ثمّ نظر إلى ماله فرأى كثرته فقال: يا ليته كان بعراً، يا ليتني متُّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة، أصلحت لمعاوية دنياه وأفسدت ديني، آثرت دنياي وتركت آخرتي، عمي عليَّ رشدي حتى حضرني أجلي، كأنّي بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي.

قال ابن عبد البرّ في الاستيعاب ج ٢ ص ٤٣٦ : دخل ابن عبّاس على عمرو بن العاص في مرضه فسلّم عليه وقال: كيف أصبحت يا أبا عبدالله؟ قال: أصبحت وقد أصلحت من دنياي قليلاً، وأفسدت من ديني كثيراً، فلو كان الّذي أصلحت هو الذي أفسدت والّذي أفسدت هو الّذي أصلحت لَفُزت، ولو كان ينفعني أن أطلب طلبت، ولو كان يُنجيني أن أهرب هربت، فصرت كالمنخنق بين السماء والأرض، لا أرقى بيدين ولا أهبط برجلين، فعظني بعظة أنتفع بها يا بن أخي. فقال له ابن عبّاس: هيهات يا أبا عبدالله! صار ابن أخيك أخاك، ولا تشاء أن تبكي إلاّ بكيت، كيف يؤمن برحيل مَن هو مقيمٌ؟. فقال عمرو: وعلى حينها[1] حين ابن بضع وثمانين سنة تقنطني من رحمة ربّي؟ اللهمَّ إنَّ ابن عبّاس تقنطني من رحمتك، فخذ منّي حتى ترضى. قال ابن عبّاس: هيهات يا أبا عبدالله! أخذت جديداً وتُعطي خلقاً. فقال عمرو: ما لي ولك يابن عبّاس؟ ما أرسلتُ كلمة إلاّ أرسلتَ نقيضها.

قال عبد الرحمن بن شماسة: لَمّا حضرت عمرو بن العاص الوفاة بكى فقال له ابنه عبدالله: لِمَ تبكي أجزعاً من الموت؟؟!! قال: لا والله ولكن لِما

---

(١) يعني حين الوفاة.

بعده. فقال له: قد كنت على خير. فجعل يذكره صحبة رسول الله ﷺ وفتوحه الشام، فقال له عمرو: تركت أفضل من ذلك: شهادة أن لا إلّه إلّا الله. إنّي كنت على ثلاث أطباق ليس منها طبقٌ إلّا عرفت نفسي فيه، كنت أوّل شيء كافراً فكنت أشدَّ الناس على رسول الله ﷺ فلو متُّ يومئذٍ وجبت لي النار. فلمّا بايعتُ رسول الله ﷺ كنت أشدَّ الناس حياءً منه فما ملأتُ عيني من رسول الله ﷺ حياءً منه، فلو متُّ يومئذٍ قال الناس: هنيئاً لعمرو أسلم وكان على خير ومات على خير أحواله فتُرجى له الجنّة. ثمّ بُليت بعد ذلك بالسلطان وأشياء فلا أدري أعليَّ أم لي؟؟!! فإذا متُّ فلا تبكينَّ عليَّ باكيةٌ، ولا يتبعني مادحٌ ولا نار، وشدّوا عليّ إزاري فإنّي مخاصم، وشنّوا عليَّ التراب فإنَّ جنبي الأيمن ليس بأحقّ بالتراب من جنبي الأيسر. الحديث.

فائدةٌ

يوجد اسم والد المترجم له في كثير من كلمات الأصحاب (العاصي) بالياء وكذا ورد في شعر أمير المؤمنين:

لا وردنَّ العاصي بن العاصي   سبعين ألفاً عاقدي النواصي

وفي رجز الأشتر:

ويحك يا ابن العاصي   تنحَّ في القواصي

ويُذكر بالياء في كتب غير واحد من الحفّاظ، وقال الحافظ النووي في تهذيب الأسماء واللغات ج ٢ ص ٣٠: وعليه الجمهور وهو الفصيح عند أهل العربيّة. ثمّ قال: ويقع في كثير من كتب الحديث والفقه أو أكثرها بحذف الياء وهي لغةٌ وقد قُرىء في السبع نحوه كالكبير المتعال والداع.

مهمات مصادر ترجمة عمرو بن العاص

أسماء الكتب	أعلام المؤلفين	أسماء الكتب	أعلام المؤلفين
الصحيح	البخاري	مروج الذهب	المسعودي
الصحيح	مسلم	المستدرك	الحاكم النيسابوري
السنن	أبو داود	المحاسن والمساوي	البيهقي
السنن	الترمذي	الإستيعاب	ابن عبد البرّ
السنن	النسائي	تاريخ الأُمم	الطبري
كتاب التاريخ	سليم بن قيس	تاريخ الشام	ابن عساكر
السيرة النبويّة	ابن هشام	ربيع الأبرار	الزمخشري
عيون الأخبار	ابن قتيبة	الخصائص	الوطواط
المعارف	ابن قتيبة	التفسير الكبير	الفخر الرازي
الإمامة والسياسة	ابن قتيبة	الترغيب والترهيب	المنذري
المحاسن والأضداد	الجاحظ	شرح النهج	ابن أبي الحديد
البيان والتبيين	الجاحظ	الكامل	ابن الأثير
الأنساب	أبو عبيدة	البداية والنهاية	ابن كثير
أنساب الأشراف	البلاذري	تمييز الخبيث	ابن الديبع
بلاغات النساء	ابن أبي طاهر	التذكرة	سبط ابن الجوزي
الكامل	المبرّد	ثمرات الأوراق	ابن حجّة
المثالب	الكلبي	السيرة النبويّة	الحلبي
التاريخ	اليعقوبي	روض المناظر	ابن شحنة
الإمتاع والمؤانسة	أبو حيّان	نور الأبصار	الشبلنجي
الأغاني	أبو الفرج	جمهرة الخطب	أحمد زكي
الطبقات	ابن سعد	جمهرة الرسائل	أحمد زكي
العقد الفريد	ابن عبد ربّه	دائرة المعارف	فريد وجدي



٥ ـ محمّد الحميري

بحقّ محمّد قولوا بحقٍّ ... فإنّ الإفك من شِيم اللئامِ
أبعد محمّد بأبي وأمّي ... رسول الله ذي الشرف التهامي
أليس عليٌّ أفضل خلق ربي ... وأشرف عند تحصيل الأنامِ؟!
ولايته هي الإيمان حقّاً ... فذرني من أباطيل الكلامِ
وطاعة ربّنا فيها وفيها ... شفاءٌ للقلوب من السُّقامِ
عليٌّ إمامنا بأبي وأمّي ... أبو الحسن المطهَّر من حرامِ
إمام هدىً أتاه الله علماً ... به عُرف الحلال من الحرامِ
ولو أنّي قتلت النفس حبّاً ... له ما كان فيها من أثامِ
يحلّ النار قومٌ أبغضوه ... وإن صلّوا وصاموا ألف عامِ
ولا والله لا تزكو صلاةٌ ... بغير ولاية العدل الإمامِ
أمير االمؤمنين بك اعتمادي ... وبالغرّ الميامين اعتصامي
فهذا القول لي دينٌ وهذا ... إلى لقياك يا ربّي كلامي
برأت مِن الذي عادى عليّاً ... وحاربه من أولاد الطغامِ
تناسوا نصبه في يوم «خمّ» ... من الباري ومن خير الأنامِ
برغم الأنف من يشنأ كلامي ... عليٌّ فضله كالبحر طامي
وأبرأ من أناس أخّروه ... وكان هو المقدّم بالمقامِ
عليٌّ هزّم الأبطال لمّا ... رأوا في كفّه برق الحسامِ

ما يتبع الشعر

هذه القصيدة رواها شيخ الإسلام الحمّويي في الباب الثامن والستّين من «فرائد السمطين» بإسناده عن الحافظ الكبير أبي عبدالله محمّد بن أحمد بن عليّ بن أحمد بن محمّد بن إبراهيم النطنزي مصنّف كتاب ـ الخصائص العلويّة على سائر البريّة ـ قال: أنبأنا أبو الفضل جعفر بن عبد الواحد بن محمّد بن محمودالثقفي بقرائتي عليه قال: أنبأنا أبو طاهر محمّد بن أحمد بن عبد الرحيم قال: أنبأنا الشيخ قال: حدّثنا محمّد بن أحمد بن معدان: حدّثنا محمّد بن زكريّا: حدّثنا عبدالله بن الضحّاك: حدّثنا هشام بن محمّد عن أبيه قال: إجتمع الطرمّاح الطائي، وهشام المرادي، ومحمّد بن عبدالله الحميري عند معاوية بن أبي سفيان فأخرج بَدرةً فوضعها بين يديه وقال: يا معشر شعراء العرب! قولوا قولكم في عليٍّ بن أبي طالب ولا تقولوا إلاّ الحقّ وأنا نفيٌّ من صخر بن حرب إن أعطيت هذه البدرة إلاّ من قال الحقّ في عليٍّ. فقام الطرمّاح وتكلّم في عليٍّ ووقع فيه فقال له معاوية: إجلس فقدعرف الله نيّتك ورأى مكانك. ثمّ قام هشام المرادي فقال أيضاً ووقع فيه فقال له معاوية: إجلس مع صاحبك فقد عرف الله مكانكما. فقال عمرو بن العاص لمحمّد بن عبدالله الحميري وكان خاصّاً به: تكلّم ولا تقل إلاّ الحقّ ثمّ قال: يا معاوية قد آليت أن لا تُعطي هذه البدرة إلاّ مَن قال الحقّ في عليّ قال: نعم أنا نفيٌّ من صخر بن حرب إن أعطيتها منهم إلاّ مَن قال الحقّ في عليّ. فقام محمّد بن عبدالله فتكلّم ثمّ قال:

بحقّ محمّد قولوا بحقّ. القصيدة.

فقال معاوية: أنت أصدقهم قولاً فخذ هذه البدرة.

ورواها شيخنا الفقيه الكبير عماد الدين أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم بن محمّد الطبري الآملي في الجزء الأوّل من (بشارة المصطفى لشيعة المرتضى) قال: أخبرنا الشيخ أبو عبدالله أحمد بن محمّد بن شهريار الخازن بمشهد مولانا أمير المؤمنين عليه السلام في شوّال سنة إثنتي عشرة وخمسمائة قال: حدّثني


الشيخ أبو عبد الله محمَّد بن محسن الخزاعي قال: حدَّثنا أبو الطيِّب عليّ بن محمّد بن بنان قال: حدَّثنا أبو القاسم الحسن بن محمّد السكري من كتابه قال: حدثنا أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن مسروق ببغداد من كتابه قال: حدَّثنا محمّد بن دينار الضبِّي قال: حدَّثنا عبدالله بن الضحّاك إلى آخر السند والمتن.

وذكرها صاحب «رياض العلماء» في ترجمة الشريف المرتضى نقلاً عن شيخ الإسلام الحمّويي.

(الشاعر)

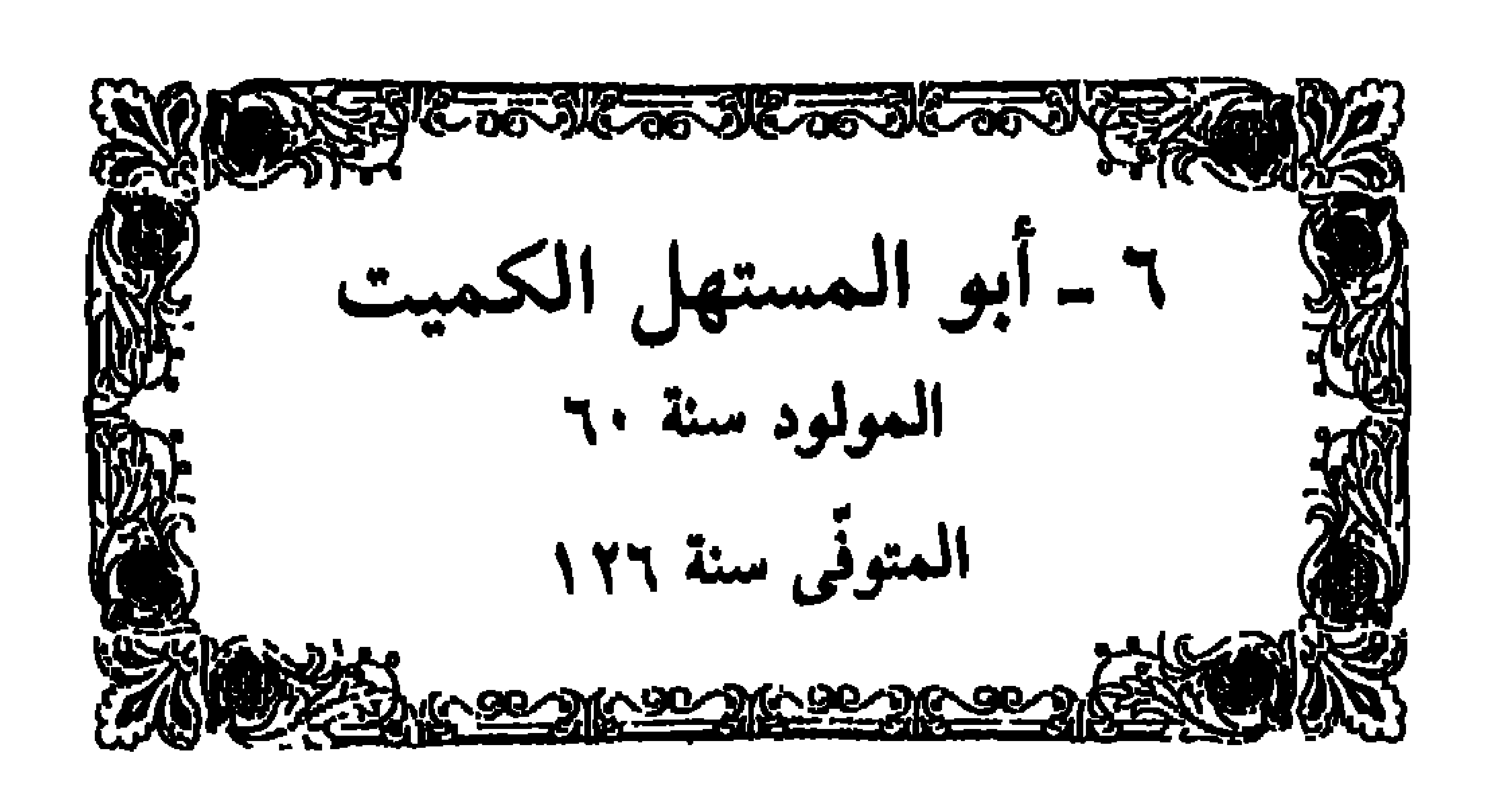
محمَّد بن عبدالله الحميري، زميل عمرو بن العاص، أحسبه ابن القاضي عبدالله بن محمّد الحميري الّذي قلّده معاوية بن أبي سفيان ديوان الخاتم، وكان قاضياً كما ذكره الجهشياري في كتاب «الوزراء والكتّاب» ص ١٥ قال: كان معاوية أوّل من اتّخذ ديوان الخاتم، وكان سبب ذلك: أنّه كتب لعمرو بن الزبير بمائة ألف درهم إلى زياد وهو عامله على العراق ففضّ عمرو الكتاب وجعلها مائتي ألف درهم، فلمّا رفع زياد حسابه قال معاوية: ما كتبت له إلّا بمائة ألف. وكتب إلى زياد بذلك وأمره أن يأخذ المائة ألف منه، فحبسه بها فاتّخذ معاوية ديوان الخاتم وقلّده عبدالله بن محمَّد الحميري، وكان قاضياً اهـ. ويُحتمل قويّاً أن يكون صاحب الشعر هو القاضي عبدالله نفسه ووقع الإشتباه بتقديم الوالد على الولد.

وأمّا ديوان الخاتم فقد اخترعه معاوية، قال ابن الطقطقي في «الآداب السلطانيّة» ص ٧٨: وممّا اخترع معاوية من امور الملك «ديوان الخاتم» وهذا ديوانٌ معتبرٌ من أكابر الدواوين، لم تزل السنّة جارية به إلى أواسط دولة بني العبّاس فأُسقط، ومعناه: أن يكون ديوانٌ وبه نوّابٌ فإذا صدر توقيعٌ من الخليفة بأمر من الأمور أُحضر التوقيع إلى ذلك الديوان وأُثبتت نسخته فيه وحُزم بخيط وخُتم بشمع كما يُفعل في هذا الزمان بكتب القضاة وخُتم بختم صاحب ذلك الديوان.



شعراء الغدير

في القرن الثاني



٦ - أبو المستهل الكميت

المولود سنة ٦٠

المتوفّى سنة ١٢٦

نفى عن عينك الأرق الهجوعا ... وهمٌّ يمتري منها الدموعا

دخيلٌ في الفؤاد يهيج سقماً ... وحزناً كان من جذل[1] منوعا

وتوكاف الدموع على اكتئاب ... أحلَّ الدهر موجعه الضلوعا

ترقرق أسحماً درراً وسكباً ... يشبِّه سحّها غرباً هموعا[2]

لفقدان الخضارم من قريش ... وخير الشافعين معاً شفيعا

لدى الرَّحمن يصدع بالمثاني ... وكان له أبو حسن قَريعا[3]

حطوطاً في مسرَّته ومولى ... إلى مرضاة خالقه سريعا

وأصفاه النبيُّ على اختيار ... بما أعيى الرّفوض له المذيعا

ويوم الدَّوح دَوح غدير خمّ ... أبان له الولاية لو أُطيعا

ولكنَّ الرجال تبايعوها ... فلم أر مثلها خطراً مبيعا

فلم أبلغ بها لعناً ولكن ... أساء بذاك أوَّلهم صنيعا

فصار بذاك أقربهم لعدل ... إلى جور وأحفظهم مضيعا

أضاعوا أمر قائدهم فضلّوا ... وأقومهم لدى الحدثان ريعا

---

(١) الجذل: الفرح.

(٢) رقرقت العين: أجرت دمعها. الأسحم: السحاب. يقال: اسحمت السماء. صبت ماءها.السج: الصب. الغرب: الدلو العظيمة. الهموع: السيال.

(٣) القريع: السيد. الرئيس.

تنـاسـوا حقّـه وبغـوا عليـه ... بـلا تـرةٍ وكـان لهم قَـريعـا
فقـل لبني أُميّة حيث حلّوا ... وإن خفتَ المهنّـد والقـطيعـا
ألا أفّ لـدهـر كـنت فيـه ... هـدانـاً طـائعـاً لكمُ مُـطيعـا
أجـاع الله مَـن أشبـعتـمـوهُ ... وأشبـع مَن بجـوركُمُ أُجيعا
ويـلعن فـذَّ امّتـه جـهـاراً ... إذا سـاس البـريّـة والخليعـا
بمـرضيٍّ السيـاسـة هـاشميّ ... يكـون حيـاً لامّتـه ربيـعـا
وليثاً في المشاهـد غير نكس ... لتقـويم البـريّـة مستـطيعـا
يُقيم امـورهـا ويـذبُّ عنهـا ... ويتـرك جـدبهـا أبـداً مـريعـا

ما يتبع الشعر

هذه من غرر قصائد الكميت (الهاشميّات) المقدَّرة بخمسمائة وثمانية وسبعين بيتاً كما نصَّ به صاحب [الحدائق الورديّة] غير أنّه عاثت في طبعها يد النشر الأمينة على ودائع العلم فنقّصت منها شيئاً كثيراً لا يُستهان به مثل ما اجترحت في طبع ديوان حسّان والفرزدق وأبي نواس وغيرها كما مرّ ص ٥٩، وقد آن ليد التنقيب أن تميط الستار عن تلكم الجنايات المخبئة، فالمطبوع منها في ايدن سنة ١٩٠٤ يتضمَّن ٥٣٦ بيتاً. والمشروحة بقلم الأستاذ محمَّد شاكر الخيّاط ٥٦٠ بيتاً، والمشروحة بقلم الأستاذ الرافعي ٤٥٨ بيتاً على هذا الترتيب.

مَن لقلبٍ متيَّمٍ مُستهـام ... غيـر مـا صبـوةٍ ولا أحـلامِ؟

ط ليدن والخيّاط ١٠٣ بيتاً، ومشروحة الرافعي ١٠٢.

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ... ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعبُ؟

ط ليدن والخيّاط ١٤٠، ومشروحة الرافعي ١٣٨.

أنّى ومن أين آبـك الـطربُ ... من حيث لا صبوة ولا ريبُ؟؟!!

ط ليدن ١٣٣. مشروحة الخيّاط ١٣٢. مشروحة الرافعي ٦٧ بيتاً.

ألا هل عم في رأيه متـأمِّـلُ وهل مدبرٌ بعد الإسائة مقبلُ؟؟!!

ط ليدن والخيّاط ١١١، مشروحة الرافعي ٨٩ بيتاً.

طـربتَ وهل بـك من مطربِ ولِم تتصـاب ولِم تلعب؟؟!!

ط ليدن والخيّاط ٣٣. مشروحة الرافعي ٢٨ بيتاً.

نفى عن عينك الأرق الهجوعا وهمٌّ يمتـري منهـا الـدمـوعـا

ط ليدن ٢٠، ومشروحة الخيّاط ٢١، والرافعي ١٩ بيتاً.

سل الهموم لقلب غيـر مَتبول ولا رهين لدى بيضاء عُطبول[1]

ط ليدن والخيّاط ٧ أبيات، وذكر الرافعي منها ٥ أبيات.

أهوى عليّاً أميـر المؤمنين ولا أرضى بشتم أبي بكر ولا عمرا

ط ليدن والخيّاط ٧ أبيات، وحذف الرافعي منها بيتاً.

ستّة أبيات فائيّة وقافيّة ونونيّة ولم يذكر الرافعي البيتين النونيّتين.

فلمّـا كانت العينيّة التي أثبتناها من (الهاشميّات) نذكر أوّلاً ما يخصُّ بها ثمَّ نورد ما يرجع إلى (الهاشميّات) جملة واحـدة، ونردفـه بما ورد في بعض قصائدها غير العينيّة.

العينية من الهاشميّات

قال شيخنا المفيد في رسالته في معنى المولى: الكميت ممَّن استشهد بشعره في كتاب الله، وأجمع أهل العلم على فصاحته ومعرفته باللغة ورياسته في النظم وجلالته في العرب حيث يقول:

ويـوم الدَّوح دَوح غـديـر خمّ أبـان لـه الـولايـة لـو أُطيعا

---

(١) تبله الحب أو الدهر فهو متبول: أسقمه. العطبول: المرأة الجميلة الفتية الطويلة العنق.

أوجب له الإمامة بخبر الغدير ووصفه بالرياسة من جهة المولى، وليس يجوز على الكميت مع جلالته في اللغة والعربيَّة وضع عبارة على معنى لم توضع عليه قطُّ في اللغة، ولا استعملها قبله أحدٌ من أهل العربيَّة، ولا عرفها بشيء كما وصف أحدٌ منهم لأنَّه لو جاز على غيره ممَّن هو مثله وفوقه ودونه حتّى تفسد اللغة بأسرها، ولا يكون لنا طريقٌ إلى معرفة لغة العرب على الحقيقة وينغلق الباب في ذلك. اهـ.

وروى الكراجكي في كنز الفوائد ص ١٥٤ بإسناده عن هنّاد[١] بن السري قال: رأيت أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب في المنام فقال لي: يا هنّاد! قلت: لبّيك يا أمير المؤمنين! قال انشدني قول الكميت:

ويوم الدَّوح دوح غدير خمٍّ ... أبان له الولاية لو أُطيعا

قال: فأنشدته فقال لي: خذ إليك يا هنّاد! فقلت: هات يا سيدي! فقال عليه السَّلام:

ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ... ولم أر مثله حقّاً أُضيعا

وقال الشيخ أبو الفتوح في تفسيره ج ٢ ص ١٩٣: رُوي عن الكميت قال: رأيت أمير المؤمنين عليه السَّلام في المنام فقال: أنشدني قصيدتك العينيَّة فأنشدته حتّى إنتهيت إلى قولي فيها:

ويوم الدُّوح دَوح غدير خمٍّ ... أبان له الولاية لو أُطيعا

فقال صلوات الله عليه: صدقت. ثم أنشد عليه السَّلام.

ولم أر مثل ذاك اليوم يوماً ... ولم أر مثله حقّاً أُضيعا

ورواه السيّد في [الدرجات الرفيعة]، والعقيلي نقلاً عن (منهاج

---

(١) يروي عنه البخاري وجمع كثير، وثقه النسائي وغيره، وصدقه أبو حاتم ولد سنة ١٥٢، وتوفي سنة ٢٤٣، راجع تهذيب التهذيب ج ١١ ص ٧١.

الفاضلين) للحمويني و (مـرآة الزمان) لابن الجوزي، ورواه سبط ابن الجوزي الحنفيّ في تذكرته ص ٢٠ عن شيخه عمرو بن صافي الموصلي عن بعض.

وقـال المرزبـاني في «معجم الشعراء» ص ٣٤٨: مـذهب الكميت في التشيّع ومدح أهل البيت عليهم السَّلام في أيّام بني اميَّة مشهور ومن قوله فيهم:

فقـل لبني اميَّــة حيث حلّوا ... وإن خفتَ المهنَّد والقـطيعـا
: أجــاع الله من أشبعتمــوه ... وأشبـع مَن بجـوركُمُ أُجيعـا

ويُروى: إنَّ أبا جعفر محمَّد بن عليّ (الإمام الطاهر) رضي الله عنه لَمّـا أنشده الكميت هذه القصيدة دعا له. اهـ.

وفي «الصراط المستقيم» للبياضي العاملي: أنّه روى ابن الكميت: أنَّه رأى النبيَّ صلّى الله عليه وآله في النوم فقال: أنشدني قصيدة أبيك العينيَّة فلمّا وصل إلى قوله:

ويـوم الدَّوح دَوح غـدير خمٍّ ... أبـان لـه الـولايـة لــو أُطيعا

بكى شديداً وقال: صدق أبوك رحمه الله، أي والله لم أر مثله حقّاً أُضيعا.

الهاشميات

ذكـرها لـه المسعودي في «مـروج الذهب» ج ٢ ص ١٩٤. وقـال أبو الفـرج[١] والسيِّد العبّـاسي[٢] قصائد الكميت (الهاشميّـات) من جيِّد شعـره ومختاره. وقال الآمدي[٣] وابن عمر البغـدادي[٤]: لكميت بن زيد في أهـل البيت الأشعار المشهورة وهي أجود شعره. وقال السندوبي[٥]: كان الكميت من خيرة شعراء الدوله الأمويَّة، وكان عالماً بلغات العرب وأيّامهم، ومن خير شعره

(١) في الأغاني ج ٣ ص ١١٣.
(٢) في معاهد التنصيص ج ٢ ص ٢٦.
(٣) في المؤتلف والمختلف ص ١٧٠.
(٤) في خزانة الأدب ص ٦٩.
(٥) في تعليقه على البيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٥٤.

وأفضله (الهاشميّات) وهي القصائد التي ذكر فيها آل بيت الرسول بالخير.

روى أبو الفرج في الأغاني ج ١٥ ص ١٢٤ بإسناده عن محمَّد بن عليّ النوفلي قال: سمعت أبي يقول: لَمّا قال الكميت بن زيد الشعر كان أوَّل ما قال (الهاشميّات) فسترها، ثمَّ أتى الفرزدق بن غالب فقال له: يا أبا فراس، إنَّك شيخ مضر وشاعرها وأنا ابن أخيك الكميت بن زيد الأسدي. قال له: صدقت أنت ابن أخي، فما حاجتك؟ قال: نفث على لساني فقلت شعراً فأحببت أن أعرضه عليك فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته، وإن كان قبيحاً أمرتني بستره وكنت أولى مَن ستره عليَّ. فقال له الفرزدق: أمَّا عقلك فحسنٌ وإنّي لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقلك، فأنشدني ما قلت فأنشده:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ.

قال فقال لي: فيمَ تطرب يا ابن أخي؟! فقال:

ولالعباً مني. وذو الشيب يلعب؟!

فقال: بلى يا بن أخي! فالعب فإنَّك في أوان اللعب. فقال:

ولم يُلهني دارٌ ولا رسم منزل ولم يتطرَّبني بنانٌ مخضَّبُ

فقال: ما يُطربك يابن أخي؟! فقال:

ولا السانحات البارحات عشيَّة أمرَّ سليم القرن أم مرّ أغضبُ

فقال: أجل لا تتطيَّر. فقال:

ولكن إلى أهل الفضائل والتّقى وخير بني حوّاء والخير يُطلبُ

فقال: ومَن هؤلاء؟! ويحك. قال:

إلى النفر البيض الّذين بحبِّهم إلى الله فيما نابني أتقرَّبُ

قال: أرحني ويحك من هؤلاء؟! قال:

بني هاشم رهط النبيِّ فإنَّني بهم ولهم أرضى مراراً وأغضبُ
خفضت لهم منّي جناحي مودّةً إلى كنف عطفاه أهلٌ ومرحبُ

وكنت لهم من هؤلآء وهـؤلاء محبّـاً على أنّي أذمّ وأُغضبُ
وأرمي وأرمي بـالعداوة أهلهـا وإنـي لأوذى فـيـهـمُ وأُؤنّبُ

فقال له الفرزدق: يا بن أخي؟ أذع ثمّ أذع فأنت والله أشعر من مضى وأشعـر من بقي ورواه المسعودي في مـروجه ج ٢ ص ١٩٤، والعبّـاسي في «المعاهد» ج ٢ ص ٢٦.

روى الكشي في رجاله ص ١٣٤ بـإسناده عن أبي المسيـح عبدالله بن مروان الجواني قال: كان عندنا رجلٌ من عباد الله الصالحين وكان راوية شعر الكميت يعني (الهاشميّات) وكان يُسمع ذلك منه وكان عالماً بها فتركه خمساً وعشرين سنة لا يستحلّ روايته وإنشاده ثمّ عاد فيه فقيل له: ألم تكن زهدت فيه وتركتها؟؟!! فقال: نعم ولكنّي رأيت رؤياً دعتني إلى العود لها، فقيل له: وما رأيت؟ قال: رأيت كأنّ القيامة قد قامت وكأنّما أنا في المحشر فدفعت إليّ مجلّة قال أبو محمّد: فقلت لأبي المسيح: وما المجلّة؟ قال: الصحيفة. قال: نشرتها فإذا فيها: بسم الله الرّحمن الرّحيم. أسماء من يدخل الجنّة من محبّي عليّ بن أبي طالب قال: فنظرت في السطر الأوّل فإذا أسماء قوم لم أعرفهم، ونظرت في السطر الثاني فإذا هو كذلك، ونـظرت في السطر الثـالث والرابـع فإذا فيهـا: والكميت بن زيد الأسدي. قال: فذلك دعاني إلى العود فيه.

قال البغدادي في «خزانة الأدب» ج ١ ص ٨٧: بلغ خالد القسري خبر هذه القصيدة.

(يعني قصيدة الكميت المسمّاة بالمذهّبـة التي أوّلها: ألا حيِّيت عنّـا يا مدينا).

فقال: والله لأقتلنّه ثمّ اشترى ثلاثين جارية في نهاية الحسن فـرواهنّ القصائد (الهاشميّات) للكميت ودسّهنّ مـع نخاس إلى هشـام بن عبد الملك فاشتراهنّ فأنشدنه يوماً القصائد المذكورة فكتب إلى خالد وكان يومئذٍ عـامله بالعراق: أن ابعث إليّ برأس الكميت. فأخذه خالدٌ وحبسه فوجّه الكميت إلى امرأته ولبس ثيابها وتركها في موضعه وهرب من الحبس، فلمّـا علم خالدٌ أراد

أن ينكل بالمرأة فاجتمعت بنو أسد إليه وقالوا: ما سبيلك على امرأة لنا خُدعت فخافهم وخلّى سبيلها[١].

قال الثعالبي في «ثمار القلوب» ص ١٧١ : عهدي بالخوارزمي يقول: مَن روى حوليات زُهير، واعتذارات النابغة، وأهاجي الحطيئة، وهاشميّات الكميت،ونقائض جرير، والفرزدق، وخمريّات أبي نواس، وزهريّات أبي العتاهية، ومراثي أبي تمام، ومدائح البحتري، وتشبيهات ابن المعتزّ، وروضيّات الصنوبري، ولطائف كشاجم وقلائد المتنبّي، ولم يتخرّج في الشعر فلا أشبَّ الله تعالى قرنه.

خمّس الهاشميّات غير واحد من الشعراء منهم: الشيخ ملّا عباس الزيوري البغداديّ، والعلّامة الشيخ محمّد السماوي، والسيّد محمّد صادق آل صدر الدين الكاظمي، وشرحها الأستاذ محمّد محمود الرافعي المصري وأحسن فيه وفي مقدّمته وترجمة الكميت وأجاد وقال: الهاشميّات هي من مختار الكلام، ومن رائق الشعر وشيقه، وجيّد القول وطريفه، أحسن فيه كلّ الإحسان، وأجاد كلّ الإجادة. وشرحها الأستاذ محمّد شاكر الخيّاط النابلسي.

الميمية من الهاشميات

مَن لقلبٍ متيّمٍ مُستهامِ غير ما صبوةٍ ولا أحلام؟!

قال صاعد مولى الكميت: دخلنا على أبي جعفر محمّد بن علي عليهما السّلام فأنشده الكميت قصيدته هذه فقال: اللهمّ اغفر للكميت. اللهمّ اغفر للكميت. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٣.

قال نصر بن مزاحم المنقري: انه رأى النبيَّ صلّى الله عليه وآله في النوم وبين يديه رجلٌ يُنشده:

مَن لِقلبٍ مُتيَّم مُستهامِ غير ما صبوةٍ ولا أحلامِ؟!

---

(١) سيأتيك عن الأغاني تفصيل القصة إن شاء الله تعالى.

قال: فسألت عنه فقيل لي: هذا الكميت بن زيد الأسدي قال: فجعل النبيُّ ﷺ يقول: جزاك الله خيراً، وأثنى عليه. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤، «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧.

روى الكشي في رجاله ص ١٣٦ بإسناده عن زرارة قال: دخل الكميت على أبي جعفر عليه السّلام وأنا عنده فأنشده:

مَن لِقلبٍ متيَّم مُستهامِ   غير ما صبوةٍ ولا أحلامِ؟!

فلمّا فرغ منها قال للكميت: لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما دمت تقول فينا.

وروى في ص ١٣٥ بإسناده عن يونس بن يعقوب قال: أنشد الكميت أبا عبدالله عليه السّلام شعره:

أخلص الله في هواي فما أغر   ق نزعاً وما تطيش سهامي

فقال أبو عبدالله عليه السّلام: لا تقل هكذا ولكن قل: قد أغرق نزعاً. ورواه ابن شهر آشوب في «المناقب» وفي لفظه: فقلت يا مولاي أنت أشعر منّي بهذا المعنى وروى الحديثين الطبرسي في [إعلام الورى] ص ١٥٨.

قال المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ١٩٥: قدم الكميت المدينة فأتى أبا جعفر محمَّد بن عليّ بن الحسين بن علي رضي الله عنهم فأذن له ليلاً وأنشده فلمّا بلغ الميميّة قوله:

وقتيلٌ بالطفّ غودر منهم   بين غوغاء اُمّةٍ وطغامِ

بكى أبو جعفر ثمَّ قال: يا كميت لو كان عندنا مالٌ لأعطيناك ولكن لك ما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله لحسّان بن ثابت: لا زلت مؤيّداً بروح القدس ما ذببت عنّا أهل البيت. فخرج من عنده فأتى عبدالله بن الحسن بن عليّ فأنشده فقال: يا أبا المستهلّ إنَّ لي ضيعةً أُعطيت فيها أربعة آلاف دينار وهذا كتابها وقد أشهدت لك بذلك شهوداً. وناوله إيّاه، فقال: بأبي أنت واُمّي إنّي كنت أقول الشعر في غيركم أُريد بذلك الدنيا ولا والله ما قلت فيكم إلاّ لله، وما

كنت لآخذ على شيء جعلته لله مـالاً ولا ثمناً. فـألحَّ عبـدالله عليه وأبى من إعفائه، فأخذ الكميت الكتاب، ومضى، فمكث أيّاماً ثمّ جاء إلى عبدالله فقال: بأبي أنت وامّي يابن رسول الله، إنَّ لي حاجة قال: وما هي؟ وكلُّ حاجة لك مقضيَّة. قال: وكائنة ما كانت؟ قال: نعم. قال: هـذا الكتاب تقبله وتـرتجع الضيعة. ووضع الكتاب بين يديه فقبله عبدالله، ونهض عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب فأخذ ثوباً جلداً فدفعه إلى أربعة من غلمانه، ثمَّ جعل يدخل دور بني هاشم ويقول: يا بني هاشم، هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس عن فضلكم، وعرض دمه لبني اميَّة فأثيبوه بما قدرتم. فيطرح الرجل في الثوب ما قدر عليه من دنانير ودراهم. وأعلم النساء بذلك فكانت المرأة تبعث ما أمكنها حتى انَّها لتخلع الحليَّ عن جسدها، فاجتمع من الدنانير والدراهم ما قيمته مائة ألف درهم، فجاء بها إلى الكميت فقال: يا أبا المستهلّ أتيناك بجهد المقلِّ ونحن في دولة عدوِّنا وقد جمعنا هذا المال وفيه حليُّ النساء كما ترى، فاستعن به على دهرك فقال: بأبي أنت وأُمي قد أكثرتم وأطيبتم وما أردت بمدحي إيّاكم إلاّ الله ورسوله ولم أكُ لآخذ لكم ثمناً من الدنيا فاردده إلى أهله. فجهد به عبدالله أن يقبله بكل حيلة فأبى فقال: إن أبيت أن تقبل فإنّي رأيت أن تقول شيئاً تُغضب بـه بين الناس لعـلَّ فتنة تحـدث فيخرج من بين أصابعها بعض ما يجب. فابتدأ الكميت وقال قصيدته التي يذكر فيها مناقب قومه من مضر بن نزار بن معد وربيعة بن نزار وأياد وأنمار ابني نزار ويُكثر فيها من تفضيلهم ويُطنب في وصفهم وأنَّهم أفضل من قحطان فغضب بها بين اليمانيَّة والنزاريَّة فيما ذكرناه وهي قصيدته التي أوَّلها:

ألا حيِّيت عنَّـا يـا مـدينـا   وهـل نـاسٌ تقـول مسلّمينـا؟

قال ابن شهر اشوب في «المناقب» ج ٥ ص ١٢: بلغنا أنَّ الكميت أنشد الباقر عليه السّلام:

مَن لقـلبٍ مُتيَّمٍ مُستهـامِ   غيـر مـا صبـوةٍ ولا أحـلام؟!

فتوجَّه الباقر عليه السّلام إلى الكعبة فقال: اللهمَّ ارحم الكميت واغفر

له. ثلاث مرّات. ثمّ قال: يا كميت هذه مائة ألف قد جمعتها لـك من أهلِ بيتي. فقال الكميت: لا والله لا يعلم أحدٌ أنّي آخذ منها حتّى يكون الله عزَّ وجلَّ الذي يكافيني ولكن تكرمني بقميص من قمصك فأعطاه. وذكـره العبّاس في «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧ وفيه: فأمر له (أبو جعفر) بمالٍ وثيابٍ فقال الكميت: والله ما أحببتكم لِلدنيا ولو أردت الدنيا لأتيت مَن هي في يديه، ولكنّني أحببتكم للآخرة، فأمّـا الثياب التي أصابت أجسامكم فأنا أقبلها لبركاتها وأمّا المال فلا أقبله فرده وقبل الثياب.

قال البغدادي في (خـزانة الأدب) ج ١ ص ٦٩: حكى صـاعد مـولى الكميت قال: دخلت مع الكميت على عليٍّ بن الحسين رضي الله عنه فقال: إنّي قد مدحتك بما أرجـو أن يكون لي وسيلة عنـد رسول الله ﷺ ثمَّ أنشـده قصيدته التي أوّلها:

مَن لِقلبٍ مُتيَّمٍ مُستهـامِ غيـر مـا صَبـوةٍ ولا أحـلام؟!

فلمّـا أتى على آخرها قال له: ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإنَّ الله لا يعجز عن مكافاتك. اللهمّ اغفر للكميت. ثمَّ قسَّط له على نفسه وعلى أهله أربعمائة ألف درهم وقال له: خُذ يا أبا المستهلّ فقال له: لو وصلتني بدانق لكان شرفاً لي ولكن إن أحببتَ أن تحسن إليَّ فادفع إليَّ بعض ثيابك التي تلي جسدك أتبرَّك بها. فقام فنزع ثيابه ودفعها إليه كلّها ثمَّ قال: اللهمّ إنَّ الكميت جاد في آل رسولك وذرِّيَّة نبيِّك بنفسه حين ضنَّ الناس، وأظهر ما كتمه غيره من الحقّ، فأحيه سعيداً، وأمته شهيـداً، وأره الجزاء عـاجلاً، وأجـزل له جـزيل المثوبة آجلاً، فإنّا قد عجزنا عن مكافاته. قال الكميت: ما زلت أعرف بركة دعائه.

قال محمّد بن كناسة: لَمّا أنشد هشام بن عبد الملك قول الكميت:

فبهم صـرتُ للبعيـد ابن عمّ واتّهمت القـريب أيَّ اتّهام[1]

---

(١) هو البيت الثمانون من القصيدة.

مُبدياً صفحتي على الموقف المعـ ـلم بالله قوّتي واعتصامي[١]

قال: استقتل المرائي. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٧.

البائية من الهاشميات

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منّي، وذو الشيب يلعبُ؟

روى أبو الفرج «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤ بإسناده عن إبراهيم بن سعد الأسدي قال: سمعت أبي يقول: رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقال: من أيّ الناس أنت؟ قلت: من العرب قال: أعلم فمن أيِّ العرب؟ قلت: من بني أسد. قال: من أسد بن خزيمة. قلت: نعم. قال: أهِلاليٌّ أنت؟ قلت: نعم. قال: أتعرف الكميت بن زيد؟ قلت: يا رسول الله عمّي ومن قبيلتي. قال: أتحفظ من شعره؟ قلت: نعم قال أنشدني.

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ ولا لعباً منّي، وذو الشيب يلعبُ؟

قال؛ فأنشده، حتّى بلغت إلى قوله:

فما لي إلاّ آل أحمد شيعةٌ وما لي إلاّ مَشعب الحقّ مَشعبُ

فقال لي: إذا أصبحت فاقرأ عليه السّلام وقل له: قد غفر الله لك بهذه القصيدة وذكره العبّاسي في [معاهد التنصيص] ج ٢ ص ٢٧ وغيره.

وفي «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٤: عن دعبل بن علي الخزاعي قال: رأيت النبيّ ﷺ في النوم فقال لي: ما لك وللكميت بن زيد؟ فقلت: يا رسول الله ما بيني وبينه إلاّ كما بين الشعراء. فقال: لا تفعل، أليس هو القائل؟

فلا زلتُ فيهم حيث يتّهمونني ولا زلتُ في أشياعكم أتقلّبُ

فإنَّ الله قد غفر له بهذا البيت قال. فانتهيت عن الكميت بعدها.

---

(١) هو البيت الخامس والثمانون من القصيدة.

هذا البيت

من أبيات حرَّفتها يد النشر المصريَّة عن القصيدة بعد قوله:

وقالوا تُرابيٌّ هواه ورأيه   بذلك أدعى فيهمُ وأُلقَّبُ

قال السيوطي في [شرح شواهد المغني] ص ١٣: أخرج ابن عساكر بإسناده عن محمَّد بن عقير[1] كانت بنو أسد تقول: فينا فضيلةٌ ليست في العالم، ليس منزل منّا إلاّ وفيه بركة وراثة الكميت لأنَّه رأى النبي ﷺ في النوم فقال له: أنشدني:

طربتُ وما شوقاً إلى البيض أطربُ   ولا لعباً منّي، وذو الشيب يلعبُ؟

فأنشده فقال له: بوركت وبورك قومك.

وفي «شرح الشواهد» أيضاً ص ١٤: أخرج ابن عساكر عن أبي عكرمة الضبّي عن أبيه قال: أدركت الناس بالكوفة مَن لم يرو:

طربت وما شوقاً إلى البيض أطربُ   ولا لعباً منّي وذو الشيب يلعبُ؟

فليس بهاشميّ. ورواه السيِّد في [الدرجات الرفيعة] وفيها: فليس بشيعيّ.

وقال السيوطي في «الشرح» ص ١٤: أخرج ابن عساكر عن محمّد بن سهل قال قال الكميت: رأيت في النوم وأنا مختف رسول الله ﷺ فقال: مِمَّ خوفك؟ قلت: يا رسول الله! من بني امية وأنشدته:

ألم ترني من حبِّ آل محمَّد   أروح وأغدو خائفاً أترقَّبُ[2]

فقال: إظهر فإنَّ الله قد أمَّنك في الدنيا والآخرة.

---

(١) في غير شرح الشواهد: عقبة.

(٢) هو البيت الخامس والسبعين من القصيدة.

وقال في ص ١٤: أخرج ابن عساكر عن الجاحظ قال: ما فتح للشيعة الحجاج إلّا الكميت بقوله:

فإن هي لم تصلح لحيّ سواهُم فإنّ ذوي القُربى أحقُّ وأوجبُ
يقولون: لم يورث ولولا تراثه لقد شركت فيها بكيل وأرحبُ

وذكر كلام الجاحظ الشيخ المفيد كما في «الفصول المختارة» ج ٢ ص ٨٤، ولعلَّ الجاحظ لم يقف على مواقف احتجاج الشيعة بنفس هذه الحجَّة وغيرها المتكثرة منذ عهدهم المتقادم المتَّصل بالعهد النبويِّ. أو أنَّه يرمي بكلمته إلى إنكار سلف الشيعة في الصدر الأوَّل، لكن فضحه تاريخهم المجيد والمأثورات في فضلهم عن صاحب الرسالة وهلمَّ جرّا، وإنَّك تجد الاحتجاج بما ذكر وغيره في كثير من شعر الصحابة والتابعين لهم بإحسان وفي كلماتهم المنثورة قبل أن تنعقد نطفة الكميت كخزيمة بن ثابت ذي الشهادتين. وعبدالله بن عبّاس، والفضل بن عبّاس، وعمّار بن ياسر، وأبي ذرّ الغفاري وقيس بن سعد الأنصاري، وربيعة بن الحرث بن عبد المطلب، وعبدالله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، وزفر بن زيد بن حذيفة، والنجاشي بن الحرث بن كعب، وجرير بن عبدالله البجلي، وعبد الرحمن بن حنبل حليف بني جُمع، وآخرين كثيرين.

وقد فتح لهم هذا الباب بمصراعيه أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه في كتبه وخطبه الطافحة بذلك، المبثوثة في طيّات الكتب ومعاجم الخطب والرسائل، قال شيخنا المفيد كما في «الفصول» ج ٢ ص ٨٥: إنَّما نظم الكميت معنى كلام أمير المؤمنين عليه السلام في منثور كلامه في الحجَّة على معاوية، فلم يزل آل محمَّد عليهم السلام بعد أمير المؤمنين يحتجّون بذلك ومتكلِّمو الشيعة قبل الكميت وفي زمانه وبعده وذلك موجودٌ في الأخبار المأثورة والرِّوايات المشهورة، ومن بلغ إلى الحدِّ الذي بلغه الجاحظ في البهت سقط كلامه.

اللاميّة من الهاشميّات

ألا هـل عم في رأيه مُتـأمِّـلُ وهل مدبرٌ بعد الإساءة مُقبلُ؟؟!!

روى أبو الفرج في «الأغـاني» ج ١٥ ص ١٢٦ بالإسنـاد عن أبي بكر الحضرمي قال: إستأذنت للكميت على أبي جعفر محمَّد بن علي عليهما السَّلام في أيَّام التشريق بمنى فأذن له فقال له الكميت: جعلت فداك إنّي قلت فيكم شعراً أُحبُّ أن أُنشدكه فقال: يا كميت أُذكر الله في هذه الأيّام المعلومات وفي هذه الأيّام المعدودات. فأعاد عليه الكميت القول فرقَّ له أبو جعفر عليه السَّلام فقال: هات. فأنشده قصيدته حتّى بلغ:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيا آخرٌ أسدى له الغيَّ أوَّلُ

فرفع أبو جعفر عليه السلام يديه إلى السماء وقال. اللهمَّ اغفر للكميت.

وعن محمّد بن سهل صاحب الكميت قال: دخلت مع الكميت على أبي عبدالله الصادق جعفر بن محمَّد عليه السَّلام فقال له: جعلت فداك ألا انشدك؟ قـال: إنّها أيّـامٌ عظامٌ. قـال: إنَّها فيكم. قـال: هـات. ويعث أبـو عبـدالله عليـه السَّلام إلى بعض أهله فقـرَّب فأنشـده فكثر البكـاء حتّى أتى على هذا البيت:

يُصيب به الرامون عن قوس غيرهم فيـا آخرٌ أسـدى له الغيَّ أوَّل

فرفع أبو عبدالله عليه السَّلام يديه فقال: اللهمَّ اغفر للكميت ما قدَّم وما أخَّـر، وما أسـرَّ وما أعلن، واعـطه حتّى يرضى. «الأغـاني» ج ١٥ ص ١٢٣ «المعاهد» ج ٢ ص ٢٧.

ورواه البغدادي في «خزانة الأدب» ج ١ ص ٧٠ وفيه بعد قوله: فكثر البكاء وارتفعت الأصوات فلمّا مرَّ على قوله في الحسين رضي الله عنه:

كـأنَّ حسيناً والبهـاليل حـولـه لأسيـافهم مـا يختلى المتبتّـلُ
وغــاب نبيُّ الله عنهم وفقـده على الناس رزءٌ ما هناك مُجلّلُ
فلم أر مخذولاً لأجل مصيبـة وأوجب منه نصرةً حين يخذلُ

فرفع جعفر الصّادق رضي الله عنه يديه وقال: اللهم اغفر للكميت ما قدَّم وأخَّر، وما أسرَّ وأعلن، وأعطه حتّى يرضى. ثمّ أعطاه ألف دينار وكسوة، فقال له الكميت: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيتُ مَن هو في يديه، ولكنّني أحببتكم للآخرة فأمّا الثياب التي أصابت أجسادكم فإنّي أقبلها لبركتها، وأمّا المال فلا أقبله.

روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١١٩ عن عليّ بن محمَّد بن سليمان عن أبيه قال: كان هشام بن عبد الملك قد اتَّهم خالد بن عبدالله وكان يُقال: إنَّه يريد خلعك فوجد بباب هشام يوماً رقعةً فيها شعرٌ فدخل بها على هشام فقرئت عليه وهي:

تألّق برقٌ عندنا وتقابلت ... أثاف لقدر الحرب أخشى اقتبالها

فدونك قدر الحرب وهي مقرَّةٌ ... لكفَّيك واجعل دون قدر جعالها

ولن تنتهي أو يبلغ الأمر حدَّه ... فنلها برسلٍ قبل أن لا تنالها

فتجشم منها ما جشمت من الّتي ... بسورٍ أهرَّت نحو حالك حالها

تلاف امور الناس قبل تفاقمٍ ... بعقدة حزم لا يُخاف انحلالها

فما أبرم الأقوام يوماً لحيلةٍ ... من الأمر إلّا قلّدوك احتيالها

وقد تخبر الحرب العوان بسرّها ... وإن لم يبح مَن لا يُريد سؤالها

فأمر هشام أن يجتمع له مَن بحضرته من الرواة فجمعوا فأمر بالأبيات فقُرئت عليهم فقال: شعر مَن تشبه هذه الأبيات؟ فأجمعوا جميعاً من ساعتهم أنَّه كلام الكميت بن زيد الأسدي. فقال هشام: نعم: هذا الكميت يُنذرني بخالد بن عبدالله. ثمَّ كتب إلى خالد يُخبره وكتب إليه بالأبيات، وخالد يومئذٍ بواسط فكتب خالد إلى واليه بالكوفة يأمره بأخذ الكميت وحبسه، وقال لأصحابه: إنَّ هذا يمدح بني هاشم ويهجو بني اميَّة فأتوني من شعر هذا بشيء فأُتي بقصيدته اللاميَّة التي أوَّلها:

ألا هل عم في رأيه مُتأمِّلُ ... وهل مدبرٌ بعد الإساءة مقبلُ؟؟!!

فكتبها وأدرجها في كتاب إلى هشام يقول: هذا شعر الكميت فإن كان قد صدق في هذا فقد صدق في ذاك. فلمّا قُرئت على هشام إغتاظ فلمّا سمع قوله:

فيا ساسة هاتوا لنا من جوابكم ففيكم لعمري ذو أفانين مقولُ

اشتدَّ غيظه فكتب إلى خالد يأمره أن يقطع يدي الكميت ورجليه ويضرب عنقه ويهدم داره ويصلبه على ترابها. فلمّا قرأ خالد الكتاب كره أن يستفسد عشيرته وأعلن الأمر رجاء أن يتخلَّص الكميت فقال: كتب إليَّ أمير المؤمنين وإنّي لأكره أن أستفسد عشيرته. وسمّاه فعرف عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد ما أراد فأخرج غلاماً له مولداً ظريفاً فأعطاه بغلة له شقراء فارهة من بغال الخليفة وقال: إن أنت وردت الكوفة فأنذرت الكميت لعلّه أن يتخلّص من الحبس فأنت حرٌّ لوجه الله والبغلة لك ولك عليَّ بعد ذلك إكرامك والإحسان إليك. فركب البغلة فسار بقيَّة يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها فدخل الحبس متنكّراً فخبَّر الكميت بالقصَّة، فأرسل إلى امرأته وهي ابنة عمِّه يأمرها: أن تجيئه ومعها ثياب من لباسها وخفّان. ففعلت فقال: ألبسيني لبسة النساء. ففعلت، ثمّ قالت له: أقبل فأقبل وأدبر فأدبر فقالت: ما أدري إلّا يبساً في منكبيك إذهب في حفظ الله. فمرَّ بالسجّان فظنَّ أنَّه المرأة فلم يعرض له فنجا وأنشأ يقول:

خرجت خروج القدح قِدح ابن مقبلِ على الرغم من تلك النوابح والمشلي
عليَّ ثياب الغانيات وتحتها عزيمة أمر أشبهت سلّة النصلِ

وورد كتاب خالد إلى والي الكوفة يأمره فيه بما كتب به إليه هشام، فأرسل إلى الكميت ليؤتى به من الحبس فينفذ فيه أمر خالد، فدنا من باب البيت فكلّمتهم المرأة وخبَّرتهم: إنّها في البيت، وإنَّ الكميت قد خرج. فكتب بذلك إلى خالد فأجابه: حرَّة كريمة أفدت ابن عمِّها بنفسها. وأمر بتخليتها فبلغ الخبر الأعور الكلبي بالشام فقال قصيدته التي يرمي فيها امرأة الكميت بأهل الحبس ويقول:

أسودينا واحمرينا . . . .

فهاج الكميت ذلك حتّى قال:

ألا حيّيت عنّا يا مدينا (وهي ثلاثمائة بيت)

وقال في ص ١١٤: إنَّ خالد بن عبدالله القسري روى جاريةً حسناء قصائد الكميت (الهاشميّات) وأعدّها ليهديها إلى هشام وكتب إليه بأخبار الكميت وهجائه بني اميّة وأنفذ إليه قصيدته التي يقول فيها:

فيا ربِّ هل إلّا بك النصر يُبتغى ويا ربِّ هل إلّا عليك المعوَّلُ

وهي طويلةٌ يرثي فيها زيد بن عليّ وابنه الحسين بن زيد ويمدح بني هاشم، فلمّا قرأها أكبرها وعظمت عليه واستنكرها وكتب إلى خالد: يقسم عليه أن يقطع لسان الكميت ويده. فلم يشعر الكميت إلّا والخيل محدقةٌ بداره فأُخذ وحبس في المحبس، وكان أبان بن الوليد عاملاً على واسط وكان الكميت صديقه فبعث إليه بغلام على بغل وقال له: أنت حرٌّ - إلى آخر ما يأتي إن شاء الله تعالى.

وللكميت في حديث الغدير من قصيدة قوله:

عليٌّ أمير المؤمنين وحقّه من الله مفروضٌ على كلِّ مسلمِ
وإنّ رسول الله أوصى بحقّه وأشركه في كلِّ حقٍّ مقسَّمِ
وزوَّجه صدّيقةً لم يكن لها معادلةٌ غير البتولة مريمِ
وردَّم أبواب الذين بنى لهم بيوتاً سوى أبوابه لم يردَّمِ
وأوجب يوماً بالغدير ولاية على كلِّ برٍّ من فصيح وأعجمِ

[تفسير أبي الفتوح ج ٢ ص ١٩٣]

الشاعر

أبو المستهلّ الكميت بن زيد بن خنيس بن مخالد[1] بن وُهيب بن

---

(١) وقيل: مخالد بن ذويبة بن قيس بن عمرو.

عمرو بن سُبيع بن مـالك بن سعـد بن ثعلبة بن دودان بن أسـد بن خزيمـة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار.

قال أبو الفرج: شاعرٌ مقدَّمٌ عالمٌ بلغات العرب، خبيرٌ بأيّامها، من شعراء مضر وألسنتها والمتعصّبين على القحطانيَّة المقـارنين المقارعين لشعـراءهم، العلماء بالمثالب والأيّام المفاخرين بها، وكان في أيّام بني اميَّة ولم يدرك الدولة العبّاسيَّة ومات قبلها، وكان معروفاً بالتشيّع لبني هاشم مشهوراً بذلك.

سُئل معـاذ الهـراء: مَن أشعـر النـاس؟ قـال: أمن الجـاهليِّين أم من الإسلاميِّين؟؟ قالوا: بل من الجاهليِّين. قال: امرؤ القيس، وزهير، وعُبيد بن الأبرص. قالوا: فمن الإسلاميِّين قال: الفرزدق، وجرير، والأخطل، والراعي. قال فقيل له: يا أبا محمَّد! ما رأيناك ذكرت الكميت فيمن ذكرت؟ قال: ذاك أشعر الأوَّلين والآخرين[١].

وقد مرَّ ص ٢١٩ قول الفرزدق له: أنت والله أشعر من مضى وأشعر من بقي. وكان مبلغ شعره حين مات خمسة آلاف ومأتين وتسعة وثمانين بيتاً على ما في الأغاني، والمعاهد ج ٢ ص ٣١، أو أكثر من خمسة آلاف قصيدة كما في كشف الظنون نقلاً عن عيون الأخبار لابن شاكر ج ١ ص ٣٩٧. وقد جمع شعره الأصمعي وزاد فيه ابن السكيت، ورواه جماعة عن أبي محمَّد عبدالله بن يحيى المعروف بابن كناسة الأسدي المتوفّى سنة ٢٠٧، ورواه ابن كناسة عن الجزّي، وأبي الموصل، وأبي صدقة الأسديِّين، وألَّف كتاباً أسماه (سرقات الكميت من القرآن وغيره)[٢].

ورواه ابن السكيت عن أستاذه نصران وقال نصران: قرأت شعر الكميت على أبي حفص عمر ابن بكير. وعمل شعره السكّـري أبو سعيـد الحسن بن

---

(١) الأغاني ج ١٥ ص ١١٥ و١٢٧.

(٢) التعبير بالسرقة لا يخلو من مسامحة فإنها ليست إلاّ أخذاً بالمعنى أو تضميناً لكلم من القرآن، وحسب الكميت (وأي شاعر) أن يقتص أثر الكتاب الكريم.

الحسين المتوفّى سنة ٢٧٥، كما في فهرست ابن النديم ص ١٠٧ و٢٢٥. وصاحب شعره محمّد بن أنس كما في تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٤٢٩.

وحكى ياقوت في معجم الأدباء ج ١ ص ٤١٠ عن ابن نجّار عن أبي عبدالله أحمد بن الحسن الكوفي النسّابة أنّه قال: قال ابن عبدة النسّاب: ما عرف النسّاب أنساب العرب على حقيقة حتّى قال الكميت (النزاريّات) فأظهر بها علماً كثيراً، ولقد نظرت في شعره فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيّامها، فلمّا سمعت هذا أجمعت شعره فكان عوني على التّصنيف لأيّام العرب.

وقال بعضهم: كان في الكميت عشر خصال لم تكن في شاعر: كان خطيب أسد، فقيه الشيعة، حافظ القرآن العظيم، ثبت الجنان، كاتباً حسن الخطّ، نسّابة جدلاً، وهو أوّل من ناظر[1] في التشيّع، رامياً لم يكن في أسد أرمى منه، فارساً شجاعاً، سخيّاً ديّناً. خزانة الأدب ج ٢ ص ٦٩، شرح الشواهد ص ١٣.

ولم تزل عصبيّته للعدنانيّة ومهاجاته شعراء اليمن متّصلةً، والمناقضة بينه وبينهم شائعة في حياته، وفي إثرها ناقض دعبل وابن عُيينة قصيدته المذهَّبة بعد وفاته وأجابهما أبو الزلفاء البصري مولى بني هاشم، وكان بينه وبين حكيم الأعور الكلبي مفاخرةٌ ومناظرةٌ تامّة.

فائدةٌ

حكيم الأعور المذكور أحد الشعراء المنقطعين إلى بني اميّة بدمشق، ثمّ انتقل إلى الكوفة، جاء رجلٌ إلى عبدالله بن جعفر فقال له: يا بن رسول الله! هذا حكيم الأعور ينشد الناس هجاكم بالكوفة. فقال: هل حفظت شيئاً؟ قال: نعم وأنشد.

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم نر مهديّاً على الجزع يُصلبُ

---

(١) مر فساد هذه النسبة إلى المترجم له ص ٢٢٦.

وقستم بعثمـــان عليّاً سفــاهــةً   وعثمــان خيــرٌ من عليٍّ وأطيبُ

فرفع عبدالله يديه إلى السماء وهما تنتفضان رعدة فقال: اللهمّ إن كان كاذباً فسلّط عليه كلباً. فخرج حكيم من الكوفة فأدلج[1] فافترسه الأسد.

«معجم الأدباء ج ٤ ص ١٣٢».

الكميت وحياته المذهبية

يجد الباحث في خلال السِّيَر وزبـر الحديث شـواهد واضحـة على أنَّ الرجل لـم يتَّخذ شاعريَّته وما كان يتظاهر به من التهالـك في ولاء أهل البيت عليهم السـلام، وسيلةً لما يقتضيـه النهمة، ومـوجبات الشَّـره من التلمّظ بما يستفيده من الصِّلات والجوائز، أو تحرّي مُسانحات وجرايـات، أو الحصول على رُتبةٍ أو راتب، أنّى؟ وآل رسول الله كما يقول عنهم دعبل الخزاعي:

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً   وأيـديهمُ من فيئهم صفـراتُ

وهم سلام الله عليهم فضلاً عن شيعتهم:

مشرّدون نُفوا عن عُقـر دارهـم   كأنّهم قد جنوا ما ليس يُغتفـرُ

وقد انهالت الدنيا قضها بقضيضها على أضداد هم يوم ذلك من طغمة الأمويّين ولو كان المتطلّب شيئاً من حطام الدنيا، أو حصولاً على مرتبة، أو زلفةً تربى به لطلبها من أولئك المتغلّبين على عرش الخلافة الإسلاميَّة، فرجلٌ يلوي بوجهه عنهم إلى أناس مضطهدين مقهورين، ويقاسي من جرّاء ذلك الخوف والاختفاء تتقاذف به المفاوز والحزون، مفترعاً ربوة طوراً ومسفّاً إلى الأحضّة تارة، ووراثه الطلب الحثيث، وبمطلع الاكمة النطح والسيف، ليس من الممكن أن يكون ما يتحرّاه إلاّ خاصّة فيمن يتولاهم، لا توجد عند غيرهم، وهذا هو شأن

---

(١) أدلج القوم: ساروا الليل كله أو في اخره.

الكميت مع أئمّة الدين عليهم السّلام فقد كان يعتقد فيهم أنّهم وسائله إلى المولى سبحانه، وواسطة نجاحه في عقباه، وانّ مودّتهم أجر الرسالة الكبرى.

روى الشيخ الأكبر الصفّار في «بصائر الدرجات» بإسناده عن جابر قال: دخلت على الباقر عليه السّلام فشكوت إليه الحاجة فقال: ما عندنا درهمٌ. فدخل الكميت فقال: جعلت فداك أُنشدك؟ فقال: أنشد فأنشده قصيدة فقال: يا غلام! أخرج من ذلك البيت بدرةً فادفعها إلى الكميت. فقال: جعلت فداك أُنشدك أخرى؟ فانشده فقال: يا غلام! أخرج بدرةً فادفعها إليه. فقال: جعلت فداك أُنشدك أُخرى؟ فأنشده فقال: يا غلام! أخرج بدرةً فادفعها إليه. فقال: جعلت فداك والله ما أُحبّكم لعرض الدنيا وما أردت بذلك إلّا صلة رسول الله وما أوجب الله عليَّ من الحقّ. فدعا له الباقر عليه السّلام فقال: يا غلام رُدَّها إلى مكانها. فقلت: جعلت فداك قلت لي: ليس عندي درهمٌ وأمرت للكميت بثلاثين ألفاً(١) فقال: أُدخل ذلك البيت. فدخلت فلم أجد شيئاً، فقال: ما سترنا عنكم أكثر ممّا أظهرنا. الحديث.

قال صاعد: دخلنا مع الكميت على فاطمة بنت الحسين عليه السّلام فقالت: هذا شاعرنا أهل البيت وجاءت بقَدح فيه سويقٌ فحرّكته بيدها وسقت الكميت فشربه ثمّ أمرت له بثلاثين ديناراً ومركب، فهملت عيناه وقال: لا والله لا أقبلها إنّي لم أحبّكم للدنيا. «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٣.

وللكميت في ردّه الصّلات الطائلة على سروات المجد من بني هاشم مكرمةٌ ومحمدةٌ عظيمةٌ أبقت له ذكرى خالدة وكلٌّ من تلكم المواقف شاهد صدق على خالص ولائه وقوّة إيمانه، وصفاء نيّته، وحسن عقيدته ورسوخ دينه، وإباء نفسه، وعلوّ همّته، وثباته في مبدئه (العلويّ) المقدّس، وصدق مقاله للإمام السجّاد زين العابدين عليه السّلام: إنّي قد مدحتك أن يكون لي وسيلة عند رسول الله ويُعرب عن ذلك كلّه صريح قوله للإمام الباقر محمّد بن علي عليهما

(١) في مناقب ابن شهر آشوب ج ٥ ص ٧: خمسين ألف درهم.

السّلام: والله ما أُحبكمُ لعَرَض الدنيا وما أردت بذلك إلاّ صلة رسول الله وما أوجب الله عليَّ من الحقّ. وقوله الآخر عليه السّلام: ألا والله لا يعلم أحدٌ أنّي منها حتّى يكون الله عزّ وجلّ الذي يكافيني. وقوله للإمامين الصادقين عليهما السّلام: والله ما أحببتكم للدنيا ولو أردتها لأتيت من هو في يديه ولكني أحببتكم للآخرة. وقوله لعبدالله بن الحسن بن عليّ عليه السلام: والله ما قلت فيكم إلاّ لله وما كنت لآخذ على شيء جعلته لله مالاً ولا ثمناً. وقوله لعبدالله الجعفري: ما أردت بمدحي إيّاكم إلاّ الله ورسوله، ولم أك لآخذ لكم ثمناً من الدُّنيا. وقوله لفاطمة بنت الإمام السبط: والله إنّي لم أُحبّكم لِلدنيا. وهذا شأن الشيعة سلفاً وخلفاً، وشيمة كلّ شيعيٍّ صميم، وأدب كلّ متضلّع بالنزعات العلويَّة، وروح كلّ علويٍّ جعفريٍّ، وهذا شعار التشيّع ليس إلاّ. وبمثل هذا فليعمل العاملون.

وكان أئمّة الدين ورجالات بني هاشم يُلحّون في أخذ الكميت صلاتهم، وقبوله عطاياهم، مع إكبارهم محلّه من ولائه، واعتنائهم البالغ بشأنه، والإحتفاء والتبجيل له، والإعتذار عنه بمثل قوم الإمام السجّاد صلوات الله عليه له: ثوابك نعجز عنه ولكن ما عجزنا عنه فإنّ الله لا يعجز عن مكافاتك. وهو مع ذلك كلّه كان على قَدَم وساق من إبائه واستعفائه إظهاراً لولائه المحض لآل الله، وقد مرّ أنّه ردَّ على الإمام السجّاد عليه السّلام أربعمائة ألف درهم وطلب من ثيابه التي تلي جسده ليتبرَّك بها. وردّ على الإمام الباقر مائة ألف مرَّة، وخمسين ألف اخرى وطلب قميصاً من قمصه. وردَّ على الإمام الصادق ألف دينار وكسوة واستدعى منه أن يكرمه بالثوب الّذي مسَّ جلده. وردَّ على عبدالله بن الحسن ضيعته التي أعطى له كتابها وكانت تسوى بأربعة آلاف دينار. وردَّ على عبدالله الجعفري ما جمع له من بني هاشم ما كان يقدَّر بمائة ألف درهم.

فكلٌّ من هذه خبرٌ يصدِّق الخبر بأنَّ مدح الكميت عترة نبيِّه الطاهر وولائه لهم، وتهالكه بكلّه في حبِّهم، وبذله النفس والنفيس دونهم، ونيله من مناوئيهم، ونصبه العداء لمخالفيهم، لم يكن إلاّ لله ولرسوله فحسب، وما كان

له غرضٌ من حطام الدنيا وزخرفها، ولا مرمى من الثواب العاجل دون الآجل، وكلُّ واقف على شعره يراه كالباحث بظلفه عن حتفه، وَيجدهُ مستقتلاً بلسانه، قد عرض لبني اميَّة دمه، مُستقبلاً صوارمهم كما نصَّ عليه الإمام زين العابدين عليه السلام وقال: اللهمّ إنّ الكميت جاد في آل رسولك وذريَّة نبيِّك نفسه حين ضنَّ الناس، وأظهر ما كتمه غيره. وقال عبدالله الجعفري لبني هاشم: هذا الكميت قال فيكم الشعر حين صمت الناس من فضلكم وعرض دمه لبني اميَّة. وخالد القسري لَمّا أراد قتله رأى في شعره غنىً وكفاية عن أيِّ حيلة وسعاية عليه، فاشترى جاريةً وعلَّمها الهاشميّات وبعثها إلى هشام بن عبد الملك وهو لمّا سمعها منها قال: استقتل المرائي. وكتب إلى خالد بقتله وقطع لسانه ويده.

فكان الكميت، منذ غضاضة من شبيبته التي نظم فيها «الهاشميّات» خائفاً يترقّب طيلة عمره مختفياً في زوايا الخمول إلى أن أقام بقريضه الحجَّة، وأوضح به المحجَّة، وأظهر به الحقَّ، وأتمَّ به البرهنة، وبلغ ضالّته المنشودة من بث الدعاية إلى العترة الطاهرة، فلمّا دوَّخ صيت شعره الأقطار، وقرَّطت به الآذان، ودارت على الألسن استجاز الإمام أبا جعفر الباقر عليه السلام أن يمدح بني اميَّة صوناً لدمه فأجاز له، رواه أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١٢٦ بإسناده عن ورد بن زيد أخي الكميت قال: أرسلني الكميت إلى أبي جعفر عليه السّلام فقلت له: إنَّ الكميت أرسلني إليك وقد صنع بنفسه ما صنع فتأذن له أن يمدح بني اميَّة؟ قال: نعم هو في حلٍّ فليقل ما شاء. فنظم قصيدته الرائية التي يقول فيها.

فـالآن صـرتُ إلـى اميَّـ ـة والامـور إلى المصـائر

ودخل على أبي جعفر عليه السّلام فقال له: يا كميت! أنت القائل:

فـالآن صـرتُ إلـى اميَّـ ـة والامـور إلى المصـائرْ

قال: نعم، قد قلت ولا والله ما أردت به(١) إلّا الدنيا ولقد عرفت فضلكم

---

(١) أي أراد بقوله: صرت. مصير الدنيا إليهم لا الخلافة.

قال: أما إن قلت ذلك إنّ التقيّة لتحلّ.

وروى الكشي في رجاله ص ١٣٥ بإسناده عن درست بن أبي منصور قال: كنت عند أبي الحسن موسى عليه السّلام وعنده الكميت بن زيد فقال للكميت: أنت الذي تقول:

فالآن صرتُ إلى اميّـ ـة والامور إلى المصائرْ

قال: قد قلت ذلك فوالله ما رجعت عن إيماني، وإنّي لكم لمُوال، ولعدوّكم لقالٍ، ولكنّي قلته على التقيّة. قال: أما لئن قلت ذلك إنّ التقيّة تجوز في شرب الخمر.

لفت نظر

أحسب أنّ الإمام المذكور في حديث الكشي هو أبو عبدالله الصادق عليه السّلام ولا يتمّ ما فيه من أبي الحسن موسى عليه السّلام، إذ الكميت توفّي بلا اختلاف أجده سنة ١٢٦ قبل ولادة أبي الحسن موسى بسنتين أو ثلاث. كما لا يتمّ القول باتّحاده مع حديث أبي الفرج المرويّ عن الإمام أبي جعفر إذ درست بن أبي منصور لا يروي عنه عليه السّلام وليس من تلك الطبقة.

الكميت ودعاء الأئمة له

من الواضح أنّ أدعية ذوي النفوس القدسيّة، والألسنة الناطقة بالمشيئة الإلهيّة المعبّرة عن الله، من الذين يوحي إليهم ربّهم، ولا يتكلّمون إلّا بإذنه، وما ينطقون عن الهوى، ولا يشفعون إلّا لمن ارتضى، ليست مجرّد شفاعة لأيّ أحد، ومسئلة خير من المولى لكلّ إنسان كائناً من كان، بل فيها إيعاز بأنّ المدعوّ له من رجال الدين، وحلفاء الخير والصلاح، ودعاة الامّة إليهما، وممّن قيّضه المولى للدعوة إليه، والأخذ بناصر الهدى، رغماً على أباطيل الحياة وأهوائها الضالّة، إلى فضائل لا تُحصى على اختلاف المدعوّين لهم فيها.

وقلَّ ما دُعي لأحد مثل ما دُعي للكميت وقد أكثر النبيُّ الأعظم والأئمَّة من أولاده صلوات الله عليه وعليهم دعائهم له، فاسترحم له النبيُّ صلّى الله عليه وآله مرَّة كما مرّ في حديث البياضي، واستجزى له بالخير وأثنى عليه اخرى كما في منام نصر بن مزاحم، وقال له ثالثة: بوركت وبورك قومك. كما في حديث السيوطي، ودعا له الإمام السجّاد زينِ العابدين عليه السّلام بقوله: اللهمَّ أحيه سعيداً وأمته شهيداً، وأره الجزاء عاجلاً، وأجزل له جزيل المثوبة آجلاً، ودعا له أبو جعفر الباقر عليه السلام في مواقف شتّى في مثل أيّام التشريق بمنى وغيرها، متوجِّهاً إلى الكعبة بالإسترحام والإستغفار له غير مرَّة، وبقوله: لا تزال مؤيَّداً بروح القدس تارةً اخرى، ومن دعائه عليه السّلام له في أيّام البيض ما رواه الشيخ الأقدم أبو القاسم الخزّاز القمّي في [كفاية الأثر في النصوص على الأئمَّة الإثني عشر] بإسناده عن الكميت أنَّه قال: دخلت على سيِّدي أبي جعفر محمَّد بن علي الباقر فقلت: يابن رسول الله! إنّي قد قلت فيكم أبياتاً أفتأذن لي في إنشادها؟ فقال: أيّام البيض. قلت: فهو فيكم خاصّة. قال: هات فأنشأت أقول:

أضحكني الدَّهرُ وأبكاني ... والدَّهرُ ذو صرفٍ وألوانِ
لتسعةٍ بالطفِّ قد غودروا ... صاروا جميعاً رهن أكفانِ

فبكى عليه السَّلام، وبكى أبو عبدالله عليه السّلام، وسمعت جارية تبكي من وراء الخباء، فلمّا بلغت إلى قولي:

وستَّةٌ لا يُتجارى بهم ... بنو عقيل خير فرسانِ
ثمَّ عليٌّ الخير مولاهمُ ... ذكرهمُ هيَّج أحزاني

فبكى ثمَّ قال عليه السلام: ما من رجل ذكرنا أو ذُكرنا عنده يخرج من عينيه ماءٌ ولو مثل جناح البعوضة إلاّ بنى الله له بيتاً في الجنَّة، وجعل ذلك الدمع حجاباً بينه وبين النّار. فلمّا بلغت إلى قولي:

مَن كان مسروراً بما مسَّكم ... أو شامتاً يوماً من الآنِ

فقــد ذللتم بعــد عــزّ فمــا أدفــع ضيماً حين يغشــاني

أخذ بيدي ثمّ قال: اللهمّ اغفر للكميت ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر. فلمّا بلغت إلى قولي:

متى يقــوم الحقّ فيكم متى يقــوم مهديّكم الثــاني؟؟!!

قال: سريعاً إن شاء الله سريعاً. ثمّ قال: يا أبا المستهلّ! إنّ قائمنا هو التاسع من ولد الحسين لأنّ الأئمّة بعد رسول الله إثني عشر الثاني عشر هو القائم. قلت: يا سيّدي! فمَن هؤلاء الإثنى عشر؟ قال: أوّلهم عليّ بن أبي طالب وبعده الحسن والحسين وبعد الحسين عليّ بن الحسين وبعده أنا ثمّ بعدي هذا ووضع يده على كتف جعفر قلت: فمَن بعد هذا؟ قال: ابنه موسى وبعد موسى ابنه عليّ وبعد عليّ ابنه محمّد وبعد محمّد ابنه عليّ وبعد عليّ ابنه الحسن وهو أبو القاسم الذي يخرج فيملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً ويشفي صدور شيعتنا. قلت: فمتى يخرج يا بن رسول الله؟ قال: لقد سُئل رسول الله صلّى الله عليه وآله عن ذلك فقال: إنّما مَثله كمثل السّاعة لا تأتيكم إلاّ بغتة.

وناهيك به فضلاً دعاء الإمام الصادق عليه السّلام له في مواقفه المشهودة في أشرف الأيّام رافعاً يديه قائلاً: اللهمّ اغفر للكميت ما قدّم وأخّر، وما أسرّ وأعلن، وأعطه حتى يرضى. وينمّ عن إجابة تلك الأدعية الصالحة الصادرة من النفوس الطاهرة بالألسنة الصادقة أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله أبا إبراهيم سعد الأسدي في منامه بقراءة سلامه عليه، وإنباءه بأنّ الله قد غفر له. وكذلك نهيه صلّى الله عليه وآله دعبل الخزاعي في الطيف عن معارضة الكميت وقوله له: إن الله قد غفر له. وكان بنو أسد (قبيلة الكميت) يحسّون بركة دعاء النبيّ له ولهم بقوله: بوركت وبورك قومك. ويُشاهدون آثار الإجابة فيهم، ويجدون في أنفسهم نفحاتها، وكانوا يقولون: إنّ فينا فضيلةً ليست في العالم، ليس منّا إلاّ وفيه بركة وراثة الكميت[1].

---

(١) مر الحديث ص ٢٢٥.

ومن تلك الأدعية المستجابة التي شوهدت آثارها، وأبقت للكميت فضيلة مع الأبد ما رواه شيخنا قطب الدين الراوندي في [الخرائج والجرائح] أنّ محمّد بن علي الباقر عليه السّلام دعا للكميت لَمّا أراد أعداء آل محمّد أخذه وهلاكه وكان متوارياً فخرج في ظلمة الليل هارباً وقد أقعدوا على كلّ طريق جماعة ليأخذوه إذا ما خرج في خفية، فلمّا وصل الكميت إلى الفضاء وأراد أن يسلك طريقاً فجاء أسدٌ يمنعه من أن يسري منها فسلك جانباً آخر فمنعه منه أيضاً، كأنّه أشار إلى الكميت أن يسلك خلفه ومضى الأسد في جانب الكميت إلى أن أمن وتخلّص من الأعداء.

وفي «معاهد التنصيص» ج ٢ ص ٢٨ قال المستهلّ: أقام الكميت مدّة متوارياً حتّى إذا أيقن أنّ الطلب خفّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد على خوف ووجل وفيمن معه «صاعد» غلامه وأخذ الطريق على «القطقطانة» وكان عالماً بالنجوم مهتدياً بها فلمّا صار سحيراً صاح بنا هوّموا[1] يا فتيان فهوّمنا وقام فصلّى، قال المستهلّ: فرأينا شخصاً فتضعضعت له فقال: ما لك؟ قلت: أرى شخصاً مُقبلاً فنظر إليه فقال: هذا ذئبٌ قد جاء يستطعمكم فجاء الذئب فربض ناحيةً فأطعمناه يد جزور فتعرّقها ثمّ أهوينا له بإناء فيه ماءٌ فشرب منه فارتحلنا وجعل الذئب يعوي، فقال الكميت: ما له ويله ألم نطعمه ونسقه؟؟ وما أعرفني بما يريد هو يدلّنا انّا لسنا على الطريق تيامنوا يا فتيان! فتيامنّا فسكن عواؤه فلم نزل نسير حتّى جئنا الشام فتوارى في بني أسد، وبني تميم.

وهذا جانبٌ عظيمٌ من نواحي مكرمات الكميت وفضائله لو أُضيف إلى ما يظهر من كلماته المُعربة عن نفسيّاته، ومواقفه الكاشفة عن خلائقه الكريمة، وما قيل فيه وفي مآثره الجمّة يُمثّله بين يدي القارىء بمظاهر روحيّاته، ونصب عينيه مجالي نفسيّاته، وأمثلة مكارم أخلاقه وما كان يحمله بين جنبيه من العلم، والفقه، والأدب، والإباء، والشمم، والحماسة، والهمّة، واللباقة، والفصاحة،

---

(١) هوم تهويماً: نام قليلاً.

والبلاغة، والخلق الكامل، وقوّة القلب، والدين الخالص، والتشيّع الصحيح، والصلاح المحض، والرشد والسداد، إلى فضائل تكسبه فوز النشأتين لا تُحصى.

الكميت وهشام بن عبد الملك

كان خالد بن عبدالله القسري، قد أنشد قصيدة الكميت التي يهجو فيها اليمن وهي التي أوّلها.

ألا حيّيت عنّا يا مدينا وهل ناسٌ تقول مسلّمينا

فقال: والله لأقتلنّه ثمّ اشترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيّرهنّ نهايةً في الحسن والكمال والأدب فرواهنّ (الهاشميّات) ودسّهنّ مع «نخاس» إلى هشام بن عبد الملك فاشتراهنّ جميعاً فلمّا أنس به واستنطقهنّ رأى منهنّ فصاحةً وأدباً فاستقراهنّ القرآن فقرأن واستنشدهنّ الشعر فأنشدن قصائد الكميت (الهاشميّات) فقال هشام: ويلكنّ مَن قائل هذا الشعر؟ قلن: الكميت بن زيد الأسدي. قال: في أيِّ بلد هو؟ قلن بالعراق ثمّ بالكوفة فكتب إلى خالد عامله في العراق إبعث إليّ برأس الكميت بن زيد. فلم يشعر الكميت إلّا والخيل محدقةٌ بداره فأُخذ وحبس في الحبس وكان أبان بن الوليد، عاملًا على واسط وكان الكميت صديقه فبعث إليه بغلام على بغل وقال له: أنت حرٌ إن لحقته والبغل لك. وكتب له: أمّا بعد. فقد بلغني ما صرت إليه وهو القتل إلّا أن يدفع الله عزّ وجلّ، وأرى لك أن تبعث إلى حبّى - يعني زوجة الكميت وكانت ممّن تتشيّع أيضاً - فإذا دخلت عليك تنقّبت نقابها ولبست ثيابها وخرجت فإنّي أرجو الأوبة لك. قال: فركب الغلام البغل وسار بقيّة يومه وليلته من واسط إلى الكوفة فصبّحها فدخل الحبس متنكّراً وأخبر الكميت بالقصّة فبعث إلى امرأته وقصّ عليها القصّة وقال لها: أي ابنة عمّ إنّ الوالي لا يقدم عليكِ ولا يسلمكِ قومكِ ولو خفت عليكِ ما عرضتك له. فألبسته ثيابها وإزارها وخمّرته وقالت له: أقبل وأدبر ففعل فقالت: ما أُنكر منك شيئاً إلّا يبساً في كتفيك، فاخرج على اسم الله تعالى. وأخرجت معه جاريتين لها فخرج وعلى باب السجن أبو الوضاح

حبيب بن بُدير ومعه فتيان من أسد فلم يُؤبه له، ومشى الفتيان بين يديه إلى سكّة شبيب بناحية الكناس فمرَّ بمجلس من مجالس بني تميم فقال بعضهم: رجلٌ وربِّ الكعبة وأمر غلامه فأتبعه فصاح به أبو الوضاح يا كذا وكذا! أراك تتبع هذه المرأة منذ اليوم، وأومى إليه بنعله فولّى العبد مدبراً وأدخله أبو الوضاح منزله، ولمّا طال على السجّان الأمر نادى الكميت فلم يجبه، فدخل ليعرف خبره، فصاحت به المرأة، وراءك لا امَّ لك. فشقَّ ثوبه ومضى صارخاً إلى باب خالد فأخبر الخبر فأحضر المرأة فقال لها: يا عدوَّة الله احتلتِ على أمير المؤمنين وأخرجت عدوَّ أمير المؤمنين لأنكلنَّ بكِ ولأصنعنَّ ولأفعلنَّ. فاجتمعت بنو أسد عليه وقالوا له: ما سبيلك على امرأة منّا خُدعت. فخافهم فخلّى سبيلها وسقط غرابٌ على الحائط ونعب فقال الكميت لأبي الوضاح: إنّي لمأخوذٌ وإنَّ حائطك لساقطٌ. فقال: سبحان الله هذا ما لا يكون إن شاء الله تعالى، وكان الكميت خبيراً بالزجر (الكهانة) فقال له: لا بدَّ أن تحوّلني. فخرج به إلى بني علقمة وكانوا يتشيّعون فأقام فيهم، ولم يصبح حتّى سقط الحائط الذي سقط عليه الغراب.

قال المستهلّ: وأقام الكميت مدَّةً متوارياً حتّى إذا أيقن أنَّ الطلب خفَّ عنه خرج ليلاً في جماعة من بني أسد وبني تميم وأرسل إلى أشراف قريش وكان سيِّدهم يومئذ عنبسة بن سعيد بن العاص فمشت رجالات قريش بعضها إلى بعض وأتوا عنبسة، فقالوا: يا أبا خالد هذه مكرمةٌ أتاك بها الله تعالى، هذا: الكميت بن زيد لسان مضر، وكان أمير المؤمنين قد كتب في قتله فنجا حتّى تخلّص إليك وإلينا. قال: فمروه أن يعوذ بقبر معاوية بن هشام بدير حنيناء. فمضى الكميت فضرب فسطاطه عند قبره، ومضى عنبسة فأتى مسلمة بن هشام فقال: يا أبا شاكر مكرمةٌ أتيتك بها تبلغ الثريّا إن اعتقدتها فإن علمت أنّك تفي بها وإلّا كتمتها. قال: وما هي؟ فأخبره الخبر وقال: إنّه قد مدحكم عامّة وإيّاك خاصّة بما لم يُسمع بمثله. فقال: عليَّ خلاصه فدخل على أبيه هشام وهو عند امّه في غير وقت دخول فقال له هشام: أجئت لحاجة؟ قال: نعم. قال: هي مقضيةٌ إلّا أن تكون الكميت. فقال: ما أُحبُّ أن تستثني عليَّ في حاجتي وما أنا

والكميت. فقالت امّه: والله لتقضينَّ حاجته كائنةً ما كانت قال: قد قضيتها ولو أحاطت بما بين قطريها. قال: يا أمير المؤمنين وهو آمنٌ بأمان الله عزَّ وجلَّ وأماني وهو شاعر مضر وقد قال فينا قولاً لم يُقل مثله. قال: قد أمّنته وأجزت أمانك له، فأجلس له مجلساً ينشدك فيه ما قال فينا. فعقد مجلساً وعنده الأبرش الكلبي فتكلّم بخطبة ارتجلها ما سُمع بمثلها قطُّ، وامتدحه بقصيدته الرائيَّة ويقال: إنّه قالها ارتجالاً وهي قوله:

قف بـالـديـار وقـوف زائـرْ . . . .

فمضى فيها حتى انتهى إلى قوله:

مـاذا عـلـيـك مـن الـوقـو ف بهـا وإنّـك غيـر صـاغـرْ؟
درجـت عـلـيـك الـغـاديـا ت الـرابحـات من الأعـاصـرْ

ويقول فيها:

فـالآن صـرت إلـى امـيَّـ ـة والامـور إلى الـمـصـائـرْ

فجعل هشام يغمز مسلمة بقضيب في يـده فيقول: إسمـع إسمع. ثمَّ استأذنه في مرثية ابنه معاوية فأذن له فيها فأنشده قوله:

سـأبكيك للدنيـا وللدين إنَّني رأيت يد المعروف بعدك شلّتِ
أدامت عليكم بـالسّلام تحيَّة مـلائكـة الله الكـرام وصلّتِ

فبكى هشام بكاءً شديداً فوثب الحاجب فسكّتـه، ثمَّ جاء الكميت إلى منزله آمناً فحشدت له المضريَّة بالهدايا، وأمر له مسلمة بعشرين ألف درهم، وأمر له هشام بأربعين ألف درهم، وكتب إلى خالد بأمانه وأمان أهل بيته وأنَّه لا سلطان له عليهم. قال: وجمعت له بنو اميَّة فيما بينها مالاً كثيراً، ولم يجمع من قصيدته تلك يومئذٍ إلّا ما حفظه الناس منها فأُلِّف وسُئل عنها فقال: ما أحفظ منها شيئاً إنّما هو كلام ارتجلته.

وفي رواية: إنّه لَمّا أجاره مسلمة بن هشام وبلغ ذلك هشاماً دعا به وقال

له: أتُجير على أمير المؤمنين بغير أمره؟ فقال: كلّا ولكنّي انتظرت سكون غضبه. قال: أحضرنيه الساعة فإنّه لا جوار لك. فقال مسلمة للكميت: يا أبا المستهلّ، إنّ أمير المؤمنين قد أمرني بإحضارك. قال أتسلمني يا أبا شاكر؟ قال: كلّا ولكنّي أحتال لك. ثمّ قال له: إنّ معاوية بن هشام مات قريباً وقد جزع عليه جزعاً شديداً فإذا كان من الليل فاضرب رواقك على قبره وأنا أبعث إليك بنيه يكونون معك في الرواق، فإذا دعا بك تقدّمت عليهم أن يربطوا ثيابهم بثيابك ويقولون: هذا استجار بقبر أبينا ونحن أحقّ بإجارته. فأصبح هشام على عادته متطلّعاً من قصره إلى القبر فقال: ما هذا؟ فقالوا: لعلّه مستجيرٌ بالقبر. فقال: يُجار مَن كان إلّا الكميت فإنّه لا جوار له. فقيل: فإنّه الكميت. فقال: يُحضر أعنف إحضار. فلمّا دعى به ربط الصبيان ثيابهم بثيابه، فلمّا نظر هشام إليهم إغرورقت عيناه واستعبر وهم يقولون: يا أمير المؤمنين إستجار بقبر أبينا وقد مات ومات حظّه من الدنيا فاجعله هبةً له ولنا ولا تفضحنا في مَن استجار به. فبكى هشام حتى انتحب ثمّ أقبل على الكميت فقال له: يا كميت! أنت القائل:

وإلّا فقولوا غيرها تتعرّفوا ... نواصيها تُروى بنا وهي شزّب[١]

فقال: لا والله أتان من أُتن الحجاز وحشيّة. فقال الكميت: الحمد لله. قال هشام: نعم الحمد لله. ما هذا؟ قال الكميت: مبتدىء الحمد ومبتدعه، الذي خصّ بالحمد نفسه، وأمر به ملائكته، وجعله فاتحة كتابه، ومنتهى شكره، وكلام أهل جنّته، أحمد حمد مَن علم يقيناً، وأبصر مُستبيناً، وأشهد له بما شهد به لنفسه، قائماً بالقسط وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده العربيّ، ورسوله الاميّ، أرسله والناس في هفوات حيرة، ومُدلهمّات ظلمة، عند استمرار ابهة الضلال، فبلّغ عن الله ما أُمر به، ونصح لامّته، وجاهد في سبيله، وعبد ربّه حتّى أتاه اليقين، صلّى الله عليه وسلّم. ثمّ تكلّم واعتذر عن هجائه

---

(١) تروى: أي ترمى. تشازب القوم على الامر. أي كان لكل واحد منهم حظ ينتظره يقال: هم متشازبون.

بني اميَّة وأنشد أبياتاً من رائيَّته في مدحهم فقال له هشام: ويلك يا كميت مَن زيَّن لك الغوايه ودلاك في العماية؟ قال: الّذي أخرج أبانا من الجنّة وأنساه العهد فلم يجد له عزماً. فقال له: إيه يا كميت! ألست القائل؟:

فيا موقداً ناراً لغيرك ضوؤها ... ويا حاطباً في غير حبلك تحطبُ

فقال: بل أنا القائل:

إلى آل بيت أبي مالك ... مناخٌ هو الأرحب الأسهلُ
نمتّ بأرحامنا الداخلا ... ت من حيث لا يُنكر المدخلِ
بمرَّة والنضر والمالكين ... رهطٌ هم الأنبل الأنبلُ
وجدنا قريشاً قريش البطاح ... على ما بنى الأوَّل الأوَّلُ
بهم صلح الله بعد الفساد ... وحيص من الفتق ما رعبلوا[1]

قال له: وأنت القائل:

لا كعبد المليك أو كوليد ... أو سليمان بعدُ أو كهشامِ
مَن يمت لا يمت فقيداً ومن يحـ ... ـي فلا ذو إلّ ولا ذو ذمامِ

ويلك يا كميت جعلتنا ممّن لا يرقب في مؤمن إلّاً ولا ذمةً. فقال: بل أنا القائل يا أمير المؤمنين:

فالآن صرت إلى اميَّـ ... ـة والامور إلى المصائرْ
والآن صرت بها إلى المصيـ ... ـب كمهتدٍ بالأمس حائرْ
فقل لبني اميَّة حيث حلّوا ... وإن خفتَ المهنَّد والقطيعا
أجاع الله مَن أشبعتموه ... وأشبع مَن بجوركمُ أُجيعا
بمرضيِّ السياسة هاشميّ ... يكون حياً لأمّته ربيعا

---

(١) حاص حيصاً: عدل وحاد. رعبلوا: مزقوا.

فقال: لا تثريب يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تمحو عنّي قولي الكاذب.
قال: بما ذا؟ قال بقولي الصادق:

أورثته الحصان امّ هشام ... حسباً ثاقباً ووجهاً نضيرا
وتعاطى به ابن عائشة البد ... ر فأمسى له رقيباً نظيرا
وكساه أبو الخلائف مروا ... ن سناء المكارم المأثورا
لم تجهّم[1] له البطاح ولكن ... وجدتها له مَعاناً[2] ودورا

وكان هشام متّكئاً فاستوى جالساً وقال: هكذا فليكن الشعر. يقولها لسالم ابن عبدالله بن عمر وكان إلى جانبه ثمّ قال: قد رضيت عنك يا كميت فقبّل يده وقال: يا أمير المؤمنين، إن رأيت أن تزيد*في تشريفي فلا تجعل لخالد عليّ إمارة. قال: قد فعلت. وكتب بذلك وأمر له بأربعين ألف درهم وثلاثين ثوباً هشاميّة وكتب إلى خالد أن يخلّي سبيل إمرأته ويُعطيها عشرين ألف درهم وثلاثين ثوباً. ففعل ذلك.

الأغاني ج ١٥ ص ١١٥- ١١٩، العقد الفريد ج ١ ص ١٨٩.

كان هشام بن عبد الملك مشغوفاً بجارية له يقال لها (صدوف) مدنيّة اشتريت له بمال جزيل فعتب عليها ذات يوم في شيء وهجرها وحلف أن لا يبدأها بكلام، فدخل عليه الكميت وهو مغمومٌ بذلك فقال: ما لي أراك مغموماً يا أمير المؤمنين لاغمّك الله. فأخبره هشام بالقصّة فأطرق الكميت ساعةً ثمّ أنشأ يقول:

أعتبتَ أم عتبتْ عليك (صدوف) ... وعتابُ مثلك مثلها تشريفُ
لا تقعدنّ تلوم نفسك دائباً ... فيها وأنت بحبِّها مشغوفُ
إنّ الصريمة لا يقوم بثقلها ... إلّا القويّ بها وأنت ضعيفُ

---

(١) تجهم له: استقبله بوجه عبوس كريه.
(٢) المعان بفتح الميم: المنزل. يقال: هم منك بمعان. أي: بحيث تراهم بعينك.

فقال هشام: صدقت والله ونهض من مجلسه فدخل إليها ونهضت إليه فاعتنقته، وانصرف الكميت فبعث إليه هشام بألف دينار وبعثت إليه بمثلها.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٢]

الكميت ويزيد بن عبد الملك

حدّث حُبيش بن الكميت قال: وفد الكميت على يزيد بن عبد الملك فدخل عليه يوماً وقد اشتريت له سلامة القس فأُدخلت إليه والكميت حاضرٌ فقال له: يا أبا المستهلّ هذه جاريةٌ تُباع أفترى أن نبتاعها؟ فقال، أي والله يا أمير المؤمنين، وما أرى أنَّ لها مثيلاً فلا تفوتنّك. قال فصفها لي في شعر حتّى أقبل رأيك. فقال الكميت:

هي شمس النهار في الحسن إلاّ أنَّهـا فُضِّلت بفتك الـطرافِ
غَضَّـةٌ بضَّـةٌ رخيمٌ لـعـوبٌ وعثة المتن ثخنة الأطـراف[1]
زانـهـا دلّـهـا وثغـرٌ نقيٌّ وحـديثٌ مـرتّـلٌ غير جـافِ
خُلقت فـوق مُنيـة المتمنّي فاقبل النصح يا بن عبد منافِ

قال: فضحك يزيد وقال: قد قبلنا نصحك يا أبا المستهلّ. فأمر له بجائزة سنيّة.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٢]

(وللكميت مع خالد) بن عبدالله القسري أخبارٌ عند قدومه الكوفة منها: أنَّه مرَّ وقد تحدَّث الناس بعزله عن العراق فلمّا جاز تمثّل الكميت وقال:

أراها وإن كانت تحبُّ كأنّهـا سحابة صيف عن قليل تُقشّع

فسمعه خالد فرجع وقال: أما والله لا تنقشع حتّى يغشاك منها شؤبوب

---

(١) الغض: الطريء الناعم. يقال: شباب غض. أي: ناضر. البضة: رقيقة الجلد ناعمة في السمن. الرخيم من رخمت الجارية: صارت سهلة المنطق فهي رخيمة ورخيم. الوعث: الهزال: ثخن: غلظ.

برد، ثمَّ أمر به فجرِّد وضُرب مائة سوط، ثمَّ خلّى عنه ومضى (رواه ابن حبيب).

[الأغاني ج ١٥ ص ١١٩]

(ومن ملح الكميت): إنَّ الفرزدق مرَّ به وهو ينشد والكميت يومئذ صبيٌّ فقال له الفرزدق أيسرُّك انّي أبوك فقال: لا، ولكن يسرني أن تكون امّي فحصر الفرزدق فأقبل على جلسائه وقال. ما مرَّ بي مثل هذا قطّ.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢٣]

ولادته وشهادته

وُلد الكميت في سنة الستِّين، عام شهادة الإمام السبط الشهيد صلوات الله عليه وعاش عيشة مرضيَّة سعيداً في دنياه، باذلاً كلّه في سبيل ما اختاره له ربّه، داعياً إلى سنن الهدى حتّى أُتيحت له الشهادة ببركة دعاء الإمام زين العابدين عليه السّلام له بها، وبعين الله ما هُريق من دمه الطاهر وذلك بالكوفة في خلافة مروان بن محمّد سنة ١٢٦.

وكان سبب موته ما حكاه حجر بن عبد الجبّار قال: خرجت الجعفريّة[1] على خالد القسري وهو يخطب على المنبر ولا يعلم بهم فخرجوا في التبابين ينادون: لبّيك جعفر، لبّيك جعفر، وعرف خالد خبرهم وهو يخطب فدهش بهم فلم يعلم ما يقول فزعاً فقال: أطعموني ماءً ثمَّ خرج الناس إليهم فأُخذوا فجعل يجيء بهم إلى المسجد ويُؤخذ طنُّ قصب فيُطلى بالنفط ويُقال للرجل منهم: احتضنه. ويُضرب حتّى يفعل ثمَّ يحرق فحرقهم جميعاً، فلمّا عُزل خالدٌ عن العراق ووليه يوسف بن عمر دخل عليه الكميت وقد مدحه بعد قتله زيد بن عليّ فأنشده قوله فيه:

خرجت لهم تمشي البراح ولم تكن ... كمن حصنه فيه الرتاج المضبَّبُ
وما خالدٌ يستطعم الماء فاغراً ... بعدلك والداعي إلى الموت ينعبُ

(١) هم المغيرة بن سعيد وبيان وأصحابهما الست وكانوا يسمون: الوصفاء.

قال والجند قيامٌ على رأس يوسف بن عمر وهم ثمانية فتعصّبوا لخـالد فوضعوا نعال سيوفهم في بطن الكميت فوجؤوه بها وقالوا: أتنشد الأمير ولم تستأمره؟ فلم يزل ينزف الدم حتى مات.

[الأغاني ج ١٥ ص ١٢١]

وحدّث المستهلّ[١] بن الكميت قال حضرت أبي عند الموت وهو يجود بنفسه وأُغمي عليه ثمَّ أفاق ففتح عينيه ثمَّ قال: اللهمَّ آل محمّـد، اللهمّ آل محمّد، اللهمّ آل محمّد. ثلاثاً ثمّ قال: يا بُنيَّ وددت أنّي لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت بهذا البيت وهو:

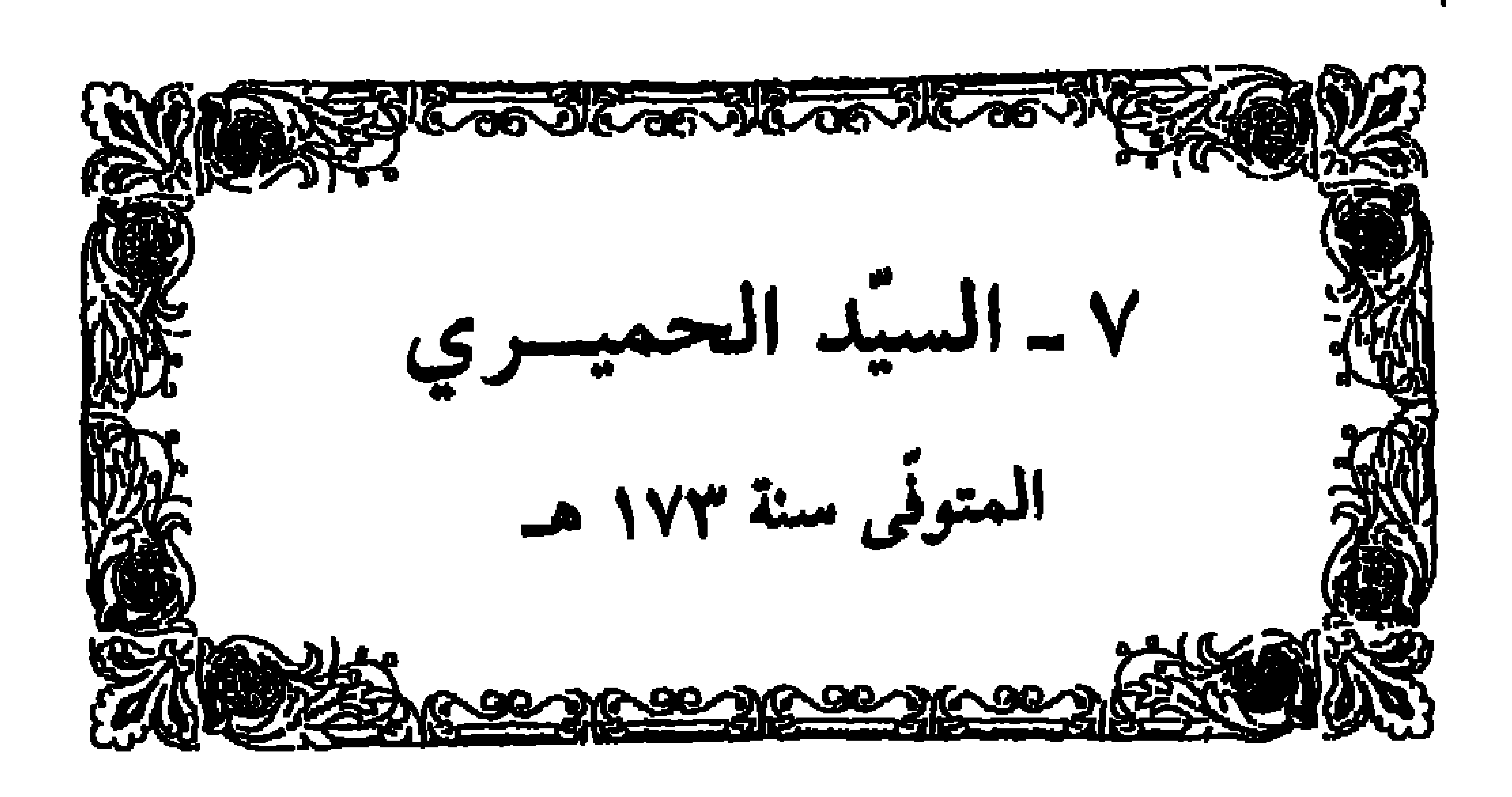
مع العضروط والعسفاء ألقوا　　　بـرادعهنّ غيـر محصّنينـا

فعممتهنَّ قذفاً بالفجور، والله ما خرجت ليـلاً قطُّ إلاّ خشيت أن أُرمى بنجوم السماء لذلك. ثمّ قال: يا بُنيَّ إنّه بلغني في الروايات: إنّه يُحفر بظهر الكوفة خندقٌ، ويُخرجٍ فيه الموتى من قبورهم، ويُنبشون منها فيُحوَّلون إلى قبور غير قبورهم. فلا تدفني في الظهر ولكن إذا متُّ فامض بي إلى موضع يقال له: «مكران» فادفنّي فيه. فدفن في ذلك الموضع وكان أوَّل من دُفن فيه وهو مقبرةُ بني أسد إلى الساعة.

«الأغاني» ج ١٥ ص ١٣٠، «المعاهد» ج ٢ ص ١٣١.

---

(١) كان المستهل من الشعراء المعروفين وله ديوان كما في فهرست ابن النديم ص ٢٣٣.



٧ ـ السيّد الحميري

المتوفّى سنة ١٧٣ هـ

١

يا بائع الدين بدنياه ... ليس بهذا أمر الله
من أين أبغضتَ عليَّ الوصيَّ؟ ... وأحمد قد كان يرضاه
مَن الّذي أحمدُ في بينهم ... يوم «غدير الخمِّ» ناداه؟
أقامه من بين أصحابه ... وهم حواليه فسمّاه
: هذا عليُّ بن أبي طالب ... مولى لمن قد كنت مولاه
فوال مَن والاهُ يا ذا العلا ... وعاد مَن قد كان عاداه

٢

هلاّ وقفت على المكان المُعشبِ ... بين الطويلع فاللوى من كبكبِ

ويقول فيها:

وبخمّ إذ قال الإله بعزمه: ... قم يا محمّد في البريّة فاخطب
وانصب أبا حسن لقومك إنّه ... هادٍ وما بلّغت إن لم تنصب
فدعاه ثمَّ دعاهُمُ فأقامه ... لهُمُ فبين مصدِّق ومكذِّب
جعل الولاية بعده لمهذَّب ... ما كان يجعلها لغير مهذَّب
وله مناقبُ لا تُرام متى يُرد ... ساعٍ تناول بعضها بتذبذب
إنّا ندين بحبِّ آل محمّد ... ديناً ومَن يُحبّهمُ يستوجب
منّا المودّة والولاء ومن يُرد ... بدلاً بآل محمّد لا يُحبب
ومتى يمت يرد الجحيم ولا يرد ... حوض الرسول وإن يُرده يُضرب

ضرب المحاذر أن تعر ركابه بالسوط سالفة البعير الأجرب
وكأنَّ قلبي حين يذكر أحمداً ووصيَّ أحمد نيط من ذي مخلب
بذرى القوادم من جناح مصعِّد في الجوِّ أو بذرى جناح مصوب
حتّى يكاد من النزاع إليهما يفري الحجاب عن الضلوع القلّب
هبة وما يهب الإلّه لعبده يزدد ومهما لا يهب لا يوهب
يمحو ويُثبت ما يشاء وعنده علم الكتاب وعلم ما لم يكتب

هذه القصيدة ذات ١١٢ بيتاً تسمّى بالمذهَّبة شرحها سيِّد الطائفة الشريف المرتضى علم الهدى وطبع بمصر سنة ١٣١٣ وقال في شرح قوله:

وانصب أبا حسن لقومك إنَّه هادٍ وما بلّغت إن لم تنصب

هذا اللفظ يعني (النصب) لا يليق إلّا بالإمامة والخلافة دون المحبّة والنصرة، وقوله: جعل الولاية بعده لمهذّب: صريحٌ في الإمامة لأنَّ الإمامة هي التي جعلت له بعده والمحبّة والنصرة حاصلتان في الحال وغير مختصّين بعد الوفاة.

وشرحها أيضاً الحافظ النسّابة الأشرف بن الأغر المعروف بتاج العُلى الحسيني المتوفّى سنة ٦١٠.

٣

خف يا محمَّد فالق الإصباح وأزل فساد الدين بالإصلاح
أتسبُّ صنو محمّد ووصيّه؟ ترجو بذاك الفوز بالإنجاحِ
هيهات قد بعدا عليك وقرِّبا منك العذاب وقابض الأرواحِ
أوصى النبيُّ له بخير وصيّة يوم « الغدير » بأبين الإفصاحِ
مَن كنت مولاهُ فهذا واعلموا مولاهُ قول إشاعة وصراحِ
قاضي الديون ومرشدٌ لكُم كما قد كنت أرشد من هدى وفلاحِ
أغويت أمّي وهي جدّ ضعيفة فجرت بقاع الغيِّ جري جماحِ
بالشتم للعَلم الإمام ومن له إرث النبيِّ بأوكد الإيضاحِ

إنّي أخاف عليكما سخط الّـذي ... أرسى الجبال بسبسب صحصاح
أبـويَّ فـاتّقيـا الإلـه وأذعنـا ... للحقِّ(١)

هذه الأبيات رواها المرزباني، كتبها السيِّد إلى والديه يدعوهما إلى التشيّع وولاء أمير المؤمنين وينهاهما عن سبّه وكانا أباضيِّين.

٤

إذا أنـا لم أحفظ وصـاة محمّـد ... ولا عهده يوم «الغـديـر» مؤكّـدا
فإنّي كمن يشري الضلالة بالهدى ... تنصّر من بعد الهـدى أو تهوّدا
وما لي وتيمـاً أو عـديّـاً وإنّمـا ... أولـو نعمتى في الله من آل أحمـدا
تتمُّ صـلاتـي بـالصّـلاة عـليهـمُ ... وليست صـلاتي بعـد أن أتشهّـدا
بكـاملة إن لـم أُصلِّ عليـهـمُ ... وأدعـو لهم ربّـاً كـريمـاً ممجّـدا
بذلت لهم ودّي ونُصحي ونُصرتي ... مدى الدهر ما سُمّيت يا صاح سَيِّدا
وإنَّ امرأً يُلحى على صدق ودِّهم ... أحقُّ وأولى فيهـم أن يُفنّـدا
فـإن شئتَ فاختـر عاجـل الغمِّ ظلّة ... وإلّا فـأمسك كي تُصـان وتُحمـدا

هذه القصيدة يوجد منها ٢٥ بيتاً. روى أبـو الفرج في «الأغـاني» ج ٧ ص ٢٦٢: إنّ أبا الخلّال العتكي دخل على عقبة بن سلم والسيِّد عنده وقد أمر له بجائزة وكان أبو الخلّال شيخ العشيرة وكبيرها فقال له: أيّها الأمير، أتعطي هذه العطايا رجلاً ما يفتر عن سبِّ أبي بكر وعمر ؟ فقال له عقبة: ما علمت ذاك ولا أعطيته إلّا على العشرة والمودّة القديمة وما يوجبه حقّه وجواره مع ما هو عليه من موالاة قوم يلزمنا حقّهم ورعايتهم. فقال له أبو الخلّال: فمره ان كان صادقاً أن يمدح أبا بكر وعمر حتى نعرف براءته مما يُنسب إليه من الرفض. فقال: قد سمعك فإن شاء فعل. فقال السيِّد:

إذا أنا لم أحفظ وصاة محمّد.

---

(١) هكذا وجدناه بياضاً في الأصل.

إلى آخر الأبيات، ثمَّ نهض مغضباً فقام أبـو الخلّال إلى عقبـة فقال: أعذني من شرّه أعاذك الله من السوء أيّها الأمير، قـال: قد فعلت على أن لا تعرض له بعدها.

٥

قد أطلتم في العذل والتنقيـدِ بهـوى السيِّد الإمـام السديـدِ

يقول فيها:

يـوم قـام النبيُّ في ظـلِّ دَوح والورى في وديقة صيخـودِ[1]
رافعـاً كفَّـه بيمـنى يـديـه بـايحاً بـاسمه بصـوت مديـدِ
أيّهـا المسلمـون هـذا خليلي ووزيـري ووارثي وعقيـدي
وابن عمّي ألا فمن كنت مولاه فهـذا مولاه فـارعـوا عهـودي
وعليٌّ منّي بمنـزلـة هـارون بن عمـران من أخيـه الـودودِ

٦

أجـدّ بـآل فـاطمـة البكـورُ فـدمـع العين منهلٌ غـزيـرُ

يقول فيها:

لقـد سمعـوا مقـالتـه بخمٍّ غـداة يضمّهم وهـو الغـديرُ
فمن أولى بكم منكم فقـالـوا مقـالـة واحـدٍ وهم الكثيـرُ
جميعـاً: أنت مـولانـا وأولى بنـا منّـا وأنت لنـا نـذيـرُ
فـإنَّ وليّكـم بعـدي علـيٌّ ومـولاكم هو الهـادي الوزيـرُ
وزيري في الحياة وعند موتي ومن بعـدي الخليفـة والأميـرُ
فـوال الله مـن والاه منكـم وقـابله لدى المـوت السـرور
وعـاد الله من عـاداه منكم وحلَّ به لـدى الموت النشـورُ

---

(١) الوديقة: شدة الحر. والصيخود: شديد الحر. يقال: يوم صيخود وصخدان.

٧

ألا الحمد لله حمداً كثيراً ... وليُّ المحامد ربّاً غفوراً
هداني إليه فوحّدته ... وأخلصت توحيده المستنيرا

ويقول فيها:

لذلك ما اختاره ربّه ... لخير الأنام وصيّاً ظهيرا
فقام بخمّ بحيث «الغدير» ... وحطَّ الرحال وعافَ المسيرا
وقُمَّ له الدوح ثمَّ ارتقى ... على منبر كان رحلاً وكورا
ونادى ضحى باجتماع الحجيج ... فجاؤا إليه صغيراً كبيرا
فقال وفي كفِّه حيدرٌ ... يُليح إليه مُبيناً مُشيرا
ألا إنّ من أنا مولى له ... فمولاه هذا قضاً لن يجورا
فهل أنا بلّغت؟ قالوا: نعم ... فقال: اشهدوا غُيَّباً أو حضورا
يبلّغ حاضركم غائباً ... وأُشهد ربِّي السميع البصيرا
فقوموا بأمر مليك السما ... يبايعه كلٌّ عليه أميرا
فقاموا لبيعته صافقين ... أكفّاً فأوجس منهم نكيرا
فقال: إلٰهيَ وال الوليّ ... وعاد العدوّ له والكفورا
وكن خاذلاً للأولى يخذلون ... وكن للأولى ينصرون نصيرا
فكيف ترى دعوة المصطفى ... مُجاباً بها أو هباءاً نثيرا؟؟!!
أُحبّك يا ثاني المصطفى ... ومن أشهد الناس فيه الغديرا
وأشهد أنَّ النبيَّ الأمين ... بلّغ فيك نداءاً جهيرا
وإنَّ الّذين تعادوا عليك ... يُصلون ناراً وساءت مصيرا

٨

قف بالديار وحيِّهنَّ ديارا ... واسق الرسوم المدمع المدرارا
كانت تحلُّ بها النوار وزينب ... فرعى إلٰهي زينباً ونوارا
قل للذي عادى وصيَّ محمّد ... وأبان لي عن لفظه إنكارا

يقول فيها:

مَن خاصفٌ نعلِ النبيِّ محمّد ... يُرضي بذاك الواحد الغفّارا
فيقول فيه معلناً خير الورى ... جهراً وما ناجى به إسرارا
هذا وصيّي فيكمُ وخليفتي ... لا تجهلوه فترجعوا كفّارا
وله بيوم «الدَّوح» أعظم خطبة ... أدّى بها وحي الإلّه جهارا

٩

بلغ سوّار بن عبد الله العنبري قاضي البصرة قول شاعرنا السيِّد الحميري في حديث الطائر المشويِّ المتَّفق عليه:

لَمّا أتى بالخبر الأنبل ... في طائر أُهدي إلى المرسلِ
في خبر جاء أبانٌ به ... عن أنس في الزمن الأوَّلِ
هذا وقيس الحَبر يرويه عن ... سفينة ذي القلْب الحوَّلِ
سفينةٌ يمكن من رشده ... وأنسٌ خان ولم يعدلِ
في ردِّه سيِّد كلِّ الورى ... مولاهُم في المحكم المنزلِ
فصدَّه ذو العرش عن رشده ... وشانه بالبرص الأنكلِ

فقال سوّار: ما يدع هذا أحداً من الصحابة إلّا رماه بشعر يُظهر عواره. وأمر بحبسه فاجتمع بنو هاشم والشيعة وقالوا له: والله لئن لم تُخرجه وإلّا كسرنا الحبس وأخرجناه أيمتدحك شاعرٌ فتثيبه ،ويمتدح أهل البيت شاعرٌ فتحبسه؟؟!! فأطلقه على مضض فقال يهجوه:

قولا لسوَّار أبي شملة ... : ياواحداً في النوك والعار
ما قلت في الطير خلاف الذي ... رويته أنت بآثار
وخبر المسجد إذ خصَّه ... محلّلًا من عرصة الدار
إن جنباً كان وإن طاهراً ... في كلِّ إعلان وإسرار
وأخرج الباقين منه معاً ... بالوحي من إنزال جبّار
حبا عليّاً وحسيناً معاً ... والحسن الطهر لأطهار

وفاطماً أهل الكساء الأولى ... خصّوا بإكرام وايثار
فمبغض الله يرى بغضهم ... يصير للخزي وللنّار
عليه من ذي العرش في فعله ... وسمٌ يراه العائب الزاري
وأنت يا سُوّار رأسٌ لهم ... في كلّ خزي طالب الثار
تعيب من آخاه خير الورى ... من بين أطهار وأخيار
وقال في «خمّ» له معلناً ... ما لم يُلقّوه بإنكار
من كنت مولاه فهذا له ... مولى فكونوا غير كفّار
فعوّلوا بعدي عليه ولا ... تبغوا سراب المهمه الجاري

وقال يهجو سوّار القاضي بعد موته:

يا من غدا حاملاً جثمان سوّارِ ... من داره ظاعناً منها إلى النّار
لا قدّس الله روحاً كان هيكلها ... لقد مضت بعظيم الخزي والعارِ
حتّى هوت قعر بيروت معذّبة ... وجسمه في كنيف بين أقذارِ
لقد رأيت من الرّحمن معجبة ... فيه وأحكامه تجري بمقدارِ
فاذهب عليك من الرّحمن بَهلته ... يا شرّ حيّ يراه الواحد الباري
يا مبغضاً لأمير المؤمنين وقد ... قال النبيُّ له من دون إنكارِ
يوم الغدير وكلُّ الناس قد حضروا ... مَن كنت مولاه في سرّ وإجهارِ
هذا أخي ووصيّي في الأمور ومَن ... يقوم فيكم مقامي عند تذكاري
يا ربّ عاد الذي عاداه من بشر ... وأصله في جحيم ذات إسعارِ
وأنت لا شكَّ عاديت الإلّه به ... فيا جحيمُ ألا هبّي لِسوّارِ

١٠

لأمّ عمرو باللّوى مربعُ ... طامسةٌ أعلامها بلقعُ
تروع عنها الطير وحشيّةٌ ... والوحش من خيفته تفزعُ
رقشٌ يخاف الموت من نفشها ... والسمُّ في أنيابها منقعُ
برسم دار ما بها مونسُ ... إلّا صلالٌ في الثرى وُقّعُ
لَمّا وقفتُ العيس في رسمها ... والعين من عرفانه تدمعُ

ذكرتُ مَن قد كنت ألهو به فبتُّ والقلب شجٌ موجعُ
كأنَّ بالنار لما شفَّني من حبِّ أروى كبدي لُذَّعُ
عجبت من قوم أتوا أحمداً بخطَّة ليس لها موضعُ
قالوا له: لو شئتَ أعلمتنا إلى مَن الغايةُ والمفزعُ
إذا توفّيت وفارقتنا وفيهمُ في الملك مَن يطمعُ
فقال: لو أعلمتكم مفزعاً كنتم عسيتم فيه أن تصنعوا
صنيع أهل العجل إذ فارقوا هارون فالترك له أوسعُ
وفي الّذي قال بيانٌ لمن كان إذا يعقل أو يسمعُ
ثمَّ أتته بعد ذا عزمةٌ من ربِّه ليس لها مدفعُ
بلّغ وإلاّ لم تكن مبلغاً والله منهم عاصمٌ يمنعُ
فعندها قام النبيُّ الّذي كان بما يؤمر به يصدعُ
يخطب مأموراً وفي كفِّه كفُّ عليٍّ ظاهرٌ تلمعُ
رافعها أكرم بكفٍّ الّذي يرفع والكفُّ الّذي تُرفعُ
يقول والأملاك من حوله والله فيهم شاهدٌ يسمعُ
مَن كنت مولاه فهذا له مولىً فلم يرضوا ولم يقنعُ
فاتّهموه وحنت فيهمُ على خلاف الصّادق الأضلعُ
وضلَّ قومٌ غاضهم فعله كأنّما آنافهم تُجدعُ
حتّى إذا واروه في لحده وانصرفوا عن دفنه ضيَّعوا
ما قال بالأمس وأوصى به واشتروا الضرَّ بما ينفعُ

القصيدة ٥٤ بيتاً

ما يتبع الشعر

عن فضيل الرسّان قال: دخلت على جعفر بن محمَّد عليه السلام، أُعزّيه عن عمِّه زيد ثمَّ قلت: ألا أُنشدك شعر السيِّد؟ فقال: أنشد. فأنشدته قصيدة يقول فيها:

فالناس يوم البعث راياتهم خمسٌ فمنها هالكٌ أربعُ

قائدها العجل وفرعونهم وسامريُّ الامَّة المفظعُ
ومارقٌ من دينه مخرجٌ أسود عبد لكّع أوكعُ
ورايةٌ قائدها وجهه كأنّه الشمس إذا تطلعُ

فسمعت نحيباً من وراء الستور فقال: مَن قائل هذا الشعر؟ فقلت: السيِّد. فقال: رحمه الله فقلت: جعلت فداك إنّي رأيته يشرب الخمر. فقال: رحمه الله فما ذنب على الله أن يغفره لآل عليّ، إنَّ محبَّ عليٍّ لا تزلُّ له قدمٌ إلاّ ثبتت له اخرى.

الأغاني ج ٧ ص ٢٥١.

ورواه أيضاً في الأغاني ج ٧ ص ٢٤١ وفيه: فسألني لمن هي؟ فأخبرته أنَّها للسيِّد وسألني عنه فعرَّفته وفاته(١) فقال: رحمه الله. قلت: إنّي رأيته يشرب النبيذ في الرستاق قال: أتعني الخمر؟ قلت: نعم. قال: وما خطر ذنب عند الله أن يغفره لمحبِّ عليٍّ عليه السّلام؟!.

وروى الحافظ المرزباني في «أخبار السيِّد» عن فُضيل قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السّلام بعد قتل زيد فجعل يبكي ويقول: رحم الله زيداً إنّه للعالم الصدوق، ولو ملك أمراً لعرف أين يضعه. فقلت: انشدك شعر السيِّد؟ فقال: أمهل قليلاً. وأمر بستور فسدلت وفتحت أبوابٌ غير الأولي ثمَّ قال: هات ما عندك. فأنشدته:

لامّ عمرو باللّوى مربعُ

وذكر ١٣ بيتاً

فسمعت نحيباً من وراء الستور ونساء تبكين فجعل يقول: شكراً لك يا إسماعيل قولك. فقلت له: يا مولاي انّه يشرب نبيذ الرساتيق. فقال: يلحق مثله التوبة ولا يكبر على الله أن يغفر الذنوب لمحبّنا ومادحنا.

---

(١) هذه الكلمة دخيلة لا تتم إذ الحميري توفّي بعد وفاة الصادق عليه السلام بستين سنة. ولا توجد هي في رواية المرزباني والكشي.

ورواه الكشّي في رجاله ص ١٨٤ بتغيير يسير في بعض ألفاظه.

وروى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥١ عن زيد بن موسى بن جعفر عليهما السّلام أنّه قال: رأيت رسول الله ﷺ في النوم وقدّامه رجلٌ جالسٌ عليه ثياب بيض فنظرت عليه فلم أعرفه إذ التفت إليه رسول الله فقال: يا سيد! أنشدني قولك:

لامٌ عمرو باللّوى مربعُ   طامسةٌ أعلامها بلقعُ

فأنشده إيّاها كلّها ما غادر منها بيتاً واحداً فحفظتها عنه كلّها في النوم، قال أبو إسماعيل: وكان زيد بن موسى لحّانة رديء الإنشاد فكان إذا أنشد هذه القصيدة لم يتتعتع فيها ولم يلحن. وهذا الحديث رواه الحافظ المرزباني في أخبار السيِّد.

وفي «الأغاني» ج ٧ ص ٢٧٩ عن أبي داود المسترقّ عن السيِّد أنّه رأى النبيّ ﷺ في النوم فاستنشده فأنشده قوله:

لامّ عمرو باللّوى مربعُ   طامسةٌ أعلامها بلقعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له: لو شئت أعلمتنا   إلى مَن الغاية والمفزعُ

فقال: حسبك. ثمّ نفض يده وقال: قد والله أعلمتهم.

وقال الشريف الرضي في [خصائص الأئمّة]: حُكي أنَّ زيد بن موسى بن جعفر بن محمّد عليهم السّلام رأى رسول الله ﷺ في المنام كأنّه جالسٌ مع أمير المؤمنين عليه السّلام في موضع عال شبيه بالمسناة وعليها مراقٍ فإذا منشد ينشد قصيدة السيِّد ابن محمّد الحميري هذه وأوّلها:

لامٌ عمرو باللّوى مربعُ   طامسةٌ أعلامها بلقعُ

حتى انتهى إلى قوله:

قالوا له: لو شئت أعلمتنا   إلى مَن الغاية والمفزعُ

قال: فنظر رسول الله صلّى الله عليه وآله إلى أمير المؤمنين عليه السّلام وتبسّم وقال: أو لم أُعلمهم؟ أو لم أُعلمهم؟ أو لم أُعلمهم؟ ثمّ قال لزيد: إنّك تعيش بعدد كلّ مرقاة رقيتها سنة واحدة. قال: فعددت المراقي وكان نيفاً وتسعين مرقاة، فعاش زيد نيفاً وتسعين سنة، وهو الملقّب بزيد النار.

قال العلاّمة المجلسي في «بحار الأنوار» ج ١١ ص ١٥٠: وجدت في بعض تأليفات أصحابنا أنّه روى بإسناده عن سهل بن ذبيان قال: دخلت على الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السّلام في بعض الأيّام قبل أن يدخل عليه أحدٌ من الناس فقال لي: مرحباً بك يا بن ذبيان! السّاعة أراد رسولنا أن يأتيك لتحضر عندنا. فقلت: لِماذا؟ يا بن رسول الله؟ فقال: لمنام رأيته البارحة وقد أزعجني وأرّقني. فقلت: خيراً يكون إن شاء الله تعالى. فقال: يا بن ذبيان! رأيت كأنّي قد نُصب لي سُلّمٌ فيه مائة مرقاة فصعدت إلى أعلاه. فقلت: يا مولاي! اهنّيك بطول العمر وربما تعيش مائة سنة. فقال عليه السلام ما شاء الله كان. ثمّ قال: يا بن ذبيان! فلمّا صعدت إلى أعلا السلّم رأيت كأنّي دخلت في قبّة خضراء يُرى ظاهرها من باطنها ورأيت جدّي رسول الله جالساً وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان يشرق النور من وجههما، ورأيت امرأة بهيّة الخلقة، ورأيت بين يديه شخصاً بهيّ الخلقة جالساً عنده، ورأيت رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ:

لأمّ عمرو باللّوى مربعُ طامسةٌ أعلامها بلقعُ

فلمّا رآني النبيُّ قال لي: مرحباً بك يا ولدي يا عليٌ بن موسى الرّضا! سلّم على أبيك عليّ. فسلّمت عليه، ثمّ قال لي: سلّم على امّك فاطمة الزهراء عليها السّلام فسلّمت عليها، فقال لي: فسلّم على أبويك الحسن والحسين. فسلّمت عليهما، ثمّ قال لي: وسلّم على شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا السيّد إسماعيل الحميري. فسلّمت عليه وجلست فالتفت النبيُّ إلى السيِّد إسماعيل وقال له. عُد إلى ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة فأنشد يقول:

لأمّ عمرو باللّوى مربعُ طامسةٌ أعلامها بلقعُ

فبكى النبيُّ صلّى الله عليه وآله فلمّا بلغ إلى قوله:

ووجههُ كالشمس إذ تطلعُ

بكى النبيُّ، وفاطمة ومن معه، ولمّا بلغ إلى قوله:

قالوا له: لو شئت أعلمتنا إلى مَن الغاية والمفزعُ

رفع النبيّ صلّى الله عليه وآله يديه وقال: إلٓهي أنت الشاهد عليٌّ وعليهم انّي أعلمتهم: أنَّ الغاية والمفزع عليُّ بن أبي طالب. وأشار بيده إليه وهو جالسٌ بين يديه، قال عليُّ بن موسى الرضا: فلمّا فرغ السيِّد إسماعيل الحميري من إنشاد القصيدة التفت النبيُّ إليَّ وقال لي: يا عليَّ بن موسى! إحفظ هذه‌القصيدة ومر شيعتنا بحفظها وأعلمهم أنَّ مَن حفظها وأدمن قرائتها ضمنت له الجنَّة على الله تعالى. قال الرضا: ولم يزل يُكرِّرها عليَّ حتى حفظتها منه والقصيدة هذه. ثمَّ ذكرها برمّتها.

(قال الأميني): هذا المنام ذكره القاضي الشهيد المرعشي في «مجالس المؤمنين» ص ٤٣٦ نقلاً عن رجال الكشي ولم يوجد في المطبوع منه، ولعلّ القاضي وقف على أصل النسخة الكاملة ووجده فيه، ونقله الشيخ أبو علي في رجاله (منتهى المقال) ص ١٤٣ «عن عيون الأخبار» لشيخنا الصدوق، وتبعه الشيخ المعاصر في «تنقيح المقال» ج ١ ص ٥٩، والسيِّد الأمين في «أعيان الشيعة» ج ١٣ ص ١٧٠، ولم نجده في نسخ العيون المخطوطة والمطبوعة.

ورواه شيخنا المولى محمّد قاسم الهزار جريبي في شرح القصيدة، والسيِّد الزنوزي في الروضة الأولى من كتابه الضخم الفخم «رياض الجنَّة». والسيِّد محمّد مهدي في آخر كتابه «رياض المصائب».

شروح القصيدة

شرح هذه العينيّة جمعٌ من أعلام الطائفة منهم:

١ ـ الشيخ حسين بن جمال الدين الخوانساري المتوفّى سنة ١٠٩٩.

٢ ـ ميرزا علي خان الگلپايگاني تلميذ العلاّمة المجلسي.

٣ ـ المولى محمّد قاسم الهزار جريبي المتوفّى بعد سنة ١١١٢ وقد صنّف فيها كتابه (التحفة الأحمدية) يوجد هذا الشرح في النجف الأشرف.

٤ ـ بهاء الدين محمّد بن تاج الدين الإصبهاني الشهير بالفاضل الهندي المولود سنة ١٠٦٢ والمتوفّى سنة ١١٣٥.

٥ ـ الحاج المولى محمّد حسين القزويني المتوفّى في القرن الثاني عشر.

٦ ـ الحاج المولى صالح بن محمّد البرغاني.

٧ ـ الحاج ميرزا محمّد رضا القراجة داغي التبريزي فرغ منه سنة ١٢٨٩ وطبع في تبريز سنة ١٣٠١

٨ ـ السيّد محمّد عبّاس ابن السيّد علي أكبر الموسوي المتوفّى سنة ١٣٠٦، أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر يأتي هناك شعره وترجمته.

٩ ـ الحاج المولى حسن بن الحاج محمّد إبراهيم ابن الحاج محتشم الأردكاني المتوفّى سنة ١٣١٥.

١٠ ـ الشيخ بخشعلي اليزدي الحائريّ المتوفّى سنة ١٣٢٠

١١ ـ ميرزا فضعلي ابن المولى عبد الكريم الإرواني التبريزي المتوفّى سنة نيف و١٣٣٠ مؤلّف «حدائق العارفين».

١٢ ـ الشيخ علي بن علي رضا الخوئي المتوفّى سنة ١٣٥٠.

١٣ ـ السيّد أنور حسين الهندي المتوفّى سنة ١٣٥٠.

١٤ ـ السيِّد علي أكبر ابن السيِّد رضي الرضوي القمي المولود سنة ١٣١٧.

١٥ ـ الحاج المولى علي التبريزي مؤلِّف (وقائع الأيام) المطبوع[1].

وخمَّسها جمعٌ من العلماء والأدباء منهم: شيخنا الحرُّ العاملي صاحب «الوسائل» وحفيده الشيخ عبد الغني العاملي نزيل البصرة والمتوفّى بها ومطلع تخميسه:

جواً به كأس الأسى أجرعُ ... صرفاً وأجفاني حياً تدمعُ
فاسمع حديثاً بالأسى مسمعُ ... لأمّ عمرو باللّوى مربعُ

ومنهم: الشيخ حسن بن مجلي الخطّي وأوّل تخميسه:

لا تنكروا إن جيرتي أزمعوا ... هجراً وحبل الوصل قد قطّعوا
كم دمنةٌ خاويةٌ تجزعُ ... لامٌ عمرو باللّوى مربعُ
كانت بأهل الودِّ إنسيّة ... تزهو بزهر الروض موشيّة
فأصبحت بالرغم منسيّة ... تروع عنها . . .

ومنهم: سيِّدنا السيِّد علي النقي النقوي الهندي الآتي شعره وترجمته في القرن الرابع عشر ومستهلّ تخميسه:

أتنطوي فوق الأسى الأضلعُ ... صبراً وترقى منّي الأدمعُ؟؟!!
وذاك حيث الظعن قد أزمعوا ... لامّ عمرو باللّوى مربعُ
قد ذاكرته السحب وسميّةً ... ولاعبته الريح شرقيّةً
لأرسم أصبحن منسيَّةٌ ... تروع عنها . . .

---

(١) هذه الشروح وقفت على بعضها ونقلت جملة منها عن «الذريعة» لشيخنا الرازي.

ومن غديريّات السيِّد الحميري

١١

هبَّ عليٌّ بالملام والعذلْ | وقال: كم تذكر بالشعر الأوّلْ؟!
كفَّ عن الشرِّ فقلت: لا تقل | ولا تخل أكفُّ عن خير العملْ
إنّي أُحبُّ حيدراً مُناصحاً | لمن قفا مُواثباً لمن نكلْ
أُحبُّ مَن آمن بالله ولم | يشرك به طرفة عين في الأزلْ
ومن غدا نفس الرسول المصطفى | صلّى عليه الله عند المبتهلْ
وثاني النبيِّ في يوم الكسا | إذ طهَّر الله به مَن اشتملْ
وقال: خلّفت لكم كتابه | وعترتي وكلٌّ هذين ثَقَلْ
فليت شعري كيف تخلفونني | في ذا وذا إذا أردت المرتحلْ؟
وجاء من مكّة والحجيج قد | صاحبه من كلِّ سهل وجبلْ
حتّى إذا صار بخمٍّ جاءه | جبريلُ بالتبليغ فيهم فنزلْ
وقُمَّ ذاك الدوح فاستوى على | رحلٍ ونادى بعليٍّ فارتحلْ
وقال: هذا فيكُم خليفتي | ومَن عليه في الأمور المتَّكلْ
نحن كهاتين وأوما باصبع | مِن كفِّه عن إصبعٍ لم تنفصلْ
لا تبتغوا بالطهر عنهُ بدلا | فليس فيكم لعليٍّ من بدلْ
ثمَّ أدار كفَّه لكفِّه | يرفعها منه إلى أعلا محلْ
فقال: بايعوا له وسلّموا الـ | ـأمر إليه واسلموا من الزَّللْ
ألست مولاكم؟ فذا مولى لكم | والله شاهدٌ بذا عزَّ وجلْ
يا ربِّ وال مَن يوالي حيدراً | وعاد من عاداه واخذل مَن خذلْ
يا شاهدي بلّغت ما أنزله | إليَّ جبريل وعنه لم أحلْ
فبايعوا وهنئوا وبخبخوا | والصدر مطويٌّ له على دغلْ
فقل لمن ينقم منه: ما رأى؟! | وقل لمن يعدل عنه: لِم عدلْ؟!

١٢

أعلماني أيُّ برهان جلي | فتقولان بتفضيل علي؟

بعد ما قام خطيباً معلناً … يوم «خمّ» باجتماع المحفلِ
أحمد الخير ونادى جاهراً … بمقال منه لم يفتعلِ
قال: إنَّ الله قد أخبرني … في معاريض الكتاب المنزلِ
إنّه أكمل ديناً قيماً … بعليٍّ بعد أن لم يكملِ
وهو مولاكم فويلٌ للّذي … يتولّى غير مولاه الولي
وهو سيفي ولساني ويدي … ونصيري أبداً لم يزلِ
وهو صنوي وصفيّي والّذي … حبّه في الحشر خيرُ العملِ
نوره نوري ونوري نوره … وهو بي متّصلٌ لم يفصلِ
وهو فيكم من مقامي بدلٌ … ويل من بدّل عهد البدل
قوله قولي فمن يأمره … فليُطعه فيه وليمتثلِ
إنّما مولاكُمُ بعدي إذا … حان موتي ودنا مُرتحلي
ابن عمّي ووصيّي وأخي … ومجيبي في الرَّعيل الأوَّلِ
وهو بابٌ لعلومي فسقوا … ماء صبر بنقيع الحنظلِ
فطبوا في وجهه وائتمروا … بينهم فيه بأمرٍ معضلِ

١٣

أشهد بالله وآلائه … والمرء عمّا قاله يُسألُ
أنَّ عليٍّ بن أبي طالب … خليفة الله الذي يعدلُ
وانّه قد كان من أحمد … كمثل هارون ولا مُرسلُ
لكن وصيٌّ خازنٌ عنده … علمٌ من الله به يعملُ
قد قام يوم «الدوح» خير الورى … بوجهه للنّاس يستقبلُ
وقال: مَن قد كنت مولى له … فذا له مولى لكم موئلُ
لكن تواصوا بعليٍّ الهدى … أن لا يُوالوه وأن يخذلوا

١٤

قام النبيُّ يوم خمٍّ خاطباً … بجانب الدوحات أو حيالها
فقال: من كنت له مولى فذا … مولاه ربّي اشهد مراراً قالها

قـالـوا: سمعنـا وأطعنـا كلّنـا — وأسـرعوا بـالألسن اشتغـالهـا
وجـاءهم مشيخـةٌ يقـدمهم — شيـخٌ يُهنّي حيـدراً مثـالهـا
قـال له: بـخٍ بخٍ من مثلكـا — أصبحت مولى المؤمنين يا لها
يـا عجبـاً وللزمـان عجبٌ — تلقى ذوو الفكر بـه ضـلالهـا
إنّ رجـالاً بـايعتـه إنّـمـا — بـايعت الله، فما بـدا لهـا؟!
وكيف لم تشهد رجالٌ عندما — استشهد في خطبته رجالها؟!
ونـاشـد الشيـخ َفقـال: إنّني — كبـرت حتّى لم أجد أمثـالهـا
فقـال: والكاذبُ يُـرمى بالّتي — ليس تـواري عمّـة تنـالهـا

أشار في الأبيات الأخيرة إلى ما مرّ ج ١ ص ٢٠٧ ـ ٢٢٨ و٢٣٤ ـ ٢٣٨ من حديث مناشدة أمير المؤمنين عليه السّلام في الرحبة بحديث الغدير، لمّا نوزع في خلافته وكتمان أنس بن مالك شهادته له، وإصابة دعوته عليه السّلام عليه.

١٥

لمن طللٌ كـالـوشم لم يتكلّم — ونؤيٌ وآثارٌ كترقيش معجمِ؟؟
ألاأيّهاالعاني الذي ليس في الأذى — ولااللوم عندي في عليّ بمحجمِ
ستـأتيك مني في علي مقـالةٌ — تسوؤك فاستأخر لهـا أو تقدّمِ
عليٌّ له عندي على مَن يعيبه — من الناس نصرٌ باليدين وبالفم
متى ما يُرد عندي معاديه عيبه — يجد ناصراً من دونه غير مفحمِ
عليٌّ أحبُّ النـاس إلاّ محمّداً — اليَّ فدعني من ملامـك أو لُمِ
عليٌّ وصيُّ المصطفى وابن عمّه — وأوّل مَن صلّى ووحّد فاعلمِ
عليٌّ هو الهادي الإمام الذي به — أنـار لنا من ديننـا كلَّ مـظلمِ
عليٌّ وليُّ الحوض والذائد الذي — يُذبّب عن أرجاءه كلَّ مجرمِ
عليٌّ قسيم النار من قوله لها: — ذري ذا وهذا فاشربي منه واطعمي
خذي بالشوى ممّن يصيبك منهمُ — ولا تقربي مَن كان حزبي فتظلمي
عليٌّ غـداً يُدعـا فيكسوه ربّـه — ويُـدنيه حقـاً من رفيق مكرّمِ

فإن كنت منه يوم يُدنيه راغماً ... وتُبدي الرضا عنه من الآن فارغمِ
فإنّك تلقاه لدى الحوض قائماً ... مع المصطفى الهادي النبيِّ المعظَّمِ
يُجيزان مَن والاهما في حياته ... إلى الروح والظل الظليل المكمَّمِ
عليٌّ أميـر المؤمنيـن وحقّـه ... من الله مفروضٌ على كلِّ مُسلمِ
لأنّ رسـول الله أوصى بحقّـه ... وأشركه في كـلِّ فيءٍ ومغنمِ
وزوجتـه صدّيقـةٌ لم يكن لها ... مقـارنـةٌ غيـر البتـولـة مـريمِ
وكان كهارون بن عمران عنده ... من المصطفى موسى النجيب المكلّم
وأوجب يـومـاً بـالغـديـر ولاءه ... على كلِّ برٍّ من فصيحٍ وأعجمِ
لدى دوح «خمّ» آخذاً بيمينـه ... يُنادي مبيناً باسمه لم يُجمجمِ
أما والذي يهوي إلى ركن بيته ... بشعث النواصي كلّ وجناء عيهمِ
يُوافين بالـركبان من كـلِّ بلدة ... لقد ضلَّ يوم «الدوح» من لم يسلّمِ
وأوصى إليـه يوم ولّى بـأمـره ... وميراث علم من عرى الدين محكمِ

(القصيدة يوجد منها ٤٢ بيتاً)

قال الحافظ المرزباني في «أخبار السيِّد» : إنَّ السيِّد الحميري كتب بهذه القصيدة إلى عبدالله بن أبـاض رأس الأباضيـة لمّا بلغـه أنّه يعيب على عليٍّ عليه السَّلام ويتهدَّد السيِّد بذكره عند المنصور بما يوجب قتله، فلمّا وصلت إلى ابن أباض امتعض منها جِدّاً وأجلب في أصحابه وسعى به إلى الفقهاء والقرّاء فاجتمعوا وصاروا إلى المنصور وهو بدجلة البصـرة فرفعـوا قصَّته فـأحضرهم وأحضر السيِّد فسألهم عن دعواهم، فقالوا: إنَّه يشتم السلف، ويقول بالرَّجعة، ولا يرى لك ولا لأهلك إمامة فقال لهم: دعوني أنا واقصدوا لما في أنفسكم. ثمَّ أقبل على السيِّد فقال: ما تقول فيما يقولون؟ فقال: ما أشتم أحـداً وإنّي لأترحَّم على أصحاب رسول الله ﷺ وهذا ابن أباض قل له: يترحم على عليٍّ، وعثمان، وطلحة، والزبير. فقال له: ترحَّم على هؤلاء. فتلوى (تثاقل) ساعة فحذفه المنصور بعود كان بين يديه وأمر بحبسه فمات في الحبس وأمر بمن كان معه فضُربوا بالمقارع وأمر للسيِّد بخمسة آلاف درهم.

١٦

يـا لقـومي لِلنبيِّ المصـطفى ... ولِمـا قد نـال من خير الأُممْ
جحـدوا مـا قــال في صِنـوه ... ويــوم خمٍّ بين دوح مُنتــظمْ
أيهــا النــاس فمن كنتُ لــه ... واليـاً يوجب حقّي في القـدمْ
فــعليٌّ هــو مــولاه لِـمــن ... كنت مـولاه قضـاءً قــد حُتمْ
أفــلا ينفــذ فيهم حكـمــه؟ ... عجباً يولـع في القلب الضرمْ

١٧

ألا إنّ الــوصيّــة دون شــكّ ... لخير الخلق من سامٍ وحـامِ
وقــال محمّــدٌ بغــديــر خمٍّ ... عن الـرّحمن ينطق بـاعتـزامِ
يصيـح وقـد أشـار إليه فيكم ... إشـارة غيـر مُصــغٍ للكـلامِ
ألا مـن كنـت مـولاه فهـذا ... أخي مـولاه فاستمعـوا كلامي
فقــال الشيـخ يقــدمهم إليـه ... وقد حصدت يداه من الزحامِ
ينادي: أنت مولاي ومولى الـ ... أنام. فلم عصى مولى الأنام؟!
وقــد ورث النبيُّ رداه يـومـاً ... وبــردتــه ولاثـكــة اللجـامِ

١٨

على آل الــرّسـول وأقــربيـه ... سـلامٌ كلّمـا سجـع الحمـامُ
أليسوا في السماء وهم نجـومٌ ... وهم أعـلام عزٍّ لا يُـرام؟؟!!
فيـا مَن قد تحيّـر في ضلالٍ ... أميــر المؤمـنين هــو الإمــامُ
رسـول الله يـوم «غـدير خمّ» ... أنـاف بـه وقـد حضـر الأنـامُ

تأتي القصيدة بتمامها في ترجمته. قال المعتز في طبقاته ص ٨: حكوا عن بعضهم أنّه قال: رأيت حمّالاً عليه حملٌ ثقيلٌ وقد جهده، فقلت: ما هذا؟ فقال: ميميّات السيّد.

١٩

نفسي فداء رسول الله يوم أتى ... جبريل يـأمر بـالتبليغ إعـلانا

إن لم تُبلّغ فما بلّغت فانتصب — النبيُّ ممتثلاً أمراً لمن دانا
وقال للناس: مَن مولاكُمُ قبلا — يوم الغدير؟ فقالوا: أنت مولانا
أنت الرسول ونحن الشاهدون على — أن قد نصحت وقد بيَّنت تبيانا
هذا وليّكمُ بعدي أُمرت به — حتماً فكونوا له حزباً وأعوانا
هذا أبرُّكُمُ برّاً وأكثركم — علماً وأوّلكم بالله ايماناً
هذا له قربةٌ منّي ومنزلةٌ — كانت لهارون من موسى بن عمرانا

٢٠

أتى جبرئيلٌ والنبيّ بضحوة — فقال: أقم والناس في الوخد تمحنُ
وبلّغ وإلا لم تُبلّغ رسالة — فحطَّ وحطَّ الناس ثمَّ ووطّنوا
على شجرات في الغدير تقادمت — فقام على رحل ينادي ويُعلنُ
وقال: ألا من كنت مولاه منكُمُ — فمولاه من بعدي عليٌّ فأذعنوا
فقال شقيٌّ منهمُ لقرينه — وكم من شقيٍّ يستزلُّ ويفتنُ
يمدُّ بضبعيه عليّاً وإنّه — لِما بالذي لم يُؤته لَمزيّنُ
كأن لم يكن في قلبه ثقةٌ به — فيا عجباً أنّى ومن أين يُؤمن؟؟!

٢١

منحت الهوى المحض مني الوصيّا — ولا أمنح الودَّ إلّا عليّا
دعاني النبيُّ عليه السّلام — إلى حبِّه فأجبت النَّبيّا
فعاديتُ فيه وواليته — وكنت لمولاه فيه وليّا
أقام بخمّ بحيث الغدير — فقال فأسمع صوتاً نَديّا
ألا ذا إذا متُّ مولاكُمُ — فأفهمه العُرب والأعجميّا

٢٢

به وصّى النبيُّ غداة «خُمّ» — جميع الناس لو حفظوا النَّبيّا
وناداهم: ألستُ لكم بمولى؟ — عباد الله فاستمعوا إليّا
فقالوا: أنت مولانا وأولى — بنا منّا فضمَّ له عليّا

وقال لهم بصوت جهوريّ — وأسمع صوته من كان حيًّا
فمن أنا كنت مولاهُ فإنّي — جعلت له أبا حسنٍ وليًّا
فعاد الله من عاداه منكم — وكان بمن تولّاه حفيًّا

٢٣

وقام محمّدٌ بغدير خمّ — فنادى معلناً صوتاً نديًّا
لمن وافاه من عُرب وعُجم — وحفّوا حول دوحته حنيًّا
ألا مَن كنت مولاه فهذا — له مولىً وكان به حفيًّا
إلهي عاد من عادى عليّاً — وكن لوليّه ربي وليًّا

الشاعر

أبو هاشم وأبو عامر إسماعيل بن محمّد بن يزيد بن وداع الحميري الملقّب بالسيّد «نسبه» ذكر أبو الفرج الإصبهاني وكثيرٌ من المؤرّخين: أنّه حفيد يزيد بن ربيعة مفرّغ أو ابن مفرّغ الحميري الشاعر المشهور الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب، وحبسه عبدالله بن زياد لذلك وعذّبه ثم أطلقه معاوية، لكن المرزباني نسبه إلى يزيد بن وداع وقال في كتاب «أخبار الحميري»: امّه من حُدّان[١] تزوّج بها أبوه لأنّه كان نازلاً فيهم، وامُّ هذه المرأة بنت يزيد بن ربيعة بن مفرّغ الحميري الشاعر المعروف، وليس ليزيد بن مفرّغ عقبٌ من ولد ذكر، ولقد غلط الأصمعي في نسبة السيّد إلى يزيد بن مفرّغ من جهة أبيه لأنّه جدُّه من جهة امّه. اهـ. وذكر المرزباني له في «معجم الشعراء»:

إنّي امرؤٌ حميريٌّ حين تنسبني — جدّي رعينٌ وأخوالي ذوو يزنِ
ثمّ الولاء الّذي أرجو النجاة به — يوم القيامة للهادي أبي الحسنِ[٢]

---

(١) حدان بضم المهملة إحدى محال البصرة القديمة يقال لها: بنو حدان. سميت باسم قبيلة أبوها حدان بن شمس بن عمرو من الأزد.

(٢) البيتان من أبيات له تأتي قصتها.

يُكنّى بأبي هاشم وقال شيخ الطائفة: بأبي عامر، وكان يلقّب منذ صغر سنّه بالسيِّد قال أبو عمرو الكشي في رجاله ص ١٨٦: رُوي أنَّ أبا عبدالله عليه السلام لقي السيِّد بن محمَّد الحميري وقال: سمَّتك امّك سيِّداً، وُفِّقت في ذلك، وأنت سيِّد الشعراء. ثمّ أنشد السيِّد في ذلك:

ولقد عجبت لقائل لي مرّةً ... علّامةٍ فهمٍ من الفقهاءِ
سمّاك قومك سيِّداً صدقوا به ... أنت الموفَّق سيِّد الشعراءِ
ما أنت حين تخصُّ آل محمَّد ... بالمدح منك وشاعرٌ بسواءِ
مدح الملوك ذوي الغنى لعطائهم ... والمدح منك لهم بغير عطاء
فابشر فإنَّك فائزٌ في حبِّهم ... لو قد وردت عليهمُ بجزاءِ
ما يعدل الدنيا جميعاً كلّها ... من حوض أحمد شربة من ماءِ

أبواه وقصّته معهما

روى أبو الفرج في «الأغاني» ج٧ ص ٢٣٠ بإسناده عن سليمان بن أبي شيخ: إنَّ أبوي السيِّد كانا إباضيِّين[1] وكان منزلهما بالبصرة في غرفة بني ضبَّة، وكان السيِّد يقول: طالما سُبَّ أمير المؤمنين في هذه الغرفة، فإذا سُئل عن التشيّع من أين وقع له؟ قال: غاصت عليَّ الرحمة غوصاً، وروى عن السيِّد: أنَّ أبويه لَمّا علما بمذهبه همّا بقتله فأتى عقبة بن مسلم الهنائي فأخبره بذلك فأجاره وبوَّأه منزلاً وهبه له فكان فيه حتّى ماتا فورثهما.

وروى المرزباني في [أخبار السيِّد] بإسناده عن إسماعيل بن الساحر راوية السيِّد قال: كنت أتغدّى مع السيِّد في منزله فقال لي: طال والله ما شُتم أمير المؤمنين عليه السَّلام ولُعن في هذا البيت. قلت: ومن فعل ذلك؟ قال: أبواي كانا إباضيِّين. قلت: فكيف صرت شيعيّاً؟ قال غاصت عليَّ الرحمة فاستنقذتني.

---

(١) الإباضية بكسر الهمزة أصحاب عبدالله بن اباض الذي خرج في أيام مروان بن محمد وهم قوم من الحرورية زعموا أن مخالفهم كافر، وكفروا علياً أمير المؤمنين عليه السلام، وأكثر الصحابة.

وروى المرزباني أيضاً عن حودان الحفّار ابن أبي حودان عن أبيه وكان أصدق الناس أنّه قال: شكى إليَّ السيِّد: أنَّ امّه توقظه بالليل وتقول: إني أخاف أن تموت على مذهبك فتدخل النّار، فقد لهجت بعلي وولده فلا دنيا ولا آخرة. ولقد نغصت عليَّ مطعمي ومشربي، وقد تركت الدخول إليها وقلت أنشد قصيدة منها:

إلى أهل بيت ما لمن كان مؤمناً ... من الناس عنهم في الولاية مذهبُ
وكم من شقيق لامني في هواهمُ ... وعاذلةٍ هبّت بليل تُؤنِّبُ
تقول ولم تقصد وتعتب ضلّة ... وآفة أخلاق النساء التعتّبُ
وفارقت جيراناً وأهل مودّة ... ومن أنت منه حين تُدعى وتُنسبُ
فأنت غريبٌ فيهمُ متباعدُ ... كأنك مما يتّقونك أجربُ
تعيبهم في دينهم وهمُ بما ... تدين به أزرى عليك وأعيبُ
فقلت: دعيني لن أُحبّر مدحةً ... لغيرهمُ ما حجَّ لله أركبُ
أتنهينني عن حبِّ آل محمّد؟! ... وحبّهمُ ممّا به أتقرّبُ
وحبّهمُ مثل الصّلاة وإنّه ... على الناس من بعد الصّلاة لأوجب(١)

وقال المرزباني أخبرني محمّد بن عبيدالله البصري عن محمّد بن زكريا العلائي، قال: حدّثتني (العبّاسة) بنت السيِّد قالت: قال لي أبي: كنت وأنا صبيّ أسمع أبويَّ يثلبان أمير المؤمنين عليه السّلام فأخرج عنهما وأبقى جائعاً وأوثر ذلك على الرجوع إليهما فأبيت في المساجد جائعاً لحبّي فراقهما وبغضي إيّاهما حتى إذا أجهدني الجوع رجعت فأكلت ثمّ خرجت، فلمّا كبرت قليلاً وعقلت وبدأت أقول الشعر قلت لأبويَّ: إنّ لي عليكما حقّاً يصغر عند حقّكما عليَّ فجنّباني إذا حضرتكما ذكر أمير المؤمنين عليه السّلام بسوء، فإنّ ذلك يزعجني وأكره عقوقكما بمقابلتكما، فتماديا في غيّهما فانتقلت عنهما، وكتبت إليهما شعراً وهو:

خف يا محمّد فالق الأصباحِ ... وأزل فساد الدين بالإصلاحِ

---

(١) في بعض النسخ: من بعض الصلاة لأوجب. وحق المقام أن يقول: من قبل الصلاة.

أتسبُّ صنو محمَّد ووصيه ... ترجو بذلك فوزة الإنجاحِ ؟؟!!
هيهات قد بعدا عليك وقرَّبا ... منك العذاب وقابض الأرواحِ
أوصى النبيُّ له بخير وصيَّة ... يوم «الغدير» بأبين الإفصاحِ

إلى آخر الأبيات المذكورة في غديريّاته. فتواعدني بالقتل فأتيت الأمير عقبة بن مسلم فأخبرته خبري فقال لي: لا تقربهما وأعدَّ لي منزلاً أمر لي فيه بما أحتاج إليه وأجرى عليَّ جراية تفضُل على مؤونتي.

وقال: كان أبواه يُبغضان عليّا عليه السّلام فسمعهما يسبّانه بعد صلاة الفجر فقال:

لعن الله والديَّ جميعاً ... ثمَّ أصلاهما عذاب الجحيمِ
حكما غدوةً كما صلّيا الفجـ ... ـر بلعن الوصيِّ باب العلومِ
لعنا خير من مشى فوق ظهر الـ ... أرض أو طاف محرماً بالحطيمِ
كفرا عند شتم آل رسول الـ ... له نسل المهذَّب المعصومِ
والوصيّ الذي به تثبت الأ ... رض ولولاه دكدكت كالرميمِ
وكذا آله اولو العلم والفهـ ... ـم هداةٌ إلى الصراط القويمِ
خلفاء الإله في الخلق بالعد ... ل وبالقسط عند ظلم الظلومِ
صلوات الإله تترى عليهم ... مقرنات بالرَّحب والتسليمِ

ورواها ابن شاكر في «الفوات» ج ١ ص ١٩

عظمته والمؤلفون في أخباره

لم تفتء الشيعة تُبجِّل كلَّ متهالك في ولاء أئمَّة أهل البيت، وتقدِّر له مكانة عظيمة، وتكبر منه ما أكبره الله سبحانه ورسوله من منصَّة العظمة أضف إلي ذلك ما كان بمرأىً منهم ومسمع في حقّ السيِّد خاصَّة، من تكريم أئمَّة الحقّ صلوات الله عليهم مثواه، وتقريبهم لمحلّه منهم، وإزلافهم إيَّاه، وتقديرهم لسعيه المشكور في الإشادة بذكرهم والذبِّ عنهم، والبثُّ لفضائلهم، وتظاهره بموالاتهم، وإكثاره من مدائحهم مع ردِّه الصِّلات تجاه هاتيك العقود

الذهبيّة لأنّ ما كان يصدر منه من تلكم المظاهر لم تكن إلّا تزلّفاً منه إلى المولى سبحانه، وأداءً لأجر الرِّسالة، وصلةً للصادع بها صلّى الله عليه وآله، ولقد كاشف في ذلك كلّه أبويه الناصبيّين الخارجيّين، فكان معجزة وقته في التلفّع بهذه المآثر كلّها، والتظاهر بهذا المظهر الطاهر، ومنبته ذلك المنبت الخبيث، فما كان الشيعيُّ يوم ذاك وهلمّ جرّاً يجد من واجبه الدينيّ إلا إكباره وخفض الجناح عند عظمته.

قال ابن عبد ربه في العقد الفريد ج ٢ ص ٢٨٩: السيِّد الحميري وهو رأس الشيعة، وكانت الشيعة من تعظيمها له تلقي له وسادة بمسجد الكوفة، وفي حديث شيخ الطائفة الآتي: قال جعفر بن عفّان الطائي للسيِّد: يا أبا هاشم؟ أنت الرأس ونحن الأذناب.

وليس ذلك ببدع من الشيعة بعدما أزلفه الإمام الصادق عليه السَّلام، وأراه من دلائل الإمامة ما أبقى له مكرمة خالدة حفظها له التأريخ كحديث انقلاب الخمر لبناً. والقبر وإطلاق لسانه في مرضه وغيرهما، واستفاض الحديث بترحّمه عليه السَّلام إيّاه والدعاء له والشكر لمساعيه، وبلغهم قوله عليه السَّلام لعذّاله فيه: لو زلّت له قدمٌ فقد ثبتت الاخرى، وقد أخبره بالجنّة.

وكان يستنشد الإمام عليه السَّلام شعره ويحتفل به وقد أنشده إيّاه فُضيل الرسّان، وأبو هارون المكفوف، والسيِّد نفسه، روى أبو الفرج عن عليّ بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر بن محمَّد عليه السَّلام إذ استأذن آذنه السيِّد فأمره بإيصاله، وأقعد حرمه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس فاستنشده فأنشد قوله:

أُمرر على جدث الحسيـ ... ـن فقل لأعظمه الزكيّه
يا أعظماً لا زِلت من ... وطفاء[1] ساكبة رويّه
فإذا مررت بقبره ... فأطل به وقف المطيّه

(١) وطف المطر: انهمر. يقال: سحابة وطفاء. أي مسترخية لكثرة مائها.

وابـك الـمـطهّـر للمـطهّـ ـر والـمـطهّـرة الـنـقـيّـه
كـبـكـاء مُـعـولـةٍ أتـت يـومـاً لواحدها المنيّـه (١)

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمّد تتحدّر على خدّيه، وارتفع الصراخ والبكاء من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك قـال: فحدَّثت أبي بـذلك لَمّـا انصرفتُ فقال لي: ويلي على الكيسانيّ الفاعل ابن الفاعل يقول:

فـإذا مـررت بـقـبـره فـأطـل بـه وقـف الـمـطيّـه

فقلت: يا أبت؟ وماذا يصنع؟ قال: أو لا ينحـر؟! أو لا يقتل نفسـه؟! فثكلته امّه.

[الأغاني ج ٧ ص ٢٤٠]

وهذه القصيدة أنشدها أبو هارون المكفوف، الإمام الصادق عليه السّلام، روى شيخنا ابن قولويه في «الكامل» ص ٣٣ و٤٤ عن أبي هارون قال: قال أبو عبدالله عليه السّلام يا أبا هارون! أنشدني في الحسين عليه السّلام قال: فأنشدته فبكى فقال: أنشدني كما تنشدون يعني بالرقة قال: فأنشدته:

أُمرر على جدث الحسيـ ـن فقل لأعـظمـه الـزكيّـه

ثمّ قال: زدني. قال: فأنشدتـه القصيدة الاخـرى. وفي لفظه الآخـر: فأنشدته:

يا مريمُ قـومي فانـدبي مولاكِ وعلى الحسين فأسعدي ببكاك

قال: فبكى وسمعت البكاء من خلف الستر. الحديث. ورواه شيخنـا الصدوق في « ثواب الأعمال ». وهناك منامات صادقة تنمُّ عن تزلّف السيِّد عند النبيِّ الأعظم صلّى الله عليه وآله مرّت جملة منها ص ٢٥٩ ـ ٢٦٣، وروى أبو الفرج عن إبراهيم بن هاشم العبدي إنّه قال: رأيت النبيَّ ﷺ وبين يديه السيِّد الشاعر وهو ينشد:

أجـدّ بـآل فـاطـمـة البـكـور فـدمـع العين منهمـرٌ غـزيـرُ

---

(١) يوجد من القصيدة ٢٣ بيتاً.

حتى أنشده إيّاها على آخرها وهو يسمع: قال: فحدَّثت هذا الحديث رجلاً جمعتني وإيّاه طوس عند قبر عليٍّ بن موسى الرضا فقال لي: والله لقد كنت على خلاف فرأيت النبيَّ ﷺ في المنام وبين يديه رجلٌ ينشد:

أجـدُّ بـآل فـاطمـة البكـورُ إلـى آخـرهـا

فاستيقظت من نـومي وقد رسـخ في قلبي من حبِّ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه ما كنت أعتقده.

[الأغاني ج ٧ ص ٢٤٦]

هذه مكرمةٌ للسيِّد تشفُّ عن عظمة محلّه، وحسن عقيدته، وخلوص نيَّته، وسلامة مذهبه، وطهارة ضميره، وصدق موقفه، ومهما عرف أعلام الامَّة مسيس حاجة المجتمع إلى سرد تأريخ مثل السيِّد من رجالات الفضيلة سلفاً وخلفاً، أفرد جمعٌ منهم تآليف في أخبار السيِّد وشعره فمنهم:

١ ـ أبو أحمد عبد العزيز الجلودي الأزدي البصري المتوفّى سنة ٣٠٢.

٢ ـ الشيخ صالح بن محمّد الصراي شيخ أبي الحسن الجندي.

٣ ـ أبو بكر محمّد بن يحيى الكاتب الصولي المتوفّى سنة ٣٣٥.

٤ ـ أبو بشر أحمد بن إبراهيم العمّي البصري، ذكر له شيخ الطائفة في فهرسته ص ٣٠: كتاب أخبار السيِّد وشعره، وفي معجم الأدباء ج ٢ ص ٢٢٦: كتاب أخبار السيِّد، ويظهر من رجال النجاشي ص ٧٠ ومعالم العلماء أنّه ألّف كتاباً في أخباره وكتاباً في شعره.

٥ ـ أبـو عبدالله أحمـد بن عبد الـواحد المعـروف بـابن عبـدون شيـخ النجاشي.

٦ ـ أبو عبدالله محمّد بن عمران المرزباني المتوّفى سنة ٣٧٨، له كتاب «أخبار السيِّد» وقفنا على بعض أجزائه وهو جـزء من كتابـه «أخبار الشعـراء» المشهورين المكثرين في عشرة آلاف ورقة كما في فهرست ابن النديم.

٧ - أبو عبدالله أحمد بن محمّد بن عيّاش الجوهري المتوفّى سنة ٤٠١.

٨ - إسحاق بن محمّد بن أحمد بن أبان النخعي.

٩ - المستشرق الفرنسوي [بربيه دي مينار] جمع أخباره في مائة صحيفة طبعت في باريس.

فهرست النجاشي ص ٥٣، ٦٣، ٦٤، ٧٠، ١٤١، ١٧١، فهرست ابن النديم ص ٢١٥، فهرست شيخ الطائفة ص ٣٠، معالم العلماء ص ١٦، الأعلام ج ١ ص ١٢٢.

الثناء على أدبه وشعره

كان السيّد في مقدّمي المكثرين المجيدين وأحد الشعراء الثلاثة الذين عدّوا أكثر الناس شعراً في الجاهليّة والإسلام وهم: السيّد، وبشّار وأبو العتاهية. قال أبو الفرج: لا يُعلم أنّ احداً قدر على تحصيل شعر أحد منهم أجمع. وقال المرزباني: لم يُسمع أن أحداً عمل شعراً جيّداً وأكثر غير السيّد، وروي عن عبد الله بن إسحاق الهاشمي قال: جمعت للسيّد ألفي قصيدة وظننت أنّه ما بقي عليّ شيءٌ فكنت لا أزال أرى من ينشدني ما ليس عندي فكتبت حتى ضجرت ثمّ تركت. وقال: سُئل أبو عبيدة من أشعر المولّدين؟ قال: السيّد وبشّار. ونقل عن الحسين بن الضحّاك أنّه قال: ذاكرني مروان بن أبي حفصة أمر السيّد بعد موته وأنا أحفظ الناس بشعر بشّار والسيّد فأنشدته قصيدته المذهّبة التي أوّلها(١):

أين التطرّب بالولاء وبالهوى ... أإلى الكواذب من بروق الخلّب؟!
أإلى اميّة أم إلى شيع التي ... جاءت على الجمل الخدبّ الشوقب؟!

حتّى أتى على آخرها، فقال لي مروان: ما سمعت قطّ شعراً أكثر معاني

---

(١) مر أول القصيد ص ٢٥١ والبيتان هما البيت الخامس عشر والسادس عشر منها.

وألخص منه وعدد ما فيه من الفصاحة. وكان يقول لكلِّ بيت منها: سبحان الله، ما أعجب هذا الكلام! وروى عن التوزي أنَّه قال: لو أنَّ شعراً يستحقُّ أن لا يُنشد إلّا في المساجد لحسنه لكان هذا، ولو خطب به خاطبٌ على المنبر في يوم الجمعة لأتى حسناً ولحاز أجراً.

وقال أبو الفرج: كان شاعراً متقدِّماً مطبوعاً؛ وله طراز من الشعر ومذهبٌ قلّما يُلحق فيه أو يُقاربه. وروى عن ليطة بن الفرزدق قال: تذاكرنا الشعراء عند أبي فقال: إنَّ هاهنا لَرجلين لو أخذا في معنى الناس لما كنّا معهما في شيء. فسألناه مَن هما؟ فقال: السيِّد الحميري، وعمران بن حطّان السدوسي، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ قد شغل كلَّ واحد منهما بالقول في مذهبه.

الأغاني ج ٧ ص ٢٣١.

وعن التوزي قال: رأى الأصمعي جزءاً فيه من شعر السيِّد فقال لِمَن هذا؟ فسترته عنه لعلمي بما عنده فيه، فأقسم عليَّ أن أخبره فأخبرته فقال: أنشدني قصيدةً منه فأنشدته قصيدةً ثمَّ اخرى وهو يستزيدني ثمَّ قال: قبّحه الله ما أسلكه لطريق الفحول لولا مذهبه، ولولا ما في شعره ما قدّمت عليه أحداً من طبقته. وفي لفظه الآخر: لما تقدَّمه من طبقته أحدٌ. وعن أبي عُبيدة أنَّه قال: أشعر المحدثين: السيِّد الحميري وبشّار (الأغاني ج ٦ ص ٢٣٢، ٢٣٦)

وقف السيِّد على بشّار وهو ينشد الشعر فأقبل عليه وقال:

أيّها المادح العباد ليُعطى ... إنَّ لله ما بأيدي العبادِ

فاسئل الله ما طلبت إليهم ... وارجُ نفع المنزِّل العوّادِ

لا تقل في الجواد ما ليس فيه ... وتسمّي البخيل باسم الجواد

قال بشّار. مَن هذا؟ فعرَّفه. فقال: لولا أنَّ هذا الرجل قد شُغل عنّا بمدح بني هاشم لشَغلنا، ولو شاركنا في مذهبنا لأتعبنا.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٧)

وعن غانم الورّاق قال: خرجتُ إلى بادية البصرة فصرت إلى عمرو بن نعيم فجلسوا إليّ فأنشدتهم للسيِّد:

أتعرف رسماً بالثويَّين قد دثر؟ ... عفته أهاضيب السحائب والمطرْ
وجرَّت به الأذيال ريحان خلفه ... صباً ودبورٌ بالعشيّات والبكَرْ
منازل قد كانت تكون بجوِّها ... هضيم الحشا ريا الشوى سحرها النظرْ
قطوف الخطا خمصانةٌ بخترية ... كأنَّ مُحيّاها سنا دارة القمرْ
رمتني ببعد بعد قرب بها النوى ... فبانت ولما أقض من عندها الوطرْ
ولَمّا رأتني خشية البين موجعاً ... أُكفكف منّي أدمعاً بيضها دُررْ
أشارت بأطراف إليَّ ودمعها ... كنظم جمان خانه السلك فانتثرْ
وقد كنت ممّا أحدث البين حاذراً ... فلم يُغن عنّي منه خوفي والحذرْ

قال: فجعلوا يُمرِّقون لإنشادي ويطربون وقالوا: لمن هذا؟ فأُعلمتهم. فقالوا: هو والله أحد المطبوعين، لا والله ما بقي في هذا الزمان مثله.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٨)

عن الزبير بن بكار قال: سمعت عمّي يقول: لو أنَّ قصيدة السيِّد التي يقول فيها:

إنَّ يوم التطهير يومٌ عظيمٌ ... خُصَّ بالفضل فيه أهل الكساءِ

قُرئت على منبر ما كان فيها بأس، ولو أنَّ شعره كلّه كان مثله لرويناه وما عبناه، وروى عن الحسين بن ثابت قال: قدم علينا رجلٌ بدويٌّ وكان أروى الناس لجرير، فكان ينشدني الشيء من شعره فأُنشد في معناه للسيِّد حتى أكثرت فقال لي: ويحك مَن هذا: هو والله أشعر من صاحبنا.

(الأغاني ج ٧ ص ٢٣٩)

ويروى عن إسحاق بن محمَّد قال: سمعت العتبي[1] يقول: ليس في

(١) أبو عبد الرحمن محمد بن عبيدالله الأموي الشاعر البصري المتوفّى سنة ٢٢٨ ينسب إلى جده عتبة بن أبي سفيان.

عصرنا هذا أحسن مذهباً في شعره، ولا أنقى ألفاظاً من السيِّد، ثمَّ قال لبعض مَن حضر: أنشدنا قصيدته اللاميَّة التي أنشدتناها اليوم فأنشده قوله:

هـل عنـد مَن أحببت تنـويـل ... أم لا؟ فـإنّ الـلوم تضـليـل
أم في الحشى منك جوىً باطنٌ ... ؟! ليس تـداويـه الأبـاطيـل
علقت يـا مغـرور خـدّاعـة ... بـالـوعـد منها لـك تخييـل
ريّـاً رداح النـوم خُمصـانـة ... كـأنّـهـا إدمـاء عُـطبـول
يشفيـك منهـا حين تخلو بهـا ... ضـمٌّ إلى الـنحـر وتـقبيـل
وذَوق ريـقٍ طـيِّـبٍ طـعـمـه ... كـأنّـه بـالـمسـك مـعلول
في نسـوة مثـل المهـا خـرَّدٍ ... تضيـق عنهنَّ الـخـلاخيـل

يقول فيها:

أُقسـم بـالله وآلائـه ... والمـرء عمّـا قـال مسئـول
إنَّ عـليَّ بـن أبـي طـالـب ... على التُّقى والبـر مجبـول[1]

فقال العتبي: أحسن والله ما شاء، هذا والله الشعر الذي يهجم على القلب بلا حجاب [الأغاني ج ٧ ص ٢٤٧].

وقبل هذه كلّها حسبه ثناءاً عليه قول الإمام الصادق عليه السَّلام: أنت سيِّد الشعراء. فينمُّ عن مكانته الرفيعة في الأدب، يقصر الوصف عن إستكناهها ولا يُدرك البيان مداها فكان يُعدُّ من شعرائه عليه السلام وولده الطاهر الكاظم كما في «نور الأبصار» للشبلنجي.

إكثاره في آل الله

كان السيِّد بعيد المنزعة، ولعاً بإعادة السهم إلى النزعة، وقد أشفَّ وفاق كثيرين من الشعراء بالجدِّ والإجتهاد في الدعاية إلى مبدئه القويم، والإكثار في

---

(١) تأتي بقية القصيدة في ذكر أخبار المترجم له وملحه.

مدح العترة الطاهرة، وساد الشعراء ببذل النفس والنفيس في تقوية روح الإيمان في المجتمع وإحياء ميت القلوب ببثّ فضائل آل الله، ونشر مثالب مناوئيهم ومساوي أعدائهم قائلاً:

أيا ربّ إنّي لم أرد بالذي به مدحتُ عليّاً غير وجهك فارحمِ

وصدّق بشعره رؤياه الّتي رواها عنه أبو الفرج والمرزباني في أخباره أنّه قال: رأيت النبيَّ ﷺ في النوم وكأنّه في حديقة سبخة فيها نخلٌ طوال وإلى جانبها أرضٌ كأنّها الكافور ليس فيها شيءٌ فقال: أتدري لمن هذا النخل؟! قلت: لا يا رسول الله! قال: لامرىء القيس بن حجر فاقلعها واغرسها في هذه الأرض. ففعلت. وأتيت ابن سيرين فقصصت رؤياي عليه. فقال: أتقول الشعر؟ قلت: لا. قال: أما انّك ستقول شعراً مثل شعر امرىء القيس إلاّ أنّك تقوله في قوم بررةٍ أطهار.

وكان كما قال أبو الفرج لا يخلو شعره من مدح بني هاشم أو ذمٍّ غيرهم ممّن هو عنده ضدٌّ لهم. وروى عن الموصلي عن عمّه قال: جمعت للسيّد في بني هاشم ألفين وثلاثمائة قصيدة فخلت أن قد استوعبت شعره حتّى جلس إليَّ يوماً رجلٌ ذو أطمار رثّة فسمعني أنشد شيئاً من شعره فأنشدني به ثلاث قصائد لم تكن عندي فقلت في نفسي لو كان هذا يعلم ما عندي كلّه ثمّ أنشدني بعده ما ليس عندي لكان عجباً فكيف وهو لا يعلم وإنّما أنشد ما حضره، وعرفت حينئذٍ أنّ شعره ليس ممّا يُدرك ولا يمكن جمعه كلّه. الأغاني ج ٧ ص ٢٣٦، ٢٣٧.

قال أبو الفرج كان السيّد يأتي الأعمش سليمان بن مهران - الكوفي المتوفّى سنة١٤٨ - فيكتب عنه فضائل عليّ أمير المؤمنين سلام الله عليه، ويخرج من عنده ويقول في تلك المعاني شعراً فخرج ذات يوم من عند بعض أمراء الكوفة وقد حمله على فرس وخلع عليه فوقف بالكناسة ثمّ قال: يا معشر الكوفيِّين! من جاءني منكم بفضيلة لعليٍّ بن أبي طالب لم أقل فيها شعراً أعطيته فرسي هذا وما عليّ. فجعلوا يحدِّثونه وينشدهم حتى أتاه رجلٌ منهم وقال: إنَّ أمير المؤمنين عليٍّ بن أبي طالب سلام الله عليه عزم على الركوب فلبس ثيابه

وأراد لبس الخفّ فلبس أحد خفّيه ثمّ أهوى إلى الآخر ليأخذه فانقضّ عقابٌ من السماء فحلق به ثمّ ألقاه فسقط منه أسود وإنساب فدخل جحراً فلبس عليٌّ عليه السلام الخفّ. قال: ولم يكن قال في ذلك شيئاً ففكّر هُنيهة ثمّ قال:

ألا يا قوم للعجب العجابِ لخفّ أبي الحسين ولِلحُبابِ

عدوٌّ من عُداة الجنّ وغدٌ بعيدٌ في المرادة من صوابِ

أتى خفّاً له وانساب فيه لينهش رجله منه بنابِ

لينهش خير من ركب المطايا أمير المؤمنين أبا ترابِ

فخرَّ من السماء له عقابٌ من العقبان أو شبه العقابِ

فطار به فحلّق ثمّ أهوى به للأرض من دون السحابِ

فصكَّ بخفّه وانساب منه وولّى هارباً حذر الحصابِ

إلى جحر له فانساب فيه بعيد القعر لم يرتج ببابِ

كريه الوجه أسود ذو بصيص حديد الناب أزرق ذو لعاب

يهلُّ له الجريُّ إذا رآه حثيث الشدِّ محذور الوثابِ

تأخّر حينه ولقد رماه فأخطاه بأحجارٍ صلابِ

ودوفع عن أبي حسن عليٍّ نقيع سمامه بعد انسيابِ[1]

قال المرزباني: ثمّ حرّك فرسه وثناها وأعطى ما كان معه من المال والفرس للّذي روى له الخبر وقال: إنّي لم أكن قلت في هذا شيئاً. وذكر المرزباني عن تشبيبها أحد عشر بيتاً لم يرو أبو الفرج منه إلّا مستهلّها:

صبوت إلى سليمى والربابِ وما لأخي المشيب وللتصابي

قال أبو الفرج: أما العقاب الذي انقضّ على خفّ عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه فحدّثني بخبره أحمد بن محمّد بن سعيد الهمداني قال: حدّثني جعفر بن عليٍّ بن نُجيح، قال: حدّثنا أبو عبد الرحمن المسعودي عن أبي داود

---

(١) الأغاني ج ٧ ص ٢٥٧ غير أن الأبيات المرموزة أخذناها عن أخبار السيد للمرزباني.

الطهوي عن أبي الزغل المرادي قال: قام عليٌّ بن أبي طالب رضي الله ع فتطهر للصَّلاة ثمَّ نزع خفَّه فانساب فيه أفعى فلمّا عاد ليلبسه انقضت عقابٌ فأخذته فحلقت به ثمَّ ألقته فخرج الأفعى منه. وقد رُوي مثل هذا لرسول الله ﷺ.

وقال ابن المعتز في طبقاته ص ٧: كان السيِّد أحذق الناس بسوق الأحاديث والأخبار والمناقب في الشعر لم يترك لعليٍّ بن أبي طالب فضيلةً معروفةً إلاّ نقلها إلى الشعر، وكان يُملّه الحضور في محتشد لا يُذكر فيه آل محمّد صلوات الله عليهم، ولم يأنس بحفلة تخلو عن ذكرهم روى أبو الفرج عن الحسن بن عليٍّ بن حرب بن أبي الأسود الدؤلي قال: كنّا جلوساً عند أبي عمرو ابن العلاء فتذاكرنا السيِّد فجاء فجلس وخضنا في ذكر الزرع والنخل ساعة فنهض فقلنا: يا أبا هاشم مِمَّ القيام؟! فقال:

إنّي لأكره أن أُطيل بمجلس ... لا ذكر فيه لفضل آل محمّدِ
لا ذكر فيه لأحمد ووصيّه ... وبنيه ذلك مجلسٌ نطفٌ ردي[1]
إنّ الّذي ينساهُمُ في مجلس ... حتى يُفارقه لغير مسدَّدِ

وكان إذا استشهد شيئاً من شعره لم يبدأ بشيء إلاّ بقوله:

أجدٌّ بآل فاطمة البكورُ ... فدمع العين منهمرٌ غزيرُ

الأغاني ج ٧ ص ٢٤٦، ٢٦٦

رواة شعره وحفاظه

١ - أبو داود سليمان بن سفيان المسترق الكوفي المنشد المتوفّى سنة ٢٣٠ عن ٧٠ عاماً، كان راوية شعره كما في «الأغاني» و«فهرست» الكشي ص ٢٠٥.

٢ - إسماعيل بن الساحر كان روايته كما في «الأغاني» في غير موضع.

---

(١) النطف: النجس.

٣ ـ أبو عبيدة معمر بن المثنّى المتوفّى سنة ٢٠٩/ ٢١١ ، كان يـروي شعره كما في «الأغاني» و«لسان الميزان» ج ١ ص ٤٣٧ .

٤ ـ السدري كان راويته كما في طبقات ابن المعتز ص ٧ .

٥ ـ محمَّد بن زكريّا الغلابي الجوهري البصري المتوفّى سنة٢٩٨ ، كان يحفظ شعر السيِّد ويقرأه على العبّاسة بنت السيِّد ويصحِّحه عليها كما في «أخبار السيِّد» للمرزباني .

٦ ـ جعفر بن سليمان الضبعيّ البصريّ المتوفّى سنة ١٧٨ ، كان ينشد شعر السيِّد كثيراً فمن أنكره عليه لم يحدِّثه كما في «الأغاني» و«لسان الميزان» ج ١ ص ٤٣٧ .

٧ ـ يزيد بن محمَّد بن عمر بن مذعور التميميّ كان يروي للسيِّد ويعاشره كما في «أخبار السيِّد» للمرزباني وقال أبو الفرج : كان يحفظ شعر السيِّد وينشده لأبي بُجير الأسدي .

٨ ـ فضيل بن الزبير الرسّان الكوفيّ ، كان يُنشد شعر السيِّد وقد أنشده للإمام الصادق عليه السَّلام وقد مرَّ بعض حديثه .

٩ ـ الحسين بن الضّحاك قال المرزباني : كان أحفظ الناس بشعره .

١٠ ـ الحسين بن ثابت كان يروي كثيراً من شعره .

١١ ـ العبّاسة بنت السيِّد ، كانت حافظة لشعر أبيها وكانت الرُّواة يقرأون عليها شعر السيِّد وتُصحِّحه لهم كما ذكره المرزباني في «أخبار السيِّد» .

وكانت للسيِّد كريمتان اخريان تحفظان شعره وفي بعض المعاجم كانت كلّ واحدة تحفظ ثلاثمائة قصيدة وقال ابن المعتز في «طبقات الشعراء» ص ٨ : حُكي عن السدري أنّه قال : كان له أربع بنات ، وأنّه كان حفّظ كلَّ واحدة منهنَّ أربعمائة قصيدة من شعره .

١٢ ـ عبدالله بن إسحاق الهاشمي ، جمع شعره كما مرَّ عن المرزباني .

١٣ ـ عمُّ الموصلي جمع شعره في بني هاشم كما مرَّ عن الأغاني.

١٤ ـ الحافظ أبو الحسن الدارقطني عليُّ بن عمر المتوفّى سنة ٣٨٥ كان يحفظ ديوان السيِّد كما في تاريخي الخطيب البغدادي ج ٢ ص ٣٥، وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٩، وتذكرة الحفّاظ ج ٣ ص ٢٠٠.

مذهبه وكلمات الاعلام حوله

عاش السيِّد ردحاً من الزمن على الكيسانيَّة[1] يقول بإمامة محمَّد بن الحنفيَّة وغيبته وله في ذلك شعرٌ ثمَّ أدركته سعادة ببركة الإمام الصادق صلوات الله عليه وشاهد منه حججه القويّة وعرف الحقَّ ونبذ ما كان عليه من سفاسف الكيسانيَّة عندما نزل الإمام عليه السلام الكوفة عند منصرفه من عند المنصور أو ملاقاته إيّاه في الحجِّ.

ولعبدالله بن المعتز المتوفّى سنة ٢٩٦، وشيخ الامَّة الصدوق المتوفّى سنة ٣٨١، والحافظ المرزباني المتوفّى سنة٣٨٤، وشيخنا المفيد المتوفّى سنة ٤١٢، وأبي عمرو الكشي، والسروي المتوفّى سنة٥٨٨، والإربلي المتوفّى سنة ٦٩٢ وغيرهم حول مذهبه كلمات ضافيةٌ يُكتفى بواحدة منها في إثبات الحقِّ فضلاً عن جميعها. فإليك نصوصها.

١ ـ كلمة المعتز: قال في «طبقات الشعراء» ص ٧: حدَّثني محمَّد بن عبدالله قال: قال السدري راوية السيِّد كان السيِّد أوّل زمانه كيسانيّاً يقول برجعة محمَّد بن الحنفيَّة وأنشدني في ذلك:

حتّى متى؟ وإلى متى؟ ومتى المدى   يا بن الوصيِّ وأنت حيٌّ ترزق؟!

---

(١) هم أصحاب مختار بن أبي عبيد يقال في تسميتهم بذلك: أن المختار كان يلقب بكيسان مأخوذاً مما رواه الكشي في رجاله ص ٨٤ من قول أمير المؤمنين عليه السلام له: يا كيس يا كيس وقيل: ان كيسان اسم صاحب شرطته ويكنى بأبي عمرة كما في رجال الكشي والفصل لابن حزم. وقيل: ان كيسان هو مولى أمير المؤمنين وهو الذي حمل المختار على الطلب بدم الحسين السبط عليه السلام ودل على قتلته وكان صاحب سره والغالب على أمره كما ذكره الكشي.

والقصيدة مشهورةٌ وحدَّثني محمَّد بن عبدالله قال: قال السدري: ما زال السيِّد يقول بذلك حتّى لقي الصَّادق عليه السلام بمكّة أيّام الحجِّ فناظره وألزمه الحجَّة فرجع عن ذلك فذلك قوله في تركه المقالة ورجوعه عمّا كان عليه ويذكر الصَّادق:

تجعفرتُ باسم الله والله أكبـرُ   وأيقنتُ أنّ الله يعفـو ويغفـرُ
ويثبت مهمـا شاء ربِّي بـأمـره   ويمحو ويقضي في الأمور ويقدرُ

٢ ـ كلمة الصدوق: قال في «كمال الدين» ص ٢٠: فلم يزل السيِّد ضالاًّ في أمر الغيبة يعتقدها في محمَّد بن الحنفيَّة حتّى لقي الصادق جعفر بن محمّد عليه السَّلام ورأى منه علامات الإمامة وشاهد منه دلالات الوصيَّة فسـأله عن الغيبة فذكر له أنَّها حقٌّ ولكنَّها تقع بالثاني عشر من الأئمّة عليهم السَّلام وأخبره بموت محمَّد بن الحنفيَّة وأنَّ أباه محمَّـد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ عليهم السَّلام شاهد دفنه فرجع السيِّد عن مقالته، واستغفر من اعتقـاده، ورجع إلى الحقِّ عند اتِّضاحه له ودان بالإمامة.

حدّثنا عبد الواحد بن محمَّد العطَّار رضي الله عنه قال: حدَّثنا عليُّ بن محمَّـد بن قتيبة النيسـابوري قـال: حدّثنـا حمدان بن سليمـان عن محمَّد بن إسماعيل بن بزيع عن حيَّان السرّاج قال: سمعت السيِّد ابن محمَّد الحميري يقول: كنت أقول بالغلوِّ وأعتقد غيبة محمَّد بن عليٍّ الملقب بابن الحنفيَّة قد ضللت في ذلك زماناً فمنَّ الله عليَّ بالصادق جعفر بن محمَّد عليهما السـلام وأنقذني به من النار، وهداني إلى سواء الصراط فسألته بعـد ما صـحَّ عندي بالدلائل التي شاهدتها[1] منه أنّه حجَّة الله عليَّ وعلى جميع أهل زمانه، وأنّه الإمام الذي فرض الله طاعته، وأوجب الإقتداء به فقلت له: يا بن رسول الله قد رُوي لنا أخبار عن آبائك عليهم السَّلام في الغيبة وصحّة كونها فأخبرني بمن

---

(١) ستقف على بعض تلكم الدلائل.

تقع؟ فقال عليه السّلام: إنَّ الغيبة ستقع بالسادس من ولدي وهو الثاني عشر من الأئمّة الهداة بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله، أوّلهم أمير المؤمنين عليٌّ بن أبي طالب، وآخرهم القائم بالحقِّ بقيَّة الله في الأرض وصاحب الزمان والله لو بقي في غيبته ما بقي نوحٌ في قومه لم يخرج من الدنيا حتى يظهر فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً. قال السيّد: فلمّا سمعت ذلك من مولاي الصادق جعفر بن محمّد عليهما السلام تبت إلى الله تعالى ذكره على يديه وقلت قصيدتي التي أوّلها:

ولمّا رأيت الناس في الدين قد غووا ... تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفروا
ونـاديتُ بـاسم الله والله أكبـرُ ... وأيقنـتُ أن الله يعفـو ويغفـرُ
ودنتُ بـدين غير مـا كنتُ دايناً ... بـه ونهـاني سيّدُ النـاس جعفـرُ
فقلت: فهبني قـد تهوَّدت بـرهة ... وإلا فـديني ديـن من يتنصَّـرُ
وإنّي إلى الرَّحمن من ذاك تائبٌ ... وإنّـي قـد أسلمـت والله أكبـرُ
فلست بغـالٍ مـا حييتُ وراجـعٌ ... إلى ما عليه كنت أُخفي وأُضمر
ولا قائلاً حيٌّ برضوى محمّـدٌ[1] ... وإن عاب جُهّالٌ مقـالي فاكثـروا
ولـكنّـه مـمّـا مضـى لسبيـله ... على أفضل الحالات يُقفى ويخبرُ
مع الطّيبين الطاهرين الأولي لهم ... من المصطفى فرعٌ زكيٌّ وعنصـرُ

إلى آخر القصيدة وهي طويلةٌ وقلت بعد ذلك قصيدة اخرى:

أيا راكباً نحـو المدينـة جسرةً ... عذافرةً يُطوى بها كلُّ سبسبِ[2]
إذا ما هداك الله عاينت جعفراً ... فقل لوليِّ الله وابن المهـذَّبِ
ألا يـا أمين الله وابن أمينـه ... أتوب إلى الرَّحمن ثمَّ تـأوُّبي
إليك من الأمر الذي كنت مطنباً ... أُحارب فيه جاهداً كلَّ معربِ
وماكان قولي في ابن خولة مبطناً ... معـانـدةً منّي لنسـل المـطيَّبِ
ولكن رُوينا عن وصيِّ محمَّد ... وما كان فيمـا قال بالمتكذِّب

(١) في لفظ ابن شهر آشوب: ولا قائلاً قولاً بكيسان بعدها.
(٢) الجسرة: العظيمة من الإبل. والعذافرة: الشديدة منها.

بـأنّ وليّ الأمر يفقـد لا يـرى ستيراً[١] كفعل الخائف المترقّبِ
فيقسم أمـوال الفقيـد كـأنّمـا تغيّبـه بين الصفيـح المنصّبِ
فيمكث حينـاً ثمّ ينبـع نبعـة كنبعة جدى من الافق كوكب[٢]
يسيـر بنصر الله من بيت ربِّـه على سـودد منـه وأمرٍ مُسبَّبِ
يسيـر إلى أعـدائـه بلوائـه فيقتلهم قتـلاً كحرّان مغضبِ
فلمّا رُوي أنّ ابن خولة غايبٌ صـرفنا إليـه قولنـا لم نكذّبِ
وقلنا هو المهديُّ والقائم الّذي يعيش به من عدله كلُّ مجدبِ[٣]
فإن قلت لا فالحق قولك والذي أمرتَ فحتمٌ غير ما متعصّبِ
وأُشهد ربّي أنّ قولـك حجّةٌ على الخلق طرّاً من مطيع ومذنبِ
بـأنّ وليّ الأمر والقـائم الذي تـطلّع نفسي نحـوه بتـطرُّبِ
لـه غيبةٌ لا بـدَّ من أن يغيبهـا فصلّى عليـه الله من متغـيّبِ
فيمكث حينـاً ثمَّ يظهـر حينـه فيملأ عدلاً كلَّ شرق ومغربِ
بـذاك أمين الله سـرّاً وجهـرةً ولستُ وإن عوتبتُ فيه بمعتبِ

وكان حيّان السّراج الراوي لهذا الحديث من الكيسانيّة، ورواه الإربلي في كشف الغمّة.

٣ ـ كلمـة المرزبـاني: قال في أخبـار السيِّد: كـان السيِّد ابن محمَّـد رحمه الله بلا شك كيسانيّاً يذهب أنّ محمَّد بن الحنفيّة رضي الله عنه هو القائم المهدي وانّه مقيمٌ في جبال رضوى وشعره في ذلك يدلُّ على أنّه كان كما ذكرنا كيسانيّاً فمن قوله:

يا شعب رضوى ما لمن بك لا يُرى وبنا إليه من الصبـابة أولقٌ[٤]

---

(١) في لفظ المرزباني والمفيد: سنين.
(٢) وفي رواية المرزباني:
ويمكث حينـاً ثم يشـرق شخصـه مـضيئـاً بنـور العـدل إشـراق كـوكـب
(٣) في رواية الحافظ المرزباني: يعيش بجدوى عدله كل مجدب.
(٤) الأولق: الجنون أو مس منه.

حتى متى وإلى متى؟ وكم المدى يا بن الوصيِّ وأنت حيٌّ تُرزقُ؟
إنّي لآمل أن أراك وإنّني من أن أموت ولا أراك لأفرقُ

غير أنَّه رحمه الله رجع عن ذلك وذهب إلى إمامة الصادق عليه السَّلام وقال:

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أنَّ الله يعفو ويغفرُ

ومن زعم انَّ السيِّد أقام على الكيسانيَّة فهو بذلك كاذبٌ عليه، وطاعنٌ فيه ومن أوضح ما دلّ على بطلان ذلك دعاء الصادق له عليه السَّلام وثناؤه عليه فمن ذلك ما أخبرنا به محمَّد بن يحيى قال: حدَّثنا أبو العينا قال: حدَّثني عليُّ بن الحسين بن عليِّ بن عمر بن عليِّ بن الحسين بن عليِّ بن أبي طالب صلوات الله عليه قال: قيل لأبي عبدالله عليه السّلام وذكر عنده السيِّد: بأنَّه ينال من الشراب. فقال عليه السّلام: إن كان السيِّد زلَّت به قدمٌ فقد ثبتت له اخرى.

و(بإسناده) عن عبّاد بن صهيب قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر بن محمَّد عليهما السّلام فذكر السيِّد فدعا له فقال له: يا بن رسول الله أتدعو له وهو يشرب الخمر، ويشتم أبا بكر وعمر، ويوقن بالرَّجعة؟! فقال: حدّثني أبي عن أبيه عليّ بن الحسين أنّ محبّي آل محمَّد صلّى الله عليه وآله لا يموتون إلّا تائبين. وإنَّه قد تاب ثمَّ رفع رأسه وأخرج من مصلّى عليه كتاباً من السيِّد يتوب فيه ممّا كان عليه[1] وفي آخر الكتاب.

يا راكباً نحو المدينة جسرةً

(إلى آخر الأبيات كما مرَّت)

و(روى بإسناده) عن خلف الحادي قال: قدم السيِّد من الأهواز بمال ورقيق وكراع فجئته مهنّئاً له فقال: إنَّ أبا بجير[2] إمامي وكان يُعيِّرني بمذهبي

---

(١) في الأغاني ج ٧ ص ٢٧٧: أخرج كتاباً من السيد يعرّفه فيه أنه قد تاب ويسأله الدعاء له.
(٢) هو أبو بجير عبدالله بن النجاشي الأسدي والي الأهواز للمنصور.

ويأمل منّي تحوُّلاً إلى مذهبه فكتبت أقول له: قد انتقلت إليه، وقلت:

أيا راكباً نحو المدينة جسرةً
وذكر الأبيات إلى آخرها كما مرّت

ثمّ قال: فقال له أبو بجير يوماً: لو كان مذهبك الإمامة لقلت فيها شعراً. فأنشدته هذه القصيدة فسجد وقال: الحمد لله الذي لم يذهب حبيّ لك باطلاً. ثمّ أمر لي بما ترى. وروى بإسناده عن خلف الحادي قال: قلت للسيّد: ما معنى قولك؟

عجبت لكرِّ صروف الزمانِ ... وأمر أبي خالد ذي البيانِ
ومن ردِّه الأمر لا ينثني ... إلى الطيّب الطّهر نور الجنانِ
عليّ وما كان من عمِّه ... بردِّ الإمامة عطف العنانِ
وتحكيمه حجراً أسوداً ... وما كان من نطقه المستبانِ
بتسليم عمٍّ بغير امتراءٍ ... إلى ابن أخٍ منطقاً باللسانِ
شهدتُ بذلك صدقاً كما ... شهدت بتصديق آي القرانِ
عليٌّ إماميَ لا أمتري ... وخلّيت قولي بكان وكانِ

قال لي: كان حدّثني عليّ بن شجرة عن أبي بجير عن الصادق أبي عبدالله عليه السّلام: إنّ أبا خالد الكابلي كان يقول بإمامة ابن الحنفيّة فقدم من كابل شاه إلى المدينة فسمع محمّداً يخاطب عليّ بن الحسين فيقول: يا سيّدي! فقال أبو خالد: أتخاطب ابن أخيك بما لا يُخاطبك بمثله؟ فقال: إنّه حاكمني إلى الحجر الأسود وزعم أنّه ينطقه فصرت معه إليه فسمعت الحجر يقول: يا محمّد! سلّم الأمر إلى ابن أخيك فإنّه أحقُّ منك. فقلت شعري هذا، قال: وصار أبو خالد الكابلي إماميّاً. قال: فسألت بعض الإماميّة عن هذا، فقال لي: ليس بإماميّ من لا يعرف هذا. فقلت للسيّد: فأنت على هذا المذهب أو على ما أعرف؟!؟! فأنشدني بيت عقيل بن علفة:

خُذا جنب هرشى[1] أوقفاه فإنّه ... كلا جانبي هرشى لهنَّ طريقُ

---

(١) ثنية في طريق مكة قريبة من الجحفة وله طريقان يفضيان إلى موضع واحد.

وممّا رواه المرزباني له في مذهبه قوله:

صحّ قولي بالإمامهْ وتعجلت السّلامهْ
وأزال الله عنّي إذ تجعفرتُ الملامهْ
قلت من بعد حسين بعليٍّ ذي العلامهْ
أصبح السجّاد لِلـ إسلام والدين دعامه
قد أراني الله أمراً أسأل الله تمامهْ
كي ألاقيه به في وقت أهوال القيامهْ

٤ - كلمة المفيد: قال في «الفصول المختارة» ص ٩٣: وكان من الكيسانيّة أبو هاشم إسماعيل بن محمّد الحميري الشاعر رحمه الله وله في مذهبهم أشعارٌ كثيرةٌ ثمّ رجع عن القول بالكيسانيّة وتبرّأ منه ودان بالحقّ، لأنّ أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليهما السّلام دعاه إلى إمامته، وأبان له عن فرض طاعته، فاستجاب له فقال بنظام الإمامة وفارق ما كان عليه من الضلالة، وله في ذلك أيضاً شعرٌ معروفٌ ومن بعض قوله في إمامة محمّد رضوان الله عليه، ومذهب الكيسانيّة قوله:

ألا حيٍّ مقيمٌ شعب رضوى وأهدِ له بمنزله السّلاما

إلى أن قال: وله عند رجوعه إلى الحقّ وفراقه الكيسانيّة:

تجعفرتُ باسم الله والله أكبرُ وأيقنتُ أنّ الله يعفو ويغفرُ
ودنت بدين غير ما كنت دايناً [إلى آخر ما مرّ باختلاف يسير]

وقال في «الإرشاد»: فصلٌ وفيه (يعني الإمام الصادق) يقول السيّد إسماعيل بن محمّد الحميري رحمه الله وقد رجع عن قوله بمذهب الكيسانيّة لمّا بلغه إنكار أبي عبدالله عليه السّلام مقاله ودعاؤه له إلى القول بنظام الإمامة:

أيا راكباً نحو المدينة جسرةً عذافرةً يُطوى بها كلُّ سبسبِ

وذكر منها ١٣ بيتاً ثم قال: وفي هذا الشعر دليلٌ على رجوع السيّد عن مذهب الكيسانيّة وقوله بإمامة الصادق عليه السّلام، ووجوه الدعوة ظاهرة من

الشيعة في أيّام أبي عبدالله إلى إمامته والقول بغيبة صاحب الزمان وأنّها إحدى علاماته، وهو صريحُ قول الإماميَّة الإثني عشريّة.

٥ ـ كلمة ابن شهر آشوب: روى في «المناقب» ج ٢ ص ٣٢٣ عن داود الرقّي قال: بلغ السيِّد الحميري: إنّه ذُكر عند الصادق عليه السَّلام فقال: السيِّد كافرٌ. فأتاه وسأل يا سيدي! أنا كافرٌ مع شدَّة حبّي لكم ومعاداتي الناس فيكم؟ قال: وما ينفعك ذاك وأنت كافرٌ بحجَّة الدهر والزمان؟! ثمّ أخذ بيده وأدخله بيتاً فإذا في البيت قبرٌ فصلّى ركعتين ثمَّ ضرب بيده على القبر فصار القبر قطعاً فخرج شخصٌ من قبره ينفض التراب عن رأسه ولحيته، فقال له الصادق: من أنت؟ قال: أنا محمّد بن علي المسمّى بابن الحنفيّة. فقال: فمن أنا؟ فقال جعفر بن محمّد حجّة الدهر والزمان[1] فخرج السيِّد يقول:

تجعفرتُ باسم الله فيمن تجعفرا . . . . . .

وفي (أخبار السيِّد): إنّه ناظر معه مؤمن الطاق في ابن الحنفيَّة فغلبه عليه فقال:

تركتُ ابن خولة لا عن قلى ... وإنّي لكالكلف الوامقِ
وإنّي له حافظٌ في المغيب ... أدين بما دان في الصّادقِ
هو الحَبر حَبر بني هاشم ... ونورٌ من الملك الرّازقِ
به ينعش الله جمع العباد ... ويجري البلاغة في الناطقِ
أتاني برهانه معلناً ... فدنت ولم أك كالمائقِ
كمن صدَّ بعد بيان الهدى ... إلى حبتر وأبي حامقِ

فقال الطائي: أحسنت الآن أتيتَ رشدك. وبلغت أشدَّك. وتبوَّأت من الخير موضعاً ومن الجنّة مقعداً. وأنشأ السيِّد يقول:

تجعفرت باسم الله والله أكبرُ . . . . . .

---

(١) هذه من علامات الإمامة التي مرّ الإيعاز إليها في كلمة الصدوق.

ذكر منها خمسة أبيات ثمَّ ذكر من بائيّته المذكورة ستَّة أبيات فقال: وأنشد فيه (يعني الصّادق عليه السَّلام):

أمدح أبا عبد الإلّه ... فتى البريَّة في احتمالهْ
سبط النبيِّ محمَّدٍ ... حبلٌ تفرَّع من حبالهْ
تغشى العيون الناظرات ... إذا سمون إلى جلالهْ
عذب الموارد بحره ... يروي الخلائق من سجالهْ
بحرٌ أطلَّ على البحور ... يمدُّهنَّ ندى بلالهْ[1]
سقت العباد يمينه ... وسقى البلاد ندى شمالهْ
يحكي السحاب يمينه ... والودق يخرج من خلالهْ
الأرض ميراثٌ له ... والناس طرّاً في عيالهْ
يا حجَّة الله الجليل ... وعينه وزعيم آلهْ
وابن الوصيِّ المصطفى ... وشبيه أحمد في كمالهْ
أنت ابن بنت محمَّد ... حذواً خُلقت على مثالهْ
فضياء نورك نوره ... وظلال روحك من ظلالْ
فيك الخلاص عن الرَّدى ... وبك الهداية من ضلالهْ
أُثني ولست ببالغ ... عشر الفريدة من خصالهْ

٦ - كلمة الإربلي: قال في «كشف الغمَّة» ص ١٢٤: السيِّد الحميري رحمه الله كان كيسانيّاً يقول برجعة أبي القاسم محمّد بن الحنفيَّة فلما عرَّفه الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليهما السّلام الحقَّ والقول بمذهب الإماميّة الإثني عشريّة ترك ما كان عليه ورجع إلى الحقِّ وقال به، وشعره رحمه الله في مذهبه مشهورٌ لا حاجة إلى ذكره لاشتهاره.

ويُنبئك عن مذهبه الحقِّ الصحيح قوله:

على آل الرَّسول وأقربيه ... سلامٌ كلَّما سجع الحمامُ

---

(١) كذا في النسخة وأحسبه: نواله.

أليسوا في السماء هُمُ نجومٌ؟ وهـم أعـلام عـزٍّ لا يُـرامُ
فيـا من قد تحيَّـر في ضـلال أميـر المؤمنـين هـو الإمـامُ
رسـول الله يـوم [غدير خـمّ] أنـاف بـه وقـد حضـر الأنـامُ
وثـاني أمره الحسن المرجّى لـه بيتُ المشـاعـر والمقـامُ
وثـالثـه الحسين فليس يخفى سنـا بـدر إذا اختلط الـظلامُ
ورابعهم عليٌّ ذو المسـاعـي بـه لِلدين والـدنيـا قـوامُ
وخـامسهم محمَّـدٌ ارتضـاه لـه في المـأثـرات إذن مقـامُ
وجعفـر سـادس النجباء بـدرٌ ببهجتـه زهـا البـدر التمـامُ
ومـوسى سـابـعٌ ولـه مقـامٌ تقـاصـر عن أدانيـه الكـرامُ
عـليٌّ ثـامنٌ والـقبـر منـه بأرض الطوس إن قحطوا رهامُ[1]
وتـاسعهم طريـد بني البغـايا محمَّـدٌ الـزكيُّ لـه حسـامُ
وعـاشـرهم عليٌّ وهـو حصنٌ يجنُّ لفقـده البلد الحـرامُ
وحادي العشر مصباح المعالي منيـر الضـوء الحسن الهمـامُ
وثـاني العشر حـان له القيام محمَّـدٌ الـزكيُّ بـه اعتصامُ
أولئك في الجنان بهم مساغي وجيـرتي الخـوامس والسَّـلامُ

نقد أو إصحار بالحقيقة:

قال الدكتور طه حسين المصـري في ـ ذكرى أبي العـلاء ـ ص ٣٥٨: التناسخ معروفٌ عند العرب منذ أواخر القرن الأول، والشيعة تدين به وببعض المذاهب التي تقرب منه كالحلول والرجعة، وليس بين أهل الأدب مَن يجهل ما كان من سخافات الحميري وكثيرٌ في ذلك. اهـ.

كنت لا أعجب لو كان هذا العزو المختلق صادراً ممَّن تقدَّم طه حسين من بسطاء الأعصر الخرافيَّة الَّذين قالوا وهم لا يشعرون، وجمعوا من غير تمييز،

---

(١) الرهمة: المطر الخفيف الدائم ج رهم ورهام.

وألّفوا لا عن تنقيب، وعزوا من دون دراية. لكن عجبي كلّه من مثل هذا الذي يرى نفسه منقّباً ويحسبه فذّاً من أفذاذ هذا العصر الذهبيّ، عصر النور، عصر البحث والتنقيب الّذي مُني بمثل هذا الدكتور وأمثاله من جمال مُستنوقة[١] يسرّون حسواً في ارتغاء[٢] يُريدون أن يُفخّذوا امّة كبيرةً تُعدُّ بالملايين عن الامّة الإسلاميّة بنسبة الإلحاد إليهم من تناسخ وحلول، فتلعن هؤلاء أولئك لاعتقادهم بكفرهم، وتغضب أولئك على هؤلاء عندما يقفون على مثل هذا الإفك الشائن، فيقع ما لا تُحمد مغبّته من شقّ العصا وتفريق الكلمة، وذلك منية مَن قيّض طه «حسين» لمثل هذه المعرّة وأثابه عليها.

ألم يسائل هذا الرجل باحثٌ عن مصدر هاتين الفريتين؟! هل قرأهما في كتاب من كتب الشيعة؟! أم سمعهما عن شيعيّ؟! أو بلغه الخبر عن عالم من علماء الإماميّة؟! وهؤلاء الشيعة وكتبهم منذ العصور المتقادمة حتّى اليوم تحكم بكفر من يقول بالتناسخ والحلول وتدين بالبرائة منه، فهلّا راجع الدكتور هاتيك الكتب قبل أن يرمي لا عن سدد؟! وتخطّ يمينه لا عن رشد؟! نعم سبقه في نسبة التناسخ إلى السيِّد ابن حزم الأندلسي في «الفصل» وقد عرفت ابن حزم ونزعاته في الجزء الأوّل ص ٣٧٧ - ٣٩٤ . وأمّا القول بالرجعة فليس من سنخ القول بالتناسخ والحلول وقد نطق بها الكتاب والسنّة كما فُصّل في طيّات الكتب الكلاميّة وتضمّنته التآليف الّتي أفردها أعلام الإماميّة فيها، وقد عرف من وقف على أخبار السيِّد وشعره وحجاجه برائته عن كلّ ما نبذه به من سخافة إن لم يكن الدكتور ممّن يرى أنّ التهالك في موالاة أهل البيت ومودّتهم ومدحهم والذبّ عنهم سخافةً.

حديثه مع من لم يتشيع

لم يكن يرى السيِّد لمناوئي العترة الطاهرة صلوات الله عليهم حرمةً

---

(١) مثل سائر.
(٢) مثل يضرب.

وقدراً، وكان يشدِّد النكير عليهم في كلٍّ موقف ويلفظهم بألسنة حداد بكلِّ حول وطول،وله في ذلك أخبارٌ منها:

١ ـ عن محمّد بن سهل الحميري عن أبيه قال: إنحدر السيِّد الحميري في سفينة إلى الأهواز، فماراه رجلٌ في تفضيل عليٍّ عليه السّلام وباهله على ذلك، فلمّا كان الليل قام الرجل ليبول على حرف السفينة، فدفعه السيِّد فغرقه، فصاح الملاّحون: غرق والله الرجل. فقال السيِّد: دعوه فإنّه باهلي[1]

٢ ـ إن السيِّد كان بالأهواز، فمرَّت به إمرأةٌ من آل الزبير تزفُّ إلى إسماعيل بن عبدالله بن العباس، وسمع الجلبة فسأل عنها فأُخبر بها، فقال:

أتتنا تزفُّ على بغلة ... وفوق رحالتها قُبَّه
زبيريَّةٌ من بنات الّذي ... أحلَّ الحرام من الكعبه[2]
تزفُّ إلى ملك ماجد ... فلا اجتمعا وبها الوجبه

فدخلت في طريقها إلى خربة للخلاء فنهشتها أفعى فماتت فكان السيِّد يقول: لحقتها دعوتي.

٣ ـ عن عبدالله بن الحسين بن عبدالله بن إسماعيل بن جعفر قال: خرج أهل البصرة يستسقون وخرج فيهم السيِّد وعليه ثيابٌ خزٌّ وجُبّةٌ ومطرفٌ وعمامةٌ فجعل يجرُّ مطرفه ويقول:

اهبط إلى الأرض فخذ جلمداً ... ثمَّ ارمهم يا مُزن بالجلمدِ
لا تسقهم من سبل قطرة ... فإنّهم حربُ بني أحمدِ

٤ ـ حدَّثني أبو سليمان الناجي قال: جلس المهدي يوماً يعطي قريشاً صِلات لهم وهو وليُّ عهد، فبدأ ببني هاشم ثمَّ بسائر قريش فجاء السيِّد فرفع

---

(١) الظاهر: باهلني.
(٢) يعني عبدالله بن الزبير وقد تحصن بالبيت الحرام وقاتل به.

إلى الربيع - حاجب المنصور - رقعة مختومة وقال: إنَّ فيها نصيحة للأمير فأوصلها إليه. فأوصلها، فإذا فيها:

قل لابن عبّاس سميِّ محمَّد ... لا تُعطينَّ بني عديّ درهما
أحرم بني تيم بن مرّة إنّهم ... شرُّ البريَّة آخراً ومقدَّما
إن تُعطهم لا يشكروا لك نعمةً ... ويكافئوك بأن تُذمَّ وتُشتما
وإن ائتمنتهم أو استعملتهم ... خانوك واتّخذوا خراجك مغنما
ولئن منعتهمُ لقد بدءوكمُ ... بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلما
منعوا تراث محمَّد أعمامه ... وابنيه وابنته عديلة مريما
وتأمّروا من غير أن يستخلفوا ... وكفى بما فعلوا هنالك مأثما
لم يشكروا لمحمَّد انعامه ... أفيشكرون لغيره إن أنعما؟!
والله منَّ عليهمُ بمحمَّد ... وهداهمُ وكسا الجنوب وأطعما
ثمَّ انبروا لوصيِّه ووليِّه ... بالمنكرات فجرَّعوه العلقما

قال: فرمى بها إلى أبي عبيدالله معاوية بن يسارالكاتب للمهدي ثمَّ قال: اقطع العطاء فقطعه، وانصرف الناس، ودخل السيِّد إليه، فلما رآه ضحك وقال: قد قبلنا نصيحتك يا إسماعيل! ولم يُعطهم شيئاً.

٥ - عن سويد بن حمدان بن الحصين قال: كان السيِّد يختلف إلينا ويغشانا، فقام من عندنا ذات يوم فخلفه رجلٌ وقال: لكم شرفٌ وقدرٌ عند السلطان فلا تجالسوا هذا فإنَّه مشهورٌ بشرب الخمر وشتم السلف. فبلغ ذلك السيِّد فكتب إليه:

وصفت لك الحوض يابن الحصين ... على صفة الحارث الأعورِ[1]
فإن تسق منه غداً شربة ... تفز من نصيبك بالأوفرِ
فما لي ذنبٌ سوى أنّني ... ذكرت الّذي فرَّ عن خيبرِ

---

(١) هو الحارث الأعور الهمداني المتوفّى سنة ٦٥ من مقدمي أصحاب أمير المؤمنين، يأتي ذكره في ترجمة والد شيخنا البهائي في شعراء القرن العاشر.

ذكرت امرأً فرَّ عن مرحب ... فرار الحمارِ من القسورِ
فأنكر ذاك جليسٌ لكم ... زنيمٌ أخو خلقٍ أعورِ
لحاني بحبِّ إمام الهدى ... وفاروق أُمَّتنا الأكبر
سأحلق لحيته إنَّها ... شهودٌ على الزور والمنكرِ

قال: فهجر والله مشايخنا جميعاً ذلك ولزموا محبَّة السيِّد ومجالسته.
الأغاني ج ٧ ص ٢٥٠ ـ ٢٥٤.

٦ ـ عن معاذ بن سعيد الحميري قال: شهد السيِّد إسماعيل بن محمَّد الحميري رحمه الله عند سوّار القاضي بشهادة، فقال له: ألست إسماعيل بن محمَّد الّذي يُعرف بالسيِّد؟ فقال: نعم. فقال له: كيف أقدمت على الشهادة عندي وأنا أعرف عداوتك للسلف؟ فقال السيِّد: قد أعاذني الله من عداوة أولياء الله وإنّما هو شيءٌ لزمني. ثمَّ نهض فقال له: قم يا رافضيّ! فوالله ما شهدت بحقّ. فخرج السيِّد رحمه الله وهو يقول:

أبوك ابن سارق عنز النبيِّ ... وأنت ابن بنت أبي جحدرِ
ونحن على رغمك الرافضو ... ن لأهل الضَّلالة والمنكرِ

ثمَّ عمل شعراً وكتبه في رقعة وأمر من ألقاها في الرقاع بين يدي سوّار. قال: فأخذ الرقعة سوّار فلما وقف عليها خرج إلى أبي جعفر المنصور وكان قد نزل الجسر الأكبر ليستعدي على السيِّد فسبقه السيِّد إلى المنصور فأنشأ قصيدته التي يقول فيها[1]:

يا أمين الله يا منـ ... ـصور يا خير الولاةِ
إنَّ سوّار بن عبد اللّـ ... ـه من شرِّ القضاةِ

---

(١) أولها:
قم بنا يا صاح واربع ... في المغاني الموحشات

نـعـثـليٌّ (١) جـمـليٌّ لـكـمُ غـيـر مـواتـي
جـدُّه سـارق عـنـز فـجـرةٌ مـن فـجـراتِ
لـرسـول الله والـقـا ذفـة بـالـمـنـكـرات (٢)
والّـذي كـان يُـنـادي من وراء الـحُـجـراتِ(٣)
يـا هنـاة اخـرج إلينـا إنّـنـا أهـل هـنـاتِ
فـاكفنيـه لا كفـاه الـلّـ ـه شـرٌّ الـطارقـاتِ
سـنّ فـيـنـا سننـاً كـا نـت مـواريـث الـطغـاةِ
فهجـونـاه ومـن يهـجـو يـصب بـالـفـاقـراتِ(٤)

قال: فضحك أبو جعفر المنصور وقال: نصبتك قاضياً فامدحه كما هجوته فأنشد رحمه الله يقول:

إنّي امـرؤٌ من حِمير أُسرتي بحيث تحـوي سروهـا حِميـرُ
آلـيـت لا أمـدح ذا نـائـل لـه سـنـاءٌ ولـه مـفـخـرُ
إلّا مِـن الغـرِّ بـني هـاشـم إنَّ لهم عنـدي يـداً تُشكـرُ
إنَّ لهم عنـدي يـداً شكـرهـا حـقٌّ وإن أنكـرهـا مـنـكـرُ
يـا أحمـد الخيـر الَّـذي إنّمـا كـان علينـا رحمـة تُنـشـرُ
حمـزة والـطيّـار في جنَّـة فحيث مـا شـاء دعـا جعفـرُ
منهم وهادينا الـذي نحن مِن بعـد عمـانـا فيـه نَستبصـرُ
لَمّـا دجـا الدين ورقَّ الهـدى وجار أهل الأرض واستكبـروا
ذاك عـليٌّ بـن أبـي طـالـب ذاك الَّـذي دانت لـه خيبـرُ

---

(١) قال الأستاذ العدوي في تعليقه على الأغاني ج ٧ ص ٢٦١: نعثل في الأصل: اسم رجل يهودي من أهل المدينة، وقيل: نعثل: رجل لحياني (طويل اللحية) من أهل مصر. كان يشبه بـه عثمان رضي الله عنه إذا نيل منه.

(٢) اخذنا هذا البيت من الأغاني ج ٧ ص ٢٦١، والطبقات لابن المعتز ص ٨.

(٣) إشارة إلى نزول آية الحجرات في بني العنبر أجداد القاضي سوار.

(٤) الفاقرة: الداهية الشديدة. هذا البيت أخذناه من طبقات ابن المعتز ص ٧.

دانت ومـا دانت لـه عـنـوةً حتّى تـدهـدا عـرشـه الأكبـرُ
ويـوم سلع إذ أتى عـاتبـاً عمـرو بن عبد مُصلتاً يخـطرُ
يخـطر بـالسيف مُـدلاً كما يخطر فحل الصرمة الدوسرُ(١)
إذ جلّل السيف عـلى رأسـه أبيض عضبـاً حـدُّه مبتـرُ
فـخـرَّ كالجذع وأوداجـه ينصبّ منهـا حلبٌ أحـمـرُ

وكان أيضاً ممّا جرى له مع سوّار ما حدَّث به الحرث بن عبيدالله الربيعي، قال: كنت جالساً في مجلس المنصور وهو بالجسر الأكبر وسوّار عنده والسيِّد ينشده:

إنَّ الإلّه الذي لا شيء يشبهه آتـاكم الملك للدنيـا وللدينِ
آتـاكم الله ملكـاً لا زوال لـه حتّى يُقاد إليكم صاحب الصينِ
وصاحب الهند مـأخوذٌ بـرمّته وصاحب الترك محبوسٌ على هونِ

حتّى أتى القصيـدة والمنصور يضحـك فقال سـوّار، هذا والله يـا أميـر المؤمنين يُعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله إنّ القوم الذين يدين بحبّهم لغيركم، وإنّه لينطوي في عداوتكم. فقال السيِّد: والله إنّه لكاذب وإنّني في مديحكم لصادقٌ، ولكنّه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإنَّ انقطاعي ومودَّتي لكم أهل البيت لعرقٌ لي فيها عن أبويَّ، وإنَّ هذا وقومه لأعداؤكم في الجاهليَّة والإسلام، وقد أنزل الله عزَّ وجلَّ على نبيِّه عليه وآله السَّلام في أهل بيت هذا(٢)إنَّ الذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون. (سـورة الحجرات آيه ٤) فقال: المنصور: صدقتَ. فقال سوّار: يا أمير المؤمنين إنّه يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسبِّ والوقيعة فيهما. فقال السيِّد: أمّا قوله: بأنّي أقول بالرجعة فإنّ قولي في ذلك ما قال الله تعالى: ﴿ويوم نحشر من كلّ امّة فوجاً ممّن يُكذّب بآياتنا فهم يوزَعون﴾ (سورة النمل آية ٨٣) وقد قال في

---

(١) الصرمة بالكسر: القطعية من الإبل. الدوسر: الضخم الشديد.
(٢) راجع تفسير الخازن ج ٤ ص ١٧٤.

موضع آخر: ﴿وحشرناهم فلم نُغادِر منهم أحداً﴾ (سورة الكهف آية ٤٧) فعلمت أنّ ها هنا حشرين أحدهما عامٌّ والآخر خاصّ. وقال سبحانه: ﴿ربّنا أمتّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خُروج من سبيل﴾ (سورة غافر آية ١١) وقال الله تعالى: ﴿فأماته الله مائة عام ثمَّ بعثه﴾ (سورة البقرة آية ٢٥٩) وقال الله تعالى: ﴿ألم تر إلى الّذينَ خَرجُوا مِن ديارهم وهُمْ أُلوفٌ حذَر الموت فقالَ لهم الله موتوا ثُمَّ أحياهم﴾ (سورة البقرة آية ٢٤٣) فهذا كتاب الله عزَّ وجلَّ وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: يُحشر المتكبِّرون في صُوَر الذرِّ يوم القيامة[١] وقال صلّى الله عليه وآله: لم يجر في بني إسرائيل شيءٌ إلّا ويكون في أمّتي مثله حتّى المسخ والخسف والقذف[٢] وقال حذيفة: والله ما أبعد أن يمسخ الله كثيراً من هذه الامّة قردةً وخنازير[٣] فالرجعة التي نذهب إليها هي ما نطق به القرآن وجاءت به السنّة. وإنّني لأعتقد أنَّ الله تعالى يردُّ هذا - يعني سواراً - إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرَّةً فإنّه والله متجبرٌ متكبِّرٌ كافرٌ.

قال: فضحك المنصور وأنشد السيِّد يقول:

جاثيت سوّاراً أبا شملة ... عند الإمام الحاكم العادلِ
فقال قولاً خطأً كلّه ... عند الورى الحافي والناعلِ
ما ذبَّ عمّا قلت من وصمة ... في أهله بل لجَّ في الباطلِ
وبان للمنصور صدقي كما ... قد بان كذب الأنوك الجاهلِ
يبغض ذا العرش ومن يصطفي ... من رسله بالنيِّر الفاضلِ
ويشنأ الحبر الجواد الذي ... فُضِّل بالفضل على الفاضلِ
ويعتدي بالحكم في معشر ... أدّوا حقوق الرُّسل للراسلِ
فبيّن الله تزاويقه ... فصار مثل الهائم الهائلِ

---

(١) أخرجه الترمذي والنسائي والمنذري في الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٢٥، وابن الديبع في تيسير الوصول ج ٤ ص ١٥١.
(٢) راجع سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٥٠٣.
(٣) راجع سنن ابن ماجة ج ٢ ص ٤٨٩، والترغيب والترهيب ج٣ ص ١٠٧.

قال: فقال المنصور: كفَّ عنه. فقال السيِّد: يا أمير المؤمنين البادي أظلم يكفّ عنّي حتّى أكفَّ عنه. فقال المنصور لسوّار: تكلّم بكلام فيه نصفة، كفَّ عنه حتّى لا يهجوك. الفصول المختارة ج ١ ص ٦١ ـ ٦٤ .

وروى أبو الفرج للسيِّد مما أنشده المنصور في سوّار القاضي قوله:

قل للإمام الذي يُنجى بطاعته يوم القيامة مِن بحبوحة النارِ
لا تستعينن جزاك الله صالحه يا خير من دبَّ في حكم بسوّارِ
لا تستعن بخبيث الرأي ذي صلف جمٍّ العيوب عظيم الكبر جبّارِ
تضحي الخصوم لديه من تجبّره لا يرفعون إليه لحظ أبصارِ
تيهاً وكبراً ولولا ما رفعت له من ضبعه كان عين الجائع العاري

فدخل سوّار، فلمّا رآه المنصور تبسّم وقال: أما بلغك خبر أياس(١) بن معاوية حيث قبل شهادة الفرزدق واستزاد في الشهود، فما أحوجك للتعريض للسيِّد ولسانه ثمّ أمر السيِّد بمصالحته وأمره بأن يصير إليه معتذراً ففعل فلم يعذره، فقال:

أتيت دعيَّ بني العنبر أروم اعتذاراً فلم أعذرِ
فقلت لنفسي وعاتبتها على اللؤم في فعلها: أقصري
أيعتذر الحرّ ممّا أتى إلى رجل من بني العنبرِ؟!
أبوك ابن سارق عنز النبيّ وامّك بنت أبي جحدرِ
ونحن على رغمك الرافضو ن لأهل الضّلالة والمنكرِ

قال: وبلغ السيِّد أنَّ سوّاراً قد أعدَّ جماعة يشهدون عليه بسرقة ليقطعه، فشكاه إلى أبي جعفر، فدعا بسوّار وقال له: قد عزلتك عن الحكم للسيِّد أو عليه، فما تعرّض له بسوء حتّى مات .

---

(١) هو أياس بن معاوية بن قرة المزني البصري ولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة توفّي سنة ١٢٢، وحديث قبوله شهادة الفرزدق يوجد في الأغاني ج ١١ ص ٥٠ طبع ١٩ ص ٥٠ طبع بولاق.

٧ - عن إسماعيل بن الساحر قال: تلاحى رجلان من بني عبدالله بن دارم في المفاضلة بعد رسول الله ﷺ فرضيا بحكم أوّل من يطلع فطلع السيِّد، فقاما إليه وهما لا يعرفانه، فقال له مفضِّل عليّ بن أبي طالب عليه السلام منهما: إنّي وهذا اختلفنا في خير الناس بعد رسول الله ﷺ فقلت: عليّ بن أبي طالب. فقطع السيِّد كلامه ثمَّ قال: وأيّ شيء قال هذا الآخر ابن الزّانية؟! فضحك من حضر ووجم الرجل ولم يحر جواباً. الأغاني ج ٧ ص ٢٤١، وطبقات الشعراء لابن المعتز ص ٧ عن محمَّد بن عبدالله السدوسي عن السيِّد نفسه.

٨ - في كتاب الحيوان للجاحظ ج ١ ص ٩١ شبّه السيِّد ابن محمَّد الحميري عائشة رضي الله عنها في نصبها الحرب يوم الجمل لقتال بنيها بالهرَّة حين تأكل أولادها فقال:

جاءت مع الأشقين في هودج ... تزجى إلى البصرة أجنادها
كأنّها في فعلها هرَّةٌ ... تُريد أن تأكل أولادها

أخباره وملحه

روى أبو الفرج وغيره شطراً وافياً من أخبار السيِّد وملحه ونوادره لو جمعت ليأتي كتاباً ونحن نضرب عن ذكر جميعها صفحاً ونقتصر منها بنبذة يسع لذكرها المجال.

١ - روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥٠ بإسناده عن رجل قال: كنت أختلف إلى ابني قيس، وكانا يرويان عن الحسن[1] فلقيني السيِّد يوماً وأنا منصرفٌ من عندهما، فقال: أرني ألواحك أكتب فيها شيئاً وإلاّ أخذتها فمحوت ما فيها. فأعطيته ألواحي فكتب فيها:

لشربة من سويق عند مسغبة ... وأكلة من ثريد لحمه واري

---

(١) هو أبو سعيد الحسن بن أبي يسار البصري المتوفّى سنة ١١٠، قال ابن أبي الحديد: كان ممن قيل: انه يبغض عليّاً عليه السلام ويذمه.

أشدُّ، ممّا روى حبّاً إليَّ بنو ... قيس وممّا روى صلت بن دينارِ
ممّا رواه فلانٌ عن فلانهم ... ذاك الذي كان يدعوهم إلى النارِ

٢ ـ جلس السيِّد يوماً إلى قوم فجعل ينشدهم وهم يلغطون فقال:

قد ضيّع الله ما جمّعت من أدب ... بين الحمير وبين الشاء والبقرِ
لا يسمعون إلى قول أجيء به ... وكيف تستمع الأنعام للبشرِ؟!
أقول ما سكتوا: إنسٌ فإن نطقوا ... قلت الضفادع بين الماء والشجرِ

٣ ـ اجتمع السيِّد في طريقه بامرأة تميميَّة إباضيَّة، فأعجبها وقالت: أُريد أن أتزوَّد بك ونحن على ظهر الطريق. قال: يكون كنكاح امِّ خارجة قبل حضور وليٍّ وشهود، فاستضحكت وقالت: ننظر في هذا، وعلى ذلك فمن أنت؟ فقال:

إن تسأليني بقومي تسألي رجلاً ... في ذروة العزِّ من أحياء ذي يمنِ
حولي بها ذو كلاع في منازلها ... وذو رعين وهمدان وذو يزنِ
والأزد أزد عمان الأكرمون إذا ... عُدّت مآثرهم في سالف الزمنِ
بانت كريمتهم عنّي فدارهُمُ ... داري وفي الرحب من أوطانهم وطني
لي منزلان بلحج منزلٌ وسطٌ ... منها ولي منزلٌ للعزِّ في عدنِ
ثمَّ الولاء الّذي أرجو النجاة به ... من كبّة النار للهادي أبي حسنِ

فقالت: قد عرفناك ولا شيء أعجب من هذا يمانٌ وتميميَّة ؛ ورافضيٌّ وإباضيَّة، فكيف يجتمعان؟ فقال: بحسن رأيك فيَّ، تخسو نفسك، ولا يذكر أحدنا سلفاً ولا مذهباً. قالت: أفليس التزويج إذا علم انكشف معه المستور، وظهرت خفيّات الأمور؟؟!! قال: أعرض عليكِ اخرى. قالت: ما هي؟ قال: المتعة التي لا يعلم بها أحدٌ. قالت: تلك أُخت الزنا. قال: أعيذك بالله أن تكفري بالقرآن بعد الإيمان. قالت: فكيف؟ قال: قال الله تعالى: ﴿فما استمتعتم به منهنَّ فآتوهنَّ أجورهنَّ فريضة ولا جُناح عليكم فيما تراضيتم به مِن بعدالفريضة﴾. فقالت: ألا تستخير الله وأُقلدك إن كنت صاحب قياس؟! قال: قد فعلت. فانصرفت معه وبات معرِّساً بها، وبلغ أهلها من الخوارج أمرها،

فتوعَّدوها بالقتل وقالوا: تزوَّجت بكافر؟! فجحدت ذلك ولم يعلموا بالمتعة. فكانت مدَّة تختلف إليه على هذه السبيل من المتعة وتواصله حتّى افترقا.

(قول السيِّد) في صدر القصَّة: يكون كنكاح أمّ خارجة: ايعازٌ إلى المثل السایر: أسرع من نكاح أُمّ خارجة. يُضرب به في السرعة، وأُمُّ خارجة هي عمرة بنت سعد بن عبد الله بن قدار بن ثعلبة كان يأتيها الخاطب فيقول: خطب. فتقول: نكح. فيقول: أنزلي. فتقول: أنخ. قال المبرِّد: ولدت أُمّ خارجة للعرب في نيف وعشرين حيّاً من آباء متفرقة، وكانت هي إحدى النساء اللاّتي إذا تزوَّجت واحدة الرَّجل فأصبحت عنده كان أمرها إليها إن شاءت أقامت وإن شاءت ذهبت، وعلامة إرتضائها للزّوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح.

٢ - قال عليُّ بن المغيرة: كنت مع السيِّد على باب عقبة بن سلم، ومعنا ابنٌ لسليمان بن عليّ ننتظره وقد أسرج له ليركب، إذ قال ابن سليمان بن عليّ يعرِّض بالسيِّد: أشعر الناس والله الَّذي يقول:

محمَّد خير من يمشي على قدم ... وصاحباه وعثمان بن عفّانا

فوثب السيِّد وقال: أشعر والله منه الَّذي يقول:

سائل قريشاً إذا ما كنت ذا عمه ... مَن كان أثبتها في الدين أوتادا؟!
مَن كان أعلمها علماً؟! وأحلمها ... حلماً؟! وأصدقها قولاً وميعادا؟!
إن يصدقوك فلن يعدوا أبا حسن ... إن أنت لم تلق للأبرار حُسّادا

ثمَّ أقبل على الهاشمي فقال: يا فتى! نعم الخلف أنت لشرف سلفك، أراك تهدم شرفك، وتثلب سلفك، وتسعى بالعداوة على أهلك، وتفضل من ليس أصلك من أصله على من فضلك من فضله، وسأخبر أمير المؤمنين عنك بذا حتى يضعك، فوثب الفتى خجلاً ولم ينتظر عقبة بن سلم. وكتب إليه صاحب خبره بما جرى عند الركوبة حتّى خرجت الجائزة للسيِّد.

٥ - روى أبو سليمان الناجي: أنَّ السيِّد قدم الأهواز وأبو بُجير بن سمّاك الأسدي يتولاها وكان له صديقاً، وكان لأبي بُجير مولى يُقال له يزيد بن مذعور

يحفظ شعر السيِّد ويُنشده أبا بُجير، وكان أبو بُجير يتشيَّع. فذهب السيِّد إلى قوم من إخوانه بالأهواز فنزل بهم وشرب عندهم فلمّا أمسى انصرف، فأخذه العَسَس(١) فحبس فكتب من غده بهذه الأبيات وبعث بها إلى يزيد بن مذعور، فدخل على أبي بُجير وقال: قد جنى عليك صاحب عَسَسك ما لاقوام لك به. قال: وما ذلك؟! قال: اسمع هذه الأبيات كتبها السيّد من الحبس، فأنشده يقول:

قف بالديار وحيِّها يا مربعُ ... واسأل وكيف يجيب من لا يسمعُ؟!
إنَّ الديار خلت وليس بجوِّها ... إلّا الضوايح والحمام الوقَّعُ
ولقد تكون بها أوانس كالدمى ... جملٌ وعزَّة والرباب ويوزعُ
حورٌ نواعم لا ترى في مثلها ... أمثالهنَّ من الصيانة أربعُ
فعرين بعد تألُّفٍ وتجمّعٍ ... والدهر - صاح - مشتِّتٌ ما تجمعُ
فاسلم فإنَّك قد نزلت بمنزل ... عند الأمير تضرُّ فيه وتنفعُ
تأتي هواك إذا نطقت بحاجة ... فيه وتشفع عنده فيشفَّعُ
قل للأمير إذا ظهرت بخلوة ... منه ولم يك عنده مَن يسمعُ
هب لي الَّذي أحببته في أحمد ... وبنيه إنَّك حاصدٌ ما تزرعُ
يختصُّ آل محمَّدٍ بمحبَّةٍ ... في الصدر قد طويت عليها الأضلعُ

ويقول فيها:

قم يابن مذعور فأنشد نكَّسوا ... خضع الرقاب بأعين لا ترفعُ
لولا حذار أبي بُجير أظهروا ... شنآنهم وتفرَّقوا وتصدَّعوا
لا تجزعوا فلقد صبرنا فاصبروا ... سبعين عاماً والأُنوف تُجدَّعُ
إذ لا يزال يقوم كلّ عروبة(٣) ... منكم بصاحبنا خطيبٌ مصقعُ
مستحفزٌ في غيِّه متتابعٌ ... في الشتم مثّله بخيل يسجعُ
ليسرَّ مخلوقاً ويسخط خالقاً ... إنَّ الشقيَّ بكلِّ شرٍّ مولعُ

---

(١) جمع العاس من عس عساً: طاف بالليل يحرس الناس.
(٢) الدمى ج الدمية: الصورة المزينة فيها حمرة كالدم.
(٣) يوم الجمعة كان يسمى قديماً: يوم عروبة ويوم العروبة. والأفصح عدم إدخال الألف واللام.

فلمّا سمعها أبو بُجير دعا صاحب عَسعسه فشتمه وقال: جنيتَ عليَّ ما لا يُدلى به. اذهب صاغراً إلى الحبس وقل: أيّكم أبو هاشم؟ فإذا أجابك فأخرجه واحمله على دابّتك وامش معه صاغراً حتّى تأتيني به. ففعل، فأبى السيِّد ولم يُجبه إلى الخروج إلاّ بعد أن يطلق له كلّ من أخذ معه، فرجع إلى أبي بُجير فأخبره. فقال: الحمد لله الذي لم يقل: أخرجهم وأعط كلّ واحد منهم مالاً. فما كنّا نقدر على خلافه، افعل ما أحبّ برغم أنفك الآن. فمضى فخلّى سبيله وسبيل كلّ من كان معه ممّن أُخذ في تلك الليلة، وأتى به إلى أبي بُجير: فتناوله بلسانه وقال: قدمت علينا فلم تأتنا وأتيت بعض أصحابك الفسّاق، وشربت ما حُرِّم عليك حتى جرى ما جرى. فاعتذر من ذلك إليه. فأمر له أبو بُجير بجائزة سنيّة وحمله وأقام عنده مدّة.

٦ ـ قال أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٥٩: أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال: حدَّثنا عمر بن شَبَّة قال: حدَّثنا حاتم بن قبيصة قال: سمع السيِّد محدِّثاً يُحدِّث: إنَّ النبيَّ ﷺ كان ساجداً فركب الحسن والحسين على ظهره، فقال عمر رضي الله عنه: نعم المطيُّ مطيّكما. فقال النبي ﷺ: ونعم الراكبان هما. فانصرف السيد من فوره فقال في ذلك:

أتى حسنٌ والحسين النبيَّ ... وقد جلسا حجره يلعبان
ففدّاهما ثمَّ حيّاهما ... وكانا لديه بذاك المكان
فراحا وتحتهما عاتقاه ... فنعم المطيَّة والراكبان
وليدان امّهما برَّةٌ ... حصانٌ مطهرةٌ للحسان
وشيخهما ابن أبي طالبٍ ... فنعم الوليدان والوالدان
خليليَّ لا تُرجيا واعلما ... بأنَّ الهدى غير ما تزعمان
وأنَّ عمى الشكِّ بعد اليقين ... وضعف البصيرة بعد العيان
ضلالٌ فلا تلججا فيهما ... فبئست لعمركما الخصلتان
أيُرجى عليٌّ إمام الهدى ... وعثمان ما أعند المرجيان
ويُرجى ابن حرب وأشياعه ... وهوج الخوارج بالنهروان

يكـــون إمـــامهمُ في المعـــاد خبيث الهوى مؤمن الشيصبان[١]

وذكر ابن المعتز في طبقاته ص ٨ أبياتاً من دون ذكر الحديث وهي:

أتى حسنـاً والحسين الرسـولُ وقـد برزوا ضحـوةً يلعبـان
وضـمّـهـمـا وتـفـدّاهـمـا وكـانـا لـديه بـذاك المكـان
وطـأطـأ تحتهمـا عـاتقيـه فنعم المـطيَّـة والـركـبـان

وذكر المرزباني في أخبار السيِّد ستَّة أبيات منها ولم يذكر الحديث وزاد:

جـزى الله عنّـا بني هـاشم بـانعـام أحمـد أعلى الجنـان
فـكـلّهـمُ طـيِّـبٌ طـاهـرٌ كـريم الشمائـل حلو اللسـان

(قـال الأميني): هـذه القصيـدة تتضمَّن أحـاديث وردت في الإمـامين السبطين وقد تلفت جملةٌ من أبياته فقوله:

أتى حسـنٌ والحسيـن النبيَّ وقـد جلسـا حجـره يلعبـان

إشارةٌ إلى ما أخرجه الطبراني وابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٤ عن أبي أيّوب الأنصاري قال: دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين يلعبان بين يديه في حجره فقلت: يا رسول الله! أتُحبّهما؟! فقال: كيف لا أُحبّهما؟! وهما ريحانتي من الدُّنيا أشمّهما.

وعن جابر: قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو حامل الحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما فقلت: نعم الجمل جملكما. فقال: نعم الراكبان هما. وفي لفظ: دخلت عليه والحسن والحسين على ظهره وهو يمشي بهما على أربع يقول ﷺ: نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما. أخرجه ابن عساكر في تاريخ الشام ج ٤ ص ٢٠٧.

---

(١) الشيصبان: اسم الشيطان.

وقوله:

أتى حسناً والحسين الرّسولُ   وقــد بـرزوا ضحــوةً يلعبـان

ويعده من أبيات إشارة إلى ما أخرجه الطبراني عن يعلى بن مرّة وسلمان قالا: كنّا حول النبي ﷺ فجاءت امُّ أيمن فقالت: يا رسول الله! لقد ضلَّ الحسن والحسين وذلك راد النهارْ. يقول: ارتفاع النهار. فقال رسول الله ﷺ: قوموا فاطلبوا ابنيّ وأخذ كلُّ رجل تجاه وجهة وأخذتُ نحو النبيِّ ﷺ فلم يزل حتّى أتى سفح جبل وإذا الحسن والحسين يلتزق كلٌّ واحد منهما صاحبه وإذا شجاعٌ على ذنبه يخرج من فيه شبه النار فأسرع إليه رسول الله ﷺ فالتفت مخاطباً لرسول الله ﷺ ثمّ انساب فدخل بعض الأحجرة ثمّ أتاهما فأفرق بينهما ومسح وجوههما وقال: بأبي وامّي أنتما ما أكرمكما على الله. ثمّ حمل أحدهما على عاتقه الأيمن والآخر على عاتقه الأيسر فقلت: طوبا لكما نعم المطيَّة مطيَّتكما. فقال رسول الله ﷺ: ونعم الراكبان هما وأبوهما خيرٌ منهما. الجامع الكبير للسيوطي كما في ترتيبه ج ٧ ص ١٠٦.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٣١٧ عن عمر: قال: رأيت الحسن والحسين على عاتقي النبيِّ فقلت. نعم الفرس راحلتكما. وفي لفظ ابن شاهين في السنّة: نعم الفرس تحتكما: فقال النبيُّ ﷺ: ونعم الفارسان هما

٧ - عن سليمان بن أرقم قال: كنت مع السيِّد فمرَّ بقاصٍّ على باب أبي سفيان بن العلاء وهو يقول: يوزن رسول الله ﷺ يوم القيامة في كفَّة بامَّته أجمع فيرجح بهم، ثمَّ يُؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح، ثم يُؤتى بفلان فيوزن بهم فيرجح، فأقبل على أبي سفيان فقال: لعمري انَّ رسول الله ﷺ ليرجح على امَّته في الفضل، والحديث حقٌّ، وإنما رجح الآخران الناس في سيِّئاتهم، لأنَّ من سنَّ سنَّةً سيِّئة فعُمل بها بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها[1] قال: فما

(١) أخرج حديث: من سن. ابن ماجة في سننه ج ١ ص ٩٠ ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم.

أجابه أحدٌ فمضى فلم يبق أحدٌ من القوم إلاّ سبّه. [الأغاني ج ٧ ص ٢٧١].

٨ ـ عن محمّد بن كناسة قال: أهدى بعض ولاة الكوفة إلى السيِّد رداءاً عدنيّاً، فكتب إليه السيِّد فقال:

وقد أتانا رداءٌ من هديّتكم فلا عدمتك طول الدهر من والِ
هو الجمال جزاك الله صالحة لو أنّه كان موصولاً بسربالِ

فبعث إليه بخلعة تامّة وفرس جواد وقال: يقطع عتاب أبي هاشم واستزادته إيّانا.

٩ ـ روى المرزباني مسنداً عن الحرث بن عبيدالله بن الفضل قال: كنّا عند المنصور فأمر بإحضار السيِّد فحضر قال: أنشدني مدحك لنا في قصيدتك الميميّة التي أوّلها:

أتعرف داراً عفى رسمها . . . .

ودع التشبيب. فأنشده وقال:

فدع ذا وقل في بني هاشم فإنّك والله تستعصمُ
بني هاشم حبّكم قربةٌ وحبّكمُ خير ما يُعلمُ
بكم فتح الله باب الهدى كذاك غداً بكمُ يختمُ
ألام وألقى الأذى فيكمُ ألا لائمي فيكمُ ألومُ
وما لي ذنبٌ يعدّونه سوى أنّني بكمُ مُغرمُ
وإنّي لكم وامقٌ ناصحٌ وإنّي بحبّكمُ مُعصمُ
فأصبحت عندهمُ مأثمي مآثر فرعون أو أعظمُ
فلا زلت عندكمُ مرتضى كما أنا عندهمُ مُتهمُ
جعلت ثنائي ومدحي لكم على رغم أنف الّذي يُرغمُ

فقال له المنصور: أظنّك أوديت في مدحنا كما أودى حسّان بن ثابت في مدح رسول الله ﷺ وما أعرف هاشميّاً إلاّ ولك عليه حقٌّ. والسيِّد يشكره وهو يكلّمه بكلام من وصفه ما سمعته يقول لأحد مثله.

١٠ - روى المرزباني في أخبار السيِّد بإسناده عن جعفر بن سليمان قال: كنّا عند المنصور فدخل عليه السيِّد فقال له: أنشدني قصيدتك التي تقول فيها:

ملك ابن هند وابن أروى قبله ... ملكاً أمرّ بحلّه الإبرامُ
وأضاف ذاك إلى يزيد ملكه ... إثمٌ عليه في الورى وغرامُ
أخزى الإلّه بني اميّة إنّهم ... ظلموا العباد بما أتوه وحاموا
نامت جدودهمُ وأسقط نجمهم ... والنجم يسقط والجدود تنامُ
جزعت اميّة من ولاية هاشم ... وبكت ومنهم قد بكى الإسلامُ
إن يجزعوا فلقد أتتهم دولة ... وبها تدوم عليكمُ الأيّامُ
فلكم يكون بكلّ شهر أشهرٌ ... وبكلّ عامٍ واحدٍ أعوامُ
يا رهط أحمد إنَّ مَن أعطاكمُ ... ملك الورى وعطاؤه أقسامُ
ردَّ الوراثة والخلافة فيكمُ ... وبنو اميّة صاغرون رغامُ
لَمتمِّمٌ لكم الذي أعطاكمُ ... ولكم لديه زيادة وتمامُ
أنتم بنو عمِّ النبيِّ عليكمُ ... من ذي الجلال تحيّةٌ وسلامُ
وورثتموه وكنتمُ أولى به ... إنَّ الولاء تحوزه الأرحامُ
ما زلت أعرف فضلكم ويحبّكم ... قلبي عليه وإنّني لغلامُ
أُوذى وأُشتم فيكمُ ويُصيبني ... من ذي القرابة جفوةٌ وملامُ
حتى بلغت مدى المشيب فأصبحت ... منّي القرون كأنّهن ثغامُ[1]

قال: فرأيت المنصور يلقمه من كلِّ شيء كان بين يديه ويقول: شكراً لله ولك يا إسماعيل حبّك لأهل البيت صلّى الله عليهم، ومدحك لهم، وجزاك عنّا خيراً، يا ربيع ادفع إلى إسماعيل فرساً وعبداً وجاريةً وألف درهم واجعل الألف له في كلِّ شهر.

١١ - عن الجاحظ عن إسماعيل الساحر قال: كنت أسقي السيِّد الحميري

---

(١) الثغام: شجر أبيض الزهر واحدته: ثغامة. يقال: صار الراس ثاغماً. اي أبيض.

وأبا دلامة فسكر السيِّد وغمض عينيه حتّى حسبناه نام فجاءت بنتٌ لأبي دلامة قبيحة الصورة فضمَّها إليه ورقَّصها وهو يقول:

ولم ترضعك مريمُ امّ عيسى ولم يكفلك لقمان الحكيمُ

ففتح السيِّد عينه وقال:

ولكن قد تضمّك امّ سوء إلى لبّاتها وأبٌ لئيمُ

«لسان الميزان ج ١ ص ٤٣٨».

١٢ - روى شيخ الطائفة كما في أمالي ولده ص ١٢٤ بإسناده عن محمَّد ابن جبلة الكوفي قال: اجتمع عندنا السيِّد بن محمَّد الحميري، وجعفر بن عفّان الطائي[١] فقال له السيِّد: ويحك أتقول في آل محمَّد عليهم السّلام شرّاً:

ما بال بيتكمُ يُخرّب سقفه وثيابكم من أرزل الأثواب؟!؟!

فقال جعفر: فما أنكرت من ذلك؟ فقال له السيِّد: إذا لم تحسن المدح فاسكت أيوصف آل محمد بمثل هذا؟! ولكنّي أعذرك هذا طبعك وعلمك ومنتهاك وقد قلت أنحو عنهم عار مدحك:

أُقسم بالله وآلائه والمرء عمّا قال مسئول
إنّ عليَّ بن أبي طالب على التّقى والبرِّ مجبول
وإنّه كان الإمام الذي له على الامّة تفضيل
يقول بالحقّ ويعني به ولا تُلهّيه الأباطيل
كان إذا الحرب مرتها القنا وأحجمت عنها البهاليل
يمشي إلى القرن وفي كفّه أبيض ماضي الحدِّ مصقول
مشي العفرني[٢] بين أشباله أبرزه للقَنص[٣] الغيل[٤]

(١) أبو عبدالله المكفوف من شعراء الكوفة له في أهل البيت مراثي استنشدها الإمام الصادق صلوات الله عليه.

(٢) يقال: أسد عفرني. أي: شديد.

(٣) قنص الطير قنصاً: صاده. والقنص بفتح القاف والنون: المصيدة.

(٤) الغيل: الأجمة. موضع الاسد ج أغيال وغيول.

ذاك الّذي سلّم في ليلة عليه ميكالٌ وجبريل
ميكال في ألف وجبريل في ألف ويتلوهم سرافيل
ليلة بدر مدداً أنزلوا كأنّهم طيرٌ أبابيل
فسلّموا لما أتوا حذوه وذاك إعظامٌ وتبجيل

كذا يُقال فيه يا جعفرا! وشعرك يُقال مثله لأهل الخصاصة والضعف. فقبّل جعفر رأسه وقال: أنت والله الراس يا أبا هاشم، ونحن الأذناب. وهذا الحديث رواه أبو جعفر الطبري في الجزء الثاني من «بشارة المصطفى» عن الشيخ أبي علي ابن شيخ الطائفة عن أبيه بإسناده.

خلفاء عصره:

أدرك السيّد عشراً من الخلفاء: خمسة من بني اميّة وخمسة من بني العبّاس وهم:

١ ـ هشام بن عبد الملك المتوفّى سنة ١٢٥ عن خلافة ١٩ سنة و٩ أشهر. وُلد السيّد في أوّل خلافته.

٢- وليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول سنة ١٢٦.
٣- يزيد بن الوليد المتوفّى سنة ١٢٦ عن ملك ستّة أشهر.
٤- إبراهيم بن الوليد المتوفّى سنة ١٢٧ عن ملك ثلاثة أشهر.

٥ ـ مروان بن محمّد بن مروان بن الحكم المقتول سنة ١٣٢ وبه انقرضت دولتهم.

٦ ـ السفّاح أوّل من تسنّم بالملك من بني العبّاس سنة ١٣٢ توفّي سنة ١٣٦ وللسيّد فيه شعرٌ يوجد في الأغاني، وفوات الوفيات، وشرح النهج لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢١٤. وكانت جراية السيّد منه كلّ سنة جاريةً ومن يخدمها، وبدرة دراهم وحاملها، وفرساً وسائسها، وتختاً من صنوف الثياب وحامله.

٧ ـ المنصور المتوفّى سنة ١٥٨ وكان حسن الحال عنده يطلق لسانه بما أراد،وكانت جرايته للسيِّد كلَّ شهر ألف درهم.

٨ ـ المهدي بن المنصور المتوفّى سنة ١٦٩ تورَّع عنه السيِّد في أوَّل خلافته وهجاه فأُخذ واعتذر فرضي عنه فمدحه. مرَّ بعض أخباره معه.

٩ ـ الهادي بن المهدي المتوفّى سنة ١٧٠.

١٠ ـ الرشيد المتوفّى سنة ١٩٣ بعد ملك ٢٣ عاماً مدحه السيِّد بقصيدتين فأمر له ببدرتين ففرَّقهما فبلغ ذلك الرشيد فقال: أحسب أبا هاشم تورَّع عن قبول جوائزنا.

قال المرزباني في أخبار السيِّد: لمّا ولي الرشيد رُفع إليه في السيِّد أنَّه رافضيٌّ فأحضره فقال: إن كان الرافضيُّ هو الّذي يحبُّ بني هاشم ويُقدِّمهم على سائر الخلق فما أعتذر منه ولا أزول عنه، وإن كان غير ذلك فما أقول به ثمَّ أنشد:

شجاك الحي إذ بانوا ... فدمع العين هتّانُ
كأنّي يوم ردّوا العيس ... للرُّحلة نشوانُ
وفوق العيس إذ ولّوا ... بها حورٌ وغزلانُ
إذا ما قمن فالأعجا ... ز في التشبيه كثبانُ
وما جاوز للأعلى ... فأقمارٌ وأغصانُ

ومنها:

عليٌّ وأبو ذرّ ... ومقداد وسلمانُ
وعبّاسٌ وعمّار ... وعبدالله إخوانُ
دعوا فاستودعوا علماً ... فأدّوه وما خانوا
أدين الله ذا العزَّة ... بالدين الذّي دانوا
وعندي فيه إيضاحٌ ... عن الحقِّ وبرهانُ
وما يجحد ما قد قلـ ... ـت في السبطين إنسانُ

وإن أنكــر ذو النّصـب　　فـعنـدي فيـه عـرفـانُ
وإن عــدّوه لـي ذنـبـاً　　وحــال الـوصــل هجـرانُ
فــلا كـان لهــذا الـذنب　　عـنـد الـقـوم غـفـرانُ
وكــم عــدّت إسـاءات　　لـقـوم وهـي إحـســانُ
وســرّي فيـه يـا داعـيَ　　ديــن الله إعــلانُ
فــحبّـي لـك إيـمـانٌ　　وميـلي عنـك كـفـرانُ
فـعــدّ القــوم ذا رفـضـاً　　فــلا عــدّوا ولا كـانـوا

قال: فألطف له الرشيد ووصله جماعةٌ من بني هاشم.

صفته في خلقته:

كان السيِّد الحميري أسمر، تامَّ القامة، أشنب[١] ذا وفرة[٢]، جميل الوجه، رحيب الجبهة، عريض ما بين السالفتين، حسن الألفاظ، جميل الخطاب، إذا تحدَّث في مجلس قوم أعطى كلِّ رجل في المجلس نصيبه من حديثه، وكان من أظرف الناس.

قال شيبان بن محمَّد الحرّاني ـ وكان يُلقّب بعَوضة من سادات الأزد ـ: كان السيِّد جاري وكان أدلم وكان يُنادم فتياناً من فتيان الحيِّ فيهم فتىً مثله أدلم غليظ الأنف والشفتين مزنج الخلقة. وكان السيِّد من أنتن الناس إبطين وكانا يتمازحان فيقول له السيِّد: أنت زنجيُّ الأنف والشفتين. ويقول الفتى للسيِّد: أنت زنجيُّ اللون والإبطين. فقال السيِّد:

أعــارك يــومَ بـعنـاهُ رباحٌ[٣]　　مشـافرهُ وأنفـك ذا القبيحـا
وكــانت حصّتي إبـطيٌّ منـه　　ولـوناً حـالكاً أمسى فضـوحـا

---

(١) الشنب: البياض والبريق والتحديد في الأسنان.
(٢) الوفرة: ما جاوز شحمة الاذنين من الشعر.
(٣) من أسماء العبيد.

فهل لك في مبادلتيك إبطي   بأنفك؟ تحمد البيع الرّبيحا
فإنّك أقبح الفتيان أنفاً   وإبطي أنتن الآباط ريحا

الأغاني ج ٧ ص ١٣٣، أمالي ابن الشيخ ص ٤٣.

ولادته، ووفاته:

ولد سيِّد الشعراء الحميري سنة ١٠٥ بعمّان[١] ونشأ في البصرة في حضانة والديه الإباضيِّين إلى أن عقل وشعر فهاجرهما واتَّصل بالأمير عقبة بن سلم وتزلّف لديه حتى مات والداه فورثهما كما مرّ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ ثمَّ غادر البصرة إلى الكوفة وأخذ فيها الحديث عن الأعمش وعاش متردِّداً بينهما.

وتوفِّي في الرميلة ببغداد في خلافة الرشيد وهذا هو المتسالم عليه وكفِّن بأكفان وجَّهها الرشيد بأخيه وصلّى عليه أخوه علي بن المهدي[٢] وكبَّر خمساً على طريق الإماميَّة ووقف على قبرة إلى أن سُطح بأمر من الرشيد ودفن في جُنينة[٣] ناحية من الكرخ مما يلي قطيعة الربيع[٤].

أمّا سنة وفاته فقد أرّخها المرزباني بسنة ١٧٣ ونقلها القاضي المرعشي في مجالسه عن خطِّ الكفعمي[٥] وقال ابن حجر بعد نقل التأريخ المذكور عن أبي الفرج: أرَّخه غيره سنة ١٧٨ وأرَّخه ابن الجوزي سنة تسع.

روى المرزباني بإسناده عن ابن أبي حودان قال: حضرت السيِّد ببغداد عند موته فقال لغلام له: إذا متُّ فأت مجمع البصريِّين وأعلمهم بموتي وما أظنّه يجيء منهم إلاّ رجلٌ أو رجلان ثمَّ اذهب إلى مجمع الكوفيِّين فأعلمهم بموتي أنشدهم:

---

(١) لسان الميزان ج ١ ص ٤٣٨.
(٢) فما في مجالس المؤمنين وبعض المعاجم: صلى عليه المهدي فيه تصحيف إذ المهدي توفي سنة ١٦٩ قبل المترجم بسنين.
(٣) الجنينة تصغير جنة وهي الحديقة والبستان.
(٤) تنسب إلى الربيع بن يونس حاجب المنصور.
(٥) أحد شعراء الغدير في القرن العاشر تأتي هناك ترجمته.

يا أهل كوفان إنّي وامقٌ لكمُ ... مذ كنت طفلاً إلى السبعين والكبرِ
أهواكمُ وأُواليكم وأمدحكم ... حتماً عليَّ كمحتوم من القدرِ
لحبّكم لوصيّ المصطفى وكفى ... بالمصطفى وبه من سائر البشرِ
والسيّدين أولي الحسنى ونجلهمُ ... سميٌّ من جاء بالآيات والسورِ
هو الإمام الّذي نرجو النجاة به ... من حرِّ نار على الأعداء مستعرِ
كتبت شعري إليكم سائلاً لكمُ ... إذ كنت أنقل من دار إلى حفرِ
أن لا يليني سواكم أهل بصرتنا ... الجاحدون أو الحادّون للبدرِ
ولا السلاطين إنَّ الظلم حالفهم ... فعرفهم صائرٌ لا شكَّ للنُكرِ
وكفّنوني بياضاً لا يخالطه ... شيءٌ من الوشي أو من فاخر الحبرِ
ولا يُشيعني النصّاب إنّهمُ ... شرُّ البريَّة من انثى ومن ذكرِ
عسى الإلّه ينجّيني برحمته ... ومدحي الغرر الزّاكين من سقرِ

فإنّهم ليسارعون إليَّ ويكبرون. فلمّا مات فعل الغلام ذلك فما أتى من البصريِّين إلّا ثلاثة معهم ثلاثة أكفان وعطر، وأتى من الكوفيِّين خلقٌ عظيم معهم سبعون كفناً، ووجَّه الرشيد بأخيه عليّ وبأكفان وطيب؛ فرُدَّت أكفان العامَّة عليهم وكفِّن في أكفان الرشيد، وصلّى عليه عليُّ بن المهدي وكبَّر خمساً ووقف على قبره إلى أن سُطح ومضى، كلُّ ذلك بأمر الرشيد. وروى مجيء الكوفيِّين بسبعين كفناً عن أبي العينا[١] عن أبيه وزاد: فلمّا مات دفن بناحية الكرخ ممّا يلي قطيعة الربيع.

وفي حديث موته له مكرمةٌ خالدةٌ تُذكر مدى الدهر، وتُقرأ في صحيفة التأريخ مع الأبد. قال بشير بن عمّار حضرت وفاة السيِّد في الرميلة ببغداد فوجَّه رسولاً إلى صفِّ الجزّارين الكوفيِّين يُعلمهم بحاله ووفاته، فغلط الرسول فذهب إلى صفِّ المسموسين (كذا) فشتموه ولعنوه، فعلم أنَّه قد غلط، فعاد إلى الكوفيِّين يُعلمهم بحاله ووفاته فوافاه سبعون كفناً قال: وحضرنا جميعاً وإنَّه

---

(١) أبو عبدالله محمد بن القاسم بن خلاد البصري المتوفّى سنة ٢٨٣.

ليتحسَّر تحسّراً شديداً وانَّ وجهه لاسودَّ كالقار وما يتكلّم إلاّ أن أفاق إفاقة وفتح عينيه فنظر إلى ناحية القبلة (جهة النجف الأشرف) ثمَّ قال: يا أمير المؤمنين أتفعل هذا بوليِّك؟ قالها ثلاث مرّات مرّةً بعد اخرى قال: فتجلّى والله في جبينه عرقٌ بياضٌ فما زال يتّسع ولبس وجهه حتّى صار كلّه كالبدر وتوفي فأخذنا في جهازه ودفنّاه في الجُنينة ببغداد وذلك في خلافة الرشيد.

الأغاني ج ٧ ص ٢٧٧.

وقال أبو سعيد محمَّد بن رشيد الهروي: إنَّ السيِّد اسودَّ وجهه عند الموت فقال: هكذا يُفعل بأوليائكم يا أمير المؤمنين؟ فابيضَّ وجهه كأنَّه القمر ليلة البدر فأنشأ يقول:

أُحبُّ الـذي من مات من أهـل ودِّه ... تلقّاه بالبشرى لدى المـوت يضحكُ

ومن مـات يهـوى غيـره من عـدوِّه ... فـليس لـه إلاّ إلى النَّـار مـسـلكُ

أبـا حسن أفـديــك نفسي واسـرتي ... ومالي وما أصبحت في الأرض أملكُ

أبـا حـسن إنّـي بفـضـلك عــارفٌ ... وإنّي بحبـل من هـواك الممسّــكُ

وأنت وصيّ المصــطفى وابن عمِّـه ... فــإنّــا نُعــادي مبغضيــك ونتــركُ

ولاح لـحــاني فــي عليٍّ وحــزبــه ... فقلت: لـحــاك الله إنَّـك أعفــكُ

مــواليـك نــاجٍ مؤمنٌ بيِّن الهــدى ... وقـاليـك معـروف الضَّلالـة مشـركُ

رجال الكشي ص ١٨٥، أمالي ابن الشيخ ص ٣١، بشارة المصطفى.

وقال الحسين بن عون: دخلت على السيِّد الحميري عائداً في علّته التي مات فيها فوجدته يُساق به ووجدت عنده جماعةً من جيرانه وكانوا عثمانيَّة وكان السيِّد جميل الصورة رحيب الجبهة عريض ما بين السالفتين فبدت في وجهه نكتة سوداء مثل النقطة من المداد ثمَّ لم تزل تزيد وتنمى حتّى طبقت وجهه يعني اسوداداً فاغتمَّ لذلك مَن حضره من الشيعة فظهر من الناصبة سرورٌ وشماتةٌ فلم يلبث بذلك إلاّ قليلاً حتّى بدت في ذلك المكان من وجهه لمعة بيضاء فلم تزل

تزيد بياضاً وتنمى حتّى اسفرّ وجهه وأشرق وافترّ السيِّد ضاحكاً وأنشأ يقول:

كـذب الـزاعمـون انّ عليّـاً لن يُنجّي محبّـه من هنـاتِ
قـد وربي دخلت جنّة عـدن وعفى لي الإلـه عن سيّآتي
فـابشـروا اليـوم أوليـاء عليّ وتـولّـوا عليّ حتّى الممـاتِ
ثمّ من بعــده تـولّـوا بنيـه واحـداً بعد واحـد بالصّفـاتِ

ثمّ أتبع قوله هذا: أشهد أن لا إلّه إلا الله حقّاً حقّاً. وأشهد أنّ محمّداً رسول الله حقّاً حقّاً[1] وأشهد أنّ عليّاً أمير المؤمنين حقّاً حقّاً. أشهد أن لا إلّه إلا الله ثمّ غمّض عينيه لنفسه فكـأنّما كـانت روحه ذبـالة[2] طفـأت أو حصاة سقطت.

أمالي الشيخ ص ٤٣، مناقب السروي ج ٢ ص ٢٠، كشف الغمة ص ١٢٤.

تضلعه في العلم والتاريخ:

إنّ مَن يقف على موارد حجاج السيِّد الحميري والمعاني التي طرقها في شعره ومحاوراته مع مَن عاصره مِن رجال الفريقين، جِدٌّ عليم بما له من خطوات واسعة والشوط البعيد في فهم مغازي الكتاب الكريم وفقه السنّة الشريفة، وأنّ تهالكه في ولاء أهل البيت عليهم السّلام كان على بصيرة من أمره عن علم متدفق، ومعرفة ناضجة لا كمن يتلقّى المبدأ عن تقليـد بحت ومدرك بسيط، ويغلب على فكره الجلبة والسخب فمن نماذج علمه ما مرّ ص ٣٠١ من حجاجه مع القاضي سوّار في مجلس المنصور حول القول بالرجعة وإفحامه إيّاه بالكتاب والسنّة. وما مرّ ص ٣٠٨ .

---

(١) في لفظ السروي: صدقاً صدقاً. وأشهد أن عليّاً وليّ الله رفقاً رفقاً.
(٢) الذبالة: الفتيلة ج ذبال.

قال المرزباني في أخبار السيِّد: قيل: إنَّ السيِّد حجَّ أيّام هشام فلقي الكميت فسلّم عليه وقال: أنت القائل:

ولا أقول إذا لم يُعطيا فدكاً   بنت الرَّسول ولا ميراثه كفرا
الله يعلم ماذا يأتيان به   يوم القيامة من عذر إذا حضرا؟!

قال: نعم قلته تقيَّة من بني اميَّة وفي مضمون قولي شهادةٌ عليهما أنّهما أخذا ما كان في يدها. فقال السيّد: لولا إقامة الحجَّة لوسعني السكوت، لقد ضعفت يا هذا عن الحقِّ، يقول رسول الله ﷺ: فاطمةُ بضعةٌ منّي يُريبني ما رابها، وإنّ الله يغضب لغضبها ويرضى لرضاها. فخالفت رسول الله ﷺ، وهب لها فدكاً بأمر الله له وشهد لها أمير المؤمنين والحسن والحسين وامّ أيمن بأنَّ رسول الله ﷺ أقطع فاطمة فدكاً فلم يحكما لها بذلك والله تعالى يقول: يَرثني ويَرثُ من آل يعقوب. ويقول: وورث سليمان داود. وهم يجعلون سبب مصير الخلافة إليهم الصَّلاة وشهادة المرأة لأبيها: إنَّ رسول الله ﷺ قال: مروا فلاناً بالصَّلاة بالناس. فصُدِّقت المرأة لأبيها ولا تُصدَّق فاطمة وعليٌّ والحسن والحسين وامُّ أيمن في مثل فدك، وتُطالب مثل فاطمة بالبيِّنة على ما ادعت لأبيها، وتقول أنت مثل هذا القول. وبعد: فما تقول في رجل حلف بالطلاق أنَّ الذي طلبت فاطمة عليها السَّلام هو حقٌّ وأنَّ عليّاً والحسن والحسين وأمّ أيمن ما شهدوا إلّا بحقّ ما تقول في طلاقه؟! قال: ما عليه طلاق قال: فإن حلف بالطلاق أنَّهم قالوا غير الحق؟! قال: يقع الطلاق لأنّهم لم يقولوا إلّا الحقّ. قال: فانظر في أمرك. فقال الكميت أنا تائبٌ إلى الله ممّا قلت وأنت يا أبا هاشم أعلم وأفقه منّا.

وهو مع تضلّعه في علمي الكتاب والسنَّة ومعرفته بالحجج الدينيَّة وبصيرته بمناهج الحجاج في المذهب وإقامة الحجَّة على من يُضادّه في المبدأ كان له يدٌ غير قصيرة في التاريخ وله كتاب (تاريخ اليمن) ذكره له الصفدي في «الوافي بالوفيات» ج ١ ص ٤٩.

وفي شعره الطافح بمعاني الكتاب والسنَّة شهادةٌ صادقةٌ على إحاطته بما

فيها من مرامي وإشارات ونصوص وتصريحات، وكلّما ازدادت الفضيلة قوّةً، والبرهان وضوحاً، وكانت الحجّة بالغةً كان اعتناؤه بسرد القريض فيها أكثر كحديث الغدير والمنزلة والتطهير والراية والطير وأمثالها، ومنها: حديث العشيرة الوارد في قوله تعالى: وأنذر عشيرتك الأقربين، في بدء الدعوة النبويّة فقد أشار إليه في عدّة قصايد منها قوله:

بأبي أنت وامّي	يا أمير المؤمنينا
بأبي أنت وامّي	وبرهطي أجمعينا
وبأهلي وبمالي	وبناتي والبنينا
وفدتك النفس منّي	يا إمام المتّقينا
وأمين الله والوا	رث علم الأوّلينا
ووصيّ المصطفى	أحمد خير المرسلينا
ووليّ الحوض والذا	ئد عنه المحدثينا
أنت أولى الناس بالنا	س وخير الناس دينا
كنت في الدنيا أخاه	يوم يدعو الأقربينا
ليُجيبوهُ إلى اللّـ	ـه فكانوا أربعينا
بين عمّ وابن عمّ	حوله كانوا عرينا
فورثت العلم منه	والكتاب المستبينا
طبت كهلاً وغلاماً	ورضيعاً وجنينا
ولدى الميثاق طيناً	يوم كان الخلق طينا
كنت مأموناً وجيهاً	عند ذي العرش مكينا
في حجاب النور حيّاً	طيّباً للطاهرينا

وقوله من قصيدة لم نقف على تمامها:

من فضله أنّه قد كان أوّل من	صلّى وآمن بالرّحمن إذ كفروا
سنين سبعاً وأيّاماً محرّمة	مع النبيِّ على خوف وما شعروا
ويوم قال له جبريل: قد علموا	أنذر عشيرتك الأدنين إن بصروا

فقـام يـدعـوهمُ من دون امّتـه | فمـا تخلّف عنـه منهـمُ بشـرُ
فمنهمُ آكـلٌ في مجلس جـذعـاً | وشارب مثل عُسّ[1] وهو محتضرُ
فصدَّهم عن نواحي قصعـة شبعاً | فيها من الحبّ صاع فوقه الوذرُ[2]
فقال: يـا قـوم انَّ الله أرسلني | إليكـمُ فـأجيبـوا الله وادّكـروا
فـأيُكم يجتبي قـولي ويُؤمن بي | إنّي نبيٌّ رسـولٌ فـانبـرى غـدِرُ
فقـال: تبّـاً أتـدعـونـا لتلفتنـا | عن ديننا؟ ثمَّ قام القوم فاشتمروا
مَن ذا الذي قال منهم وهو أحدثهم | سناً وخيرهـم في الذكر إذ سطروا
آمنت بـالله قـد أعـطيت نـافلة | لم يُعـطهـا أحـدٌ جنٌّ ولا بشـرُ
وإنَّ مـا قـلتَـه حـقٌّ؟! وإنَّـهـمُ | إن لم يجيبوا فقد خانوا وقد خسروا
ففـاز قـدمـاً بهـا والله أكـرمـه | وكـان سبّاق غـايات إذا ابتـدروا

وقوله من قصيدة لم توجد بتمامها:

عليٌّ عليـه رُدَّت الـشمس مـرَّة | بـطيبـة يـوم الـوحي بعـد مغيبِ
ورُدَّت لـه اخرى ببـابـل بعـدمـا | عفت وتـدلّت عينهـا لغـروبِ
وقيل له: أنـذر عشيرتـك الأولى | وهم من شبـاب أربعين وشـيبِ
فقـال لهم: إنّي رسـولٌ إليكمُ | ولست أراني عنـدكم بكـذوبِ
وقـد جئتكم من عند ربّ مهيمن | جـزيل العـطايا للجـزيل وهـوبِ
فـأيّكمُ يقفو مقـالي؟! فـأمسكـوا | فقـال: ألا من نـاطقٍ فمجيبي؟!
ففـاز بهـا منهم عليٌّ وسـادهم | ومـا ذاك من عـاداتـه بغـريبِ

حديث بدء الدعوة
في السنّة والتاريخ والأدب

أخرجه غير واحد من الأئمّة وحفّاظ الحديث من الفريقين في الصحاح والمسانيد ومرَّ عليه آخرون منهم ممّن يُعتدّ بقوله وتفكيره مخبتين به من دون أيِّ

---

(١) العس بضم العين: القدح أو الإناء الكبير ج عساس وأعساس.
(٢) الوذرة من اللحم: القطعة الصغيرة منه ج وذْر ووذَر.

غمز في الإسناد أو توقّف في متنه. وتلقّاه المؤرّخون من الامّة الإسلاميّة وغيرها بالقبول، وأُرسل في صحيفة التاريخ إرسال المسلّم، وجاء منظوماً في أسلاك الشعر والقريض وسيوافيك في شعر الناشي الصغير المتوفّى سنة ٣٦٥ وغيره.

لفظ الحديث

أخرج الطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٦ عن ابن حميد قال: حدَّثنا سلمة قال: حدَّثني محمَّد بن إسحاق، عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبدالله بن العبّاس عن عليّ بن أبي طالب قال: لَمّا نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: وأنذر عشيرتك الأقربين[1] دعاني رسول لله ﷺ فقال: يا عليّ! إنَّ الله أمرني أن أنذر عشيرتك الأقربين فضقت بذلك ذرعاً وعرفت انّي متى أُبادئهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمتُّ عليه حتى جاء جبريل فقال: يا محمد! إنَّك إلّا تفعل ما تُؤمر به يُعذِّبك ربّك. فاصنع لنا صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ لنا عسّاً من لبن ثمّ اجمع لي بني عبد المطلب حتّى أُكلِّمهم وأُبلِّغهم ما أُمرت به. ففعلت ما أمرني به ثمَّ دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه فيهم أعمامه: أبو طالب وحمزة والعبّاس وأبو لهب فلمّا اجتمعوا إليه دعاني بالطعام الَّذي صنعت لهم فجئت به فلمّا وضعته تناول رسول الله ﷺ حذية من اللحم فشقّها بأسنانه ثمَّ ألقاها في نواحي الصحفة ثمَّ قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتّى ما لهم بشيء حاجة وما أرى إلّا موضع أيديهم، وأيم الله الّذي نفس عليّ بيده وإن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم، ثمّ قال: إسق القوم. فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتّى رووا منه جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله، فلمّا أراد رسول الله ﷺ أن يكلّمهم بَدرَه أبو لهب إلى الكلام فقال: لقدماً سحركم صاحبكم. فتفرَّق القوم ولم يكلّمهم رسول الله ﷺ فقال في الغد: يا عليُّ! إنَّ هذا

---

(١) سورة الشعراء آية ٢١٤.

الرجل سبقني إلى ما قد سمعت من القول فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم فعد لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمَّ اجمعهم إليَّ. قال: ففعلت ثمَّ جمعتهم ثمَّ دعاني بالطعام فقرَّبته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، فأكلوا حتّى ما لهم بشيء حاجة ثمَّ قال: إسقهم. فجئتهم بذلك العُسّ فشربوا حتّى رُووا منه جميعاً ثمَّ تكلّم رسول الله ﷺ فقال: يا بني عبد المطلب! إنّي والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جئتكم به، إنّي جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم إليه فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟ قال: فأحجم القوم عنها جميعاً وقلت وانّي لأحدثهم سنّاً، وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً: أنا يا نبي الله! أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمَّ قال: إنَّ هذا أخي ووصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا قال: فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتُطيع.

وبهذا اللفظ أخرجه الإسكافي المتكلّم المعتزلي البغداديّ المتوفّى سنة ٢٤٠ في كتابه نقض العثمانيَّة[1] وقال: إنّه رُوي في الخبر الصحيح. ورواه الفقيه برهان الدين[2] في [أنباء نجباء الأبناء] ص ٤٦ ـ ٤٨. وابن الأثير في «الكامل» ج ٢ ص ٢٤. وأبو الفدا عماد الدين الدمشقي في تاريخه ج ١ ص ١١٦. وشهاب الدين الخفاجي في «شرح الشفا» للقاضي عياض ج ٣ ص ٣٧ (وبتر آخره) وقال: ذكر في دلائل البيهقي وغيره بسند صحيح. والخازن علاء الدين البغدادي في تفسيره ص ٣٩٠. والحافظ السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٢ نقلاً عن الطبري وفي ص ٣٩٧ عن الحفّاظ الستّة: ابن إسحاق، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه وأبي نعيم، والبيهقي، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٤. وذكره

---

(١) راجع شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٣ ص ٢٦٣.
(٢) محمد بن محمد بن ظفر المكي المغربي المولود سنة ٤٩٧ والمتوفّى سنة ٥٦٧ / ٦٥.

المؤرِّخ جرجي زيدان في تـاريخ التمـدّن الإسلامي ج ١ ص ٣١، والاستـاذ محمّد حسين هيكل في حياة محمَّد ص ١٠٤ من الطبعة الأولى.

ورجال السند كلّهم ثقاتٌ إلاّ أبو مريم عبد الغفار بن القاسم فقد ضعَّفه القوم وليس ذلك إلاّ لتشيّعه فقد أثنى عليه ابن عقدة وأطراه وبالغ في مدحه كما في (لسان الميزان) ج ٤ ص ٤٣، وأسند إليه وروى عنه الحفّاظ المذكورون وهم أساتذة الحديث، وأئمّة الأثر، والمراجع في الجرح والتعديل، والرفض والإحتجاج، ولم يقذف أحدٌ منهم الحديث بضعف أو غمز لمكان أبي مريم في اسناده، واحتجّوا به في دلائل النبوَّة والخصائص النبويَّة.

وصحَّحه أبو جعفر الإسكافي وشهاب الدين الخفاجي كما سمعت وحكى السيوطي في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٦ تصحيح ابن جرير الطبري له. على أنّ الحديث ورد بسند آخر رجاله كلّهم ثقاتٌ كما يأتي، أخرجه أحمد في مسنده ج ١ ص ١١١ بسند رجاله كلّهم من رجال الصحاح بلا كلام وهم: شريك، الأعمش، المنهال، عبّاد.

وليس من العجيب ما هملج به ابن تيميَّة من الحكم بوضع الحديث فهو ذلك المتعصِّب العنيد، وانَّ من عادته إنكار المسلّمات، ورفض الضروريّات، وتحكّماته معروفةٌ، وعرف منه المنقِّبون أنَّ مدار عدم صحَّة الحديث عنده هو تضمّنه فضائل العترة الطاهرة.

صورة اخرى:

جمع رسول الله ﷺ أو: دعا رسول الله ﷺ. بني عبد المطلب فيهم رهطٌ كلّهم يأكل الجذع ويشرب الفرق قال: فصنع لهم مدّاً من طعام فأكلوا حتّى شبعوا قال: وبقي الطعام كما هو كأنّه لم يُمسّ، ثمّ دعا بغمر فشربوا حتّى رووا وبقي الشراب كأنّه لم يُمسّ. أو: لم يُشرب. ثمّ قال: يا بني عبد المطلب، إنّي بُعثت إليكم خاصَّة وإلى الناس عامّة وقد رأيتم من هذا الأمر ما رأيتم، فأيّكم يُبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟! فلم يقم إليه أحدٌ فقمتُ إليه

وكنتُ أصغر القوم قال: فقال: اجلس. قال: ثمّ قال ثلاث مرّات، كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس. حتّى كان في الثالثة فضرب بيده على يدي.

أخرجه الإمام أحمد في مسنده ج ١ ص ١٥٩ عن عفّان بن مسلم (الثّقة المترجم له ج ١ ص ١١٦) عن أبي عوانة (الثّقة المترجم له ج ١ص ١٠٧) عن عثمان بن المغيرة (الثّقة) عن أبي صادق (مسلم الكوفي الثّقة) عن ربيعة بن ناجذ (التابعيّ الكوفي الثّقة) عن عليٍّ أمير المؤمنين.

وبهذا السند والمتن أخرجه الطبري في تاريخه ج ١ ص ٢١٧، والحافظ النسائي في «الخصائص» ص ١٨، وصدر الحفّاظ الكنجي الشافعي في «الكفاية» ص ٨٩، وابن أبي الحديد في [شرح النهج] ج ٣ ص ٢٥٥، والحافظ السيوطي في [جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٨].

صورة ثالثة:

عن أمير المؤمنين قال: لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾. دعا بني عبد المطلب وصنع لهم طعاماً ليس بالكثير فقال: كلوا باسم الله من جوانبها فإنّ البركة تنزل من ذروتها. ووضع يده أوّلهم فأكلوا حتّى شبعوا ثمّ دعا بقدح فشرب أوّلهم ثمّ سقاهم فشربوا حتّى رووا، فقال أبو لهب: لَقدماً سَحرَكم. وقال: يا بني عبد المطلب إنّي جئتكم بما لم يجيء به أحدٌ قطُّ أدعوكم إلى شهادة أن لا إلٓه إلاّ الله وإلى الله وإلى كتابه. فنفروا وتفرّقوا مثل ذلك، ثمّ قال لهم ومدَّ يده: من بايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووليّكم من بعدي؟! فمددت يدي وقلت: أنا أُبايعك، وأنا يومئذ أصغر القوم عظيم البطن فبايعني على ذلك. قال: وذلك الطعام أنا صنعته.

أخرجه الحافظ ابن مردويه بإسناده، ونقله عنه السيوطي في [جمع الجوامع] كما في الكنز ج ٦ ص ٤٠١.

صورة رابعة:

(بعد ذكر صدر الحديث) ثمّ قال رسول الله ﷺ: يا بني عبد المطلب، إنَّ

الله قد بعثني إلى الخلق كافَّة وبعثني إليكم خاصَّة، فقال: وأنذر عشيرتك الأقربين. وأنا أدعوكم إلى كلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين في الميزان: شهادة أن لا إلّه إلاّ الله. وأنّي رسول الله. فمن يُجيبني إلى هذا الأمر ويُوازرني يكن أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي. فلم يُجبه أحدٌ منهم، فقام عليٌّ وقال: أنا يا رسول الله! قال: اجلس. ثمَّ أعاد القول على القوم ثانياً فصمتوا فقام عليٌّ وقال: أنا يا رسول الله! فقال: اجلس. ثمَّ أعاد القول على القوم ثالثاً فلم يُجبه أحدٌ منهم فقام عليٌّ فقال: أنا يا رسول الله! فقال: اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي.

أخرجه الحافظان ابن أبي حاتم، والبغوي، ونقله عنهما ابن تيميَّة في (منهاج السنَّة) ج ٤ ص ٨٠، وعنه الحلبي في سيرته ج ١ ص ٣٠٤.

صورة خامسة:

مرّ ص ١١٨ في حديث قيس ومعاوية فيما رواه التابعيُّ الكبير أبو صادق الهلالي في كتابه عن قيس: فجمع رسول الله صلّى الله عليه وآله جميع بني عبد المطلب فيهم: أبو طالب وأبو لهب وهم يومئذٍ أربعون رجلاً فدعاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله وخادمه عليٌّ عليه السلام ورسول الله في حجر عمِّه أبي طالب فقال: أيّكم ينتدب أن يكون أخي ووزيري ووصيّي وخليفتي في امّتي وولي كلِّ مؤمن من بعدي؟! فسكت القوم حتى أعادها ثلاثاً، فقال عليٌّ أنا يا رسول الله صلّى الله عليك فوضع رأسه في حجره وتفل في فيه وقال: اللهمّ املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً. ثمَّ قال لأبي طالب: يا أبا طالب! اسمع الآن لإبنك وأطع فقد جعله الله من نبيِّه بمنزلة هارون من موسى.

صورة سادسة:

أخرج أبو إسحاق الثعلبي المتوفّى سنة ٤٢٧/ ٣٧، المترجم له ج ١ ص ١٤٣ في تفسيره (الكشف والبيان) عن الحسين بن محمَّد بن الحسين قال:

حدّثنا موسى بن محمَّد حدّثنا الحسن بن عليٍّ بن شُعيب[1] العمري حدَّثنا عباد بن يعقوب، حدَّثنا عليٌّ بن هاشم عن صباح بن يحيى المزني عن زكريا بن ميسرة عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾. جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون رجلاً الرجل منهم يأكل المسنة ويشرب العُسّ، فأمر عليّاً برجل شاة فأدمها ثمَّ قال: أُدنوا بسم الله. فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتّى صدروا ثمَّ دعا بقعب من لبن فجرع منه جرعةً ثمّ قال لهم: اشربوا باسم الله. فشربوا حتّى رووا فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سَحرَكم به الرجل. فسكت يومئذ ولم يتكلّم ثمَّ دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب ثمَّ أنذرهم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب! إنّي أنا النذير إليكم من الله عزَّ وجلَّ والبشير فأسلموا وأطيعوني تهتدوا ثمَّ قال: مَن يؤاخيني ويوازرني ويكون وليّي ووصيّي بعدي وخليفتي في أهلي يقضي ديني؟! فسكت القوم فأعادها ثلاثاً كلّ ذلك يسكت القوم ويقول عليٌّ: أنا. فقال في المرّة الثالثة: أنت. فقام وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أُمِّر عليك.

وبهذا السند والمتن أخرجه صدر الحفّاظ الكنجي الشافعي في الكفاية ص ٨٩، وجمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين» بتغيير يسير في لفظه.

صورة سابعة:

أخرج أبو إسحاق الثعلبي في ـ الكشف والبيان ـ عن أبي رافع وفيه: ثمَّ قال إنّ الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، وأنتم عشيرتي ورهطي، وإنّ الله لم يبعث نبيّاً إلاّ جعل له من أهله أخاً ووزيراً ووارثاً ووصيّاً وخليفة في أهله، فأيّكم يقوم فيبايعني على أنّه أخي ووزيري ووصيّي ويكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيَّ بعدي؟! فسكت القوم فقال: ليقومنَّ قائمكم أو ليكوننّ

---

(١) في كفاية الكنجي: شبيب.

في غيركم ثمّ لتندمنّ. ثمّ أعاد الكلام ثلاث مرّات فقام عليٌّ فبايعه وأجابه ثمّ قال: أُدن منّي. فدنا منه ففتح فاه ومجّ في فيه من ريقه وتفل بين كتفيه وثدييه فقال أبو لهب: فبئس ما حبوت به ابن عمك! إن أجابك فملأت فاه ووجهه بزاقاً. فقال ﷺ: ملأته حكمةً وعلماً.

وفي كتاب [الشهيد الخالد الحسين بن علي] تأليف الأستاذ حسن أحمد لطفي. قال في ص ٩: إنَّ النبيَّ على ما رواه كثيرون لَمّا جمع أعمامه واسرته لينذرهم قال لهم فأيّكم يُوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟! فأحجم الجميع إلاّ عليٌّ وكان أصغرهم فقال: أنا يا نبيَّ الله أكون وزيرك عليه. فأخذ الرسول صلّى الله عليه وآله برقبته ثمّ قال: هذا وصيّي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا .

وفي (كتاب محمّد) تأليف توفيق الحكيم ص ٥٠: ما «أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به، قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه، فأيّكم يُوازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟!.

قريش: لا أحد، لا أحد.

أعرابيٌّ: نعم لا أحد يُوازرك على هذا حتّى ولا كلب الحيّ.

عليّ: أنا يا رسول الله عونك، أنا حربٌ على مَن حاربت .

وذكر الحديث الصحافيُّ القدير عبد المسيح الأنطاكيُّ المصريُّ[1] في تعليقه على علويّته المباركة ص ٧٦ ولفظ الحديث فيه: فمن يُجيبني إلى هذا الأمر ويوازرني على القيام به يكن أخي ووزيري وخليفتي من بعدي؟! فلم يُجبه أحدٌ من بني عبد المطلب إلاّ عليّ وكان أحدثهم سنّاً فقال: أنا يا رسول الله!. فقال المصطفى: اجلس. ثمّ أعاد القول ثانياً فصمت القوم وأجاب عليٌّ: أنا يا

(١) أحد شعراء الغدير في القرن الرابع عشر تأتي هناك ترجمته.

رسول الله. فقال المصطفى: اجلس. ثم أعاد القول ثالثاً فلم يكن في بني عبد المطلب مَن يُجيبه غير عليّ فقال: أنا يا رسول الله. حينئذ قال المصطفى عليه الصلاة والسّلام: اجلس فأنت أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي. فمضى القوم. الخ. ونظم هذه الإثارة بقوله من قصيدته المذكورة:

وتلك بعثته الزهراء عليه صلا — ة الله للخلق عربيها وعجميها
فصار يدعو إليها من توسّم فيـ — ـه الخير سرّاً وخوف الشر يُخفيها
بذا ثلاثة أعوام قضى وله — قد دان بعض قريش واهتدوا فيها
وبعدها جاءه جبريل يأمره — بأن يجاهر بالإسلام مُجريها
وقال: فاصدع بأمر الله إنّك مبعـ — ـوثٌ لتدعو إليه الناس تهديها
أنذر عشيرتك الدنيا بشرعتك الـ — ـغرّا وأظهر لها أسنى معانيها
ومذ تبلّغ أمر الله همّ به — بهمّة ما اعتدا الكفّار يثنيها
ولم يجد عضداً كي يستعين به — على مجاهرةٍ قد كان خاشيها
إلاّ العليّ فناداهُ وأخبره — ببغيه حسب أمر الله باغيها
وقال هيّىء لنا في الحال مأدبة — وليتقننّ لها الألوان طاهيها
فرجل شاة على صاع الطعام واعـ — ساس لها اللبن النوقيُّ يمليها
وادع الهواشم باسمي كي أُشافهها — بأمر ربِّيَ باريَّ وباريها
قام العليّ بأمر المصطفى ودعا — إلى وليمته أكرم بداعيها
أبناء هاشم هم كانوا عشيرته — ولم يكن فيهمُ إلاّ مُلبّيها
وعدُّهم كان عند الأربعين وهم — رجالة العرب في إحصاء محصيها
هذي عشيرة طه بل قرابته الـ — دُّنيا التي كان للاسلام راجيها
وإذ أتته تلقّاها على رحب — ببشره وانثنى صفواً يُحيّيها
حتّى إذا ما استوى فيها المقام لها — مدّ السماط وفيه ما يُشّهيها
فأقبلت ورسول الله يخدمها — على الطعام ويعني كي يُهنّيها
حتّى إذا أكلت ذاك الطعام ومن — ألبانه سُقيت والله كافيها
ظلّ الطعام كما قد كان وهو وأيـ — ـم الله ما كان يكفي مُستجيعيها

وتلك معجزةٌ للمصطفى وبها قـام العليُّ وعنه نحن نـرويها
وثَمَّ ابتدر القوم الرَّسول بذكـ ـرى يُمن بعثته يبدي خوافيها
وإذ أبو لهب في الحال قاطعه وموَّه الحقَّ بالتضليـل تمويهـا
وقـال: يا نـاس طه جـاء يسحـركم بذا الطعام احذروا الإضلال والتيها
هي انهضـوا ودعـوه أن يغشَّ نفـو س الغير في هذه الـدعوى ويُصبيهـا
وهـكـذا ارفضَّ ذاك الإجتـماع وأنـفس الجمـع داجي الكـفـر غـاشيـهـا
وعاد طه إلى تكرار دعوته وكـان حيدرةُ المقـدام راعيها
حتّى إذا اجتمعت للأكل ثانية على الخوان انثنى طه يفاهيها
فقال: ما جاء قبلي قومه أحدٌ بمثلها جئت من نعماء أُسديها
لكم بها الخير في دنيا وآخرة إذا انضويتم إلى زاهي مغانيها
فمن يوازرني منكم فذاك أخي وذاك يُخلفني في رعي ناميها
فلم يجد من لبيب راح مقتنعاً بصـدق بعثته أو راح راضيهـا
وكلّمـا ازداد تبيانـاً لبعثتـه الـ زهـراء زادته تكـذيباً وتسفيهـا
وثَمَّ بـو لهب ناداه: ويلك لم يجيء فتى قومه ما جئتنا ايها
تبّت يـداه فإنّ الجهـل توّهـه والكفر في دركات النار تتويها
وكـرَّر المصطفى أقـواله علنـاً وقـد تـوسَّـع إنـذاراً وتنبيهـا
فمـا رأى غير ألبـاب مُحجَّـرة هيهات ليس يلين النصح قاسيها
وأنفساً عن كتاب الله معـرضةً والكفر قد كان والإشراك معميها
وأحجمت كلّها عن فيض رحمته مـع يُمن دعوتـه فالكـلُّ آبيها
إلّا العليّ فنـادى دونها: فـأنا نعماك يا هادي الأكوان باغيها
نادى: أن أجلس ثلاثاً وهويعرض دعـ ـواهُ عـلى القـوم يبغي مُستجيبيهـا
حتى إذا بات مأيوساً ومنزعجاً من الهواشم مُعيٍ عن ترضّيها
عنها تولّى إلى حيث العليِّ منوٌ هاً به بين ذاك الجمع تنويهـا
وكان ماسكـه من طوق رقبتـه يقـول: هذا لهـا والله يحميها
وقال: هذا أخي ذا وارثي وخليـ ـفتي على أُمتّي يحمي مراعيها
وقال: فرضٌ عليكم حسن طاعته بعـدي وإمرتـه ويلٌ لعـاصيها

فارفضْ جمعهمُ والهزء آخذهم | إلى الغواية في أدجى دياجيها
وهم يقولون: أحكام الغلام علـ | ـيٍّ يا أبا طالب كن من مطيعيها
كذاك حيدرةٌ ماشى النبوّة مـذ | نادى بها المصطفى لبّى مُناديها
وشارك المصطفى من يوم أن وضع الأ | ساس حتّى انتهت عليا مبانيها

كلمة الإسكافي حول الحديث في كتابه النقض على العثمانيّة

قال بعد ذكر الحديث باللفظ المذكور ص ٣٢٣: فهل يكلّف عمل الطعام ودعاء القوم صغيرٌ غير مميَّز؟! وغرٌّ غير عاقل؟! وهل يُؤتمن على سرِّ النبوَّة طفلٌ ابن خمس سنين أو ابن سبع سنين؟!؟! وهل يُدعى في جملة الشيوخ والكهول إلّاعاقلٌ لبيبٌ؟! وهل يضع رسول الله صلّى الله عليه وآله يده في يده ويُعطيه صفقة يمينه بالأُخوَّة والوصية والخلافة إلّا وهو أهلٌ لذلك ؟!؟! بالغ حدَّ التكليف، محتملٌ لولاية الله وعداوة أعدائه، وما بال هذا الطفل لم يأنس بأقرانه؟! ولم يلصق بأشكاله؟! ولم يُر مع الصبيان في ملاعبهم بعد إسلامه؟! وهو كأحدهم في طبقته، كبعضهم في معرفته، وكيف لم ينزع إليهم في ساعة من ساعاته؟! فيقال: وعاه بعض الصبا، وخاطر من خواطر الدنيا، وعملته الغرَّة والحدثة على حضور لهوهم، والدخول في حالهم، بل ما رأيناه إلّا ماضياً على إسلامه، مصمّماً في أمره، محقّقاً لقوله بفعله، قد صدَّق إسلامه بعفافه وزهده، ولصق برسول الله صلّى الله عليه وآله من بين جميع مَن بحضرته، فهو أمينه وأليفه في دنياه وآخرته، وقد قهر شهوته، وجاذب خواطره، صابراً على ذلك نفسه، لِما يرجو من فوز العاقبة وثواب الآخرة، وقد ذكر هو عليه السلام في كلامه وخطبه بدء حاله وافتتاح أمره حيث أسلم لَمّا دعا رسول الله ﷺ الشجرة فأقبلت تخذ الأرض فقالت قريش: ساحرٌ خفيف السحر. فقال عليٌّ عليه السلام: يا رسول الله! أنا أوَّل من يُؤمن بك آمنت بالله ورسوله وصدَّقتك فيما جئت به وأنا أشهد أنَّ الشجرة فعلت ما فعلت بأمر الله تصديقاً لنبوَّتك وبرهاناً على دعوتك.

فهل يكون إيمانٌ قطُّ أصح من هذا الإيمان؟! وأوثق عقـدة؟! وأحكم مرّة؟! ولكن حنق العثمانيّة وغيظهم وعصبيّة الجاحظ وانحرافه ممّا لا حيلة فيه.

جنايات على الحديث

منها: ما ارتكبه الطبري في تفسيره ج ١٩ ص ٧٤ فإنّه بعد روايته له في تاريخه كما سمعت قلّب عليه ظهر المجنّ في تفسيره فأثبته برمّته حرفيّاً متنـاً وإسناداً غير أنّه أجمل القول فيما لهج به رسول الله صلّى الله عليه وآله في فضل مَن يُبادر إلى تلقي الدعوة بالقبول قال فقال: فأيّكم يوازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي وكذا وكذا؟! وقال في كلمته صلّى الله عليه وآلـه الأخيرة: ثمّ قال: إنّ هذا أخي وكذا وكذا.

وتبعه على هذا التقلّب ابن كثير الشامي في البداية والنهاية ج ٣ ص ٤٠ وفي تفسيره ج ٣ ص ٣٥١ فعل ابن كثير هذا وثقل عليه ذكر الكلمتين وبين يديه تاريخ الطبري وهو مصدره الوحيد في تاريخه وقد فصّل فيه الحديث تفصيلاً لأنّه لا يروق إثبات النصّ لأمير المؤمنين بالوصيّة والخلافة الدينيّة، والدلالة عليـه والإشارة إليه. وهل هذه الغاية مقصد الطبري حينما حرّف الكلم عن مواضعه في التفسير بعد ما جاء به صحيحاً في التاريخ على حين غفلة عنها؟! أنا لا أدري، لكن الطبري يدري. وأحسبك أيّها القارىء جِدَّ عليم بذلك.

ومنها: خزاية فاضحة تحمّلها محمّد حسين هيكل حيث أثبت الحديث كما أوعزنا إليه في الطبعة الأولى من كتابه ـ حياة محمّد ـ ص ١٠٤ بهذا اللفظ:

نزل الوحي: أن أنذر عشيرتك الأقربين. واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين. وقل إنّي أنا النذير المبين. فاصدع بما تُؤمر وأعرض عن المشركين، ودعا محمّد عشيرته إلى طعام في بيته وحاول أن يُحدثهم داعياً إياهم إلى الله. فقطع عمه أبو لهب حديثه. واستنفر القوم ليقوموا. ودعاهم محمّد في الغداة كرّة اخرى. فلمّا طعموا قال لهم: ما أعلم إنساناً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني ربّي أن أدعوكم إليه فأيّكم

يُوازرني على هذا الأمر وأن يكون أخي ووصيّي وخليفتي فيكم؟! فأعرضوا عنه وهمّوا بتركه لكن عليّاً نهض وما يزال صبيّاً دون الحلم وقال: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب على من حاربت. فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم وجعل نظرهم ينتقل من أبي طالب إلى ابنه ثمّ انصرفوا مستهزئين. اهـ.

فإنّه أسقط من الحديث أوّلاً ما فرّع به رسول الله ﷺ كلامه من قوله لعليّ: فأنت أخي ووصيّي ووارثي. ثمّ نسب إلى أمير المؤمنين ثانياً أنّه قال: أنا يا رسول الله عونك أنا حربٌ على من حاربت. ليته دلّنا على مصدر هذه النسبة في لفظ أيّ محدِّث أو مؤرِّخ من السلف؟! وراقه أن يحكم في الحضور في تلك الحفلة بتبسّم بني هاشم وقهقهة بعضهم ولم نجد لهذا التفصيل مصدراً يعوَّل عليه.

ومهما لم يجد (هيكل) وراءه من يأخذه بمقاله، ولم ير هناك من يُناقشه الحساب في تقوُّلاته وتصرُّفاته أسقط منه ما يرجع إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ ص ١٣٩، ولعلّ السرَّ فيه لفتة منه إلى غاية ابن كثير وأمثاله بعد النشر، أو أنَّ اللغط والصخب حول القول قد كثرا عليه هناك من مناوئي العترة الطاهرة، فأخذته أمواج اللوم والعتب حتّى اضطرته إلى الحذف والتحريف. أو أنَّ العادة المطّردة في جملة من المطابع عاثت في الكتاب فغضَّ عنها الطرف صاحبه لإشتراكه معها في المبدء أو عجزه عن دفعها. وعلى أيٍّ فحيَّ الله الشعور الحيّ، والأمانة الموصوفة، والحقّ المضاع المأسوف عليه.

أسفي على بُسطاء الامّة الإسلاميّة واعتنائهم بمثل هذه الكتب المشحونة بزخرف القول وأباطيل الكلم المموّهة وقد جاءت بذات الرعد والصليل[1] وسيل بالامّة وهي لا تدري[2]. ثمّ أسفي على مصر وحملة علمها المتدفّق، وعلى تآليفها القيّمة، وكتّابها النزهاء، فإنّها راحت ضحيّة تلكم الشهوات والميول،

---

(١) مثل يضرب لمن جاء بشر وعر.
(٢) مثل يضرب للساعي الغافل.

ضحيّة تلكم النفوس الخائرة، ضحيّة تلكم الكفريّات المبيدة للمجتمع، ضحيّة تلكم الأقلام المستأجرة وقد اتخذت الباطل دغلاً، وشغرت لها الدنيا برجلها[1].

﴿قُل هَلْ نُنبِّئُكم بالأخسرين أعمالاً الَّذينَ ضلَّ سعيُهمْ في الحيَاةِ الدُّنيا وهُمْ يَحسَبُونَ أنَّهم يحسنُونَ صُنعاً﴾. [سورة الكهف: الآية ١٠٣].

---

(١) مثل يضرب لمن ساعدته الدنيا فنال منها حظه.



٨ ـ العبدي الكوفي

هل في سؤالك رسم المنزل الخربِ ... برءٌ لقلبك من داء الهوى الوصبِ؟!

أم حــرّه يــوم وشــك البين يبــرده ... ما استحدثته النوى من دمعك السربِ

هيهـات أن ينفد الـوجد المثيـر لـه ... نــأي الخليط الـذي ولّى ولم يؤبِ

يا رائد الحيِّ حسب الحيِّ ما ضمنت ... لـه المـدامــع من مـاء ومن عشبِ

ما خلت من قبل أن خالت نوى قذف ... إنَّ العيون لهم أهمى[1] من السحبِ

بانوا فكم أطلقـوا دمعاً وكم أسـروا ... لبّاً وكم قـطعـوا لِلوصـل من سببِ

من غـادرٍ لم أكن يـومــاً أسـرٌّ لــه ... غدراً وما الغدر من شأن الفتى العربي

وحـافظ العهد يُبـدي صفحتي فرح ... للكـاشحين[2] ويُخفي وجد مكتئبِ

بــانـوا قبـابـاً وأحبــابـاً تصــونهم ... عن النـواظـر أطـراف القنـا السلب

وخلّفـوا عـاشقـاً مُلقىً رمى خلسـاً ... بـطرفه خـدر من يهـوي فلم يصبِ

لهفي لما استودعت تلك القباب وما ... حجبن من قضب عـنّــا ومن كـثبِ

من كلِّ هيفاء أعـطاف هضيم حشاً ... لعســاء[3] مُــرتشف غــرّاء مُنتقبِ

كــأنّمــا ثغــرهــا وهنــا وريقتهــا ... ما ضمَّت الكاس من راح ومن حببِ

وفي الخـدور بـدورٌ لـو بـرزن لنــا ... بـرّدن كـلَّ حشـا بـالــوجـد مُلتهبِ

---

(١) همى يهمي همياً: سال. العين: صبت دمعتها.

(٢) كاشح فلاناً كشاحاً ومكاشحة وكشح له كشحاً: عاداه.

(٣) لعس: سواد مستحسن في الشفة.

وفي حشاي غليلٌ بات يضرمه شوقٌ إلى برد ذاك الظلم والشنبِ[١]
يا راقد اللوعة اهبب[٢] من كراك فقد بان الخليط ويا مُضنى الغرام ثُبِ
أما وعصر هوى دبَّ العزاء له ريب المنون وغالته يد النوب
لأشرقنَّ[٣] بدمعي إن نأت بهمُ دارٌ ولم أقض ما في النفس من إربِ
ليس العجيب بأن لم يبق لي جلدٌ لكن بقائي وقد بانوا من العجبِ
شبت ابن عشرين عاماً والفراق له سهمٌ متى ما يصب شمل الفتى يشبِ
ما هزَّ عطفي من شوق إلى وطني ولا اعتراني من وجدٍ ومن طربِ
مثل اشتياقي من بُعدٍ ومُنتزح إلى الغريِّ وما فيه من الحسبِ
أزكى ثرى ضمَّ أزكى العالمين فذا خير الرجال وهذا أشرف التربِ
إن كان عن ناظري بالغيب محتجباً فإنَّه عن ضميري غير محتجبِ

إلى أن يقول:

يا راكباً جسرةً تطوي مناسمها ملاءة البيد بالتقريب والجنب[٤]
تُقيِّد المغزل الأدماء في صعد وتطلح الكاسر الفتخاء في صببٍ[٥]
تثني الرياح إذا مرَّت بغايتها حسرى الطلائح بالغيطان والخربِ
بلّغ سلامي قبراً بالغريِّ حوى أوفى البريَّة من عُجم ومن عربِ
واجعل شعارك لله الخشوع به وناد خير وصيٍّ صنو خير نبي
اسمع أبا حسن إنَّ الأولى عدلوا عن حكمك انقلبوا عن شرٍّ مُنقلبِ
ما بالهم نكبوا نهج النجاة؟! وقد وضحته واقتفوا نهجاً من العطبِ[٦]

---

(١) الظلم بالفتح: ماء الأسنان وبريقها. الشنب: بياض الأسنان وحسنها.
(٢) أهبه من نومه: أيقظه.
(٣) أشرقه بريقه: أي أغصه ومنعه التنفس.
(٤) حنبه جنْبا جنَباً: أبعده ونحاه.
(٥) المغزل: من أغزلت الظبية إذا ولدت الغزال. الأدم من الظباء بيضاً تعلوهن طرائق فيهن غبرة. طلح: أتعب وأعيى. الكاسر: العقاب. الفتخاء: اللينة الجناح. الصبب: ما انحدر من الأرض.
(٦) العطب: الهلاك.

ودافعوك عن الأمر الذي اعتقلت ... زمامه من قريش كفُّ مُغتصبِ
ظلّت تُجاذبها حتّى لقد خرمت ... خشاشها تربت من كفٍّ مُجتذبِ(١)
وكان بالأمس منها المُستقيل فلِم ... أرادها اليوم لو لم يأت بالكذبِ؟!
وأنت توسعه صبواً على مضض ... والحلم أحسن ما يأتي مع الغضبِ
حتّى إذا الموت ناداهُ فأسمعه ... والموت داع متى يدع امرءاً يُجبِ
حبا بها آخراً فاعتاض محتقباً(٢) ... منه بأفضع محمول ومحتقبِ
وكان أوّل من أوصى ببيعته ... لك النبيُّ ولكن حال من كثبِ
حتّى إذا ثالثٌ منهم تقمّصها ... وقد تبدَّل منها الجدُّ باللعبِ
عادت كما بُدأت شوهاء جاهلة ... تجرُّ فيها ذئابٌ اكلة الغلبِ
وكان عنها لهم في «خمّ» مزدجرٌ ... لَمّا رقى أحمد الهادي على قتَبِ
وقال والناس من دانٍ إليه ومن ... ثاوٍ لديه ومن مُصغٍ ومُرتقبِ
قم يا عليُّ فإنّي قد أُمرت بأن ... أُبلّغ الناس والتبليغ أجدر بي
إنّي نصبت عليّاً هادياً علماً ... بعدي وإنَّ عليّاً خير منتصبِ
فبايعوك وكلٌّ باسطٌ يده ... إليك من فوق قلب عنك منقلبِ
عافوك لا مانعٌ طولاً ولا حصرٌ ... قولاً ولا لهجٌ بالغشِّ والرِّيبِ
وكنت قطب رحى الإسلام دونهم ... ولا تدور رحىً إلّا على قطبِ
ولا تُماثلهم في الفضل مرتبة ... ولا تشابههم في البيت والنسبِ
إن تَلحظ القرن والعسال في يده ... يظلّ مضطرباً في كفِّ مضطربِ
وإن هززت قناةً ظلت تورِدها ... وريد ممتنع في الرَّوع مُجتنبِ
ولا تسلّ حساماً يوم ملحمة ... إلّا وتحجبه في رأس مُحتجبِ
كيوم خيبر إذ لم يمتنع زفرٌ ... عن اليهود بغير الفرِّ والهربِ
فأغضب المصطفى إذ جرَّ رايته ... على الثرى ناكصاً يهوي على العقبِ
فقال: إنّي سأُعطيها غداً لفتىً ... يحبّه الله والمبعوث منتجبِ

---

(١) خرم الخرزة: شق وترة الأنف. الخشاشة: عود يجعل في أنف الجمل.
(٢) اعتاض: أخذ بدلاً وخلفاً. احتقب: أركبه وراءه.

حتّى غدوت بها جذلان تحملها تلقاء أرعن من جمع العدى لجبِ[١]

جمّ الصلادم والبيض الصوارم وا لزرق اللهاذم والماذّي واليلبِ[٢]

فالأرض من لاحقيّات مطهّمة والمستظلّ مثار القسطل الهدبِ

وعارض الجيش من نقع بوارقه لمع الأسنّة والهنديّة القضبِ

أقدمت تضرب صبراً تحته فغدا يصوب مزناً ولو أحجمت لمن يصبِ

غادرت فرسانه من هاربٍ فَرق أومُقعص[٣] بدم الأوداج مُختضبِ

لك المناقب يعيى الحاسبون بها عدّاً ويعجز عنها كلُّ مُكتتبِ

كرجعة الشمس إذ رمت الصّلاة وقد راحت توارى عن الأبصار بالحجبِ

رُدّت عليك كأنّ الشهب ما اتّضحت لناظرٍ وكأنّ الشمس لم تغبِ

وفي براءة أنباء عجائبها لم تطو عن نازجٍ يوماً ومُقتربِ

وليلة الغار لَمّا بتّ ممتلئاً أمناً وغيرك ملآنٌ من الرعبِ

ما أنت إلّا أخو الهادي وناصره ومظهر الحقّ والمنعوت في الكتبِ

وزوج بضعته الزّهراء يكنفها[٤] دون الورى وأبو أبنائه النّجبِ

من كلّ مجتهد في الله مُعتضد بالله مُعتقد لله مُحتسب

هادين للرشد إن ليل الضلال دجا كانوا لطارقهم أهدى من الشّهبِ

لُقّبتُ بالرفض لَمّا إن منحتهمُ وُدّي وأحسن ما أُدعى به لقبي

صلاة ذي العرش تترى كلّ آونة على ابن فاطمة الكشّاف لِلكربِ

وأبنيه من هالك بالسمّ مُخترمٍ ومن مُعفّر خدٌّ في الثرى تَربِ

والعابد الزاهد السجّاد يتبعه وباقر العلم داني غاية الطلبِ

وجعفر وابنه موسى ويتبعه الـ ـبرُّ الرِّضا والجواد العابد الدئبِ

---

(١) جذل وجذلان: فرح وفرحان. أرعن: أحمق. جيش لجب: ذو كثرة وجلبة.

(٢) الصلادم ج الصلدم: الصلب. الأسد. الزرق: يكنى به عن الأسنة والنصال لما في لونها من الزرقة. اللهاذم ج اللهذم: الحاد القاطع. الماذي: كل سلاح من الحديد. اليلب. الفولاذ وخالص الحديد.

(٣) قعصه وأقعصه: قتله مكانه.

(٤) كنف الشيء. صانه وحفظه وحاطه وضمه إليه.

والعسكريّين والمهديّ قائمهم ... ذو الأمر لابس أثواب الهدى القشبِ
مَن يملأ الأرض عدلاً بعدما مُلأت ... جوراً ويقمع أهل الزيغ والشغبِ
القائد البهم الشوس الكماة إلى ... حرب الطغاة على قبٍّ الكلا الشزبِ[1]
أهل الهدى لا أُناس باع بائعهم ... دين المهيمن بالدنيا وبالرُّتبِ
لو أنَّ أضغانهم في النّار كامنةٌ ... لأغنت النّار عن مُذك ومُحتطبِ
يا صاحب الكوثر الرقراق زاخرة ... ذود النواصب عن سلساله العذبِ
قارعتُ منهم كماةً في هواك بما ... جرِّدتُ من خاطر أو مقول ذربِ
حتّى لقد وسمت كلماً جباههمُ ... خواطري بمضاء الشعر والخطبِ
صحبت حبّك والتقوى وقد كثرت ... ليَ الصحاب فكانا خير مصطحبِ
فاستجلِ من خاطر العبديِّ آنسةً ... طابت ولو جاوزتك اليوم لم تطبِ
جاءت تُمايل في ثوبي حياً وهدىً ... إليك حالية بالفضل والأدبِ
أتعبتُ نفسي في مدحيك عارفةً ... بأنَّ راحتها في ذلك التّعبِ

وذكر ابن شهر آشوب في «المناقب» ج ١ ص ١٨١ ط إيران للعبديٍّ قوله:

ما لعليٍّ سوى أخيه ... محمَّد في الورى نظير
فداه إذ أقبلت قريشٌ ... عليه في فرشه الأميرُ
وافاه في خمّ وارتضاه ... خليفة بعده وزيرُ

الشاعر

أبو محمَّد سفيان بن مصعب العبديُّ الكوفيُّ. من شعراء أهل البيت الطاهر المتزلّفين إليهم بولائه وشعره، المقبولين عندهم لصدق نيَّته وانقطاعه إليهم؛ وقد ضمن شعره غير يسير من مناقب مولانا أمير المؤمنين الشهيرة، وأكثر من مدحه ومدح ذريَّته الأطيبين وأطاب. وتفجَّع على مصائبهم ورثاهم على ما انتابهم من المحن، ولم نجد في غير آل الله له شعراً.

---

(١) البهم ج البهمة: الشجاع. الشوس: الشديد الجريء في القتال. القب: القطع.

استنشده الإمام الصّادق صلوات الله عليه شعره كما في رواية ثقة الإسلام الكليني في «روضة الكافي» بإسناده عن أبي داود المسترقّ عنه قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السّلام فقال: قولوا لامٌ فروة: تجيء فتسمع ما صُنع بجدّها. قال: فجاءت فقعدت خلف الستر ثمّ قال: فأنشدنا. قال: فقلت:

فرو جودي بدمعكِ المسكوب . . . . . .

قال: فصاحت وصحن النساء فقال أبو عبدالله عليه السلام: الباب. فاجتمع أهل المدينة على الباب قال: فبعث إليهم أبو عبدالله: صبيٌّ لنا غُشي عليه فصحن النساء. واستنشد شعره الإمام أبا عمارة المنشد كما في «الكامل لإبن قولويه» ص ١٠٥ بإسناده عن أبي عمارة قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا عمارة! أنشدني للعبديّ في الحسين عليه السلام قال: فأنشدته فبكى ثمّ أنشدته فبكى ثمّ أنشدته فبكى. قال: فوالله ما زلت أُنشده ويبكي حتّى سمعت البكاء من الدّار. الحديث.

عدّه شيخ الطائفة في رجاله من أصحاب الإمام الصّادق ولم يك صحبته مجرّد أُلفة معه، أو محض اختلاف إليه، أو أنّ عصراً واحداً يجمعهما لكنّه حظي بزلفة عنده منبعثة عن صميم الودّ وخالص الولاء، وإيمان لا يشوبه أيُّ شائبة حتّى أمر الإمام عليه السلام شيعته بتعليم شعره أولادهم وقال: إنّه على دين الله. كما رواه الكشي في رجاله ص ٢٥٤ بإسناده عن سماعة قال: قال أبو عبد الله عليه السّلام: يا معشر الشيعة علّموا أولادكم شعر العبديّ فإنّه على دين الله.

وينمّ عن صدق لهجته، واستقامة طريقته في شعره، وسلامة معانيه عن أيِّ مغمز، أمر الإمام عليه السّلام إيّاه بنظم ما تنوح به النساء في المأتم كما رواه الكشي في رجاله ص ٢٥٤.

وكان يأخذ الحديث عن الصّادق عليه السّلام في مناقب العترة الطاهرة فينظمه في الحال ثمّ يعرضه عليه كما رواه ابن عيّاش في «مقتضب الأثر» عن

أحمد بن زياد الهمداني قال: حدَّثني عليُّ بن إبراهيم بن هاشم قال: حدَّثني أبي عن الحسن بن عليّ سجاده عن أبان بن عمر ختن آل ميثم قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السَّلام فدخل عليه سفيان بن مصعب العبدي قال: جعلني الله فداك ما تقول في قوله تعالى ذكره﴿وعلى الأعراف رجال يعرفون كلاً بسيماهم﴾(١) قال: هم الأوصياء من آل محمَّد الإثني عشر لا يعرف الله إلاّ من عرفهم وعرفوه. قال: فما الأعراف جعلت فداك؟! قال: كثائب من مسك عليها رسول الله والأوصياء يعرفون كلًّا بسيماهم. فقال سفيان: أفلا أقول في ذلك شيئاً؟! فقال من قصيدة:

أيا ربعهم هل فيك لي اليوم مربعُ؟! وهل لليالٍ كنَّ لي فيك مرجعُ؟!

يقول فيها:

وأنتم وُلاة الحشر والنشر والجزاء وأنتم ليوم المفزع الهول مفزعُ
وأنتم على الأعراف وهي كثائبُ من المسك ريّاها بكم يتضوَّعُ
ثمانيةٌ بالعرش إذ يحملونهُ ومن بعدهم في الأرض هادون أربعُ

والقارىء إذا ضمَّ بعض ما ذكرنا من حديث المترجم له إلى الآخر يقف على رتبة عظيمة له من الدين تقصر دون شأوها الوصف بالثقة، ويُشاهد له في طيّات الحديث والتأريخ حسن حال وصحّة مذهب تفوق شؤون الحسان، فلا مجال للتوقّف في ثقته كما فعله العلاّمة الحلّي، ولا لعدِّه من الحسان كما فعله غيره، ولا يبقى لنسبته إلى الطيّارة [أي الغلوّ والإرتفاع في المذهب] وزنٌ كما رآه أبو عمرو الكشي في شعره، ولم نجد في شعره البالغ إلينا إلاّ المذهب الصحيح، والولاء المحض لعترة الوحي، والتشيّع الخالص عن كلّ شائبة سوء.

ويزيدك ثقةً به واعتماداً عليه رواية مثل أبي داود المنشد سليمان بن سفيان المسترق المتسالم على ثقته عنه، وأبو داود هو شيخ الأثبات الأجلّة نظراء

---

(١) سورة الأعراف: آية ٤٦.

الحسن بن محبوب، ومحمَّد بن الحسين بن أبي الخطاب، وعليٍّ بن الحسن بن فضّال.

كما أنَّ إفراد مثل الحسين بن محمَّد بن عليٍّ الأزدي الكوفي المجمع على ثقته وجلالته تأليفاً في أخبار المترجم له وشعره كما عدَّه النجاشي في فهرسته ص ٤٩ من كتبه يُؤذن بموقفه الشامخ عند أعاظم المذهب، ويُنبىء عن إكبارهم محلّه من العلم والدين.

نبوغه في الأدب والحديث:

إنَّ الواقف على شعر شاعرنا (العبديّ) وما فيه من الجودة، والجزالة، والسهولة، والعذوبة، والفخامة، والحلاوة، والمتانة. يشهد بنبوغه في الشعر، وتضلّعه في فنونه، ويعترف له بالتقدم والبروز، ويرى ثناء الحميري سيّد الشعراء عليه بأنّه «أشعر الناس» من أهله في محلّه، روى أبو الفرج في «الأغاني» ج ٧ ص ٢٢ عن أبي داود المسترق سليمان بن سفيان: أنَّ السيِّد والعبديّ اجتمعا فأنشد السيِّد:

إنّي أدني بما دان الـوصـيُّ بـه ... يوم الخريبة[1] من قتل المحلّينا
وبالذي دان يوم النهراوان بـه ... وشـاركت كفّـه كفّي بصفّينـا

فقال له العبدي: أخطأت، لو شاركت كفّك كفّه كنت مثله، ولكن قل: تابعت كفّه كفّي، لتكون تابعاً لا شريكاً. فكان السيِّد بعد ذلك يقول: أنا أشعر الناس إلّا العبدي.

والمتأمّل في شعره يرى موقفه العظيم في مقدّمي رجال الحديث، ومكثري حملته ويجده في الرعيل الأوَّل من جامعي شتاته، وناظمي شوارده، ورُواة نوادره، وناشري طُرفه، ويشهد له بكثرة الدِّراية والرِّواية، ويُشاهد همَّته

---

(١) الخريبة: موضع بالبصرة كانت به واقعة الجمل.

العالية، وولعه الشديد في بثِّ الأخبار المأثورة في آل بيت العصمة صلوات الله عليهم، وستقف على ذلك كلّه في ذكر نماذج شعره.

ولادته ووفاته:

لم نقف على تأريخي ولادة المترجم له ووفاته ولم نعثر على ما يقرِّبنا إليهما إلّا ما سمعت من روايته عن الإمام جعفر بن محمَّد عليه السَّلام واجتماعه مع السيِّد الحميري المولود سنة ١٠٥ والمتوفَّى سنة ١٧٨ ومع أبي داود المسترق، وملاحظة تاريخي ولادة أبي داود المسترق الراوي عنه ووفاته يُؤذننا بحياة شاعرنا العبديِّ إلى حدود سنة وفاة الحميري فإنَّ أبا داود تُوفي سنة ٢٣١ كما في فهرست النجاشي أو في سنة ٢٣٠ كما في رجال الكشي[1] وعاش سبعين سنة كما ذكره الكشي، فيكون ولادة أبي داود سنة ١٦١ على قول النجاشي و١٦٠ على اختيار الكشي، وبطبع الحال كان له من عمره حين روايته عن المترجم أقلّ ما تستدعيه الرِّواية، فيستدعي بقاء المترجم أقلًّا إلى أواخر أيّام الحميري، فما في أعيان الشيعة ج ١ ص ٣٧٠ من كون وفاة المترجم في حدود سنة ١٢٠ قبل ولادة الراوي عنه أبي داود المسترق بأربعين سنة خالٍ عن كلِّ تحقيق وتقريب.

ومن نماذج شعره:

إنّا روينا في الحديث خبراً	يعرفه سائر من كان روى
إنَّ ابن خطاب أتاه رجلٌ	فقال: كم عدَّة تطليق الإما؟!
فقال: يا حيدر كم تطليقة	للأمة؟ اذكره فأومى المرتضى
بإصبعيه فثنى الوجه إلى	سائله قال: اثنتان وانثنى
قال له: تعرف هذا؟ قال: لا	قال له: هذا عليٌّ ذو العلا

---

(١) ما في نسخ الكشي من ذكر تاريخ وفاة أبي داود برقم ١٣٠ تصحيف ٢٣٠، ويشهد بالتصحيف رواية طبقة أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام عنه، وكذلك رواية الحسن بن محبوب المولود سنة ١٤٩ والمتوفَّى سنة ٢٢٤، ورواية محمد بن الحسين بن أبي الخطاب المتوفَّى سنة ٢٦٢.

وقـد روى عكـرمـةٌ في خبـر ... مـا شكٌّ فيـه أحدٌ ولا امتـرى
مـرَّ ابن عبّاس على قـوم وقد ... سبّـوا عليّـاً فـاسترجع وبكـا
وقـال مغتـاظـاً لهم: أيّكمُ ... سبَّ إلّه الخلق جلَّ وعـلا؟!
قـالـوا: معـاذ الله قـال: أيّكمْ ... سبَّ رسول الله ظلماً واجترا؟!
قـالـوا: معـاذ الله قـال: أيّكمْ ... سبَّ عليّاً خير من وطىء الحصا؟!
قالوا: نعم قد كان ذا فقال: قد ... سمعت والله النبيَّ المجـتبـا
يقـول: من سبَّ عليّـاً سبَّني ... وسبَّتي سبُّ الإلّـه واكـتفـا
مـحـمَّـدٌ وصنـوه وابـنـتـه ... وابنيه خير من تحفّى واحتـذا
صلّى عليهم ربّنا باري الورى ... ومنشىء الخلق على وجه الثرى
صفـاهم الله تعـالى وارتضى ... واختـارهم من الأنـام واجتبى
لـولاهمُ الله مـا رفـع السمـا ... ولا دحى الأرض ولا أنشأ الورى
لا يقبل الله لعبدٍ عملاً حتى يُواليهم بإخلاص الولا
ولا يـتـمُّ لامرىءٍ صـلاتـه ... إلّا بذكراهم ولا يـزكو الـدُّعا
لو لم يكونوا خير من وطىء الحصا ... ما قال جبريل بهم تحت العبا
هل أنا منكم؟! شرفاً ثمَّ علا ... يُفاخر الأملاك إذ قالـوا: بلى
لـو أنَّ عبـداً لقي الله بـأعمـ ... ـال جميـع الخلق بـرّاً وتُقى
ولم يكن والى عليّـاً حبطت ... أعمـالـه وكبَّ في نـار لـظى
وإنَّ جبـريـل الأمين قـال لي ... عن ملكيـه الكـاتبين مذ دنا
إنَّهمـا مـا كتبـوا قطُّ على الـ ... ـطّهـر عليّ زلَّـةً ولا خـنـا

بيان ما حوته الأبيات من الحديث
ممّا أخرجه أعلام العامّة

قوله:

إنّـا روينا في الحـديث خبـراً ... يعـرفـه سائر من كـان روى

أخرج الحافظ الدارقطني وابن عساكر: إنَّ رجلين أتيا عمر بن الخطاب

وسألاه عن طلاق الأمة، فقام معهما فمشى حتى أتى حلقة في المسجد فيها رجلٌ أصلعُ فقال: أيّها الأصلع ما ترى في طلاق الأمة؟! فرفع رأسه إليه ثمّ أومى إليه بالسبّابة والوسطى، فقال لهما عمر: تطليقتان. فقال أحدهما: سبحان الله جئناك وأنت أمير المؤمنين فمشيت معنا حتى وقفت على هذا الرجل فسألته فرضيت منه أن أومى إليك. فقال لهما: تدريان من هذا؟! قالا: لا. قال: هذا عليُّ بن أبي طالب أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته وهو يقول: إنَّ السماوات السبع والأرضين السبع لو وضعا في كفَّة ثمَّ وضع إيمان عليّ في كفَّة لرجح إيمان عليٍّ بن أبي طالب.

وفي لفظ الزمخشري: جئناك وأنت الخليفة فسألناك عن طلاق فجئت إلى رجل فسألته، فوالله ما كلّمتك. فقال له عمر: ويلك أتدري من هذا؟ الحديث .

ونقله عن الحافظين الدارقطني وابن عساكر: الكنجي في الكفاية ص ١٢٩ وقال: هذا حسنٌ ثابتٌ. ورواه من طريق الزمخشري خطيب الحرمين الخوارزمي في المناقب ص ٧٨، والسيِّد علي الهمداني في مودَّة القربى. وحديث الميزان رواه عن عمر محبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ١ ص ٢٤٤، والصفوري في «نزهة المجالس» ج ٢ ص ٢٤٠ .

قوله:

وقد روى عكرمةٌ في خبر ما شكَّ فيه أحدٌ ولا امترا

أخرج أبو عبدالله الملاّ في سيرته عن ابن عبّاس: إنَّه مرَّ بعد ما كفَّ بصره على قوم يسبّون عليّاً فقال لقائده: ما سمعت هؤلاء يقولون؟! قال: سبّوا عليّاً. قال: رُدّني إليهم. فردَّه فقال: أيّكم السابُّ لله عزَّ وجلَّ؟! قالوا: سبحان الله من سبَّ الله فقد أشرك. قال: فأيّكم السابّ لرسول الله؟! قالوا: سبحان الله ومن سبَّ رسول الله فقد كفر. قال: أيّكم السابُّ عليَّ بن أبي طالب؟! قالوا: أمّا هذا فقد كان. قال: فأنا أُشهد بالله وأشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: من

سبَّ عليّاً فقد سبَّني، ومن سبَّني فقد سبَّ الله عزَّ وجلَّ ومَن سبَّ الله كبَّه الله على منخريه في النّار. ثمّ ولّى عنهم فقال لقائده: ما سمعتهم يقولون؟! قال: ما قالوا شيئاً. قال: فكيف رأيت وجوههم إذ قلت ما قلت؟! قال:

نظروا إليك بأعين محمّرة   نظر التيوس إلى شفار الجازرِ

قال: زدني فداك أبوك. قال:

خزر العيون نواكس أبصارهم   نظر الذليل إلى العزيز القاهرِ

قال: زدني فداك أبوك. قال: ما عندي غير هذا قال: لكن عندي:

أحياؤهم عارٌ على أمواتهم   والميّتون فضيحةٌ للغابرِ

وأخرجه محبّ الدين الطبري في «الرياض» ج ١ ص ١٦٦، والكنجي في «الكفاية» ص ٢٧، وشيخ الإسلام الحمويي في «الفرائد» في الباب السادس والخمسين، وابن الصبّاغ المالكي في «الفصول» ص ١٢٦.

قوله:

محمّدٌ وصنوه وابنته   وابنيه خير من تحفّى واحتذا

عن أبي هريرة عن النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح سجّداً وركّعاً قال آدم: هل خلقت أحداً من طين قبلي؟! قال: لا يا آدم! قال: فمَن هؤلاء الخمسة الأشباح الّذين أراهم في هيئتي وصورتي؟! قال: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهمُ ما خلقتك، هؤلاء خمسةٌ شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي لولاهم ما خلقت الجنّة والنار، ولا العرش ولا الكرسيّ، ولا السماء ولا الأرض، ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ، فأنا المحمود وهذا محمّد، وأنا العالي وهذا عليّ، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا الإحسان وهذا الحسن، وأنا المحسن وهذا الحسين. آليت بعزّتي أن لا يأتيني أحدٌ بمثقال ذرّة من خردل من بغض أحدهم إلّا أدخله ناري، ولا أُبالي يا آدم! هؤلاء صفوتي

بهم أُنجيهم وبهم أُهلكهم، فإذا كان لك إليَّ حاجة فبهؤلاء توسَّل. فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: نحن سفينة النجاة من تعلّق بها نجا، ومن حاد عنها هلك، فمن كان له إلى الله حاجة، فليسأل بنا أهل البيت.

أخرجه شيخ الإسلام الحمّويي في الباب الأوّل من «فرائد السمطين» وروى قريباً منه الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص ٢٥٢. وحديث السفينة رواه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٥١ عن أبي ذرّ وصحّحه بلفظ: مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلّف عنها غرق. وأخرجه الخطيب في تاريخه ج ١٢ ص ٩١ عن أنس. والبزّار عن ابن عبّاس، وابن الزبير. وابن جرير، والطبراني عن أبي ذرّ وأبي سعيد الخدري. وأبو نعيم، وابن عبد البّر، ومحبّ الدين الطبري، وكثيرون آخرون. وأشار إليه الإمام الشافعيّ بقوله المأثور عنه في «رشفة الصادي» ص ٢٤:

ولمّا رأيت الناس قد ذهبت بهم ... مذاهبهم في أبحر الغيِّ والجهلِ
ركبت على اسم الله في سفن النجا ... وهم أهل بيت المصطفى خاتم الرسلِ
وأمسكت حبل الله وهو ولائهم ... كما قد أمرنا بالتمسّك بالحبلِ[١]

قوله:

لا يقبل الله لعبد عملاً ... حتى يُواليهم بإخلاص الولا

عن ابن عبّاس في حديث عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله: لو أنَّ رجلاً صفن[٢] بين الركن والمقام فصلّى وصام ثمَّ لقي الله وهو مُبغضٌ لأهل بيت محمَّد دخل النار. أخرجه الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٩ وصحّحه، والذهبي في تلخيصه.

وأخرج الطبراني في الأوسط من طريق أبي ليلى عن الإمام السبط الشهيد

---

(١) يأتي شرح هذا البيت الأخير في محله إن شاء الله تعالى.
(٢) صفن الرجل: صف بين قدميه.

عن جدّه رسول الله ﷺ أنّه قال: الزموا مودَّتنا أهل البيت فإنّه من لقي الله عزّ وجلّ وهو يودّنا دخل الجنة بشفاعتنا، والّذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمله إلّا بمعرفة حقّنا. وذكره الهيثمي في «المجمع» ج ٩ ص ١٧٢، وابن حجر في «الصواعق»، ومحمّد سليمان محفوظ في «أعجب ما رأيت» ج ١ ص ٨. والنبهاني في «الشرف المؤبّد» ص ٩٦ والحضرمي في «رشفة الصادي» ص ٤٣.

وأخرج الحافظ السمّان في أماليه بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه وآله: لو أنَّ عبداً عبد الله سبعة آلاف سنة وهو عمر الدنيا ثمَّ أتى الله عزَّ وجلَّ يبغض عليّ بن أبي طالب جاحداً لحقّه ناكثاً لولايته لأتعس الله خيره وجدع أنفه. وذكره القرشي في شمس الأخبار ص ٤٠.

وأخرج الخوارزمي في «المناقب» ص ٣٩ عن النبيِّ صلّى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ: يا عليّ! لو أنَّ عبداً عبد الله عزَّ وجلَّ مثل ما قام نوح في قومه وكان له مثل أُحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ومدَّ في عمره حتّى حجَّ ألف عام على قدميه، ثمَّ قُتل بين الصفا والمروة مظلوماً ثمَّ لم يُوالك يا عليّ لم يشمّ رائحة الجنّة ولم يدخلها.

عن أمِّ سلمة عن رسول الله ﷺ أنّه قال: يا أمَّ سلمة أتعرفينه؟! قلت: نعم هذا عليُّ بن أبي طالب. قال: صدقت سجيّته سجيّتي ودمه دمي وهو عيبة علمي فاسمعي وأشهدي لو أنّ عبداً من عباد الله عزَّ وجلَّ عبد الله ألف عام بين الركن والمقام ثمَّ لقي الله عزَّ وجلَّ مبغضاً لعليٍّ بن أبي طالب وعترتي أكبَّه الله تعالى على منخره يوم القيامة في نار جهنم. أخرجه الحافظ الكنجي بإسناده من طريق الحافظ أبي الفضل السلامي ثمَّ قال: هذا حديثٌ سنده مشهورٌ عند أهل النقل.

وأخرج ابن عساكر في تاريخه مسنداً عن جابر بن عبدالله عن رسول الله ﷺ في حديث: يا عليّ! لو أنَّ أُمّتي صاموا حتى يكونوا كالحنايا، وصلّوا حتّى يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك لأكبَّهم الله في النار. وذكره الكَنجي في

«الكفاية» ص ١٧٩ وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في «المناقب» ونقله عنه القرشي في «شمس الأخبار» ص ٣٣. ورواه شيخ الإسلام الحمّوِي في «الفرائد» في الباب الأوّل.

وهناك أخبارٌ كثيرة تضاهي هذه في ولاء أمير المؤمنين وعترته لا يسعنا ذكرها.

قوله:

ولا يتمُّ لامرئٍ صلاته ... إلّا بذكراهم . . .

أشار إلى كون الصّلاة عليهم مأموراً بها في الصّلاة وفي المقام أخبارٌ كثيرةٌ وكلماتٌ ضافيةٌ توجد في طيّات كتب الفقه والتفسير والحديث. ذكر ابن حجر في «الصواعق» ص ٨٧ قوله تعالى: ﴿إن الله وملائكته يصّلون على النبيِّ يا أيّها الذين آمنوا صلّوا عليه وسَلّموا تسليماً﴾. وروى جملة من الأخبار الصحيحة الواردة فيها وأنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله قرن الصَّلاة على آله بالصلاة عليه لَمّا سُئل عن كيفيَّة الصَّلاة والسَّلام عليه ثمَّ قال: وهذا دليلٌ ظاهرٌ على أنَّ الأمر بالصَّلاة على أهل بيته وبقيَّة آله مرادٌ من هذه الآية وإلّا لم يسألوا عن الصَّلاة على أهل بيته وآله عقب نزولها ولم يُجابوا بما ذكر فلمّا أُجيبوا به دلَّ على أنَّ الصَّلاة عليهم من جملة المأمور به وأنّه ﷺ أقامهم في ذلك مقام نفسه لأنَّ القصد من الصَّلاة عليهم مزيد تعظيمه ومنه تعظيمهم ومن ثمَّ لَمّا دخل من مرَّ في الكساء قال: اللهمّ إنّهم منّي وأنا منهم فاجعل صلاتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليَّ وعليهم[1] وقضيَّة استجابة هذا الدعاء: إنَّ الله صلّى عليهم معه فحينئذٍ طلب من المؤمنين صلاتهم عليهم معه. ويُروى: لا تصلّوا عليَّ الصَّلاة البتراء. فقالوا: وما الصَّلاة البتراء؟ قال: تقولون: اللهمَّ صلِّ على محمَّد وتمسكون بل

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ج ٦ ص ٣٢٣.

قولوا: اللهمّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد. ثمَّ نقل عن الإمام الشافعي قوله:

يا أهل بيت رسول الله حبّكمُ   فرضٌ من الله في القرآن أنزلهُ
كفاكمُ من عظيم القـدر انّكمُ   مَن لم يُصلِّ عليكم لا صلاة لهُ[1]

فقال: فيُحتمل لا صلاة له صحيحةً فيكون موافقاً لقوله بوجوب الصَّلاة على الآل، ويُحتمل لا صلاة كاملة فيوافق أظهر قوليه.

وقال ص ١٣٩ من «الصواعق»: أخرج الدارقطني والبيهقي حديث من صلّى صلاةً ولم يُصلِّ فيها عليَّ وعلى أهلِ بيتي لم تُقبل منه. وكأنَّ هذا الحديث هو مستند قول الشافعي رضي الله عنه: إنَّ الصَّلاة على الآل من واجبات الصَّلاة كالصَّلاة عليه ﷺ لكنّه ضعيفٌ فمستنده الأمر في الحديث المتّفق عليه: قولوا: اللهمّ صلِّ على محمَّد وعلى آل محمَّد. والأمر للوجوب حقيقةً على الأصحّ.

وقال الرازي في تفسيره ج ٧ ص ٣٩١: إنَّ الدعاء للآل منصبٌ عظيمٌ ولذلك جُعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصَّلاة وقوله: اللهمّ صلّ على محمَّد وعلى آل محمَّد، وارحم محمَّداً وآل محمَّد. وهذا التعظيم لم يوجد في حقِّ غير الآل فكلُّ ذلك يدلُّ على أنَّ حبَّ آل محمَّد واجبٌ. وقال: أهل بيته ﷺ ساووه في خمسة أشياء: في الصَّلاة عليه وعليهم في التشهّد، وفي السَّلام، والطهارة، وفي تحريم الصدقة، وفي المحبَّة.

وقال النيسابوري في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودَّة في القربى﴾: كفى شـرفاً لآل رسـول الله ﷺ وفخراً ختم التشهّـد بذكرهم والصّلاة عليهم في كلِّ صلاة.

وروى محبُّ الدين الطبري في «الذخائر» ص ١٩ عن جابر رضي الله عنه

---

(١) ونسبهما إلى الإمام الشافعي الزرقاني في شرح المواهب ج ٢ ص ٧ وجمع آخرون.

أنّه كان يقول: لو صلّيت صلاةً لم أُصلّ فيها على محمّد وعلى آل محمّد ما رأيت أنّها تُقبل.

وأخرج القاضي عياض في الشفا عن ابن مسعود مرفوعاً: من صلّى صلاةً لم يُصلّ عليَّ فيها وعلى أهل بيتي لم تُقبل منه. وللقاضي الخفاجي الحنفي في شرح الشفا ج ٣ ص ٥٠٠ ـ ٥٠٥ فوائد جمّة حول المسئلة وذكر مختصر ما صنّفه الإمام الخيصري في المسئلة سمّاه [زهر الرياض في ردّ ما شنّعه القاضي عياض]. وصور الصلوات المأثورة على النبيّ وآله مذكورةٌ في (شفاء السقام) لتقيّ الدين السبكي ص ١٨١ ـ ١٨٧، وأورد جملةً منها الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٣ وأوّل لفظ ذكره عن بُريدة قال: قلنا: يا رسول الله قد علمنا كيف نسلّم عليك، فكيف نصلّي عليك؟! قال. قولوا اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على محمّد وآل محمّد كما جعلتها على آل إبراهيم إنّك حميدٌ مجيدٌ.

قوله:

ولا يزكو الدّعا . إشارةً إلى ما أخرجه الديلمي أنّه ﷺ قال: الدعاء محجوبٌ حتّى يُصلّى على محمّد وأهل بيته: اللهمّ صلّ على محمّد وآله. ورواه عنه ابن حجر في «الصواعق» ص ٨٨.

وأخرج الطبراني في الأوسط عن عليّ أمير المؤمنين عليه السلام: كلّ دعاء محجوب حتّى يُصلّى على محمّد وآل محمّد. وذكره الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد ج ١٠ ص ١٦٠ وقال: رجاله ثقات.

وأخرج البيهقي وابن عساكر وغيرهما عن عليّ عليه السلام مرفوعاً ما معناه: الدعاء والصّلاة معلّقٌ بين السّماء والأرض لا يصعد إلى الله منه شيءٌ حتى يُصلّى عليه وعلى آل محمّد. «شرح الشفا للخفاجي» ج ٣ ص ٥٠٦.

قوله:

لو لم يكونوا خير من وطىء الحصا ما قال جبريلٌ لهم تحت العبا

أشار إلى ما ورد في لفظ بعض رواة حديث الكساء الصحيح المتواتر المتّفق عليه من أنّه صلّى الله عليه وآله أدرج معهم جبرئيل وميكائيل. ذكره الشبلنجي في [نور الأبصار] ص ١١٢، والصبّان في «الإسعاف» [هامش نور الأبصار] ص ١٠٧.

قوله:

وإنّ جبرئيل الأمين قال لي عن ملكيه الكاتبين مذ دنا

أخرج الحافظ الخطيب البغدادي في تاريخه ج ١٤ ص ٤٩ عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ حافظي عليّ بن أبي طالب ليفخران على سائر الحفظة لكينونتهما مع عليّ بن أبي طالب وذلك أنّهما لم يصعدا إلى الله تعالى بعمل يسخطه. وفي لفظه الآخر: قطّ. وأخرجه الفقيه ابن المغازلي في «المناقب». والخوارزمي في «المناقب» ص ٢٥١. والقرشي في [شمس الأخبار] ص ٣٦.

ومن شعر العبدي

آل النبيِّ محمَّدٍ أهل الفضائل والمناقبْ
المرشدون من العمى والمنقذون من اللوازبْ
الصّادقون النّاطقون السّابقون إلى الرغائبْ
فولاهمُ فرضٌ من الرَّ حمن في القرآن واجبْ
وهمُ الصراط فمستقيمٌ فوقه ناج وناكبْ
صدّيقةٌ خُلقت لصدّ يق شريف في المناسبْ
واختاره واختارها طُهرين من دنس المعائبْ
اسماهما قرنا على سطر بظلّ العرش راتبْ
كان الإلّه وليّها و أمينه جبريل خاطبْ
والمهر خُمس الأرض مو هبة تعالت في المواهبْ
وتهابها من حمل طوبى طيبت تلك المواهب

بيان ما ضمنته الأبيات من الحديث

قوله:

الصادقون. إشارةٌ إلى ما روي في قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾. (سورة التوبة) من طريق الحافظ أبي نعيم وابن مردويه وابن عساكر وآخرين كثيرين عن جابر وابن عبّاس: أي كونوا مع عليٍّ ابن أبي طالب. ورواه الكنجي الشافعي في «الكفاية» ص ١١١. والحافظ السيوطي في (الدرّ المنثور) ج ٣ ص ٢٩٠. وقال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرته ص ١٠: قال علماء السير: معناه: كونوا مع عليّ وأهل بيته. قال ابن عبّاس: عليٌّ سيِّد الصّادقين.

قوله:

السابقون إلى الرغائب. إشارةٌ إلى قوله تعالى: ﴿والسّابقون السّابقون أولئك المقرَّبون﴾. (سورة الواقعة) وإنَّها نزلت في عليٍّ عليه السلام. أخرج ابن مردويه عن ابن عبّاس: أنَّها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون. وحبيب النجّار الّذي ذُكر في يس. وعليّ بن أبي طالب. وكلّ رجلٍ منهم سابق أُمَّته وعليٌّ أفضلهم. وفي لفظ ابن أبي حاتم يوشع بن نون بدل حزقيل. وأخرج الديلمي عن عائشة. والطبراني وابن الضحّاك والثعلبي وابن مردويه وابن المغازلي عن ابن عبّاس: إنّ النبيَّ ﷺ قال: السبّق. وفي لفظ: السبّاق ثلاثة: السابق إلى موسى يوشع بن نون. وصاحب ياسين إلى عيسى. والسابق إلى محمَّد عليٌّ بن أبي طالب. وزاد الثعالبي في لفظه: فهم الصدّيقون وعليٌّ أفضلهم.

ورواه محبُّ الدين الطبري في رياضه ج ١ ص ١٥٧، والهيثمي في «المجمع» ج ٩ ص ١٠٢، والكنجي في «الكفاية» ص ٤٦ بلفظ: سبَّاق الأُمم ثلاثةٌ لم يشركوا بالله طرفة عين: عليٌّ بن أبي طالب. وصاحب ياسين. ومؤمن آل فرعون. فهم الصدِّيقون وعليّ أفضلهم. ثمّ قال: هذا سندٌ اعتمد عليه الدارقطني واحتجَّ به.

ورواه باللفظ الأوّل الحافظ السيوطي في [الدرّ المنثور] ج ٦ ص ١٥٤. وابن حجر في «الصواعق» ص ٧٤. وسبط ابن الجوزي في «التذكرة» ص ١١.

قوله:

فـولاهـمُ فـرضٌ مـن الـرَّ حـمـان في الـقـرآن واجبْ

أشار به إلى قـوله تعـالى: ﴿قُلْ لا أسئلكم عليـه أجراً إلّا المـودَّة في الْقُربى، ومَن يَقترف حَسنةً نزد لهُ فيها حُسناً﴾[1] توجد في الكتب والمعاجم أحاديث وكلمات ضافية حول الآية الشريفة لا يسعنا بسط المقال فيها غير أنا نقتصر بجملة منها.

١ ـ أخرج أحمد في المناقب، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه، والواحدي، والثعلبي، وأبـو نعيم، والبغوي في تفسيـره، وابن المغازلي في المناقب بأسانيدهم عن ابن عباس قال: لَمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله مَن قرابتك هؤلاء الّذين وجبت علينا مودَّتهم؟! فقال: عليٌّ وفاطمة وابناهما.

ورواه محبُّ الدين الطبـريّ في «الذخـائر» ص ٢٥، والـزمخشريُّ في «الكشّاف» ج ٢ ص ٣٣٩. والحمّويي في «الفرائد»، والنيسابوري في تفسيره، وابن طلحـة الشافعي في «مـطالب السئـول» ص ٨ وصحـحـه، والـرازيّ في تفسيره، وأبو السعود في تفسيره ج ١ (هامش تفسير الرازي) ج ٧ ص ٦٦٥، وأبـو حيّان في تفسيـره ج ٧ ص ٥١٦، والنسفيّ في تفسيـره (هـامش تفسيـر الخازن) ج ٤ ص ٩٩، والحافظ الهيثميُّ في «المجمع» ج ٩ ص ١٦٨، وابن الصباغ المالكي في [الفصول المهمّة] ص ١٢، والحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٣١، والقسطلاني في «المواهب» وقال: ألزم الله مودَّة قرباه كافَّة بريّتـه،

---

(١) سورة الشورى. آية ٢٣.

وفرض محبّة جملة أهل بيته المعظّم وذريّته فقال تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودَّة في القُربى﴾. ورواه الزرقاني في (شرح المواهب) ج ٧ ص ٣ و٢١، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١ و١٣٥، والسيوطي في [إحياء الميت] هامش «الإتحاف» ص ٢٣٩، والشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١١٢، والصبّان في «الإسعاف» هامش نور الأبصار ص ١٠٥.

٢ ـ أخرج الحافظ أبو عبدالله الملاّ في سيرته: أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ الله جعل أجري عليكم المودَّة في أهل بيتي وإنّي سائلكم غداً عنهم. ورواه محبّ الدين الطبري في «الذخائر» ص ٢٥، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠٢ و١٣٦، والسمهودي في [جواهر العقدين].

٣ ـ قال جابر بن عبدالله: جاء أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ وقال: يا محمَّد أعرض عليَّ الإسلام فقال: تشهد أن لا إلّه إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّداً عبده ورسوله. قال: تسألني عليه أجراً؟! قال: لا إلاّ المودَّة في القربى. قال: قرابتي أو قرابتك؟! قال: قرابتي. قال: هات، أُبايعك، فعلى مَن لا يحبّك ولا يحبّ قرابتك لعنة الله. فقال النبيُّ صلّى الله عليه وآله: آمين. أخرجه الحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٣١ من طريق الحافظ أبي نعيم عن محمَّد بن أحمد بن مخلّد عن الحافظ ابن أبي شيبة بإسناده.

٤ ـ أخرج الحافظ الطبريّ وابن عساكر والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل لقواعد التفضيل، بعدّة طرق عن أبي أمامة الباهلي قال قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتّى وخلقني من شجرة واحدة فأنا أصلها، وعليٌّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ عنها هوى، ولو أنَّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة ألف عام ثمَّ ألف عام ثمَّ ألف عام ثمَّ لم يُدرك صحبتنا أكبَّه الله على منخريه في النّار. ثمَّ تلا: قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القُربى. وذكره الكنجي في «الكفاية» ص ١٧٨.

٥ ـ أخرج أحمد وأبي حاتم عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿ومَن يقترف

حسنة﴾ قال: المودّة لآل محمّد. ورواه الثعلبي في تفسيره مسنداً، وابن الصبّاغ المالكي في «الفصول» ص ١٣، وابن المغازلي في «المناقب»، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١، والسيوطي في «الدرّ المنثور» ج ٦ ص ٧، و«إحياء الميت» - هامش الإتحاف ص ٢٣٩، والحضرمي في «الرشفة» ص ٢٣، والنبهاني في [الشرف المؤبّد] ص ٩٥.

٦ - أخرج أبو الشيخ ابن حبّان في كتابه «الثواب» من طريق الواحدي عن عليّ عليه السلام قال: فينا آل حم آيةٌ لا يحفظ مودّتنا إلّا كل مؤمن. ثمّ قرأ: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القُربى﴾. وذكره ابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١ و١٣٦، والسمهودي في [جواهر العقدين].

٧ - عن أبي الطفيل قال: خطبنا الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه وذكر أمير المؤمنين عليّاً رضي الله عنه خاتم الأوصياء ووصيٌّ الأنبياء وأمين الصدّيقين والشهداء ثمّ قال: أيّها الناس لقد فارقكم رجلٌ ما سبقه الأوّلون ولا يُدركه الآخرون لقد كان رسول الله ﷺ يُعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتّى يفتح الله عليه، ولقد قبضه الله في الليلة الّتي قُبض فيها وصيُّ موسى وعرج بروحه في الليلة الّتي عرج فيها بروح عيسى بن مريم، وفي الليلة الّتي أنزل الله عزَّ وجل فيها الفرقان، والله ما ترك ذهباً ولا فضّة، وما في بيت ماله إلّا سبعمائة وخمسون درهماً فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادماً لأُمِّ كلثوم. ثمّ قال: من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد. ثمّ تلا هذه الآية قول يوسف: ﴿واتّبعت ملّة آبائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب﴾. ثمّ أخذ في كتاب الله. ثمّ قال: أنا ابن البشير، وأنا ابن النذير، أنا ابن النبيِّ، أنا ابن الداعي إلى الله بإذنه وأنا ابن السراج المنير، وأنا ابن الّذي أُرسل رحمةً للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الّذين افترض الله عزَّ وجلَّ مودّتهم وولايتهم فقال فيما أنزل على محمّد: ﴿قُل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودّة في القُربى﴾.

وفي لفظ الحافظ الزرندي في [نظم درر السمطين] وأنا من أهل البيت الّذين كان جبريل عليه السّلام ينزل فينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الّذين افترض الله تعالى مودّتهم على كلٍّ مسلم وأنزل الله فيهم: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في الْقربى ومَن يقترف حسنةً نزد له فيها حسناً﴾. واقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت.

أخرجه البزّار والطبراني في الكبير. وأبو الفرج في مقاتل الطالبيين وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٤ ص ١١. والهيثمي في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٤٦. وابن الصباغ المالكي في الفصول ص ١٦٦ وقال: رواه جماعةٌ من أصحاب السير وغيرهم. والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٣٢ من طريق ابن عقدة عن أبي الطفيل. والنسائي عن هبيرة، وابن حجر في الصواعق ص ١٠١ و١٣٦. والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٣١. والحضرمي في الرشفة ص ٤٣.

٨ ـ أخرج الطبري في تفسيره ج ٢٤ ص ١٦ بإسناده عن السديّ عن أبي الديلم قال: لمّا جيء بعليٍّ بن الحسين (الإمام السجّاد) رضي الله عنهما أسيراً فأُقيم على درج الدمشق قام رجلٌ من أهل الشام فقال: الحمد لله الّذي قتلكم واستأصلكم وقطع قرني الفتنة. فقال له عليٌّ بن الحسين رضي الله عنه: أقرأت القرآن؟! فقال: نعم. قال: فقرأت آل حم؟! قال: قرأت القرآن ولم أقرأ آل حم. قال: ما قرأت: ﴿قل لا أسألكم عَليه أجراً إلاّ المودّة في الْقُربى﴾. قال: وإنّكم لأنتم هم؟! قال: نعم.

ورواه الثعلبي في تفسيره بإسناده. وأشار إليه أبو حيّان في تفسيره ج ٧ ص ٥١٦. وأخرجه السيوطي في الدرّ المنثور ج ٦ ص ٧. وابن حجر في الصواعق ص ١٠١ و ١٣٦ عن الطبراني. والزرقاني في شرح المواهب ج ٧ ص ٢٠.

٩ ـ روى الطبري في تفسيره ج ٢٤ ص ١٦ و١٧ عن سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب أنّهما قالا: هي قُربى رسول الله ﷺ. ورواه عنهما وعن

السدي أبو حيّان في تفسيره والسيوطي في الدر المنثور. قال الفخر الرازي في تفسيره ج ٧ ص ٣٩٠: وأنا أقول: آل محمّد ﷺ هم الّذين يؤول أمرهم إليه فكلّ مَن كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله ﷺ أشدّ التعلّقات، وهذا كالمعلول بالنقل المتواتر، وجب أن يكونوا هم الآل.

وقال المناوي: قال الحافظ الزرندي. لم يكن أحدٌ من العلماء المجتهدين والأئمّة المهتدين إلاّ وله في ولاية أهل البيت الحظُّ الوافر والفخر الزاهر كما أمر الله بقوله: **﴿قُل لا أسألكم عَليهِ أجراً إلاّ المودَّة في القربى﴾**[1].

وقال ابن حجر في الصواعق ص ٨٩: أخرج الديلمي عن أبي سعيد الخدري أنَّ النبيَّ ﷺ قال: وقفوهم إنّهم مسؤولون عن ولاية عليّ. وكأنَّ هذا هو مراد الواحدي بقوله: رُوي في قوله تعالى: وقفوهم إنهم مسؤولون أي عن ولاية عليٍّ وأهل البيت لأنَّ الله أمر نبيَّه ﷺ أن يعرِّف الخلق أنّه لا يسألهم على تبليغ الرِّسالة أجراً إلاّ المودَّة في القُربى. والمعنى انَّهم يُسألون: هل والوهم حقَّ الموالاة كما أوصاهم النبيّ ﷺ أم أضاعوها وأهملوها؟!؟! فتكون عليهم المطالبة والتبعة.

وذكر في الصواعق ص ١٠١ للشيخ شمس الدين ابن العربي قوله:

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما طلب المبعوث أجراً على الهدى ... بتبليغه إلاّ المودَّة في القربى

وذكر ابن الصباغ المالكي في الفصول ص ١٣ لقائل:

هم العروة الوثقى لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحي وإنزالِ
مناقب في شورى وسورة هل أتى ... وفي سورة الأحزاب يعرفها التالي
وهم آل بيت المصطفى فودادهم ... على الناس مفروضٌ بحكم وإسجالِ

---

(١) وقفنا على (نظم درر السمطين) للحافظ الزرندي، فوجدنا الكلمة على ما حكاها المناوي.

وذكر لآخر:

هم القوم من أصفاهم الودَّ مخلصاً ... تمسَّك في أُخراه بالسبب الأقوى
هم القوم ضاقوا العالمين مناقباً ... محاسنهم تُجلى وآثارهم تُروى
موالاتهم فرضٌ وَحبّهمُ هدىً ... وطاعتهم ودٌّ وودُّهمُ تقوى

وذكر الشبلنجي في نور الأبصار ص ١٣ لأبي الحسن بن جبير:

أُحبُّ النبيَّ المصطفى وابن عمِّه ... عليّاً وسبطيه وفاطمة الزّهرا
همُ أهل بيت أذهب الرجس عنهمُ ... وأطلعهم أُفق الهدى أنجماً زهرا
موالاتهم فرضٌ على كلِّ مسلم ... وحبّهمُ أسنى الذخائر للأخرى
وما أنا للصحب الكرام بمبغض ... فإنّي أرى البغضاء في حقِّهم كفرا

قوله:

وهم الصراط فمستقيمٌ فوقه ... ناجٍ وناكبْ

أخرج الثعلبي في «الكشف والبيان» في قوله تعالى: **﴿إهدنا الصِّراط المستقيم﴾**. قال مسلم بن حيّان: سمعت أبا بُريدة يقول: صراط محمَّد وآله.

وفي تفسير وكيع بن الجراح عن سفيان الثوري عن السدي عن أسباط ومجاهد عن عبدالله بن عبّاس في قوله تعالى: **﴿إهدنا الصِّراط المستقيم﴾**. قال: قولوا معاشر العباد أرشدنا إلى حبِّ محمَّد وأهل بيته.

وأخرج الحمّويي في «الفرائد» بإسناده عن أصبغ بن نباتة عن عليّ عليه السَّلام في قوله تعالى: **﴿وإنَّ الَّذين لا يُؤمنون بالآخرة عن الصِّراط لناكبون﴾**[1] قال: الصِّراط ولايتنا أهل البيت.

وأخرج الخوارزمي في «المناقب»: الصراط صراطان: صراطٌ في الدنيا. وصراطٌ في الآخرة. فأمّا صراط الدنيا فهو عليٌّ بن أبي طالب. وأمّا صراط

---

(١) سورة المؤمنون: آية ٧٥.

الآخرة فهو جسر جهنم. مَن عرف صراط الدنيا جاز على صراط الآخرة. ويوضح معنى هذا الحديث ما أخرجه ابن عدي والديلمي كما في «الصواعق» ص ١١١ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: أثبتكم على الصراط أشدُّكم حبّاً لأهل بيتي ولأصحابي.

وأخرج شيخ الإسلام الحمّويي بإسناده في فرائد السمطين في حديث عن الإمام جعفر الصّادق قوله: نحن خيرةُ الله ونحن الطريق الواضح والصراط المستقيم إلى الله.

فهم الصراط إلى الله فمن تمسَّك بهم فقد اتَّخذ إلى ربِّه سبيلاً كما ورد فيما أخرجه أبو سعيد في شرف النبوَّة بإسناده عن رسول الله ﷺ قال: أنا وأهل بيتي شجرةٌ في الجنَّة وأغصانها في الدنيا، فمن تمسَّك بنا اتَّخذ إلى ربِّه سبيلاً. [ذخائر العقبى ص ١٦].

قوله: صدّيقةٌ.

يعني به فاطمة بنت النبيِّ صلّى الله عليه وآله سمّاها بها أبوها فيما أخرجه أبو سعيد في «شرف النبوّة» عن رسول الله ﷺ انّه قال لعليّ: أوتيتَ ثلاثاً لم يُؤتهنَّ أحدٌ ولا أنا: أوتيتَ صهراً مثلي ولم أوت أنا مثلي. وأوتيتَ زوجة صدّيقة مثل إبنتي ولم أُوت مثلها زوجة. وأوتيتَ الحسن والحسين من صلبك ولم أُوت من صلبي مثلهما، ولكنَّكم منّي وأنا منكم. الرياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٢.

وعن عائشة امِّ المؤمنين قالت: ما رأيت أحداً كان أصدق لهجةً من فاطمة إلّا أن يكون الّذي ولدها ﷺ. حلية الأولياء ج ٢ ص ٤٢، الاستيعاب ج ٢ ص ٧٥١، ذخائر العقبى ص ٤٤، تقريب الأسانيد وشرحه ج ١ ص ١٥٠، مجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٠١ وقال: رجاله رجال الصحيح.

قوله: لصدّيق.

يعني به أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو صدّيقُ هذه الأُمّة وذلك لقبه الخاصّ، قال محبُّ الدين الطبري في رياضه: إنَّ رسول الله ﷺ سمّاه صدِّيقاً

وقال في ص ١٥٥ : قال الخجندي: وكان يلقّب بيعسوب الأُمّة وبالصدِّيق الأكبر. وهناك أخبارٌ كثيرةٌ نذكر بعضها:

١ ـ أخرج ابن النجّار وأحمد في المناقب عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ الصدِّيقون ثلاثةٌ: حزقيل مؤمن آل فرعون. وحبيب النجّار صاحب آل يسين. وعليٌّ بن أبي طالب. وأخرجه أبو نعيم في المعرفة، وابن عساكر، عن أبي ليلى، وزادا في لفظهما: وهو أفضلهم. وأخرجه محبُّ الدين الطبري في الرياض ج ٢ ص ١٥٤، والگنجي في الكفاية ص ٤٧ بلفظ أبي ليلى، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ١٥٢، وابن حجر في الصواعق ص ٧٤ بلفظ ابن عبّاس، وص ٧٥ بلفظ أبي ليلى.

٢ ـ عن رسول الله ﷺ: إنَّ هذا أوّل مَن آمن بي، وهو أوَّل مَن يصافحني يوم القيامة، وهو الصدِّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأُمّة، يفرق بين الحقّ والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين.

أخرجه الطبراني عن سلمان وأبي ذر، والبيهقي، والعدني، عن حذيفة، والهيثمي في المجمع ج ٩ ص ١٠٢، والحافظ الكنجي في الكفاية ص ٧٩ من طريق الحافظ ابن عساكر وفي آخره: وهو بابي الّذي أوتى منه وهو خليفتي من بعدي. وذكره باللفظ الأوَّل المتّقي الهندي في إكمال كنز العمّال ج ٦ ص ٥٦.

٣ ـ عن ابن عبّاس وأبي ذرّ قالا: سمعنا النبيَّ صلّى الله عليه وآله يقول لعليّ: أنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقِّ والباطل.

أخرجه محبُّ الدين في الرياض ج ٢ ص ١٥٥ وقال: وفي رواية: وأنت يعسوب الدين. عن الحاكمي والقرشي في شمس الأخبار ص ٣٥ وفيه: وأنت يعسوب المؤمنين. ورواه مع الزيادة شيخ الإسلام الحمّوبي في الفرائد في الباب الرابع والعشرين. وابن أبي الحديد عن أبي رافع في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧ ولفظه: قال أبو رافع: أتيت أبا ذر بالربذة أُودِّعه فلمّا أردت الإنصراف قال لي ولأُناس معي: ستكون فتنةٌ فاتّقوا الله وعليكم بالشيخ عليٍّ بن أبي طالب فاتّبعوه، فإنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول له: أنت أوّل من آمن

بي، وأوّل من يُصافحني يوم القيامة، وأنت الصدّيق الأكبر، وأنت الفاروق الذي يفرق بين الحقّ والباطل، وأنت يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الكافرين، وأنت أخي ووزيري وخير من أترك بعدي وتنجز موعدي، وذكره القاضي الإيجي في «المواقف» ج ٣ ص ٢٧٦، والصفوري في (نزهة المجالس) ج ٢ ص ٢٠٥.

٤ ـ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله، قال قال لي ربي عزَّ وجلَّ ليلة أسرى بي: من خلّفتَ على أُمَّتك يا محمَّد؟ قال قلت: يا ربِّ أنت أعلم. قال: يا محمَّد! إنتجبتك برسالتي، واصطفيتك لنفسي، وأنت نبيّي وخيرتي من خلقي، ثمَّ الصدِّيق الأكبر الطاهر المطهر الّذي خلقته من طينتك وجعلته وزيرك وأبي سبطيك السّيدين الشهيدين الطاهرين المطهَّرين سيّدي شباب الجنّة، وزوجته خير نساء العالمين، أنت شجرة وعليٌّ غصنها وفاطمة ورقها والحسن والحسين ثمارها، خلقتهما من طينة عليّين وخلقت شيعتكم منكم، إنَّهم لو ضُربوا على أعناقهم بالسيوف ما ازدادوا لكم إلّا حبّاً. قلت: يا ربِّ ومَن الصدِّيق الأكبر؟! قال: أخوك عليٌّ بن أبي طالب.

أخرجه القرشي في «شمس الأخبار» ص ٣٣.

٥ ـ عن عليّ عليه السّلام أنَّه قال: أنا عبدالله وأخو رسوله وأنا الصدِّيق الأكبر لا يقولها بعدي إلّا كذّاب مفتري، لقد صلّيت قبل الناس سبع سنين. أخرجه ابن أبي شيبة بسند صحيح. والنسائي في «الخصائص» ص ٣ بسند رجاله ثقات. وابن أبي عاصم في «السنّة». والحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١١٢ وصحَّحه. وأبو نعيم في «المعرفة». وابن ماجه في سننه ج١ ص٥٧ بسند صحيح. والطبري في تاريخه ج ٢ ص ٢١٣ بإسناد صحيح، والعقيلي، والخلعي، وابن الأثير في «الكامل» ج ٢ ص ٢٢. وابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥٧. ومحبّ الدين الطبري في «الذخائر» ص ٦٠، و«الرياض» ج ٢ ص ١٥٥ و١٥٨ و١٦٧. والحمّوبي في «الفرائد» في الباب التاسع والأربعين. والسيوطي في «الجمع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٣٩٤. وفي طبقات الشعراني ج ٢ ص ٥٥: قال عليٌّ رضي الله عنه: أنا الصِّدِّيق الأكبر لا

يقولها بعدي إلّا كاذب.

٦ ـ عن معاذة قالت: سمعت عليًا وهو يخطب على منبر البصرة يقول: أنا الصدِّيق الأكبر آمنت قبل أن يُؤمن أبو بكـر وأسلمت قبل أن يسلم أبـو بكر. أخرجه ابن قتيبة في «المعارف» ص ٧٣، وابن أيّوب، والعقيلي، ومحبُّ الدين في « الذخائر » ص ٥٨، و«الريـاض» ج ٢ ص ١٥٥ و١٥٧، وذكره ابن أبي الحديد في شرح النهج ج ٣ ص ٢٥١، ٢٥٧، والسيوطي في الجوامع كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٥.

قوله:

إسماهما قرنا على سطرٍ بظلّ العرش راتب

أشار إلى حديث كتابة أسماء فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها في ظلّ العرش وقد كتبت على باب الجنّه كما أخرجه الخطيب البغدادي في تأريخه ج ١ ص ٢٥٩ عن ابن عبّاس قال قال رسول الله ﷺ ليلة عُرج بي إلى السماء رأيت على باب الجنّة مكتوباً لا إلّه إلّا الله، محمَّدٌ رسول الله، عليٌّ حبيب الله، والحسن والحسين صفوة الله، فاطمةُ خيرة الله، على مبغضهم لعنة الله. ورواه الخطيب الخوارزمي في مناقبه ص ٢٤٠.

قوله:

كان الإلّه وليّها وأمينه جبريل خاطبْ

إشارةٌ إلى أنَّ الله تعالى هو زوَّج فاطمة عليّاً وكان وليُّ أمرها وخطب فيه الأمين جبرئيل عليه السَّلام كما ورد عن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: أيّها الناس! هذا عليٌّ بن أبي طالب أنتم تزعمون أنّني أنا زوَّجته ابنتي فاطمة ولقد خطبها إليَّ أشراف قريش فلم أُجب، كلُّ ذلك أتوقّع الخبر من السماء حتّى جاءني جبرئيل ليلة أربع وعشرين من شهر رمضان فقال: يا محمَّد: العليُّ الأعلى يقرأ عليك السَّلام، وقد جمع الروحانيِّين والكرّوبيِّين في وادٍ يُقال له: الأفيح. تحت شجرة طوبى وزوَّج فاطمة عليّاً وأمرني، فكنت الخاطب: والله تعالى الوليّ. الحديث .[كفاية الطالب ص ١٦٤].

وأخرج محبُّ الدين الطبري في «الذخائر» ص ٣١ عن عليّ قال قال رسول الله ﷺ: أتاني ملكٌ فقال: يا محمَّد، إنَّ الله تعالى يقرأ عليك السَّلام ويقول لك: إنّي قد زوَّجت فاطمة ابنتك من عليٍّ بن أبي طالب، في الملأ الأعلى فزوِّجها منه في الأرض.

وأخرج النسائي والخطيب في تاريخه ج ٤ ص ١٢٩ بالإسناد عن عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال: أصاب فاطمة بنت رسول الله ﷺ صبيح العرس رعدة فقال لها رسول الله ﷺ: يا فاطمة، إنّي زوَّجتك سيِّداً في الدنيا وإنَّه في الآخرة لمن الصّالحين يا فاطمة! إنّي لَمّا أردت أن أُملكك لعليّ أمر الله جبريل فقام في السَّماء الرابعة فصفَّ الملائكة صفوفاً ثمَّ خطب عليهم جبريل فزوَّجك من عليّ، ثمَّ أمر شجر الجنان فحملت الحليَّ والحُلل ثمَّ أمرها فنثرته على الملائكة، فمن أخذ منهم يومئذٍ أكثر ممّا أخذ صاحبه أو أحسن افتخر به إلى يوم القيامة. قالت امّ سلمة: فلقد كانت فاطمة تفخر على النساء حيث أوّل من خطب عليها جبريل. وذكره الكنجي في «الكفاية» ص ١٦٥ ثمَّ قال: حسنٌ عال رزقناه عالياً. ومحبّ الدين في «الذخائر» ص ٣٢.

وروى الصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٥ عن جبرئيل أنّه قال لرسول الله ﷺ: إنَّ الله أمر رضوان أن ينصب منبر الكرامة على باب البيت المعمور وأمر ملكاً يُقال له: «راحيل» أن يصعده، فعلا المنبر وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله فارتجت السموات فرحاً وسروراً، وأوحى الله إليَّ أن أعقد عقدة النّكاح، فإنّي زوَّجت عليّاً بفاطمة أمتي بنت محمَّد رسولي، فعقدت وأشهدت الملائكة وكتبت شهادتهم في هذه الحريرة، وإنّي أُمرت أن أعرضها عليك وأختمها بخاتم مسك أبيض وأدفعها إلى رضوان خازن الجنان. وهناك في هذا المعنى أخبارٌ كثيرةٌ.

قوله:

والمهر خُمس الأرض مو هبةٌ تعالت في المواهب

أشار به إلى ما أخرجه شيخ الإسلام الحمّويي في (فرائدالسمطين) في

الباب الثامن عشر عن رسول الله ﷺ انّه قال لعليّ: يا عليّ! إنّ الأرضِ لله يورثها من يَشاءُ من عباده، وإنّه أوحى إليّ أن أُزوِّجك فاطمة على خُمس الأرض، فهي صداقها فمن مشى على الأرض وهو لكم مبغضٌ فالأرض حرامٌ عليه أن يمشي عليها.

قوله:

وتهابها من حمل طوبى طيِّبت تلك المواهب

أشار إلى حديث النثار المرويّ عن بلال بن حمامة قال: طلع علينا رسول الله ﷺ ذات يوم متبسِّماً ضاحكاً ووجهه مسرورٌ كدارة القمر فقام إليه عبدالرحمن بن عوف فقال: يا رسول الله ما هذا النور؟ قال: بشارةٌ أتتني من ربّي في أخي وابن عمّي، بأنَّ الله زوَّج عليّاً من فاطمة، وأمر رضوان خازن الجنان فهزَّ شجرة طوبى فحملت رقاعاً، يعني صكاكاً، بعدد محبّي أهل البيت، وأنشأ تحتها ملائكة من نور ودفع إلى كلٍّ ملك صكاكاً، فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محبٌّ لأهل البيت إلّا دفعت له صكاً فيه فكاكه من النّار، فصار أخي وابن عمّي وبنتي فكّاك رقاب رجال ونساء امّتي من النّار.

أخرجه الخطيب في تاريخه ج ٤ ص ٢١٠. وابن الأثير في اسد الغابة ج ١ ص ٢٠٦ وابن الصباغ المالكي في «الفصول المهمّة»، وأبو بكر الخوارزمي في «المناقب»، وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠٣، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٥، والحضرمي في «رشفة الصادي» ص ٢٨.

وأخرج أبو عبدالله الملّا في سيرته عن أنس قال بينما رسول الله ﷺ في المسجد إذ قال لعليّ: هذا جبريل يخبرني أنّ الله زوَّجك فاطمة وأشهد على تزويجها أربعين ألف ملك وأوحى إلى شجرة طوبى: أن انثري عليهم الدرّ الياقوت. فنثرت عليهم الدرّ والياقوت فابتدرت إليه الحور العين يتلقّطن في أطباق الدرّ والياقوت فهم يتهادونه بينهم إلى يوم القيامة. ورواه محبّ الدين في

« الذخائر » ص ٣٢، وفي «الرياض» ج ٢ ص ١٨٤ ، والصفوري في نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٣.

ومن شعر العبدي

يا سادتي يا بني عليّ ... يا آل طه وآل صاد
من ذا يُوازيكمُ وأنتم ... خلائف الله في البلادِ
أنتم نجوم الهدى اللواتي ... يهدي بها الله كلَّ هادِ
لولا هداكم إذاً ضللنا ... والتبس الغيُّ بالرَّشادِ
لا زلت في حبِّكم أوالي ... عمري وفي بغضكم أُعادي
وما تزوَّدتُ غير حبّي ... إيّاكمُ وهو خير زادِ
وذاك ذخري الذي عليه ... في عرصة الحشر اعتمادي
ولاكمُ والبراء ممَّن ... يشنأكمُ اعتقادي

وللعبديِّ قوله:

وزُوِّج في السماء بأمر ربّي ... بفاطمة المهذَّبة الطهورِ
وصيِّر مهرها خُمساً بأرض ... لما تحويه من كرم وحور
فذا خير الرجال وتلك خير الـ ... ـنساء ومهرها خير المهورِ

وله:

إذ أتته البتولُ فاطمُ تبكي ... وتُوالي شهيقها والزفيرا
إجتمعن النساء عندي وأقبلن ... يطلن التقريع والتعبيرا
قلن إنَّ النبيَّ زوَّجك اليوم ... عليّاً بعلاً مُعيلاً فقيرا
قال يا فاطمُ اصبري واشكري الله ... فقد نلت منه فضلاً كبيرا
أمر الله جبرئيل فنادى، ... مُعلناً في السماء صوتاً جهيرا
إجتمعن الأملاك حتى إذا ما ... وردوا بيت ربِّنا المعمورا
قام جبريل خاطباً يكثر الـ ... ـتحميد لله جلَّ والتكبيرا
خُمس أرضي لها حلالٌ فصيِّر ... هُ على الخلق دونها مبرورا
نثرت عند ذاك طوبى الحور ... من المسك والعبير نثيرا

بيان: قوله:

اذ أتتــه البتـولُ فــاطم تبكي　　　وتُــوالي شهيقهــا والــزفيــرا

إشارةً إلى ما أخرجه الحافظ عبد الرزّاق عن معمّر عن ابن أبي نُجيح عن مجاهد عن ابن عبّاس والخطيب بإسناده في تاريخه ج ٤ ص١٩٥ عن ابن عبّاس قال: لَمّا زوَّج النبيُّ ﷺ فاطمة من عليّ قالت فاطمة: يا رسول الله؟! زوَّجتني من رجل فقير ليس له شيءٌ. فقال النبيُّ ﷺ أما ترضين؟! إنَّ الله اختار من أهل الأرض رجلين: أحدهما أبوك والآخر زوجـك. وذكره الحـاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١٢٩ وصحَّحه، والهيثميُّ في «المجمع» ج ٩ ص ١١٢، والسيـوطي في «الجمـع» كمـا في تـرتيبـه ج ٦ ص ٣٩١، والصفـوري في «النـزهــة» ج ٢ ص ٢٢٦.

وفي نزهة المجالس ج ٢ ص ٢٢٦ عن العقائق: انَّ فاطمة رضي الله عنها بكت ليلة عرسها فسألها النبيُّ ﷺ عن ذلك فقالت له: تعلم انّي لا أُحب الدنيا ولكن نظرت إلى فقري في هذه الليلة فخشيت أن يقول لي عليٌّ: بأيِّ شيء جئت؟! فقال النبيُّ ﷺ: لكِ الأمان فإنَّ عليّاً لم يزل راضياً مرضيّاً. ثمَّ بعد ذلك تزوَّجت امرأة من اليهود وكانت كثيرة المال فدعت النِّساء إلى عـرسها فلبسن أفخر ثيابهنَّ ثمَّ قلن: نُريد أن ننظر إلى بنت محمّد وفقرها. فدعونها، فنزل جبريل بحلّة من الجنّة فلمّا لبستها واتَّزرت وجلست بينهنَّ رفعت الإزار فلمعت الأنوار فقالت النساء: مِن أين لكِ هذا يا فاطمة؟! فقالت: من أبي. فقلن: مِن أين لأبيك؟! قالت: من جبريل. قلن: من أين لجبريل؟! قالت من الجنّة. فقلن: نشهد أن لا إلَه إلا الله وأنَّ محمَّداً رسول الله فمن أسلم زوجها استمرَّت معه وإلّا تزوّجت غيره. مرَّ بيان ما في بقيَّة الأبيات من الحديث المأثور

وللعبديِّ قوله من قصيدة يمدح عليّاً عليه السَّلام:

وكان يقول: يـا دنيايَ غـرّي　　　سوايَ فلست من أهل الغـرورِ

ومن اخرى.

لم تشتمل قلبه الدنيا بزخرفها　　　بل قال: غرّي سواي كلّ محتقرِ

أشار بهما إلى ما في حديث ضرار بن ضمرة الكناني لَمّا وصف أمير المؤمنين لمعاوية بن أبي سفيان قال: لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى اللّيل سدوله، وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرّي غيري، إليَّ تعرَّضتِ؟! أم إليَّ تشوَّقتِ؟! هيهات هيهات قد باينتكِ ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمركِ قصيرٌ، وعيشكِ حقيرٌ، وخطرك يسيرٌ. الحديث.

أخرجه أبو نعيم في «الحلية» ج ١ ص ٨٤، وابن عبد البرّ في «الاستيعاب»، وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٣٥ وكثيرون آخرون من الحفّاظ والمؤرِّخين.

وله قوله:

لَمّا أتاه القوم في حجراته ... والطُّهر يخصف نعله ويرقِّعُ
قالوا له: إن كان أمرٌ مَن لنا ... خلفٌ إليه في الحوادث نرجعُ؟!
قال النبيُّ: خليفتي هو خاصف ... النعل الزكيُّ العالم المتورِّعُ

أشار بهذه الأبيات إلى حديث امّ سلمة، قالت لعائشة امّ المؤمنين في بدء واقعة الجمل: أُذكركِ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ في سفر له وكان عليٌّ يتعاهد نعلي رسول الله ﷺ فيخصفها ويتعاهد أثوابه فيغسلها فنقبت له نعل فأخذها يومئذٍ يخصفها وقعد في ظلّ سمرة وجاء أبوكِ ومعه عمر فاستأذنا عليه فقمنا إلى الحجاب ودخلا يُحدِّثانه فيما أرادا ثمَّ قالا: يا رسول الله إنّا لا ندري قدر ما تصحبنا فلو أعلمتنا مَن يستخلف علينا ليكون لنا بعدك مفزعاً. فقال لهما: أما إنّي قد أرى مكانه ولو فعلت لتفرَّقتم عنه كما تفرَّقت بنو إسرائيل عن هارون بن عمران. فسكتا ثمَّ خرجا فلمّا خرجنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله قلتِ له وكنتِ أجرأ عليه منّا: مَن كنت يا رسول الله مستخلفاً عليهم؟! فقال: خاصف النعل. فنزلنا فلم نر أحداً إلّا عليّاً فقلت: يا رسول الله! ما أرى إلّا عليّاً. فقال: هو ذاك. فقالت عائشة: نعم أذكر ذلك. فقالت: فأيُّ خروج تخرجين بعد هذا؟! فقالت: إنّما أخرج للإصلاح بين الناس وأرجو فيه الأجر إن

شاء الله فقالت: أنتِ ورأيكِ. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج ٢ ص ٧٨.

ولشاعرنا العبديِّ قوله يمدح به أمير المؤمنين عليه السَّلام:

يا من شكت شوقه الأملاك إذ شغفت بحبِّه وهواه غاية الشغفِ
فصاغ شبهك ربُّ العالمين فما ينفكُّ من زائرٍ منها ومُعتكفِ

وله في مدحه صلوات الله عليه:

صوَّر الله لأملاك العلى مثله أعظمه في الشرفِ
وهي ما بين مُطيف زائرٍ ومُقيم حوله مُعتكفِ
هكذا شاهده المبعوث في ليلة المعراج فوق الرفرفِ

في هذه الأبيات إشارة إلى حديث الحافظ المتقن الكبير الثقة يزيد بن هارون عن حميد الطويل الثقة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: مررت ليلة أُسري بي إلى السماء فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور والملائكة تحدق به فقلت: يا جبرئيل من هذا الملك؟! قال: أُدن منه وسلِّم عليه. فدنوت منه وسلَّمت عليه، فإذا أنا بأخي وابن عمّي عليٍّ بن أبي طالب. فقلت: يا جبرئيل سبقني عليٌّ إلى السماء الرابعة؟! فقال لي: يا محمَّد لا، ولكن الملائكة شكت حبَّها لعليّ فخلق الله تعالى هذا الملك من نور على صورة عليّ، فالملائكة تزوره في كلِّ ليلة جمعة ويوم جمعة سبعين ألف مرَّة يسبِّحون الله ويُقدِّسونه ويهدون ثوابه لمحبِّ عليّ. أخرجه الحافظ الكنجي في «الكفاية» ص ٥١ وقال: هذا حديثٌ حسنٌ عالٍ لم نكتبه إلّا من هذا الوجه.

ومن شعر العبديِّ قوله:

وزوَّجه بفاطم ذو المعالي على الأرغام من أهل النِّفاقِ
وخُمس الأرض كان لها صداقاً ألا للّه ذلك من صداقِ

وقوله يمدح به أمير المؤمنين:

وكم غمرة للموت في الله خاضها ... ولجّة بحر في الحكوم أقامها
وكم ليلة ليلاء لله قامها ... وكم صبحة مشجورة الحرّ صامها

وقوله في مدحه عليه السَّلام:

أنت عين الإلّه والجنب من فـ ... ـرَّط فيه يصلى لظىً مذموما
أنت فلك النجاة فينا وما زلـ ... ـت صراطاً إلى الهدى مستقيما
وعليك الورود تسقي مِن الحو ... ض ومَن شئت ينثني محروما
وإليك الجواز تُدخل مَن شئت ... جناناً ومَن تشاء جحيما

مرّ بيان ما في بعض هذه الأبيات. (قوله):

وعليك الورود تسقي مِن الحو ... ض ومَن شئت ينثني محروما

فيه ايعازٌ إلى أنَّ سقاية الحوض (الكوثر) يوم القيامة بيد عليّ أمير المؤمنين يسقي منه محبّيه ومواليه ويذود عنه المنافقين والكفّار، وورد في ذلك أحاديث في الصحاح والمسانيد ونحن نذكر بعضها:

١ - أخرج الطبراني بإسناد رجاله ثقاتٌ عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبيّ ﷺ: يا عليُّ معك يوم القيامة عصا من عصيّ الجنة تذود بها المنافقين عن الحوض.

«الذخائر» ص ٩١ «الرياض» ج ٢ ص ٢١١، «مجمع الزوائد» ج ٩ ص ١٣٥، «الصواعق» ص ١٠٤.

٢ - أخرج أحمد في «المناقب» بإسناده عن عبدالله بن إجاره قال: سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب وهو على المنبر يقول: أنا أذود عن حوض رسول الله بيديَّ هاتين القصيرتين الكفار والمنافقين كما تذود السقاة غريبة الإبل عن حياضهم..

ورواه الطبراني في الأوسط. وذكر في مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٣٩، والرِّياض النضرة ج ٢ ص ٢١١، وكنز العمّال ج ٦ ص ٤٠٣.

٣ ـ أخرج ابن عساكر في تاريخه بإسناده عن ابن عبّاس عن رسول الله ﷺ قال لعليّ: أنت أمامي يوم القيامة فيدفع إليّ لواء الحمد فأدفعه إليك وأنت تذود الناس عن حوضي. وذكره السيوطي في «الجمع» كما في ترتيبه ج ٦ ص ٤٠٠ وفي ص ٣٩٣ عن ابن عبّاس عن عمر في حديث طويل عنه ﷺ: وأنت تتقدّمني بلواء الحمد وتذود عن حوضي.

٤ ـ أخرج أحمد في «المناقب» بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: أُعطيت في عليّ خمساً هو أحبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها، أمّا واحدة: فهو تكأتي بين يدي الله عزّ وجلّ حتى يفرغ من الحساب. وأمّا الثانية: فلواء الحمد بيده آدم ومن ولده تحته. وأمّا الثالثة: فواقفٌ على عقر حوضي يسقي من عرف من امّتي. الحديث.

وذكر في الرّياض النضرة ج ٢ ص ٢٠٣، وكنز العمال ج ٦ ص ٤٠٣.

٥ ـ أخرج شاذان الفضيلي بإسناده عن أمير المؤمنين قال قال رسول الله ﷺ: يا عليّ، سألت ربّي عزّ وجلّ فيك خمس خصال فأعطاني أمّا الأولى: فإنّي سألت ربّي أن تنشقّ عنّي الأرض وانفضّ التراب عن رأسي وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثانية: فسألته أن يوقفني عند كفّة الميزان وأنت معي، فأعطاني. وأمّا الثالثة: فسألته أن يجعلك حامل لوائي وهو لواء الله الأكبر عليه المفلحون والفائزون بالجنّة، فأعطاني. وأمّا الرابعة: فسألت ربّي أن تسقي امّتي من حوضي، فأعطاني. وأمّا الخامسة: فسألت ربّي، أن يجعلك قائد امّتي إلى الجنّة فأعطاني. فالحمد لله الّذي منّ به عليّ.

وتجده في «المناقب» للخطيب الخوارزمي ص ٢٠٣، و[فرائد السمطين] في الباب الثامن عشر، و[كنز العمّال] ج ٦ ص ٤٠٢.

٦ ـ أخرج الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة في حديث قال قال رسول الله ﷺ: كأنّي بك (يا عليّ) وأنت على حوضي تذود عنه الناس وإنّ عليه لأباريق مثل عدد نجوم السماء وإنّي وأنت والحسن والحسين وفاطمة وعقيل

وجعفر في الجنّة إخواناً على سُرُر متقابلين أنت معي وشيعتك في الجنّة. [مجمع الزوائد ج ٩ ص ١٧٣].

٧ ـ عن جابر بن عبدالله في حديث عن رسول الله صلّى الله عليه وآله قال: يا عليّ، والذي نفسي بيده إنّك لذائدٌ عن حوضي يوم القيامة تذود عنه رجالاً كما يُذاد البعير الضالّ عن الماء بعصاً لك من عوسج وكأنّي أنظر إلى مقامك من حوضي. [مناقب الخطيب ص ٦٥].

٨ ـ أخرج الحاكم في «المستدرك» ج ٣ ص ١٣٨ بإسناده وصحّحه عن عليّ بن أبي طلحة قال: حججنا فمررنا على الحسن بن علي بالمدينة ومعنا معاوية بن حُديج ـ بالتصغير ـ فقيل للحسن: إنّ هذا معاوية بن حُديج السابّ لعليّ. فقال: عليَّ به فأُتي به فقال: أنت السابُّ لعليّ؟ ! فقال: ما فعلت: قال: والله إن لقيته وما أحسبك تلقاه يوم القيامة لتجده قائماً على حوض رسول الله ﷺ يذود عنه رايات المنافقين بيده عصاً من عوسج، حدَّثنيه الصادق المصدوق ﷺ وقد خاب من افترى..

وأخرجه الطبراني وفي لفظه: لتجدنّه مشمِّراً حاسراً عن ذراعيه يذود الكفّار والمنافقين عن حوض رسول الله ﷺ قول الصادق المصدوق محمَّد..

قوله:

وإليك الجواز تُدخل مَن شئت جناناً ومَن تشاء جحيما

أشار به إلى معنى ورد في أخبار كثيرة نقتصر بذكر بعضها:

١ ـ أخرج الحافظ ابن السمّان في الموافقة عن قيس بن حازم قال: التقى أبو بكر الصدّيق وعليّ بن أبي طالب فتبسّم أبو بكر في وجه عليّ فقال له: ما لك تبسّمت؟ ! قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يجوز أحدٌ الصراط إلاّ من كتب له عليٌّ الجواز. وذُكر في الرياض النضرة ج ٢ ص ١٧٧ و ٢٤٤. والصواعق ص ٧٥، وإسعاف الراغبين ص ١٦١.

٢ ـ عن مجاهد عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: إذا كان يوم القيامة أقام الله عزَّ وجلَّ جبريل ومحمَّداً على الصراط فلا يجوز أحدٌ إلاّ مَن كان معه براءة من عليٍّ بن أبي طالب. أخرجه الخطيب الخوارزمي في «المناقب» ص٢٥٣. والفقيه ابن المغازلي في «المناقب» بلفظ: عليٌّ يوم القيامة على الحوض لا يدخل إلاّ من جاء بجواز من عليٍّ بن أبي طالب. وذكره القرشيُّ في شمس الأخبار ص٣٦.

٣ ـ أخرج الحاكمي عن عليٍّ قال قال رسول الله ﷺ: إذا جمع الله الأوَّلين والآخرين يوم القيامة ونصب الصراط على جسر جهنّم ما جازها أحدٌ حتّى كانت معه براءة بولاية عليٍّ بن أبي طالب. وذُكر في [فرائد السمطين] في الباب الرابع والخمسين. و[الرياض النضرة] ج ٢ ص ١٧٢.

٤ ـ عن الحسن البصري عن عبدالله قال قال رسول الله ﷺ: إذا كان يوم القيامة يقعد عليٌّ بن أبي طالب على الفردوس وهو جبلٌ قد علا على الجنّة وفوقه عرش ربِّ العالمين، ومن سفحه يتفجَّر أنهار الجنّة وتتفرّق في الجنان، وهو جالسٌ على كرسيٍّ من نور يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحدٌ الصِّراط إلاّ ومعه براءة بولايته وولاية أهل بيته يشرف على الجنّة فيدخل محبّيه الجنة ومبغضيه النار. أخرجه الخوارزمي في «المناقب» ص٤٢، والحمّويي في [فرائدالسمطين] في الباب الرابع والخمسين.

٥ ـ أخرج القاضي عياض في «الشفا» عن النبي ﷺ انّه قال: معرفة آل محمَّد براءةٌ من النّار. وحبُّ آل محمَّد جوازٌ على الصِّراط. والولاية لآل محمَّد أمانٌ من العذاب. ويوجد في «الصواعق» ص ١٣٩ و «الإتحاف» ص ١٥، و«رشفة الصادي» ص ٤٥٩.

٦ ـ أخرج الخطيب في تاريخه ج ٣ ص ١٦١ عن ابن عبّاس قال: قلت للنبيِّ ﷺ يا رسول الله لِلنار جواز؟! قال: نعم. قلت: وما هو؟! قال: حبُّ عليٍّ بن أبي طالب. ويأتي حديث: عليٌّ قسيم الجنّة والنار، في محلّه إن شاء الله تعالى.

ومن شعر العبديّ يمدح أمير المؤمنين

وعلّمك الّذي علم البرايا ... وألهمك الّذي لا يعلمونا
فزادك في الورى شرفاً وعزّاً ... ومجداً فوق وصف الواصفينا
لقد أعطيتَ ما لم يُعط خلقاً ... هنيئاً يا أمير المؤمنينا
إليك اشتاقت الأملاك حتّى ... تحنّت من تشوُّقها حنينا
هناك برا لها الرَّحمن شخصاً ... كشبهك لا يُغادره يقينا

أشار بالبيت الأوَّل إلى حديث مرّ ص٥٨ ومرَّ بيان بقيَّة الأبيات ص ٣٤٥

ومن شعره:

لأنتم على الأعراف عرف عارف ... بسيما الذي يهواكمُ والّذي يشنا
أئمّتنا أنتم سنُدعى بكم غداً ... إذا ما إلى ربِّ العباد معاً قمنا
بجدِّكمُ خير الورى وأبيكمُ ... هُدينا إلى سبل النجاة وأُنقذنا
ولولاكمُ لم يخلق الله خلقه ... ولا لقَّب الدنيا الغرور ولا كنّا
ومن أجلكم أنشأ الإلّه لخلقه ... سماءً وأرضاً وابتلى الإنس والجنّا
تجلّون عن شبه منالنّاس كلّهم ... فشأنكمُ أعلى وقدركمُ أسنا
إذا مسَّنا ضرٌّ دعونا إلّهنا ... بموضعكم منه فيكشفه عنّا
وإن دهمتنا غُمَّةٌ أو مُلمَّة ... جعلناكمُ منها ومن غيرنا حصنا
وإن ضامنا دهرٌ فعذنا بعزِّكم ... فيبعد عنّا الضيم لَمّا بكم عُذنا
وإن عارضتنا خفيةٌ من ذنوبنا ... براةٌ لنا منها شفاعتكم أمنا

البيت الأوّل إشارةٌ إلى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿وعلى الأعراف رجالٌ يعرفون كُلَّاً بسيماهم﴾. وما ورد فيه. أخرج الحاكم ابن الحداد الحسكاني (المترجم ج ١ ص ١٤٧) بإسناده عن أصبغ بن نباتة قال: كنت جالساً عند عليّ فأتاه ابن الكوّا فسأله عن قوله تعالى: ﴿وعلى الأعراف رجالٌ﴾. الآية. فقال: ويحك يا بن الكوا نحن نوقف يوم القيامة بين الجنَّة والنار، فمن نصرنا عرفناه بسيماه فأدخلناه الجنّة، ومن أبغضنا عرفناه بسيماه فأدخلناه النّار.

وأخرج أبو إسحاق الثعلبي في ـ الكشف والبيان ـ في الآية الشريفة عن ابن عبّاس انّه قال: الأعراف موضعٌ عالٍ من الصِّراط عليه العباس وحمزة وعليٌّ بن أبي طالب وجعفر ذو الجناحين يعرفون محبّيهم ببياض الوجوه ومبغضيهم بسواد الوجوه. ورواه ابن طلحة الشافعي في «مطالب السئول» ص ١٧ وابن حجر في «الصواعق» ص ١٠١، والشوكاني في «فتح القدير» ج ٢ ص ١٩٨.

والبيت الثاني إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يوم ندعو كلَّ أُناس بإمامهم﴾. وأئمّة الشيعة هم العترة الطاهرة يُدعون بهم ويُحشرون معهم إذ المرء كما قال النبيُّ الأقدس مع من أحبَّ[1] ومن أحبَّ قوماً حُشر معهم[2] ومن أحبَّ قوماً حشره الله في زمرتهم[3].

وبقيّة الأبيات بعضها واضحةٌ وبعضها مرَّ بيانه.

---

(١) أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وأحمد عن أنس وابن مسعود.
(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك وابن الديبع في تمييز الطيب من الخبيث ص ١٥٣.
(٣) أخرجه الطبراني والضياء عن أبي قرصافة وصححه السيوطي في الجامع الصغير ج ٢ ص ٤٨٨.



عاصر المترجم من شعراء الشيعة مشاركه في كنيته ولقبه وبيئة نشأته ومذهبه ألا وهو أبو محمَّد يحيى بن بلال العبديُّ الكوفيُّ، فنذكره لكثرة وقوع الإشتباه بينهما وقلّة ذكره، قال المرزباني في معجمه ص ٤٩٩: إنّه كوفيٌّ نزل همدان وهو شاعرٌ محسنٌ يتشيّع وله في الرشيد مدائح حسنة وهو القائل:

وَللموت خيرٌ من حياةٍ زهيدةٍ ... وَللمنع خيرٌ من عطاءٍ مكدَّرِ
فعش مُثرياً أومكدراً؟من عطيّةٍ ... تمنّى وإلّا فاسأل الله واصبرِ

وله:

لعمري لإن حارت اميّة واعتدت ... لأوّلُ مَن سنَّ الضلالة أجورُ

وأنشد (العبديُّ هذا) عبدالله[1] بن علي بن العبّاس بنهر أبي فطرس وله فيه خبر:

أمّا الدعاةُ إلى الجنان فهاشمٌ ... وبنو اميَّة من دُعاة النّارِ
أاميَّما لك مِن قرار فالحقي ... بالجنِّ صاغرةً بأرض وبارِ
فلئن رحلت لترحلنَّ ذميمةً ... وإذا أقمتِ بذلّة وصغارِ

---

(١) أحد أعمام أبي العباس السفاح، كان من رجال الدهر حزماً ورأياً ودهاءاً وشجاعة انهدم عليه الحبس سنة ١٤٧ وكان قدحبسه المنصور سراً. وقيل: إنه قتل سراً وهدم عليه الحبس قصداً. قال الوطواط: انه جلس يوم الجمعة في جامع دمشق وقتل من بني امية خمسين ألفاً.

وخبر العبديّ هذا وإنشاده الشعر المذكور عبدالله العبّاسي ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ج ١ ص ٢٠٧؛ واليعقوبي في تأريخه ج ٣ ص ٩١، وابن رشيق في العمدة ج ١ ص ٤٨، وأحسب أنّ من علّق على هذه الكتب لم يقف على ترجمة الشاعر فضرب عن ترجمته صفحاً وسكت عن تعريفه.

فقال ابن قتيبة: ولّما افتتح المنصور الشام وقتل مروان قال[1] لأبي عون ومن معه من أهل خراسان: إنّ لي في بقيّة آل مروان تدبيراً فتأهّبوا يوم كذا وكذا في أكمل عدّة، ثمّ بعث إلى آل مروان في ذلك اليوم فجمعوا وأعلمهم أنّه يفرض لهم في العطاء فحضر منهم ثمانون رجلاً فصاروا إلى بابه ومعهم رجل من كلب قد ولدهم ثمّ أذن لهم فدخلوا، فقال الآذن للكلبي: ممّن أنت؟! قال: من كلب وقد ولدتهم قال: فانصرف ودع القوم فأبى أن يفعل. وقال: إنّي خالهم ومنهم فلمّا استقرّ بهم المجلس خرج رسول المنصور وقال بأعلى صوته: أين حمزة بن عبد المطلب؟! ليدخل فأيقن القوم بالهلكة، ثمّ خرج الثانية فنادى: أين الحسن بن علي؟! ليدخل. ثمّ خرج الثالثة فنادى: أين زيد بن عليّ بن الحسين؟! ثمّ خرج الرابعة فقال: أين يحيى بن زيد؟! ثمّ قيل: إئذنوا لهم فدخلوا وفيهم الغمر بن يزيد وكان له صديقاً فأومأ إليه: أن ارتفع فأجلسه معه على طنفسته وقال للباقين: اجلسوا. وأهل خراسان قيامٌ بأيديهم العمد فقال: أين العبديّ؟! فقام وأخذ في قصيدته التي يقول فيها:

أمّا الدُعاة إلى الجنان فهاشمٌ ... وبنو اميّة من دُعاة النّارِ

فلمّا أنشد أبياتاً منها قال الغمر: يا بن الزانية! فانقطع العبديُّ وأطرق عبدالله ساعة ثمّ قال: إمض في نشيدك. فلمّا فرغ رمى إليه بصرّة فيها ثلاثمائة دينار ثمّ تمثّل بقول القائل:

ولقد ساءني وساء سواي ... قربهم من منابر وكراسي

---

(١) الظاهر أن في العبارة سقطاً إذ القصة وقعت مع عبدالله بن علي وكان أميراً على الشام من قبل المنصور كما في ذيل العبارة ومعجم المرزباني وتاريخي اليعقوبي وابن الأثير وعمدة ابن رشيق.

أنـزلـوهـا بحيث أنـزلهـا اللّـ ـه بـدار الهـوان والإتعـاسِ
لا تُقيلنَّ عبـد شمس عثـاراً واقـطعـوا كـلَّ نخلة وغـراس
واذكروا مصرع الحسين وزيد وقتيـلاً بجـانب المهـراسِ

ثمَّ قال لأهل خراسان: دهيد[1] فشدخوا بالعمد حتّى سالت أدمغتهم وقام الكلبي فقال: أيّها الأميرا أنا رجلٌ من كلب لست منهم. فقال:

ومُـدخلٌ رأسـه لم يُدنـه أحدٌ بين الفريقين حتى لزَّه القـرنُ

ثمَّ قال: دهيد. فشدخ الكلبي معهم ثمَّ التفت إلى النمر فقال: لا خير لك في الحياة بعدهم. قال: أجل. فقتل ثمّ دعا ببراذع[2] فألقاها عليهم وبسط عليها الأنطاع ودعا بغدائه فأكل فوقهم وإنَّ أنين بعضهم لم يهدأ حتّى فرغ ثمَّ قال: ما تهنّأت بطعام منذ عقلت مقتل الحسين إلّا يومي هذا. وقام فأمر بهم فجرّوا بأرجلهم وأغنم أهل خراسان أموالهم ثمَّ صُلبوا في بستانه، وكان يأكل يوماً فأمر بفتح باب من الرواق إلى البستان فإذا رائحة الجيف تملأ الأُنوف، فقيل له: لو أمرت أيّها الأمير بردِّ هذا الباب. فقال: والله لرائحتها أحبُّ إليَّ وأطيب من رائحة المسك. ثمَّ قال:

حسبت اميّة أن سترضى هاشمٌ عنها ويذهب زيدها وحسينهـا
كـلّا وربِّ مـحمَّـد وإلـهـه حتّى تُبـاح سهولهـا وحزونهـا
وتـذلَّ ذلَّ حليلة لـحليـلهـا بالمشرفيِّ وتستردُّ ديـونـهـا

وقال اليعقوبي: وانصرف عبدالله به عليّ إلى فلسطين فلمّا صار بنهر أبي فطرس بين فلسطين والأردن جمع إليه بني اميّة ثمَّ أمرهم أن يغدوا عليه لأخذ الجوائز والعطايا ثمَّ جلس من غد وأذن لهم فدخل عليه ثمانون رجلاً من بني اميّة وقد أقام على رأس كلِّ رجل منهم رجلين بالعمد وأطرق مليّاً ثمَّ قام العبديُّ فأنشد قصيدته التي يقول فيها:

أمّا الدعاةُ إلى الجنان فهاشمٌ وبنــو اميَّـة من دُعــاة النّـارِ

---

(١) كلمة فارسية.


(٢) البرذعة: كساء يلقى على ظهر الدابة.

وكان النعمان بن يزيد بن عبد الملك جالساً إلى جنب عبدالله بن علي فقال له: كذبت يابن اللخناء، فقال له عبدالله بن علي: بل صدقت يا أبا محمَّد فامض لقولك ثمَّ أقبل عليهم عبدالله بن علي فذكر لهم قتل الحسين عليه السَّلام وأهلِ بيته ثمَّ صفق له بيده فضرب القومِ رؤوسهم بالعمد حتّى أتوا عليهم فناداه رجلٌ من أقصى القوم:

عبد شمس أبوك وهو أبونا ... لا نُناديك من مكانٍ بعيدِ
فالقرابات بيننا واشجاتٌ ... محكمات القوى بعقدٍ شديدِ

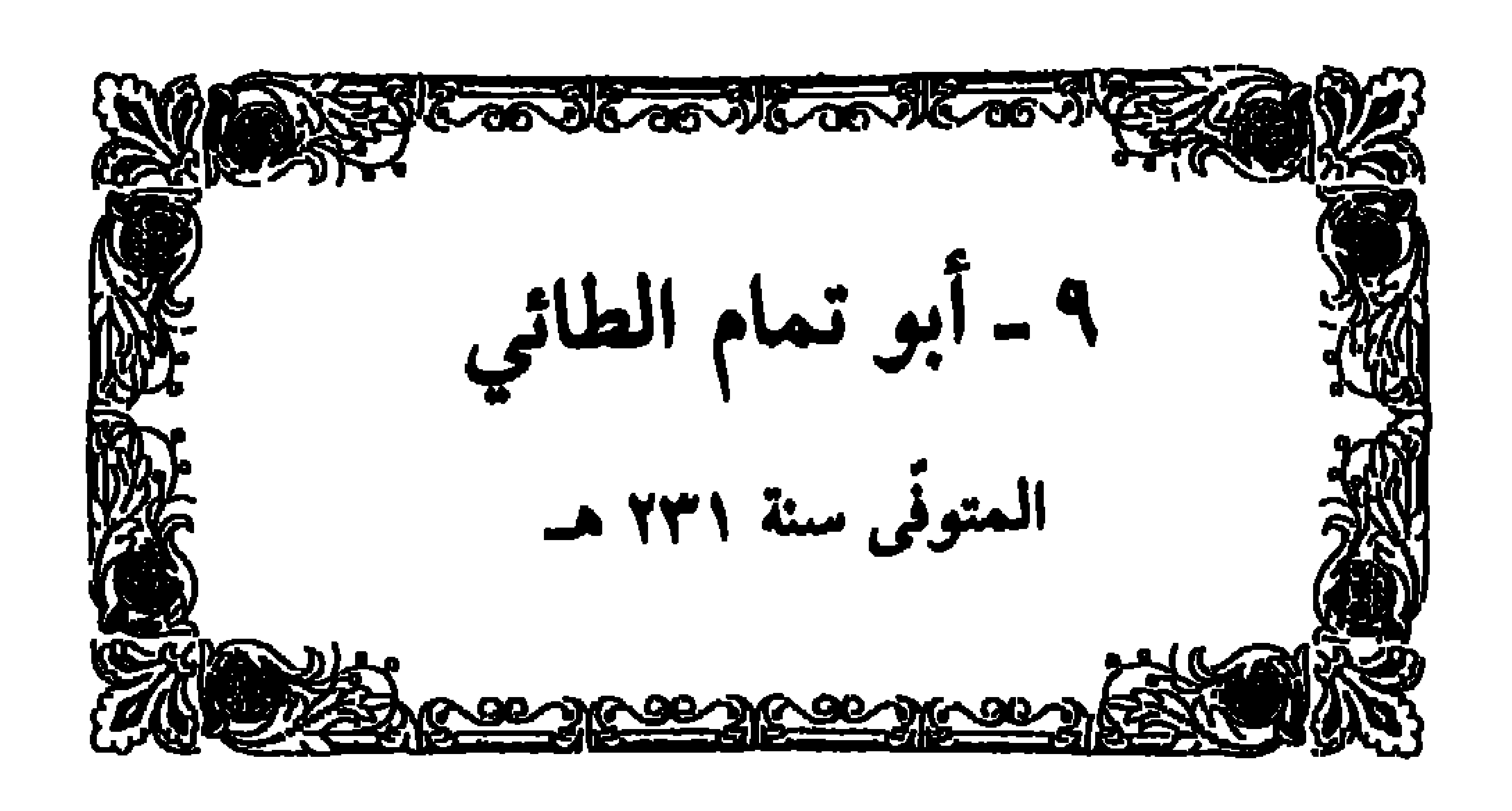
فقال: هيهات قطع ذلك قتل الحسين. ثمَّ أمر بهم فسُحبوا فطرحت عليهم البسط وجلس عليها ودعا بالطعام فأكل فقال: يوم كيوم الحسين بنِ عليّ ولا سواء. وكان قد دخل معهم رجلٌ من كلب قال: رجوت أن ينالوا خيراً فأنال معهم. فقال عبدالله بن علي: اضربوا عنقه.

ومُدخلٌ رأسه لم يُدنه أحدٌ ... بين الفريقين حتّى لزّه القدرُ



شعراء الغدير

في القرن الثالث الهجري



٩ ـ أبو تمام الطائي

المتوفّى سنة ٢٣١ هـ

أظبيةُ حيث استنَّت الكثب العفرُ … رويدكِ لا يغتالك اللّوم والزّجرُ

أسـرّي حذاراً لم تُقيِّـدك ردّةٌ … فيحسر ماءٌ من محاسنك الهذرُ

أراكِ خـلال الأمر والنهي بُـوّةً … عداكِ الرّدى ما أنتِ والنهي والأمرُ؟!

أتشغلني عمّـا هـرعتُ لمثله … حـوادثُ أشجانٍ لصاحبها نكرُ؟

ودهرٌ أساء الصنع حتّى كأنّما … يقضّي نذوراً في مساءتي الدّهر

له شجراتٌ خيَّم المجد بينها … فـلا ثمرٌ جـانٍ ولا ورقٌ نضرُ

وما زلت ألقى ذاك بالصبر لابساً … رداءَيه حتّى خفتُ أن يجزع الصبرُ

وإنّ نكيـراً أن يضيق بمن لـهُ … عشيـرة مثلي أو وسيلته مصـرُ

وما لِامرئٍ من قاتلٍ يوم عثرةٍ … لعـاً وخدينـاه الحداثـةُ والفقرُ

وإن كانت الأيّام آضت وما بها … لذي غلّةٍ وردٌ ولا سائلٍ خبرُ

هم النـاس سار الـذمُّ والحرب بينهم … وحمّـر أن يغشـاهم الحمـدُ والأجـرُ

صفيّكِ منهم مُضمرٌ عُنجهيّةً[1] … فقـائـدهُ تيـهٌ وسـائقـهُ كبـرُ

إذا شام برق اليُسر فالقرب شأنه … وأنأى من العيّوق إن ناله عسرُ

أريني فتىً لم يَقله النّاس أو فتىً … يصـحُّ له عـزمٌ وليس له وفـرُ

ترى كلّ ذي فضل يطول بفضله … على مُعتفيه والذي عنـده نزرُ

وإنّ الـذي أحـذاني الشيب للّذي … رأيتِ ولم تكمـل لـه السبـع والعشرُ

---

(١) العنجهيّة بضم العين والجيم: الكبر.

واخرى إذا استودعتها السرَّ بيَّنت | به كرهاً ينهاض من دونها الصدرُ
طغى من عليها واستبدَّ برأيهم | وقـولـهمُ إلاّ أقـلّهم الـكفـرُ
وقـاسـوا دُجى أمـريهمُ وكـلاهمـا | دليـلٌ لهم أولى بـه الشمس والبـدرُ
سيحدوكم استسقاؤكم حلب الردى | إلى هُـوَّةٍ لا المـاء فيهـا ولا الخمـرُ
سأمتم عبور الضحل خوضاً فأية | تعدّونها لو قد طغى بكم البحرُ
وكـنتـم دمـاء تحت قِـدرٍ مـغـارةٍ | عـلى جهل مـا أمست تفور بـه القدرُ
فهـلّا زجرتم طـائـر الجهـل قبـل أن | يجيء بمـا لا تبسـأون بـه الـزَّجـرُ ؟!
طـويتم ثنـايـا تخبـأون عـوارهـا | فـأين لكم خبءُ وقد ظهـر النشرُ؟!
فعلتم بـأبنـاء النبيِّ ورهـطه | أفاعيل أدناها الخيانة والغـدرُ
ومن قبله أخلفـتمُ لـوصيِّـه | بـداهيةٍ دهيـاءَ ليس لهـا قَـدرُ
فجأتم بها بكراً عَواناً ولم يكن | لها قبلها مثـلٌ عَوانٌ ولا بِكـرُ
أخـوه إذا عُدّ الفخـار وصهره | فـلا مثله أخٌ ولا مثله صهـرُ
وشُـدَّ بـه أزر النبيِّ محمّـدٍ | كما شُدَّ من موسى بهارونه الأزرُ
وما زال كشّافـاً دياجيـر غمرةٍ | يمزِّقها عن وجهه الفتح والنصرُ
هـو السيف سيف الله في كلِّ مشهـد | وسيف الـرسـول لا ددانٌ ولا دثـرُ
فـأيّ يد للذمِّ لم يبـرِ زنـدهـا | ووجه ضلالٍ ليس فيه له أثـرُ
ثوى ولأهل الـدين أمنٌ بحدّه | وللواصمين الدينُ في حدِّه ذعرُ
يسـدُّ بـه الثغـر المخـوف من الـرَّدى | ويعتـاض من أرض العدوِّ بـه الثغـرُ
بأُحدٍ وبـدرٍ حين ماجَ بـرجله | وفرسانـه أُحدٌ ومـاج بهم بدرُ
ويـوم حُنينٍ والنضيـر وخيبـرٍ | وبالخندق الثاوي بعقوته عمرو
سما للمنايا الحمر حتّى تكشّفت | وأسيـافه حمـرٌ وأرماحـه حمرُ
مشاهدُ كان الله كاشفَ كربها | وفـارجَـه والأمـر ملتبسٌ إمرُ
و«يوم الغدير» استوضـح الحقّ أهله | بضحياء[1] لا فيها حجـابٌ ولا سترُ
أقام رسول الله يـدعوهمُ بهـا | ليقـربهمُ عـرفٌ وينآهمُ نكـرُ

---

(١) وفي نسخة: بفيحاء.

يمـدّ بضبعيـه ويُعلم[1]: أنّـه ولِيٌّ ومولاكم فهل لكمُ خبرُ؟!
يـروح ويغدو بـالبيان لمعشـر يروح بهم غمرٌ ويغدو بهم غمرُ
فكان لهم جهرٌ بـإثبات حقّـه وكان لهم في بزّهم حقّه جهرُ
أثمّ جعلتم حـظّه حـدّ مـرهـفٍ من البيض يـوماً حظُّ صـاحبه القـبرُ
بكفّي شقيٍّ وجّهتـه ذنـوبـه إلى مرتع يُرعى به الغيُّ والوزرُ

القصيدة ٧٣ بيتاً توجد في ديوانه ص ١٤٣.

ما يتبع الشعر

لا أجد لذي لبٍّ مُنتدحاً عن معرفة يومِ الغدير لا سيّما وبين يديه كتب الحديث والسير ومدونات التاريخ والأدب. كلّ يومي إليه بسبّابته، ويوعز إليه ببنانه، كلٌّ يلمس يدي القارىء حقيقة يوم الغدير، فلا يدع له ذكراً خالياً منه، ولا مخيّلة تعدوه، ولا أضالع إلاّ وقد انحنت عليـه، فكأنّـه وهو يتلقّى خبـره بعد لأيٍ من الدهر يرنو إليه من كثب، ويستشفُّ أمره على أمم، ولعلّ الواقف على كتابنا هذا من البدء إلى الغاية يجد فيه نماذج ممّا قلناه.

إذاً فهلمّ معي واعجب من الدكتور ملحم إبراهيم الأسود شـارح ديوان شاعرنا المترجم حيث يقول عند قوله:

ويوم الغدير استوضح الحقّ أهله ....

يوم الغدير واقعة حرب معروفة. وذكر بعده في قوله:

يمـــدُّ بضبعيـــه ويعـلم أنّـــه ....

ما يكشف عن أنّها كانت من المغازي النبويّة قال ص ٣٨١: يمدُّ بضبعيه يساعده وينصره والهاء راجعة إلى الإمام عليّ، أي: كان رسول الله ﷺ ينصره ويعلم أنّه وليّ، كان العضد والمساعد الوحيد للنبيِّ ﷺ في الغدير والرسـول

---

(١) من أفعل. ويظهر من الدكتور ملحم شارح ديوان أبي تمام أنه قرأه مجرداً من علم لا مزيداً من أعلم كما قرأناه ومختارنا هو الصحيح الذي لا يعدوه الذوق العربي.

نفسه كان ينصره عالماً أنّه سيكون وليّاً على شعبه بعده وخليفةً له، وهذه هي الحقيقة، فهل تعلمون؟ اهـ.

ألا مسائل هذا الرجل عن مصدر هذه الفتوى المجرَّدة؟! أهل وجد هاتيك الغزوة في شيء من السير النبويّة؟! أو نصَّ عليها أحدٌ من أئمّة التاريخ؟! أم أنَّ تلك الحرب الزبون وحدها قد توسّع بنقلها المتوسعون من نقلة الحديث؟! دع ذلك كلّه هل وجد قصّاصاً يقصّها؟! أو شاعراً يصوِّرها بخياله؟!

ألا مَن يُسائله عن أنَّ هذه الغزوة متى زيدت على الغزوات النبويَّة المحدودة؟! المعلومة بكمِّها وكيفها، المدوَّنة أطوارها وشئونها، وليس فيها غزءة يوم الغدير، متى زيدت هذه على ذلك العدد الثابت بواحدة؟! فكان فيها عليٌّ والنبيُّ يتناصران، ويعضد كلٌّ صاحبه، ويدفع كلٌّ عن الآخر كما يحسبه هذا الكاتب.

وإنَّك لتجد الكاتب عيّاً عن جواب هذه الأسئلة لكنّه حبَّذت له بواعثه أن يستر حقيقة الغدير بذيل أمانته، وهو يحسب أنّه لا يقف على ذلك التعليق إلّا الدهماء، أو أنَّ البحّاثة يمرّون عليه كراماً، لكنَّ المحافظة على حقيقة دينيَّة أولى من التحفظ على اعتبار هذا الكاتب الذي يكتب ولا يبالي بما يكتب، ويرى الكذب حقيقة راهنة.

نعم كان في الجاهليَّة يوم أغار فيه دُريد بن الصمَّة (المقتول كافراً بعد فتح مكّة) على غطفان يطالبهم بدمه فاستقراهم حيّاً حيّاً وقتل من بني عبس ساعدة بن مرّ وأسر ذؤاب بن أسماء الجشمي فقالت بنو جشم: لو فاديناه. فأبى ذلك دُريد عليهم وقتله بأخيه عبدالله وأصاب جماعة من بني مرَّة ومن بني ثعلبة ومن أحياء غطفان. قال في الأغاني ج ٩ ص ٦: وذلك في «يوم الغدير» وذكر لدُريد شعراً في ذلك.

وعُدَّ في العقد الفريد ج ٣ ص٧١ من حروب الجاهليَّة يوم [غدير قلياد] قال: قال أبو عبيدة، فاصطلح الحيّان إلّا بني ثعلبة بن سعد فإنّهم أبـوا ذلك

وقالوا: لا نرضى حتّى يودوا قتلانا أو يهدر دم من قتلها فخرجوا من قطن[1] حتّى وردوا [غدير قلياد] فسبقهم بنو عبس إلى الماء فمنعوهم حتّى كادوا يموتون عطشاً ودوابّهم فأصلح بينهم عوف ومعقل إبنا سبيع من بني ثعلبة، وإيّاها يعني زهيرٌ بقوله:

تداركتما عبساً وذبيان بعدما تفانوا ودقّوا بينهم عطر منشمِ «الخ»

«وقلياد» في الكلام المذكور مصحّف «قلهى» كما يظهر من معجم البلدان ج ٧ ص ١٥٤، وبلوغ الإرب ج ٢ ص ٧٣، وفي الأخير عدّه من أيّام العرب المشهورة.

هذا كلُّ ما رُوي في حديث هذا اليوم الذي لم يكن لرسول الله صلّى الله عليه وآله ولا لأحد من الهاشميّين فيه حلٌّ ولا مرتحل ولا لوصيّه أمير المؤمنين عليه السّلام فيه صولةٌ أو جولةٌ، فالحديث ليس فيه أيّ صلة بهما، أفمن المعقول إذن أن يريده أبو تمام المادح للوصيّ الأعظم؟! ويعدّه مأثرةً له؟! على أنَّ الشعر نفسه يأبى أن يكون المراد به واقعة حرب دامية فإنَّ الشاعر بعد أن عدَّ مواقف أمير المؤمنين عليه السّلام في الغزوات النبويّة وذكر منها غزاة أُحد وبدر وحنين والنضير وخيبر والخندق وختمها بقوله:

مشاهد كان الله كاشف كربها وفارجه والأمر ملتبسٌ إمرُ

أخذ في ذكر منقبة ناءَ بها اللسان دون السيف والسنان فقال: ـ ويوم الغدير ـ وأنت ترى أنّه يوعز إلى قصّة فيها قيامٌ ودعوةٌ وإعلامٌ وبيانٌ ومجاهرةٌ بإثبات الحقّ لأهله.

الشاعر

أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشجع بن يحيى بن مُزينا بن سهم بن ملحان بن مروان بن رفافة بن مرّ بن سعد بن كاهل بن

---

(١) يوم قطن من حروب الجاهلية، راجع إلى العقد الفريد ج ٣ ص ٦.

عمـرو بن عـدي بن عمـرو بن الحـارث بن طيء جلهم بن أدد بن زيـد بن يشجب بن عريب بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان. تـاريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨.

أحد رؤساء الإماميَّة كما قال الجاحظ[١] والأوحد من شيوخ الشيعة في الأدب في العصور المتقادمة، ومن أئمَّة اللغة، ومنتجع الفضيلة والكمال، كان يُؤخذ عنه الشعر وأساليبه، وينتهي إليه السير، ويُلقى لديه المقالد، ولم يختلف اثنان في تقدُّمه عند حلبات القريض، ولا في تـولّعه بـولاء آل الله الأكرمين صلوات الله عليهم، وكان آيةً في الحفظ والذكاء حتّى قيل: إنّه كان يحفظ أربعة آلاف ديوان من الشعر غير ألف أرجوزة للعـرب غير المقـاطيع والقصائد[٢] وفي [معاهد التنصيص]: أنَّه كان يحفظ أربعة عشر ألف أُرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد وفي التكملة: أنَّه أخمل في زمانه خمسمائة شاعر كلّهم مجيد.

المترجم له شاميُّ الأصل وُلد بقريـة «جاسم» من قـرى «الجيدور» من أعمال «دمشق» وانَّ أباه كان يُقال له: ندوس[٣] العطّار فجعلوه أوساً، وفي دائرة المعارف الإسلاميَّة: انَّ المترجم هو الّذي بدَّله وكان أبوه نصرانيّاً. نشأ المترجم بمصر وفي حداثته كان يسقي الماء في المسجد الجامع ثمّ جالس الأُدباء فأخذ عنهم وتعلّم منهم وكان فطناً فهماً وكان يحبُّ الشعر فلم يزل يُعانيه حتّى قال الشعر وأجاد، وشاع ذكره، وسار شعره، وبلغ المعتصم خبره فحمله إليه وهو بسرَّ من رأى، فعمل أبو تمام فيه قصائد عدَّة وأجازه المعتصم وقدَّمه على شعراء وقتـه، وقدم إلى بغـداد وتجوَّل في العـراق وإيران، ورآه محمَّـد بن قدّامـة بقزوين، فجالس بها الأُدباء وعـاشر العلمـاء وكان مـوصوفـاً بالـظرف وحسن الأخلاق وكرم النفس.

قال الحسين بن إسحاق قلت للبحتري: الناس يزعمون أنَّك أشعر من أبي

---

(١) فهرست النجاشي ص ١٠٢.

(٢) مرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٢.

(٣) لهذا الاسم قراءات مختلفة: تدوس. تدرس. ندوس. ثدوس. ثادوس. ثيودوس.

تمام فقال: والله ما ينفعني هذا القول ولا يضرّ أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلاّ به ولوددت أنّ الأمر كما قالوا ولكنّي والله تابعٌ له لائذٌ به آخذُ منه، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه. [تاريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨].

كان البحتري أوّل أمره في الشعر ونباهته فيه أنّه سار إلى أبي تمام وهو بحمص فعرض عليه شعره وكانت الشعراء تقصده لذلك، فلمّا سمع شعر البحتري أقبل عليه وترك سائر النّاس فلمّا تفرّقوا قال له: أنت أشعر مَن أنشدني، فكيف حالك؟! فشكى إليه القلّة. فكتب أبو تمام إلى أهل معرّة النعمان وشهد له بالحذق وشفع له إليهم وقال له: إمتدحهم. فسار إليهم فأكرموه بكتاب أبي تمام ووظفوا أربعة آلاف درهم فكانت أوّل مال أصابه ثمّ أقبل عليه أبو تمام يصف شعره ويمدحه فلزمه البحتري بعد ذلك، وقيل للبحتري: أنت أشعر أم أبو تمام؟! فقال: جيِّده خيرٌ من جيِّدي، ورديّي خيرٌ من رديئه. وقيل: سُئل أبو العلاء المعرّي: مَن أشعر الثلاثة؟! أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟! فقال: المتنبي وأبو تمام حكيمان وإنّما الشاعر البحتري. وقيل: أنشد البحتري أبا تمام شيئاً من شعره فقال له: أنت أمير الشعراء بعدي. قال البحتري: هذا القول أحبّ إليّ من كلٍّ ما نلته.

وقال ابن المعتز: شعره كلّه حسنٌ. وذكر اعتناءه البالغ بشعر مسلم بن الوليد صريع الغواني وأبي نواس. وعن عمارة بن عقيل في حديث نقله عنه ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ٢٢: أنّه لَمّا سمع قوله:

وطول مقام المرء بالحيِّ مخلقٌ ... لديباجتيه فاغترب تتجدَّد
فإني رأيت الشمس زيدت محبّةً ... إلى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ

قال: إن كان الشعر بجودة اللفظ، وحسن المعاني، وأطراف المراد، واستواء الكلام، فهي لأبي تمام، وهو أشعر الناس، وإن كان بغيرها فلا أدري.

وكان في لسانه حبسة وفي ذلك يقول ابن المعذّل أو أبو العميثل:

يا نبيَّ الله في الشعـ ... ـر ويا عيسى بن مريمْ
أنت من أشعر خلق اللـ ... ـه ما لم تتكلّمْ

مدح الخلفاء والأُمراء فأحسن، وحدَّث عن صهيب بن أبي الصحباء الشاعر، والعطاب بن هارون، وكرامة بن أبان العدوي، وأبي عبد الرحمن الأموي، وسلامة بن جابر النهدي، ومحمَّد بن خالد الشيباني، وروى عنه خالد بن شريد الشاعر، والوليد بن عبادة البحتري، ومحمَّد بن إبراهيم بن عتاب، والعبدويّ البغدادي. [تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٨].

رُوي أنَّه لمّا مدح الوزير محمّد بن عبد الملك الزيّات بقصيدته التي يقول فيها:

ديمةٌ سمحة القياد سكوبُ   مستغيثٌ بها الثرى المكروبُ
لو سعت بقعةٌ لأعظام أُخرى   لسعى نحوها المكان الجديبُ

قال له ابن الزيّات: يا أبا تمام! إنَّك لَتحلي شعرك من جواهر لفظك ودرر معانيك ما زيد حسناً على بهيّ الجواهر في أجياد الكواعب، وما يدَّخر لك شيءٌ من جزيل المكافأة إلّا ويقصر عن شعرك في الموازرة، وكان بحضرته الكندي الفيلسوف فقال له: إنَّ هذا الفتى يموت شابّاً. فقيل له: من أين حكمت عليه بذلك؟! فقال: رأيت فيه من الحدَّة والذكاء والفطنة مع لطافة الحسن وجودة الخاطر ما علمت به أنَّ النفس الروحانيَّة تأكل جسمه كما يأكل السيف المهنَّد غمده. [تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ١٣٢].

ذكر الصولي: إنَّ المترجم امتدح أحمد بن المعتصم أو ابن المأمون بقصيدة سينيَّة فلمّا انتهى إلى قوله:

إقدام عمرو في سماحة حاتم   في حلم أحنف في ذكاء إياسِ

قال له الكندي الفيلسوف وكان حاضراً: الأمير فوق ما وصفت. فأطرَق قليلاً ثمَّ رفع رأسه فأنشد:

لا تنكروا ضربي له من دونه   مثلاً شروداً في النّدى والباسِ
فالله قد ضرب الأقلّ لنوره   مثلاً من المشكاة والنبراسِ

فعجبوا من سرعة فطنته.

ديوان شعر أبي تمام

قد يقال: إنّ المترجم لم يُدوِّن شعره. لكنَّ الظاهر من قراءة عثمان بن المثنّى القرضي المتوفّى سنة ٢٧٣ ديوانه عليه كما في «بغية الوعاة» ص ٣٢٤، أنّ شعره كان مدوَّناً في حياته. واعتنى بعده جمعٌ من الأعلام والأدباء بترتيبه وتلخيصه وشرحه وحفظه ومنهم:

١ ـ أبو الحسن محمّد بن إبراهيم بن كيسان المتوفّى سنة ٣٢٠، له شرحه.

٢ ـ أبو بكر محمَّد بن يحيى الصولي المتوفّى سنة ٣٣٥/ ٦، رتّبه على حروف المعجم في نحو ثلاثمائة ورقة.

٣ ـ عليّ بن حمزة الأصبهاني، رتّبه على الأنواع.

٤ ـ أبو منصور محمَّد بن أحمد الأزهري الشافعيّ المتوفّى سنة ٣٨٠، له شرحه.

٥ ـ أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي المتوفّى سنة ٣٧١، له شرحه.

٦ ـ الخالع حسين بن محمد الرافعي كان حيّاً في حدود سنة ٣٨٠، له شرحه.

٧ ـ الوزير حسين بن عليّ المغربيّ المتوفّى سنة ٤١٨، له كتاب اختيار شعره.

٨ ـ أبو ريحان محمَّد بن أحمد البيروني المتوفّى سنة ٣٤٠، له شرحه رآه الحموي بخطه.

٩ ـ أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعرّي المتوفّى سنة ٤٤٩، له تلخيصه المسمّى بـ «ذكرى حبيب» وشرحه.

١٠ ـ أبو زكريا يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي المتوفّى سنة ٥٠٢، له شرحه.

١١ - أبو البركات ابن المستوفي مبارك الأربلي المتوفّى سنة ٦٣٧، له شرحه في عشر مجلّدات.

١٢ - أبو الفتح ضياء الدين نصر بن محمّد المتوفّى سنة ٦٣٧، كان يحفظه.

١٣ - أبو الحجّاج يوسف بن محمّد الأنصاري المتوفّى سنة ٦٧٢، كان يحفظه ويحفظ الحماسة.

١٤ - محيي الدين الخيّاط، له شرحه[1].

١٥ - الدكتور ملحم إبراهيم أسود، له شرحه المطبوع بمصر.

والظاهر أنّ النسخة المطبوعة من ديوان أبي تمام، هو ترتيب الصولي لأنّها مرتّبة على الحروف إلاّ أنّ فيها سقطاً كثيراً من شعره لأنّ النجاشي قال في فهرسته ص ١٠٢: له شعرٌ في أهل البيت كثيرٌ، وذكر أحمد بن الحسين رحمه الله: أنّه رأى نسخة عتيقة ولعلّها كتبت في أيّامه أو قريباً منه وفيها قصيدةٌ يذكر فيها الأئمّة حتّى انتهى إلى أبي جعفر الثاني عليه السّلام لأنّه توفّي في أيّامه. اهـ. ولا يوجد في الديوان المطبوع شيءٌ من ذلك الكثير عدا رائيّته المذكورة في هذا الكتاب، فإمّا أنّ يد الأمانة في طبع الكتب حذفت تلكم القصائدعند تمثيل الديوان إلى عالم الطباعة كما صنعت مع غيره أيضاً، أو أنّها لم تصل إليها عند النشر، أو أنّ المطبوع اختصار أبي العلاء المعرّي المذكور.

ديوان الحماسة وشروحه

ولأبي تمام ممّا أفرغه في قالب التأليف ديوان الحماسة الذي سار به الرّكبان واستفادت به الأجيال بعده، جمع فيه عيون الشعر ووجوهه من كلام

---

(١) راجع فهرست ابن النديم ص ٢٣٥، فهرست النجاشي ص ١٠٢، الطبقات لابن أبي صبيعة ج ٢ ص ٢٠ تاريخ ابن خلكان ج ١ ص ٣٠، ١٣٣، بغية الوعاة ص ٣٢٤، ٤٠٤، ٤٢٣، كشف الظنون، معجم المطبوعات.

العرب، جمعه بدار أبي الوفاء ابن سلمة بهمدان عندما اضطرّته الثلوج إلى الإلتجاء إلى هذه المدينة أثناء أوبته من زيارة عبدالله بن طاهر، ورتّبه على عشرة أبواب خصّ كلّ باب بفنّ وقد اعتنى بشرحه جمعٌ كثيرٌ من أعلام الأدب منهم:

١ ـ أبو عبدالله محمّد بن القاسم ماجيلويه البرقي.

٢ ـ أبو الحسن عليّ بن محمّد السُميساطي[1] المتوفّى أواسط المائة الرابعة.

٣ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريّا اللغويّ الرازيّ المتوفّى سنة ٣٦٩.

٤ ـ أبو عبدالله الحسين بن عليّ بن عبدالله النمري المتوفّى سنة ٣٨٥، ولأبي محمّد الأسود الحسن الغندجاني ردٌّ على النمري هذا في شرح الحماسة كما في [معجم الأدباء] ج ٣ ص ٢٤.

٥ ـ أبو الفتح عثمان بن جنّي المتوفّى سنة ٣٩٢، له «المنهج» في اشتقاق أسماء شعراء الحماسة وشرح مستغلق الحماسة.

٦ ـ أبو الحسن عليّ بن زيد البيهقي.

٧ ـ أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سعيد العسكري كان حيّاً إلى سنة ٣٩٥.

٨ ـ أبو المظفّر محمّد بن آدم بن كمال الهروي. النحوي المتوفّى سنة ٤١٤.

٩ ـ الشيخ أبو عليّ أحمد بن محمّد المرزوقي الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٢١.

١٠ ـ أبو العلاء أحمد بن عبدالله المعرّي التنوخيّ المتوفّى سنة ٤٤٩.

---

(١) نسبة إلى سميساط بالمهملتين بضم أوله وفتح ثانيه، فما في كثير من المعاجم «الشمشاطي» بالمعجمتين تصحيف.

١١ - أبو الحسن عليّ بن أحمد بن سيدة الأندلسي المتوفّى سنة ٤٥٨.

١٢ - أبو الحسين عبدالله بن أحمد بن الحسين الشاماتي المتوفّى سنة ٤٧٥.

١٣ - أبو القاسم زيد بن علي بن عبدالله الفارسي المتوفّى سنة ٤٦٧.

١٤ - أبو حكيم عبدالله بن إبراهيم بن عبدالله الخبري المتوفّى سنة ٤٧٦.

١٥ - أبو الحجّاج يوسف بن سلمان الشنتمري المتوفّى سنة ٤٧٦، شرحها شرحاً كبيراً ورتّبها على الحروف.

١٦ - أبو زكريّا يحيى بن عليّ الخطيب التبريزي المتوفّى سنة ٥٠٢، له شروحها الثلاثة.

١٧ - أبو الحسن عليّ بن عبد الرحمن الأشبيلي المتوفّى سنة ٥١٤.

١٨ - أبو المحاسن مسعود بن عليّ البيهقي المتوفّى سنة ٥٤٤.

١٩ - أبو البركات عبد الرحمن بن محمّد الأنباري المتوفّى سنة ٥٧٧.

٢٠ - أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الحضرمي الأشبيلي المتوفّى سنة ٥٨٤.

٢١ - أبو محمّد القاسم بن محمّد الديمرتي الإصبهاني.

٢٢ - الشيخ عليّ بن الحسن الشميم الحلّي المتوفّى سنة ٦٠١.

٢٣ - أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري البغدادي المتوفّى سنة ٦١٦.

٢٤ - أبو عليّ الحسن بن أحمد الأسترابادي اللغويّ النحويّ.

٢٥ - المولوي فيض حسين شرحها مختصراً وأسماه بالفيضي.

٢٦ - الشيخ لقمان.

٢٧ - الشيخ سيد بن علي المرصفي الأزهري المعاصر.

راجع فهرست النجاشي: فهرست ابن النديم، معجم الأدباء، بغية الوعاة، الذريعة.

دواوين الحماسة

تبع أبا تمام في صناعة الحماسة كثيرون، منهم:

١ ـ البحتري أبو عبادة الوليد بن عُبيدة المتوفّى سنة ٢٨٤.

٢ ـ أبو الحسين أحمد بن فارس اللغويّ الرازيّ المتوفّى سنة ٣٦٩.

٣ ـ الخالديّان إبنا هاشم: أبو بكر محمّد وأبو عثمان سعيد المتوفّى سنة ٣٧١.

٤ ـ أبو هلال الحسن بن عبدالله العسكريّ النحويّ.

٥ ـ أبو الحجّاج يوسف بن سليمان الشنتمري المتوفّى سنة ٤٧٦.

٦ ـ أبو حصين محمّد بن علي الإصبهاني الديمرتي.

٧ ـ أبو دماش عدّه ابن النديم من النحويّين اللغويّين.

٨ ـ أبو العبّاس محمّد بن خلف بن المرزباني.

٩ ـ أبو السعادات هبة الله بن عليّ المعروف بابن الشجري المتوفّى سنة ٥٤٢.

١٠ ـ الشيخ عليّ بن الحسن الشميم الحلّي المتوفّى سنة ٦٠١.

١١ ـ أبو الحجّاج يوسف بن محمّد الأندلسي المتوفّى سنة ٦٥٣.

١٢ ـ صدر الدين عليّ بن أبي الفرج البصري المقتول سنة ٦٥٩.

١٣ ـ أبو الحجّاج يوسف بن محمّد الأنصاري المتوفّى سنة ٦٧٢[١].

---

(١) فهرست ابن النديم. معجم الأدباء. بغية الوعاة.

ومن آثار أبي تمام الأدبيَّة: الاختيارات من شعر الشعراء، الاختيار من شعر القبائل، اختيار المقطعات، المختار من شعر المحدثين. نقائض جرير والأخطل. الفحول وهو مختارات من قصائد شعراء الجاهليَّة والإسلام تنتهي بابن هرمة، ذكرها له ابن النديم في فهرسته ص ٢٣٥ وغيره.

المؤلفون في أخبار أبي تمام

لقد جمع أخباره وما يُؤثر عنه غضون حياته من نوادر وظرف ونكت وأدب وشعر جماعةٌ منهم:

١ - أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفّى سنة ٢٨٠، له كتاب: [سرقات النحويِّين من أبي تمام].

٢ - أبو بكر محمَّد بن يحيى الصولي المتوفّى سنة ٣٣٦، له «أخبار أبي تمام». طبع مع فهرسته في ٣٤٠ صحيفة.

٣ - أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي البصري المتوفّى سنة ٣٧١، له كتاب [الموازنة بين أبي تمام والبحتري] في عشرة أجزاء. ولياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج ٢ ص ٥٩ كلمات حول هذه الموازنة. وللآمدي هذا ردٌّ على ابن عمّار فيما خطّأ فيه أبا تمام.

٤ - الخالديّان إبنا هاشم: أبو بكر محمَّد وأبو عثمان سعيد المتوفّى سنة ٣٧١، لهما كتاب [أخبار أبي تمام ومحاسن شعره].

٥ - أبو علي أحمد بن محمَّد المرزوقي الإصبهاني المتوفّى سنة ٤٢١، له كتاب [الإنتصار من ظلمة أبي تمام] دفع عنه ما انتقد به.

٦ - أبو عبدالله محمَّد بن عمران المرزباني المتوفّى سنة ٤٤٤، له كتاب «أخبار أبي تمام» في نحو من مائة ورقة.

٧ - أبو الحسين عليّ بن محمَّد العدوي الشُميساطي، له كتاب [أخبار

أبي تمام والمختار من شعره]. وله كتاب تفضيل أبي نواس على أبي تمام.

٨ ـ أبو ضياء بشر بن يحيى النصيبي له كتاب [سرقات البحتري من أبي تمام].

٩ ـ أحمد بن عبيدالله القطربلي المعروف بالفريد، صنّف في أخطاء أبي تمام في الإسلام وغيره.

١٠ ـ الشيخ يوسف البديعي القاضي بالموصل المتوفّى سنة ١٠٧٣ له كتاب [هبة الأيّام فيما يتعلّق بأبي تمام] في ٣٠٩ صحيفة طبع بمصر سنة ١٣٥٢.

١١ ـ الشيخ محمّد علي بن أبي طالب الزاهدي الجيلاني المتوفّى بنبارس الهند سنة ١١٨١.

١٢ ـ سيّدنا المحسن الأمين العاملي مؤلّف أعيان الشيعة.

١٣ ـ عمر فرّوخ من كتّاب العصر الحاضر، له تأليفٌ في المترجم طبع ببيروت في مائة صحيفة.

وتوجد ترجمته في طبقات ابن المعتزّ ص١٣٣ ،فهرست ابن النديم ص ٢٣٥ ، تأريخ الطبري ج ١١ ص ٩، فهرست النجاشي ص ١٠٢، تأريخ الخطيب ج ٨ ص ٢٤٨، مروج الذهب ج ٢ ص ٢٨٣ و٣٥٧، معجم البلدان ج ٣ ص ٣٧، تأريخ ابن عساكر ج ٤ ص ١٨ ـ ٢٧ ، نزهة الألبّاء ص ٢١٣، تأريخ ابن خلّكان ج ١ ص ١٣١ ، رجال ابن داود. خلاصة العلّامة، رمرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٢ ، معاهد التنصيص ج ١ ص ١٤ ، شذرات الذهب ج ٢ ص ٧٢، مجالس المؤمنين ص ٤٥٨ ، كشف الظنون ج ١ ص ٥٠١، رياض الجنّة للزنوزي في الروضة الرابعة، أمل الآمل ص ٨، منتهى المقال ص ٩٦، منهج المقال ص ٩٢، تكملة أمل الآمل لسيّدنا الصدر الكاظمي، دائرة المعارف للبستاني ج ٢ ص ٥٦ ، دائرة المعارف الإسلاميّة ج ١ ص ٣٢٠، دائرة المعارف لفريد وجدي ج ٢ ص ٦٨٥ ـ ٦٩٣ . وغيرها.

ولادته ووفاته

لم نجزم فيهما بشيء ممّا في المعاجم لتكثّر الاختلاف فيها، وكان الحقيق أن يُؤخذ بالمنقول عن ابنه تمام إذ أهل البيت أدرى بما فيه، لكن اختلاف المعاجم في المنقول عنه يسلب الثقة به، فمجموع الأقوال: أنّه وُلد سنة ١٧٢، ١٨٨، ١٩٠، ١٩٢ وتوفّي سنة ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، بالموصل ودفن بها وبنى عليه أبو نهشل بن حميد الطوسي قبّة خارج باب الميدان على حافّة الخندق ورثاه عليٌّ بن الجهم بقوله:

غاضت بدائع فطنة الأوهام ... وغدت عليها نكبة الأيّامِ
وغدا القريض ضئيل شخص باكياً ... يشكو رزيّته إلى الأقلامِ
وتأوّهت غور القوافي بعده ... ورمى الزّمان صحيحها بسقامِ
أودى مثقّفها ورائد صعبها ... وغدير روضتها أبا تمامِ

وقال الحسن بن وهب يرثيه:

فُجع القريض بخاتم الشعراءِ ... وغدير روضتها حبيب الطائي
ماتا معاً فتجاوروا في حفرةٍ ... وكذاك كانا قبلُ في الأحياءِ

قد يُعزى البيتان إلى ديك الجنّ. ورثاه الحسن بن وهب أيضاً بقوله من قصيدة:

سقى بالموصل القبر الغريبا ... سحائبُ ينتحبن له نحيبا
إذا أظللنه أظللن فيه ... شعيب المزن يتبعها شعيبا
ولطّمن البروق به خدوداً ... وأشققن الرّعود به جيُوبا
فإنّ تراب ذاك القبر يحوي ... حبيباً كان يُدعى لي حبيبا

ورثاه محمّد بن عبد الملك الزيّات وزيرالمعتصم، وقيل: إنّه لأبي الزبرقان عبدالله بن الزبرقان الكاتب مولى بني أُميّة بقوله:

نبأٌ أتى من أعظم الأنباءِ ... لمّا ألمّ مقلقل الأحشاءِ
قالوا: جبيبٌ قد ثوى فأجبتهم ... ناشدتكم لا تجعلوه الطائي

سُئل شرف الدين أبو المحاسن محمَّد بن عنين عن معنى قوله:

سقى الله روح الغوطتين ولا ارتوت   من الموصل الجدباء إلّا قبورها

لِمَ حرَّمها وخصَّ قبورها؟! فقال: لأجل أبي تمام.

خلف المترجم ولده الشاعر تمام، قصد بعد موت أبيه عبدالله بن طاهر فاستنشده فأنشده:

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا   إذ بجمال الوجه روّاكا
بغداد من نورك قد أشرقت   وأورق العود بجدواكا

فأطرق عبدالله ساعة ثمَّ قال:

حيّاك ربُّ الناس حيّاكا   إنَّ الذي أمّلت أخطاكا
أتيت شخصاً قد خلا كيسه   ولو حوى شيئاً لأعطاكا

فقال: أيّها الأمير، إنَّ بيع الشعر بالشعر ربا فاجعل بينهما فضلاً من المال. فضحك منه وقال: لئن فاتك شعر أبيك فما فاتك ظرفه: فأمر له بصلة. [غرر الخصائص لوطواط ص ٢٥٩].

الجواد قد يكبو:

لا ينقضي العجب وكيف ينقضي من مثل أبي تمام العريق في المذهب، والعارف بنواميسه، والبصير بأحوال رجالاته، وما لهم من مآثر جمّة، وجهود مشكورة، وهو جِدُّ عليم بما لأضدادهم من تركاض وهملجة في تشويه سمعتهم، وإعادة تاريخهم المجيد المملوء بالأوضاح والغرر، إلى صورة ممقوتة، محفوفة بشية العار، مشفوعة كلّ هاتيك بجلبة ولغط، وقد انطلت لديه أمثلة من تلكم السفاسف حول رجل الهدى، الناهض المجاهد، والبطل المغوار، المختار بن أبي عُبيد الثقفي؛ فحسب ما قذفته به خصماؤه الألدّاء في دينه وحديثه ونهضته حقائق راهنة حتّى قال في رائيّته المثبتة في ديوانه ص ١١٤:

والهاشميّون استقلّت عيرهم   من كربلاء بأوثق الأوتارِ

فشفاهم المختار منه ولم يكن في دينه المختار بالمختارِ
حتى إذا انكشفت سرائره اغتدوا منه براء السمع والأبصارِ

ومَن عطف على التاريخ والحديث وعلم الرجال نظرةً تشفعها بصيرة نفّاذة علم أنَّ المختار في الطليعة من رجالإت الدين والهدى والإخلاص؛ وأنّ نهضته الكريمة لم تكن إلّا لإقامة العدل باستئصال شأفة الملحدين، واجتياح جذوم الظلم الأمويّ، وأنّه بمنزح من المذهب الكيساني؛ وأنَّ كل ما نبزوه من قذائف وطامّات لا مقيل لها من مستوى الحقيقة والصدق، ولذلك ترحّم عليه الأئمّة الهداة سادتنا: السجّاد والباقر والصادق صلوات الله عليهم، وبالغ في الثناء عليه الإمام الباقر عليه السلام، ولم يزل مشكوراً عند أهل البيت الطاهر هو وأعماله.

وقد أكبره ونزّهه العلماء الأعلام منهم: سيّدنا جمال الدين ابن طاوس في رجاله. وآية الله العلّامة في الخلاصة. وابن داود في الرجال. والفقيه ابن نما فيما أفرد فيه من رسالته المسمّاة بذوب النضار. والمحقِّق الأردبيلي في حديقة الشيعة. وصاحب المعالم في التحرير الطاووسي. والقاضي نور الله المرعشي في المجالس. وقد دافع عنه الشيخ أبو عليّ في منتهى المقال. وغيرهم.

وقد بلغ من إكبار السلف له أنَّ شيخنا الشهيد الأوّل ذكر في مزاره زيارةً تخصُّ به ويُزار بها وفيها الشهادة الصريحة بصلاحه ونصحه في الولاية وإخلاصه في طاعة الله ومحبّة الإمام زين العابدين، ورضا رسول الله وأمير المؤمنين صلوات الله عليهما وآلهما عنه؛ وأنّه بذل نفسه في رضا الأئمّة ونصرة العترة الطاهرة والأخذ بثارهم.

والزيارة هذه توجد في كتاب «مراد المريد» وهو ترجمة مزار الشهيد للشيخ علي بن الحسين الحائري، وصحّحها الشيخ نظام الدين الساوجي مؤلِّف «نظام الأقوال» ويظهر منها أنّ قبر المختار في ذلك العصر المتقادم كان من جملة المزارات المشهورة عند الشيعة، وكانت عليه قبّةٌ معروفةٌ كما في رحلة ابن بطوطة ج ١ ص ١٣٨.

ولقد تصدّى لتدوين أخبار المختار وسيرته وفتوحه ومعتقداته وأعماله جماعةٌ من الأعلام فمنهم:

١ ـ أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي المتوفّى سنة ١٥٧، له كتاب [أخذ الثار في المختار].

٢ ـ أبو المفضل نصر بن مزاحم المنقري الكوفي العطّار المتوفّى سنة ٢١٢، له «أخبار المختار».

٣ ـ أبو الحسن عليّ بن عبدالله بن أبي سيف المدائني المتوفّى سنة ٢١٥/ ٢٥، له «أخبار المختار».

٤ ـ أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي المتوفّى سنة ٢٨٣، له «أخبار المختار».

٥ ـ أبو أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي المتوفّى سنة ٣٠٢، له «أخبار المختار».

٦ ـ أبو جعفر محمّد بن علي بن بابويه القمي الصدوق المتوفّى سنة ٣٨١، له «كتاب المختار».

٧ ـ أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي المتوفّى سنة ٤٦٩، له [مختصر أخبار المختار].

٨ ـ أبو يعلى محمّد بن الحسن بن حمزة الجعفري الطالبي خليفة شيخنا المفيد، له «أخبار المختار».

٩ ـ الشيخ أحمد بن المتوّج له «الثارات» أو «قصص الثار». منظومة.

١٠ ـ الفقيه نجم الدين جعفر الشهير بابن نما المتوفّى سنة ٦٤٥، له (ذوب النضار في شرح الثار) طبع برمّته في المجلد العاشر من البحار.

١١ ـ الشيخ عليّ بن الحسين العاملي المروزي له [قرّة العين في شرح ثارات الحسين] فرغ منه ٢٠ رجب سنة ١١٢٧.

١٢ ـ الشيخ أبو عبدالله عبد بن محمَّد له [قرَّة العين في شرح ثار الحسين] طبع مع [نور العين ومثير الأحزان].

١٣ ـ السيِّد إبراهيم بن محمَّد تقي حفيد العلّامة الكبير السيِّد دلدار علي النقوي النصير آبادي له [نور الأبصار في أخذ الثار].

١٤ ـ المولى عطاء الله بن حسام الهروي له (روضة المجاهدين) طبع سنة ١٣٠٣.

١٥ ـ المولى محمَّد حسين بن المولى عبدالله الأرجستاني، له «حملة مختاريَّة».

١٦ ـ الكاتب الهندي نوّاب علي نزيل لكهنو له «نظارة انتقام» طبع في جزئين.

١٧ ـ الحاج غلام علي بن إسماعيل الهندي، له «مختار نامه».

١٨ ـ سيِّدنا السيِّد محسن الأمين العاملي له [أصدق الأخبار في قصَّة الأخذ بالثار] ط.

١٩ ـ السيِّد حسين الحكيم الهندي، له ترجمة (ذوب النضار) لابن نما.

٢٠ ـ السيِّد محمَّد حسين ابن السيِّد حسين بخش الهندي المولود سنة ١٢٩٠، له (تحفة الأخيار في إثبات نجاة المختار).

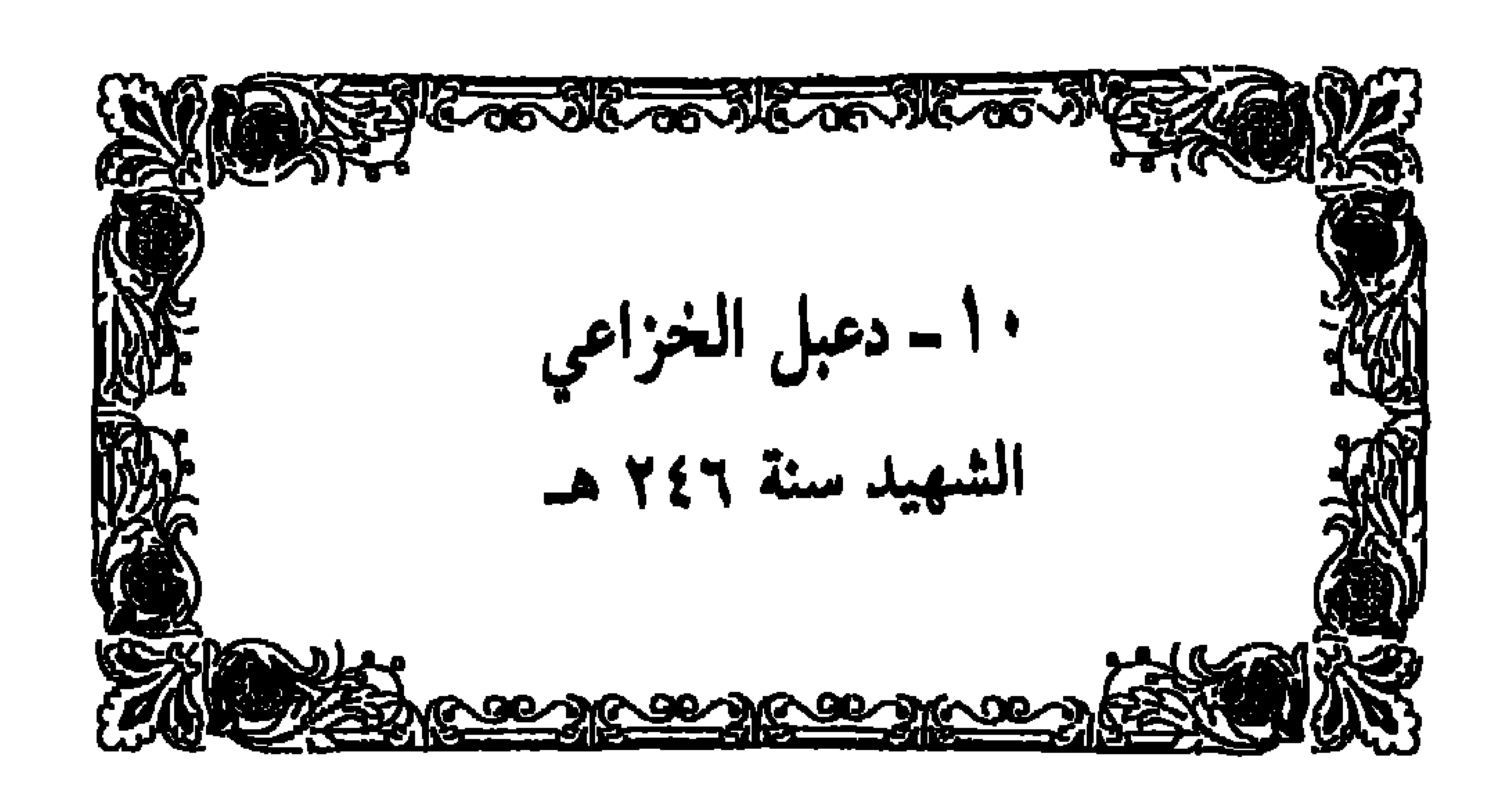
٢١ ـ الشيخ ميرزا محمَّد علي الأوردبادي، له [سبيك النضار. أو: شرح حال شيخ الثار] في مائتين وخمسين صحيفة وقد أدّى فيه حق المقال، وأغرق نزعاً في التحقيق، ولم يُبق في القوس منزعاً، قرأت كثيراً منه ووجدته فريداً في بابه لم يؤلَّف مثله، جزاه الله عن الحقِّ والحقيقة خيراً. وله في المختار قصيدةٌ على رويِّ قصيدة أبي تمام عطف فيها على مديحه إطراء صاحبه ومشاطره في الفضيلة: إبراهيم بن مالك الأشتر وهي:

يهنيك يا بطل الهدى والثارِ ... ما قد حويت بمدرك الأوتارِ

لك عند آل محمَّد كم من يد مشكـورة جلّت عن الأكبـارِ
عرفتك مقبلة الخطوب محنَّكاً فيـه جنـان مهـذَّب مغـوارِ
أضرمت للحرب العوان لظىً بها أضحت بنو صخر وقـود النارِ
وأذقت نغل سُميَّة بأس الهدى وأميَّـةً كـأس الـرَّدى والعـارِ
فـرؤا هوانـاً عند ضفَّـة خـاذرٍ بمهنّـد عنـد الكـريهـة وارِ
فـرَّقت جمعهم العرمـرم عنوةً يـوم الهيـاج بـفَيـلق جـرَّارِ
وفـوارس من حـزب آل المصـطفى أسـد الـوغي خـوَّاضـة الأخـطار
وبـواسـل لم تغـرهم وثبـاتهم إلاّ بـكـلِّ مـدجَّـج ثـوَّارِ
لم يعـرفـوا إلاّ الإمـام وثـاره فتشـادقـوا فيهـا بيـا لَلثـارِ
فتفـرَّقت فـرقـاً علوج أُميَّـة مـن كـلِّ زنّـاء إلى خمَّـارِ
وأخذت ثاراً قبله لم تكتحـل علويَّـةٌ مـذ أُرزئت بـالثّـارِ
وعمرت دوراً هدِّمت منذ العدى بالطفِّ قـد أودت بربِّ الـدارِ
عظم الجراح فلم يُصب أعماقه إلاّك يـا حُيِّيـت من مـسبـارِ
في نجـدةٍ ثقفيَّـة يسـطو بهـا في الروع من نخع هزبر ضاري
الندب إبراهيم من رضخت له الصيـد الأباة بملتقى الأصـارِ
من زانه شرف الهدى في سودد وعـلاً يفوح بهـا أريج نجارِ
حشـو الدروع أخـو حجى من دونـه هضب الـرواسي الشمّ في المقـدارِ
إن يحكه فالليث في حمـلاته والغيث في تسكـابه المـدرارِ
أو يحـوه فقلوب آل محمَّـد المصـطفين السّادة الأبـرارِ
ما إن يخض عند اللّقا في غمرة إلاّ وأرسب من سـطا بغمـارِ
أو يمّم الجلّى بعـزم ثـاقب إلاّ وردّ شـواظـهـا بـأُوارِ
المرتدي حلل المديح مطارفاً والممتـطي ذلـلاً لكـلِّ فخـارِ
وعليه كلّ الفضل قصرٌ مثلما كـلُّ الثنا قصـرٌ على المختارِ
عن مجده أرج الكبا وحـديثه زهت الـروابي عنه بـالأزهـارِ
ومـآثرٌ مثـل النجـوم عـدادهـا قـد شفّعت بمحـاسن الآثـارِ
وكفـاه آل محمَّـد ومـديحهم عمّـا يُنضّـد فيـه من أشعـارِ

أسفي على أن لم أكن من حزبه ... وكمثلهم عند الكفاح شعاري
فهناك إمّا موتةٌ أرجو بها ... أجر الشهادة في ثناءٍ جاري
أو أنّني أحظى بنيل المبتغى ... من آل حرب مدركاً أوتاري
وأخواض في الأوساط منهم ضارباً ... ثبج العدى بالمقضب البتّارِ
ولأثكلنّ أراملاً في فتيةٍ ... نشئوا على الإلحاد في استهتارِ
ومشيخة قد أورثوا كلّ الخنا ... والعار أجرية من الكفّارِ
لكن على ما فيَّ من مضض الجوى ... إذ لم أكن أحمي هناك ذماري
لم تعدني تلك المواقف كلّها ... إذ إنّ ما فعلوا بها مختاري
فلقد رضيت بما أراقوا من دمٍ ... فيها لكلِّ مذمَّم كفّارِ
ولأشفينَّ النفس منهم في غدٍ ... عند اشتباك الجحفل الموّارِ
يوم ابن طه عاقدٌ لبنوده ... وجنوده تلتاح في إعصارِ
تشوي الوجوه لظىً به نزّاعة ... لشوى الكماة بأنصل وشفارِ
فهنالك الظفر المريح جوى الحشا ... من رازحٍ في كربه بأسارِ
ويتمُّ فيه القصد من عُصب الولا ... لبني الهدى كالسيِّد المختارِ
يا أيّها النَّدب المؤجَّج عزمه ... وأمين آل المصطفى الأطهارِ
يا نجعة الخطب الملمِّ وآلة الـ ... كرب المهمِّ وندحة الأوزارِ
لاغرو إن جهلت علاك عصابةٌ ... فالقوم في شُغل عن الإبصارِ
فلقد بزغت ذكاً وهل يُزرى بها ... إن تعش عنها نظرةُ الأبصارِ؟!
لك حيث مرتبع الفخار مباءةٌ ... ولمن قلاك مزلَّة الأغرارِ
ومبوّءٌ لك في جوار محمّدٍ ... وملاذ عترته حماة الجارِ
فلئن رموك بمحفظ من إفكهم ... فالطود لا يلوى بعصف الذاري
أو يجحدوك مناقباً مأثورةً ... مشكورةً في الورد والإصدارِ
فلك الحقيقة والوقيعة لم تزل ... عن قدس مجدك في شفير هارِ
فتهنّ محتبياً بسوددك الذي ... تزورّ عنه جلبة المهذارِ
خذها إليك قصيدةً منضودةً ... من جوهرٍ أو من سبيك نضارِ
لم يحكها نجم السماء لأنّها ... بزغت بشارقة من الأقمارِ

كلّا ولا ضاهى محاسن نظمها ما عن حُطيئة جاء أو بشّارِ
هي غادةٌ زفّت إليك ولم يُشن إقبالها بدُعارة ونفارِ
هبّت عليك نسائمٌ قدسيّة حيّت ثراك برحمةٍ ويسارِ
وسقى لإبراهيم مضطجع الهدى ودق الغمام المرزم المكثارِ
ما نافحِ الروض النسيم مشفّعاً سجع البلابل فيه شدو هزارِ
يتلو كَما يُتلى بكلِّ صحيفة مرّ العشيِّ وكرّة الإبكارِ



١٠ - دعبل الخزاعي

الشهيد سنة ٢٤٦ هـ

تجاوبن بالأرنان والزفراتِ ... نوائح عجم اللفظ والنطقاتِ

يخبّرن بالأنفاس عن سرّ أنفس ... أُسارى هوى ماضٍ وآخر آتِ

فأسعدن أو أسعفن حتّى تقوّضت[١] ... صفوف الدجا بالفجر منهزماتِ

على العرصات الخاليات من المها ... سلام شجٍ صبّ على العرصاتِ[٢]

فعهدي بها خضر المعاهد مألفاً ... من العطرات البيض والخفراتِ[٣]

ليالي يعدين الوصال على القلا ... ويعدى تدانينا على الغرباتِ

وإذ هنّ يلحظن العيون سوافراً ... ويسترن بالأيدي على الوجناتِ

وإذ كلّ يوم لي بلحظي نشوةٌ ... يبيت بها قلبي على نشواتِ

فكم حسرات هاجها بمحسّرٍ[٤] ... وقُوفيَ يوم الجمع من عرفاتِ

ألم تر للأيّام ما جرّ جورها ... على الناس من نقص وطول شتاتِ؟!

ومن دُول المستهزئين ومن غدا ... بهم طالباً للنور في الظلماتِ

فكيف ومن أنّى بطالب زلفة ... إلى الله بعد الصوم والصلواتِ؟!؟!

سوا حبّ أبناء النبيّ ورهطه ... وبغض بني الزرقاء والعبلاتِ

وهند وما أدّت سُميّة وابنها ... اولوا الكفر في الإسلام والفجراتِ

---

(١) تقوضت الصفوف: انتقضت وتفرقت.

(٢) المها: البقرة الوحشية. الصب: العاشق وذو الولع الشديد.

(٣) خفرت الجارية: استحيت أشد الحياء.

(٤) وادي محسر بكسر السين المشددة: حد «منى» إلى جهة «عرفة».

هُمْ نقضوا عهد الكتاب وفرضه ... ومحكمه بالزور والشبهاتِ
ولم تك إلاّ محنة قد كشفتهم ... بدعوى ضلال من هَنٍ وهناتِ
تراثٌ بلا قربى وملكٌ بلا هدى ... وحكمٌ بلا شورى بغير هداتِ
رزايا أرتنا خضرة الأُفق حمرة ... وردّت أجاجاً طعم كلِّ فراتِ
وما سهلت تلك المذاهب فيهمُ ... على الناس إلاّ بيعة الفلتاتِ
وما قيل أصحاب السقيفة جهرة ... بدعوى تراث في الضلال نتاتِ
ولو قلّدوا الموصى إليه أمورها ... لزمّت بمأمون عن العثراتِ
أخي خاتم الرسل المصفّى من القذى ... ومفترسِ الأبطال في الغمراتِ
فإن جحدوا كان « الغدير » شهيده ... وبدرٌ وأُحدٌ شامخ الهضباتِ
وآيٌ من القرآن تُتلى بفضله ... وايثاره بالقوت في اللّزباتِ
وغرٌّ خلال أدركته بسبقها ... مناقب كانت فيه مؤتنفاتِ[1]

(القصيدة ١٢١ بيتاً)

ما يتبع من الشعر

من كلمات أعلام العامَّة

١ - قال أبو الفرج في الأغاني ج ١٨ ص ٢٩ : قصيدة دعبل :

مدارسُ آيات خلت من تلاوةٍ ... ومنزلُ وحي مقفر العرصاتِ[2]

من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في أهل البيت عليهم السَّلام، قصد بها عليَّ ابن موسى الرِّضا عليه السَّلام بخراسان قال: دخلت على عليِّ بن موسى الرِّضا عليه السَّلام فقال لي : أنشدني شيئاً ممّا أحدثت. فأنشدته :

مدارسُ آيات خلت من تلاوةٍ ... ومنزلُ وحي مقفر العرصاتِ

---

(١) أنف كل شيء: أوله. وروض أنف: ما لم يرعه أحد: كاس أنف: لم يشرب بها. المستأنف: ما لم يسبق إليه.
(٢) هو البيت الثلاثون من القصيدة وتسمى به.

حتى انتهيت إلى قولي:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً عن الأوتار منقبضاتِ

قال: فبكى حتّى أُغمي عليه وأومأ إلي خادم كان على رأسه: أن اسكت. فسكتُّ فمكث ساعة ثمّ قال لي: أعد. فأعدت حتّى انتهيت إلى هذا البيت أيضاً فأصابه مثل الذي أصابه في المرّة الأولى وأومأ الخادم إليَّ: أن اسكت. فسكتُّ فمكث ساعة أُخرى ثمّ قال لي: أعد. فأعدت حتّى انتهيت إلى آخرها. فقال لي: أحسنت ـ ثلاث مرّات ـ ثمّ أمر لي بعشرة آلاف درهم ممّا ضرب باسمه ولم تكن دفعت إلى أحد بعدُ وأمر لي من في منزله بحليّ كثير أخرجه إليَّ الخادم، فقدمت العراق فبعت كلَّ درهم منها بعشرة دراهم اشتراها منّي الشيعة فحصل لي مائة ألف درهم فكان أوَّل مال اعتقدته[١].

قال ابن مهرويه: وحدَّثني حذيفة بن محمَّد: إنَّ دعبلاً قال له: إنَّه استوهب من الرِّضا عليه السَّلام ثوباً قد لبسه ليجعله في أكفانه فخلع جبَّة كانت عليه فأعطاه إيّاها وبلغ أهل قم خبرها فسألوه أن يبيعهم إيّاها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل فخرجوا عليه في طريقه فأخذوها منه غصباً وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل وإلاّ فأنت أعلم. فقال لهم: إنّي والله لا أُعطيكم إيّاها طوعاً ولا تنفعكم غصباً وأشكوكم إلى الرِّضا عليه السَّلام فصالحوه على أن أعطوه الثلاثين ألف الدرهم وفرد كمٍّ من بطانتها، فرضي بذلك فأعطوه فرد كُمٍّ فكان في أكفانه وكتب قصيدته:

مدارسُ آيات خلت من تلاوةٍ ومنزلُ وحي مقفر العرصاتِ

فيما يقال على ثوب وأحرم فيه وأمر بأن يكون في أكفانه[٢].

وروى في ص ٣٩ عن دعبل قال: لمّا هربت من الخليفة بتُّ ليلة بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدة في عبدالله بن طاهر في تلك

---

(١) في معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥، عيون أخبار الرضا ص ٢٨٠.

(٢) وذكر في معجم الأدباء ج ٤ ص ١٩٦، ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥، وعصر المأمون ص٣.

الليلة فإنّي لفي ذلك إذ سمعت والباب مردودٌ عليّ: السّلام عليكم ورحمة الله أُنج يرحمك الله. فاقشعرّ بدني من ذلك ونالني أمرٌ عظيمٌ فقال لي: لا ترع عافاك الله فإنّي رجلٌ من إخوانك من الجنّ من ساكني اليمن طرء إلينا طارىء من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ... ومنـزلُ وحي مقفر العـرصاتِ

فأحببت أن أسمعها منك. قال فأنشدته إيّاها فبكى حتّى خرّ، ثمّ قال: رحمك الله ألا أُحدِّثك حديثاً يزيد في نيّتك ويعينك على التمسّك بمذهبك؟! قلت: بلى. قال مكثت حيناً أسمع بذكر جعفر بن محمّد عليه السّلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدَّثني أبي عن أبيه عن جدِّه أنَّ رسول الله ﷺ قال: عليٌّ وشيعته هم الفائزون. ثمّ ودَّعني لينصرف فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك فافعل. قال: أنا ظبيان بن عامر(١).

٢ ـ قال أبو إسحاق القيرواني الحصري المتوفّى سنة ٤١٣ في «زهر الآداب» ج ١ ص ٨٦: كان دعبل مدّاحاً لأهل البيت عليهم السّلام كثير التعصّب لهم والغلوّ فيهم وله المرثية المشهورة وهي من جيِّد شعره وأوّلها:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ... ومنـزلُ وحي مقفر العـرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالبيت والتعريف والجمراتِ
ديـار عليٍّ والحسين وجعفـر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفنـاتِ
قفـا نسـأل الـدار التي خفَّ أهلها ... متى عهـدها بـالصوم والصلواتِ؟!
وأين الأولى شـطّت بهم غربـة النوى ... أفـانين في الآفـاق مفترقـاتِ؟!
أُحبُّ قصيَّ الـدار من أجـل حبّهم ... وأهـجـر فيهـم أُسرتي وثـقـاتي

٣ ـ قال الحافظ ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٣٤: ثمّ إنَّ المأمون لمّا ثبتت قدمه في الخلافة وضرب الدنانير باسمه أقبل بجمع الآثار في فضائل

(١) وذكره صاحب معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٥.

آل الرسول فتناهى إليه فيما تناهى من فضائلهم قول دعبل:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنـزلُ وحي مقفر العـرصاتِ
لآل رسـول الله بالخيف من منى وبـالبيت والتعريف والجمـراتِ

فما زالت تردَّد في صدر المأمون حتّى قدم عليه دعبل[1] فقال له: أنشدني قصيدتك التائيَّة ولا بأس عليك ولك الأمان من كلِّ شيء فيها فإنّي أعرفها وقد رويتها إلّا أنّي أُحبُّ أن أسمعها من فيك. قال: فأنشده حتّى صار إلى هٰذا الموضع:

ألم تـر أنّي مذ ثـلاثين حجَّة أروح وأغـدو دائم الحسـراتِ
أرى فيئهم في غيرهم متقسِّماً وأيـديهمُ من فيئهم صفـراتِ
فآل رسول الله نحفٌ جسومهم وآل زيـاد غـلّظ القـصـراتِ
بنات زياد في الخدور مصونةٌ وبنت رسـول الله في الفلواتِ
إذا وتـروا مـدّوا إلى واتـريهمُ أكفّـاً عن الأوتـار منقبضـاتِ
فلولا الذي أرجوه في يوم أو غد تقـطّع نفسي إثرهم حسـراتِ

فبكى المأمون حتّى اخضلّت لحيته وجرت دموعه على نحره، وكان دعبل أوّل داخل عليه وآخر خارج من عنده.

٤ ـ قال ياقوت الحموي في «معجم الأدبـاء» ج ٤ ص ١٩٦: قصيدتـه التائيَّة في أهل البيت من أحسن الشعر، وأسنىٰ المدائح قصد بها عليَّ بن موسى الرِّضا عليه السلام بخراسان [وذكر حديث البردة وقصَّتها المذكورة ثمَّ قـال:] ويقال: انَّه كتب القصيدة في ثوب وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في أكفانه، ونُسخ هذه القصيدة مختلفةٌ في بعضها زيادات يُظنّ[2] أنها مصنوعةٌ ألحقها بها أُناس من الشيعة وإنّا موردون ما صحَّ منها:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومنـزلُ وحي مُقفر العـرصاتِ

---

(١) ومن هنا يوجد في الأغاني ج ١٨ ص ٥٨، وزهـر الآداب ج ١ ص ٨٦، ومعـاهـد التنصيص ص ٢٠٥، والاتحاف ص ١٦٥.

(٢) يأتي في آخر ما يتبع الشعر: ان هذا الظن إثم ولا يغني من الحق شيئاً.

لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالركن والتعريف والجمراتِ
ديار عليٍّ والحسين وجعفر ... وحمزة والسجّاد ذي الثفناتِ
ديارٌ عفاها كلُّ جون مبادرٍ ... ولم تعف للأيّام والسنواتِ
قفا نسأل الدار التي خفَّ أهلها ... متى عهدها بالصّوم والصّلواتِ؟!
وأين الاولى شطّت بهم غربة النوى ... أفانين في الآفاق مفترقاتِ؟!
همُ أهل ميراث النبيِّ إذا اعتزوا ... وهم خيرُ قاداتٍ وخيرُ حماةِ
وما الناس إلّا حاسدٌ ومكذِّبٌ ... ومضطغنٌ ذو إحنة وتراتِ
إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حُنين أسبلوا العبراتِ
قبورٌ بكوفان وأُخرى بطيبة ... وأُخرى بفخٍّ نالها صلواتي
وقبرٌ ببغداد لنفس زكيَّة ... تضمَّنها الرَّحمن في الغرفاتِ
فأمّا المصمّات التي لست بالغاً ... مبالغها منّي بكنه صفاتِ
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً ... يفرِّج منها الهمّ والكرباتِ
نفوسٌ لدى النهرين من أرض كربلا ... معرَّسهم فيها بشطِّ فراتِ
تقسَّمهم ريبُ الزمان كما ترى ... لهم عقرةٌ مغشيَّة الحجراتِ
سوى أنَّ منهم بالمدينة عصبةٌ ... مدى الدهر أضناه من الأزماتِ
قليلة زوّارٍ سوى بعض زوَّرٍ ... من الضبع والعقبان والرخماتِ
لهم كلَّ حين نومةٌ بمضاجع ... لهم في نواحي الأرض مختلفاتِ
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها ... مغاوير يختارون في السّرواتِ
تنكّب لأواء السنين جوارهم ... فلا تصطليهم جمرة الجمراتِ
إذا وردوا خيلاً تشمّس بالقنا ... مساعر جمر الموت والغمراتِ
وإن فخروا يوماً أتوا بمحمَّد ... وجبريل والفرقان ذي السوراتِ
ملامك في أهل النبيِّ فإنَّهم ... أحبّاي ما عاشوا وأهل ثقاتي
تخيَّرتهم رشداً لأمري فإنَّهم ... على كلِّ حال خيرة الخيراتِ
فيا ربِّ زدني من يقيني بصيرةً ... وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي
بنفسيَ أنتم من كهول وفتية ... لفكِّ عَناة أو لحمل دياتِ
أحبُّ قصيَّ الرحم من أجل حبِّكم ... وأهجر فيكم أُسرتي وبناتي

وأكتمُ حبّيكم مخافة كاشحٍ — عتيدٍ لأهل الحقِّ غير مواتِ
لقد حفَّت الأيّام حولي بشرّها — وإنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أنّي مذ ثلاثين حجّة — أروح وأغدو دائم الحسرات؟!
أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً — وأيديهمُ من فيئهم صفراتِ
فآل رسول الله نحفٌ جسومهم — وآل زياد حفّل القصراتِ(١)
بنات زياد في القصور مصونةٌ — وآل رسول الله في الفلواتِ
إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم — أكفّاً من الأوتار منقبضاتِ
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ — لقطّع قلبي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارجٌ — يقوم على اسم الله والبركاتِ
يميِّز فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ — ويجزي على النعماء والنقماتِ
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم — كفانيَ ما ألقى من العبراتِ
فيا نفس طيبي ثمَّ يا نفس أبشري — فغير بعيد كلّ ما هو آتِ
فإن قرَّب الرَّحمن من تلك مدَّتي — وأخّر من عمري لطول حياتي
شفيت ولم أترك لنفسي رزيَّة — وروّيت منهم منصلي وقناتي
أحاول نقل الشمس من مستقرِّها — وأسمع أحجاراً من الصلداتِ
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ — يميل -مع الأهواء- والشبهات
قصاراي منهم أن أموت بغصَّة — تردَّد بين الصدر واللهواتِ
كأنَّك بالأضلاع قد ضاق رحبها — لما ضمنت من شدَّة الزفراتِ.

٥ ـ أخرج شيخ الإسلام أبو إسحاق الحمّويي (المترجم له ج ١ ص ١٥٨) عن أحمد بن زياد عن دعبل الخزاعي قال: أنشدت قصيدة لمولاي عليّ الرِّضا رضي الله عنه:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة — ومنزلُ وحي مُقفر العرصاتِ

---

(١) الحفل من الحافل: الممتلىء. القصرات جمع قصرة: أصل العنق.

قال لي الرِّضا: أفلا ألحق البيتين بقصيدتك؟! قلت: بلى يا بن رسول الله! فقال:

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ألحّت بها الأحشاء بالزّفراتِ
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً يفرِّج عنّا الهمّ والكرباتِ[1]

قال دعبل: ثمّ قرأت باقي القصيدة فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة واقع يقوم على اسم الله والبركاتِ

بكى الرِّضا بكاء شديداً ثمّ قال: يا دعبل نطق روح القدس بلسانك أتعرف مَن هذا الإمام؟! قلت: لا إلا أنّي سمعت خروج إمام منكم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً. فقال: إنّ الإمام بعدي ابني محمّد وبعد محمّد ابنه عليّ وبعد عليّ ابنه الحسن وبعد الحسن ابنه الحجّة القائم، وهو المنتظر في غيبته، المطاع في ظهوره، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت جوراً وظلماً، وأمّا متى يقوم فإخبارٌ عن الوقت لقد حدَّثني أبي عن آبائه عن رسول الله ﷺ قال: مثله كمثل الساعة لا تأتيكم إلاّ بغتة. ويأتي هذا الحديث عن الشبراوي أيضاً.

٦ - قال أبو سالم ابن طلحة الشافعيّ المتوفّى سنة ٦٥٢ في «مطالب السئول» ص ٨٥ قال دعبل: لَمّا قلت: مدارس آيات قصدت بها أبا الحسن عليَّ بن موسى الرِّضا وهو بخراسان، وليّ عهد المأمون فأحضرني المأمون وسألني عن خبري ثمّ قال لي: يا دعبل! أنشدني - مدارس آيات خلت من تلاوة - فقلت: ما أعرفها يا أمير المؤمنين! فقال: يا غلام أحضر أبا الحسن عليّ بن موسى الرِّضا عليه السلام. فلم يكن إلاّ ساعة حتّى حضر فقال له: يا أبا الحسن! سألت دعبلاً عن - مدارس آيات خلت من تلاوة - فذكر أنّه لا يعرفها. فقال لي أبو الحسن: يا دعبل! أنشد أمير المؤمنين. فأخذت فيها فأنشدتها فاستحسنها فأمر لي بخمسين ألف درهم. وأمر لي أبو الحسن الرِّضا بقريب من

---

(١) ألحقهما الإمام عليه السلام بعد قول دعبل:

وقبر ببغداد لنفس زكية تضمنها الرحمان في الغرفات

ذلك فقلت: يا سيِّدي! إن رأيت أن تهبني شيئاً من ثيابك ليكون كفني. فقال: نعم. ثمَّ دفع لي قميصاً قد ابتذله ومنشفة لطيفة، وقال لي: احفظ هذا تُحرس به. ثمَّ دفع ذو الرياستين أبو العبّاس الفضل بن سهل وزير المأمون صلةً وحملني على برذون أصفر خراسانيّ، وكنت أُسايره في يوم مطير وعليه ممطر خزّ وبرنس فأمر لي به ودعا بغيره جديد ولبسه وقال: إنّما آثرتك باللبيس لأنّه خير الممطرين. قال: فأُعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسي ببيعه، ثمَّ كررت راجعاً إلى العراق فلمّا صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا فكان ذلك اليوم يوماً مطيراً فبقيت في قميص خلق وضرّ شديد متأسِّف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة ومفكّر في قول سيّدي الرِّضا إذ مرّ بي واحدٌ من الأكراد الحراميَّة تحته الفرس الأصفر الذي حملني عليه ذو الرياستين وعليه الممطر ووقف بالقرب منّي ليجتمع إليه أصحابه وهو ينشد ـ مدارس آيات خلت من تلاوة ـ ويبكي فلمّا رأيت ذلك عجبت من لصٍّ من الأكراد يتشيَّع ثمّ طمعت في القميص والمنشفة فقلت: يا سيِّدي. لمن هذه القصيدة؟! فقال: وما أنت وذلك؟! ويلك فقلت: لي فيه سببٌ أُخبرك به. فقال: هي أشهر بصاحبها من أن تجهل. فقلت: مَن؟! قال: دعبل بن عليّ الخزاعي شاعر آل محمَّد جزاه الله خيراً. قلت له: يا سيِّدي فأنا والله دعبل وهذه قصيدتي. الحديث.

وقال ص ٨٦ بعد ذكر الحديث ما لفظه: فانظر إلى هذه المنقبة وما أعلاها وما أشرفها وقد يقف على هذه القصَّة بعض الناس ممن يطالع هذا الكتاب ويقرأه فتدعوه نفسه إلى معرفة هذه الأبيات المعروفة بـ ـ مدارس آيات ـ ويشتهي الوقوف عليها وينسبني في إعراضي عن ذكرها إمّا أنّني لم أعرفها، أو: أنّني جهلت ميل النفوس حينئذ إلى الوقوف عليها فأحببت أن أُدخل راحةً على بعض النفوس وأن أدفع عنّي هذا النقص المتطرِّق إلى بعض الظنون فأوردت منها ما يُناسب ذلك، وهي:

ذكرتُ محلَّ الربع من عرفاتِ ... وأرسلت دمع العين بالعبراتِ
وفلَّ عرى صبري وهاج صبابتي ... رسوم ديار أقفرت وعراتِ

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ومهبطُ وحي مُقفر العرصاتِ
لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمراتِ
ديـار عليٍّ والحسين وجعفرٍ وحمزة والسجّاد ذي الثفناتِ(١)
ديـارٌ عفاها جور كـلِّ مُنابذٍ ولم تعف بـالأيّام والسنواتِ
ودارٌ لعبـدالله والفضل صنـوه سليل رسول الله ذي الدعواتِ
منـازلُ كانت للصّـلاة وللتّقى وللصّـوم والتطهيـر والحسناتِ
منـازلُ جبريـل الأمين يحلّهـا من الله بـالتسليم والـزكـواتِ
منازل وحي الله معدن علمـه سبيـل رشاد واضـحالـطرقاتِ
منـازلُ وحي الله ينزل حـولها على أحمد الروحات والغدواتِ
فأين الأولى شطّت بهم غربة النوى أفانين في الأقطار مفترقاتِ؟!
همُ آل ميراث النبيِّ إذا انتموا وهم خيرُ سادات وخيرُ حماتِ
مطاعيم في الأعسار في كلِّ مشهد لقد شُرِّفوا بالفضل والبركـاتِ
إذا لم نُنـاج الله في صلواتنـا بـذكـرهمُ لم يقبـل الصّلواتِ
أئمّـة عـدل يُقتـدى بفعـالهم وتُؤمن منهم زلّـة العثـراتِ
فيا ربِّ زد قلبي هدىً وبصيرةً وزد حبَّهم يا ربِّ في حسناتي
ديـار رسول الله غُلّت رقـابهم وآل زيـاد غُـلّظ القـصـراتِ
وآل رسول الله تُدمى نحورهم وآل زيـاد زيّنـوا الحجـلاتِ
وآل رسول الله تُسبى حريمهم وآل زيـاد آمنـوا السـريـاتِ
وآل زياد في القصور مصونةٌ وآل رسـول الله في الفـلواتِ
فيـا وارثي علم النبيِّ وآلـه عليكم سـلامٌ دائم النفحـاتِ
لقد آمنت نفسي بكم في حياتها وانّي لأرجو الأمن بعد مماتي

٧ ـ ذكر شمس الدين سبط ابن الجوزي الحنفي المتوفّى سنة ٦٥٤ في تذكرته ص ١٣٠ من القصيدة ٢٩ بيتاً وفيها ما لم يذكره الحمويّ في «معجم

---

(١) ذكر الثعالبي في ثمار القلوب ص ٢٣٣ بيتين من القصيدة أحدهما: مدارس ايات. والثاني هذا البيت وقال: (ذو الثفنات) كـان يقال لكـل من علي بن الحسين بن علي عليه السـلام وعلي بن عبدالله بن عباس: ذو الثفنات. لما على أعضاء السجود منهما من السجدات الشبيهة بثفنات الإبل وذلك لكثرة صلاتهما.

الأدباء». وذُكرت في هامش التذكرة القصيدة من أوّلها إلى ـ مدارس آيات ـ.

٨ ـ ذكر صلاح الدين الصفدي المتوفّى سنة ٧٦٤ في «الوافي بالوفيات» ج ١ ص ١٥٦ طريق رواية القصيدة عن عبيدالله [١] بن جخجخ النحوي عن محمَّد بن جعفر بن لنكك أبي الحسن البصري النحوي عن أبي الحسين العباداني عن أخيه عن دعبل، وهذا الطريق ذكره جلال الدين السيوطي في «بغية الوعاة» ص ٩٤.

٩ ـ روى الشبراوي الشافعيُّ المتوفّى سنة ١١٧٢ في «الإتحاف» ص ١٦٥ عن الهروي قال: سمعت دعبلًا يقول: لمّا أنشدت مولاي الرِّضا قصيدتي الّتي أوّلها:

مدارسُ آيات خلت من تلاوة ... ومهبطُ وحي مقفر العرصاتِ

فلمّا انتهيت إلى قولي:

خروج إمام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركاتِ

يميِّز فينا كلَّ حقّ وباطل ... ويُجزي على النعماء والنقمات

بكى الرِّضا عليه السّلام بكاءً شديداً ثمّ رفع رأسه إليّ فقال لي: يا خزاعيُّ نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام؟! ومتى يقوم؟! فقلت: لا يا سيِّدي! إلاّ أنّي سمعت بخروج إمام منكم (إلى آخر ما مرّ عن الحمّويي)[٢].

وفي «الإتحاف» ص ١٦١: نقل الطبري في كتابه عن أبي الصلت الهروي قال: دخل الخزاعيُّ على عليِّ بن موسى الرِّضا بمرو فقال: يا بن رسول الله! إنّي قلت فيكم أهل البيت قصيدةً وآليت على نفسي أن لا أُنشدها أحداً قبلك وأُحبُّ أن تسمعها منّي فقال له عليُّ الرِّضا: هات قل، فأنشأ يقول:

ذكرت محلَّ الربع من عرفاتِ ... فأجريتُ دمع العين بالعبراتِ

---

(١) قال ياقوت الحموي: كان ثقة صحيح الكتابة.

(٢) وذكره الصدوق في العيون ص ٣٧٠؛ والأمالي ص ٢١٠، والطبرسي في أعلام الورى ص ١٩٢؛

وفلّ عُرى صبري وهاجت صبابتي | رسوم ديار أقفرت وعراتِ
مدارسُ آيات خلت من تلاوة | ومهبط وحي مُقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منى | وبالبيت والتعريف والجمراتِ
ديار عليّ والحسين وجعفر | وحمزة والسجّاد ذو الثفناتِ
ديارٌ لعبدالله والفضل صنوه | نجيّ رسول الله في الخلواتِ
منازلُ كانت للصّلاة وللتقى | وللصوم والتطهير والحسناتِ
منازلُ جبريل الأمين يحلّها | من الله بالتعليم والرّحماتِ
منازلُ وحي الله معدن علمه | سبيل رشاد واضح الطرقاتِ
قفا نسأل الدار الّتي خفّ أهلها | متى عهدها بالصّوم والصّلواتِ
وأين الأولى شطّت بهم غربة النوى | فأمسين في الأقطار مفترقاتِ؟!
أحبُّ قضاء الله من أجل حبّهم | وأهجر فيهم أسرتي وثقاتي
همْ أهل ميراث النبيّ إذا انتموا | وهم خيرُ سادات وخيرُ حماةِ
مطاعيم في الأعسار في كلّ مشهد | لقد شرّفوا بالفضل والبركاتِ
أئمّة عدل يُقتدى بفعالهم | وتؤمن منهم زلّة العثراتِ
فيا رب زد قلبي هدىً وبصيرة | وزد حبّهم يا ربّ في حسناتي
لقد آمنت نفسي بهم في حياتها | وإنّي لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني مذ ثلاثين حجّة | أروح وأغدو دائم الحسراتِ؟!
أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً | وأيديهمُ من فيئهم صفراتِ
إذا وتروا مدّوا إلى أهل وترهم | أكفّاً عن الأوتار منقبضاتِ
وآل رسول الله نحفٌ جسومهم | وآل زياد غلّظ القصراتِ
سأبكيهمُ ما ذرّ في الأُفق شارقٌ | ونادى منادي الخير بالصّلواتِ
وما طلعت شمسٌ وحان غروبها | وبالليل أبكيهم وبالغدواتِ
ديار رسول الله أصبحن بلقعاً | وآل زياد تسكن الحجراتِ
وآل زياد في القصور مصونةٌ | وآل رسول الله في الفلواتِ
فلولا الّذي أرجوه في اليوم أو غدٍ | تقطّع نفسي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج | يقوم على اسم الله بالبركاتِ

يُميِّز فينا كلَّ حسن وباطل ويُجزي عن النعماء والنقماتِ
فيا نفس طيبي ثمَّ يا نفس فاصبري فغير بعيد كلّ ما هو آتِ

وهي قصيدةٌ طويلةٌ عدَّة أبياتها مائةٌ وعشرون بيتاً. ولَما فرغ دعبل من إنشادها نهض أبو الحسن الرِّضا وقال: لا تبرح. فأنفذ إليه صرّة فيها مائة دينار واعتذر إليه. فردَّها دعبل وقال: والله ما لهذا جئت وإنَّما جئت للسَّلام عليه والتبرُّك بالنظر إلى وجهه الميمون وإنّي لفي غنىً فإن رأى أن يُعطيني شيئاً من ثيابه للتبرُّك فهو أحبُ إليَّ. فأعطاه الرِّضا جبَّة خزّ عليه الصرَّة وقال للغلام: قل له: خذها ولا تردَّها فإنّك ستصرفها أحوج ما تكون إليها. فأخذها وأخذ الجبَّة. [إلى آخر حديث اللّصوص المذكور].

١٠ ـ ذكر الشبلنجي في «نور الأبصار» ص ١٥٣ ما مرَّ عن الشبراوي برمَّته حرفيّاً.

أمّا أعلام الطائفة

فقد ذكر القصيدة وقصَّة الجبَّة واللصوص جمعٌ كثيرٌ لا نطيل المقال بذكر كلماتهم بل نقتصر منها على ما لم يُذكر في الكلمات المذكورة. روى شيخنا الصدوق في «العيون» ص ٣٦٨ و«الأمالي» ص ٢١١ عن الهروي قال: دخل دعبل على أبي الحسن الرِّضا عليه السلام بمرو فقال له: يا بن رسول الله! إنّي قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك فقال عليه السلام: هاتها. فأنشده فلمّا بلغ إلى قوله:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهمُ من فيئهم صفراتِ

بكى أبو الحسن عليه السّلام وقال له: صدقتَ يا خزاعيُّ! فلمّا بلغ إلى قوله:

إذا وتروا مدّوا إلى واتريهمُ أكفّاً عن الأوتار مُنقبضاتِ

جعل أبو الحسن عليه السَّلام يقلّب كفَّيه ويقول: أجل والله مُنقبضات:
فلمّـا بلغ إلى قوله:

لقد خفت في الدنيا وأيّـام سعيها　　　وإنّي لأرجو الأمن بعد وفـاتي

قال الرِّضا: آمنك الله يوم الفزع الأكبر. فلمّا انتهى إلى قوله:

وقبـرٌ ببغـداد لنـفس زكيَّـة　　　تضمَّنها الرَّحمن في الغرفاتِ

قال له الرِّضا: أفلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟؟!
فقال: بلى يا بن رسول الله. فقال عليه السّلام:

وقبرٌ بطوس يا لها من مصيبـة　　　توقَّد في الأحشـاء بالحـرقاتِ
إلى الحشر حتّى يبعث الله قائماً　　　يفـرِّج عنّـا الهمَّ والكـربـاتِ

فقال دعبل: يابن رسول الله! هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟! فقال الـرِّضا: قبـري ولا تنقضي الأيّام والليـالي حتّى تصير طـوس مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيـامة مغفوراً له. ثمَّ نهض الرِّضا عليه السّلام وأمر دعبل أن لا يبرح من موضعه. فذكر قصَّة الجبّة واللصوص ثمّ قال:

كانت لدعبل جاريةٌ لها من قِبله محلٌّ فرمدت عينها رمداً عظيماً فأدخل أهل الطبِّ عليها فنظروا إليها فقالوا: أمّـا العين اليمنى فليس لنا فيها حيلة وقد ذهبت، وأمّـا اليسرى فنحن نعالجها ونجتهد ونرجو أن تسلم. فاغتمَّ لذلك دعبل غمّـاً شديداً وجزع عليها جزعاً عظيماً، ثمَّ انه ذكر ما كان معه من وصلة الجبَّة فمسحها على عيني الجاريـة وعصبها بعصـابة منهـا من أوَّل الليل فـأصبحت وعيناها أصحّ ما كانتا قبلُ ببركة أبي الحسن الرِّضا عليه السَّلام[١].

في مشكاة الأنوار[٢] ومؤجِّج الأحزان[٣]: رُوي أنَّه لَمّا قرأ دعبل قصيدته

---

(١) وذكره الطبرسي في أعلام الورى ص ١٩١، والأربلي في كشف الغمة ص ٢٧٥.
(٢) تأليف الشيخ محمد بن عبد الجبار البحراني.
(٣) تأليف الشيخ عبد الرضا بن محمد الأوالي البحراني.

على الرِّضا عليه السلام وذكر الحجَّة عجَّل الله فرجه بقوله:

فلولا الذي أرجوه اليوم أوغدٍ　　تقطع نفسي إثرهم حسراتي
خروج إمام لا محالة خارج　　يقوم على اسم الله والبركاتِ.

وضع الرضا عليه السلام يده على رأسه وتواضع قائماً ودعى له بالفرج. وحكاه عن «المشكاة» صاحب الدمعة الساكبة وغيره.

ولهذه التائيَّة عدَّة شروح لأعلام الطائفة منها:

شرح العلاَّمة الحجَّة السيِّد نعمة الله الجزائري المتوفَّى سنة ١١١٢.
شرح العلاَّمة الحجَّة كمال الدين محمَّد بن محمَّد القنوي الشيرازي.

شرح العلاَّمة الحاج ميرزا علي العلياري التبريزي المتوفَّى سنة ١٣٢٧.

لفت نظر

إنَّ مستهلَّ هذه القصيدة ليس كلّ ما ذكروه فإنَّها مبدوَّةٌ بالنسيب ومطلعها:

تجاوبن بالأرنان والزَّفراتِ　　نوائح عجم اللفظ والنطقاتِ

قال ابن الفتَّال في روضته ص ١٩٤، وابن شهر اشوب في «المناقب» ج ٢ ص ٣٩٤: ورُوي أنَّ دعبل أنشدها الإمام عليه السَّلام من قوله: مدارس آيات ـ وليس هذا البيت رأس القصيدة ولكن أنشدها من هذا البيت فقيل له: لم بدأت بمدارس آيات؟! قال: استحييت من الإمام عليه السَّلام أن أُنشده التشبيب فأنشدته المناقب ورأس القصيدة:

تجاوبن بالأرنان والزَّفراتِ　　نوائح عجم اللفظ والنطقات

ذكرها برمَّتها وهي مائة وعشرون بيتاً الإربلي في [كشف الغمَّة]. والقاضي في «المجالس» ص ٤٥١، والعلاَّمة المجلسي في «البحار» ج ١٢ ص ٧٥، والزنوزي في الرّوضة الاولى من «رياض الجنّة» ونصَّ على عددها المذكور الشبراوي والشبلنجي كما مرَّ. فما قدَّمناه عن الحموي من أنَّ [نسخ هذه القصيدة مختلفةٌ في بعضها زياداتٌ يُظنُّ أنَّها مصنوعةٌ ألحقها بها أُناسٌ من

الشيعة وإنّا موردون هنا ما صحّ] من بعض الظنّ الذي هو إثمٌ وقد ذكر هو في معجم البلدان ما هو خارجٌ عمّا أثبته في معجم الأدباء من الصحيح عنده فحسب راجع ج ٢ ص ٢٨ ، وذكر المسعودي في «مروج الذهب» ج ٢ ص ٢٣٩ وغيره بعض ما ذكره في معجم البلدان، وأثبت سبط إبن الجوزي في «التذكرة»، وإبن طلحة في «المطالب» والشبراوي في «الإتحاف»، والشبلنجي في «نور الأبصار» زيادات لا توجدفي ما استصحّه الحموي،وليس من الممكن قذف هؤلاء الأعلام بإثبات المفتعل. وبما أنّ العلم تدريجيٌّ الحصول فمن المحتمل أنّ الحموي يوم تأليفه «معجم الأدباء» لم يقف به البحث على أكثر ممّا ذكر ثمّ لَمّا توسّع في العلوم ثبت عنده غيره أيضاً فأدرجه في «معجم البلدان» الذي هو متأخّر في التأليف، ولذلك يحيل فيه على «معجم الأدباء» في أكثر مجلّداته راجع ج ٢ ص ٤٥و ١١٧و ١٣٥، ١٨٦، وج ٣ ص ١١٧، ١٨٤، وج ٤ ص ٢٢٨، ٤٠٠، وج ٥ ص ١٨٧، ٢٨٩، وج ٦ ص ١٧٧ وغيرها لكن سوء ظنّه بالشيعة حداه إلى نسبة الإفتعال إليهم عند تدوين الترجمة، ونحن لا نناقشه بالحساب في هذا التظنّي فإنّ الله لهم بالمرصاد وهو نعم الرقيب والحسيب.

الشاعر

أبو عليّ - أبو جعفر - دعبل بن عليّ بن رزين[1] بن عثمان بن عبدالرحمن بن عبدالله بن بُديل بن ورقاء بن عمرو بن ربيعة بن عبدالعزّى بن ربيعة بن جزي بن عامر بن مازن بن عدي بن عمرو بن ربيعة الخزاعي.

أخذناه من فهرست النجاشي ص ١١٦ . وتأريخ الخطيب ج ٨ ص ٣٨٢، وأمالي الشيخ ص ٢٣٩ ، وتأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٧ ،ومعجم الأدباء للحموي ج ١١ ص ١٠٠ وقال: وعلى هذا الأكثر، والإصابة لابن حجر ج ١ ص ١٤١ .

---

(١) في الأغاني ج ٨ ص ٢٩ : ابن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن خزيمة بن سلامان بن أسلم بن أفصى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن مزيقيا.

بيت رزين

بيت علم وفضل وأدب وإن خصّه ابن رشيق في عمدته ج ٢ ص ٢٩٠ بالشعر، فإنّ فيهم محدّثون وشعراء، وفيهم السؤدد والشرف، وكلّ الفضل والفضيلة ببركة دعاء النبيّ الأطهر لجدّهم الأعلى: بُديل بن ورقاء، لمّا أوقفه العبّاس بن عبد المطلب يوم الفتح بين يدي رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم: وقال: يا رسول الله! هذا يوم قد شرّفت فيه قوماً فما بال خالك بُديل بن ورقاء؟! وهو قعيد حبّه. قال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم: أحسر عن حاجبيك يا بُديل! فحسر عنهما وحدر لثامه فرأى سواداً بعارضه فقال: كم سنوك يا بُديل؟! فقال: سبعٌ وتسعون يا رسول الله! فتبسّم النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وقال: زادك الله جمالاً وسواداً وأمتعك وولدك[1].

ومؤسّس شرفهم الباذخ: البطل العظيم عبدالله بن ورقاء الذي كان هو وأخواه عبدالرّحمن ومحمّد رُسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم إلى اليمن كما في رجال الشيخ. وكانوا هم وأخوهم عثمان من فرسان مولانا أمير المؤمنين الشهداء في صفّين[2] وأخوهم الخامس: نافع بن بُديل استشهد على عهد النبيّ صلّى الله عليه وآله ورثاه ابن رواحة بقوله:

رحم الله نافع بن بُديل ... رحمة المبتغي ثواب الجهادِ
صابراً صادق الحديث إذا ما ... أكثر القوم قال قول السداد[3]

فحسب هذا البيت شرفاً أنّ فيه خمسة شهداء وهم بعين الله ومع ابن عمّ رسول الله ﷺ وكان عبدالله من متقدّمي الشجعان، والمتبرّز في الفروسيّة والمتحلّي بأعلى مراتب الإيمان، وعدّه الزهري من دُهاة العرب الخمسة كما في الإصابة ج ٢ ص ٢٨١ قال له أمير المؤمنين يوم صفّين: احمل على القوم.

---

(١) أمالي الشيخ ص ٢٣٩، الإصابة ج ١ ص ١٤١.
(٢) صفين لابن مزاحم ص ١٢٦، خصال الصدوق، شرح النهج ج ١ ص ٤٨٦. الإصابة ج ٣ ص ٣٧١.
(٣) الإصابة ج ٣ ص ٥٤٣.

فحمل عليهم بمن معه من أهل الميمنة وعليه يومئذٍ سيفان ودرعان فجعل يضرب بسيفه قدماً ويقول:

لم يبق غير الصبر والتوكّلِ　　والتُرس والرمح وسيف مصقلِ
ثمَّ التمشّي في الرعيل الأوّلِ　　مشي الجمال في حياض المنهلِ

فلم يزل يحمل حتّى انتهى إلى معاوية والّذين بايعوه إلى الموت فأمرهم أن يصمدوا لعبدالله بن بُديل وبعث إلى حبيب بن مسلمة الفهري وهو في الميسرة أن يحمل عليه بجميع من معه. واختلط الناس واضطرم الفيلقان ميمنة أهل العراق وميسرة أهل الشّام وأقبل عبدالله بن بُديل يضرب الناس بسيفه قدماً حتّى أزال معاوية عن موقفه وجعل ينادي: يا ثارات عثمان! وإنّما يعني أخاً له قُتل، وظنَّ معاوية وأصحابه أنّه يعني: عثمان بن عفان. وتراجع معاوية عن مكانه القهقرى كثيراً وأرسل إلى حبيب بن مسلمة مرّة ثانية وثالثة يستنجده ويستصرخه ويحمل حبيب حملة شديدة بميسرة معاوية على ميمنة العراق فكشفها حتّى لم يبق مع ابن بُديل إلاّ نحو مائة إنسان من القرّاء فاستند بعضهم إلى بعض يحمون أنفسهم ولجَّ ابن بُديل في الناس وصمَّم على قتل معاوية وجعل يطلب موقفه ويصمد نحوه حتّى انتهى إليه ومع معاوية عبدالله بن عامر واقفاً فنادى معاوية بالناس: ويلكم الصخر والحجارة. حتّى أثخنوه فسقط فأقبلوا عليه بسيوفهم فقتلوه، وجاء معاوية وعبدالله بن عامر حتّى وقفا عليه فأمّا عبدالله بن عامر فألقى عمامته على وجهه وترحّم عليه وكان له من قبلُ أخاً وصديقاً، فقال معاوية: اكشف عن وجهه. فقال: لا والله لا يُمثّل به وفيَّ روح فقال معاوية: اكشف عن وجهه فإنّا لا نُمثّل به قد وهبناه لك. فكشف ابن عامر عن وجهه فقال معاوية: هذا كبش القوم وربّ الكعبة اللهمّ اظفرني بالأشتر النخعي والأشعث الكندي والله ما مثل هذا إلاّ كما قال الشاعر:[١]

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضها　　وإن شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا
ويحمي إذا ما الموت كان لقاؤه　　قدى السير يحمي الأنف أن يتأخّرا

---

(١) هو حاتم الطائي من قصيدة في ديوانه ص ١٢١ ولم يرو فيه البيت الثالث.

كليث هزبر كان يحمي ذماره ... رمته المنايا قصدها فتقطّرا(١).

ثمَّ قال: إنَّ نساء خزاعة لو قدرت على أن تقاتلني فضلاً عن رجالها لفعلتْ(٢).

ومرَّ بعبدالله بن بُديل وهو بآخر رمق من حياته الأسود بن طهمان الخزاعي فقال له: عزَّ عليَّ والله مصرعك أما والله لو شهدتك لآسيتك ولدافعت عنك، ولو رأيت الَّذي أشعرك لأحببت أن لا أزيله ولا يزايلني حتّى أقتله أو يلحقني بك. ثمَّ نزل إليه فقال: رحمك الله يا عبد الله! إن كان جارك ليأمن بوائقك، وإن كنت لمن الذاكرين الله كثيراً، أوصني رحمك الله. قال: اوصيك بتقوى الله وأن تناصح أمير المؤمنين وتقاتل معه حتّى يظهر الحقّ أو تلحق بالله، وأبلغ أمير المؤمنين عنّي السّلام وقل له: قاتل على المعركة حتّى تجعلها خلف ظهرك، فإنَّه من أصبح والمعركة خلف ظهره كان الغالب. ثمَّ لم يلبث أن مات فأقبل الأسود إلى عليّ عليه السلام فأخبره فقال: رحمه الله جاهد معنا عدوَّنا في الحياة ونصح لنا في الممات.(٣).

وينمُّ عن عظمة عبدالله بن بُديل بين الصحابة العلويَّة قول ابن عدي بن حاتم رضوان الله عليه يوم صفّين:

أبعد عمّار وبعد هاشمِ ... وابن بُديلٍ فارس الملاحمِ
نرجو البقاء مثل حلم الحالمِ ... وقد عضضنا أمس بالأباهم

وقول سُليم (سليمان) بن صرد الخزاعي يوم صفّين:

يا لك يوماً كاسفاً عصبصبا ... يا لك يوماً لا يُواري كوكبا
يا أيّها الحيّ الَّذي تذبذبا ... لسنا نخاف ذا ظليم حوشبا
لأنَّ فينا بطلاً مجرَّبا ... ابن بُديل كالهزبر مغضبا

---

(١) تقطر: سقط صريعاً.

(٢) كتاب صفين لابن مزاحم ص ١٢٦، شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١ ص ٤٨٦.

(٣) كتاب صفين لابن مزاحم ص ٢٤٣ ط إيران و٥٢٠ ط مصر، شرح ابن أبي الحديد ج ٢ ص ٢٩٩.

أمسى عليٌّ عندنا محبَّبا نفديه بالأُمّ ولا نبقي أبا

وقول الشنّي في أبيات له:

فإن يك أهل الشّام أودوا بهاشم وأودوا بعمّار وأبقوا لنا ثكلا
وبابني بُديل فارسي كلِّ بُهمة وغيث خزاعيّ به ندفع المحلا[1]

وأمّا أبو المترجم عليٌّ بن رزين فكان من شعراء عصره، ترجمه المرزباني في «معجم الشعراء» ج ١ ص ٢٨٣، وجدّه رزين كان مولى عبدالله بن خلف الخزاعي أبي طلحة الطلحات كما ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء.

وعمُّ المترجم عبدالله بن رزين، أحد الشعراء كما ذكره ابن رشيق في «العمدة».

وابن عمّه أبو جعفر محمَّد أبو الشيص ابن عبدالله المذكور، شاعرٌ له ديوان عمله الصولي في مائة وخمسين ورقة، توجد ترجمته في «البيان والتبيين» ج ٣ ص ٨٣، «الشعر والشعراء» ص ٣٤٦، «الأغاني» ج ١٥ ص ١٠٨، «فوات الوفيات» ج ٢ ص ٢٥. وغيرها. وترجمه ابن المعتز في طبقاته ص ٢٦ - ٣٣ وذكر له قصائد طويلة غير أنّه عكس في اسمه واسم أبيه وذكره بعنوان: عبدالله بن محمّد. والصحيح: محمّد بن عبدالله. وعبدالله بن أبي الشيص المذكور، شاعرٌ له ديوانٌ في نحو سبعين ورقة، وذكره أبو الفرج في «الأغاني» ج ١٥ ص ١٠٨ وقال: إنّه شاعرٌ صالح الشعر وكان منقطعاً إلى محمّد بن طالب فأخذ منه جامع شعر أبيه ومن جهته خرج إلى الناس. وترجمه ابن المعتز في طبقاته ص ١٧٣.

أبو الحسن عليّ أخو دعبل

كان شاعراً له ديوان شعر نحو خمسين ورقة كما في فهرست ابن النديم، سافر مع أخيه المترجم إلى أبي الحسن الرِّضا سلام الله عليه سنة ١٩٨ وحظيا

---

(١) البهمة بالضم: الجيش. المحل: الخديعة والكيد. الشدة. الجدب.

بحضرته الشريفة مدَّة طويلة، قال أبو الحسن عليّ هذا: رحلنا أنا ودعبل سنة ١٩٨ إلى سيِّدي أبي الحسن عليٍّ بن موسى الرِّضا فأقمنا عنده إلى آخر سنة مأتين وخرجنا إلى قم بعد أن خلع سيِّدي أبو الحسن الرِّضا على أخي دعبل قميصاً خزّاً أخضر وخاتماً فصّه عقيق، ودفع إليه دراهم رضويَّة وقال له: يا دعبل! صر إلى قم فإنَّك تفيد بها. فقال له: احتفظ بهذا القميص فقد صلّيت فيه ألف ليلة ألف ركعة وختمت فيه القرآن ألف ختمة[1]. ولد سنة ١٧٢ وتوفّي سنة ٢٨٣.

وخلف أبا القاسم إسماعيل بن عليّ الشهير بالدعبلي المولود سنة ٢٥٧، يروي كثيراً عن والده أبي الحسن كان مقامه بواسط وولي الحسبة[2] بها. له كتاب تاريخ الأئمَّة، وكتاب النكاح.

رزين أخو دعبل

وأخوه هذا أحد شعراء هذا البيت ولدعبل فيه أبيات في تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ١٣٩ وقال الأزدي: وخرج إبراهيم بن العبّاس ودعبل ورزين ابني عليّ رجالة إلى بعض البساتين (أو: إلى زيارة أبي الحسن الرِّضا عليه السَّلام كما في روايه العيون) فلقوا جماعة من أهل السواد من حمّال الشوك فأعطوهم شيئاً وركبوا حميرهم فقال إبراهيم:

أُعيدت بعد حمل الشو ... ك أحمالاً من الخزفِ
نشاوى لا من الخمرة ... بل من شدَّة الضعفِ

ثمَّ قال لرزين: أجزها. فقال:

فلو كنتم على ذاك ... تصيرون إلى القصفِ
تساوت حالكم فيه ... ولا تبقوا على الخسفِ

---

(١) فهرست النجاشي ص ١٩٧، أمالي الشيخ ص ٢٢٩.
(٢) يأتي كلامنا في الحسبة في الجزء الرابع عند ترجمة ابن الحجاج البغدادي.

ثمّ قالا لدعبل: أجز يا أبا عليّ! فقال:

فإذ فات الذي فات فكونوا من ذوي الظرفِ
وخفّوا نقصف اليوم فإنّي بايعٌ خفّي

بدائع البداية ج ٢ ص ٢١٠.

أما المترجم

فهو دعبل[١] يكنى أبا عليّ عند الجميع وعن ابن أيّوب[٢] أبو جعفر. وفي الأغاني عن ابن أيّوب: إنّ اسمه محمّد، وفي تاريخ الخطيب ج٨ ص ٣٨٣: زعم أحمد بن القاسم انّ اسمه الحسن، وقال ابن أخيه إسماعيل: اسمه عبدالرّحمن. وقال غيرهما: محمّد. وعن إسماعيل: إنّما لقّبته دايته بدعبل لدعابة كانت فيه فأرادت ذعبلاً فقلبت الذال دالاً.

يُقال: أصله كوفيٌّ كما في كثير من المعاجم، وقيل: من قرقيسا. وكان أكثر مقامه ببغداد وخرج منها هارباً من المعتصم لمّا هجاه وعاد إليها بعد ذلك وجوّل في الآفاق فدخل البصرة ودمشق ومصر على عهد المطلب بن عبدالله بن مالك المصريّ وولاه أسوان فلمّا بلغ هجاؤه إيّاه عزله فأنفذ إليه كتاب العزل مع مولى له وقال: انتظره حتى يصعد المنبر يوم الجمعة فإذا علاه فأوصل الكتاب إليه وامنعه من الخطبة وأنزله عن المنبر واصعد مكانه. فلمّا أن علا المنبر وتنحنح ليخطب ناوله الكتاب فقال له دعبل: دعني أخطب فإذا نزلت قرأته قال: لا، قد أمرني أن أمنعك الخطبة حتّى تقرأه. فقرأه وأنزله عن المنبر معزولاً وخرج منها إلى المغرب إلى بني الأغلب.

الأغاني ج ١٨ ص ٤٨.

سافر إلى الحجاز مع أخيه رزين، وإلى الري وخراسان مع أخيه عليّ، وقال أبو الفرج[٣]: كان دعبل يخرج فيغيب سنين يدور الدنيا كلّها ويرجع وقد

---

(١) الدعبل: الناقة التي معها ولدها. البعير المسن. الشيء القديم (الأغاني).
(٢) في الأغاني. ومعاهد التنصيص. ونهاية الارب.
(٣) في الأغاني ج ١٨ ص ٣٦.

أفاد وأثرى، وكانت الشراة والصعاليك يلقونه ولا يؤذونه ويُواكلونه ويُشاربـونه ويبرّونه وكان إذا لقيهم وضع طعامه وشرابه ودعاهم إليه، ودعا بغلاميه: ثقيف وشعف. وكانا مغنيين فأقعـدهما يغنيـان، وسقاهم وشـرب معهم، وأنشدهم فكانوا قد عرفوه وألفوه لكثرة أسفاره وكانوا يُواصلونه ويصلونه، وأنشد دعبـل لنفسه في بعض أسفاره:

حللت محلاً يقصر البرق دونه ويعجز عنه الطيف أن يتجشّما

وقال ابن المعتز في طبقاته ص ١٢٥: وكان يجتاز بقم فيقيم عند شيعتها فيقسطون له في كلّ سنة خمسة آلاف درهم.

يقع البحث في ترجمته من نواحي أربع.

١ ـ تهالكه في ولاء أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم.

٢ ـ نبوغه في الشعر والأدب والتاريخ وتآليفه.

٣ ـ روايته للحديث والرواة عنه ومن يروي هو عنه.

٤ ـ سيره مع الخلفاء. ثم ملحه ونوادره ثم ولادته ووفاته.

أمّـا الاولى

فجليّة الحال فيها غنيّةٌ عن البرهنة عليها فما ظنّك برجل كان يُسمع منه وهو يقول: أنا أحمل خشبتي على كتفي منـذ خمسين سنة لست أجـد أحداً يصلبني عليها. وقيل للوزير محمّد بن عبد الملك الزيات. لَم لا تُجيب دعبلاً عن قصيدته الّتي هجاك فيها؟! قال: إنَّ دعبلاً جعل خشبته على عنقه يدور بها يطلب من يصلبه عليها منذ ثلاثين سنة وهو لا يُبالي[1].

كلّ ذلك من جرّاء ما كان يُنافح ويُناطح ويُناضل ويُنازل في الذبّ عن البيت النبويّ الطاهر، والتجاهر بموالاتهم، والوقيعة في مناوئيهم، لا يقرّ بـه

---

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٢٥.

قرارٌ، فلا يُقلّه مأمنٌ ولا يُظلّه سقف منتجع، وما زالت تتقاذف به أجواز الفلا فرَقاً من خلفاء الوقت، وأعداء العترة الطاهرة، ومع ذلك كلّه فقصائده السائرة تلهج بها الركبان، وتزدان بها الأندية، وهي مسرّات للموالين، ومحفظاتٌ للأعداء، ومثيرات للعهن والضغائن حتّى قُتل على ذلك شهيداً.

وما يُنقم من المترجم له من التوغّل في الهجاء في غير واحد من المعاجم فإنّ نوع ذلك الهجو والسباب المُقذع فيمن حسبهم أعداءً للعترة الطاهرة وغاصبي مناصبهم، فكان يتقرّب به إلى الله وهو من المقرّبات إليه سبحانه زُلفى، وانّ الولاية لا تكون خالصة إلّا بالبراءة ممّن يُضادُّها ويُعاندها كما تبرّأ الله ورسوله من المشركين، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، غير أنّ أكثر أرباب المعاجم من الفئة المتحيِّزة إلى أعداء هذا البيت الطاهر حسبوا ذلك منه ذنباً لا يُغفر كما هو عادتهم في جلّ رجالات الشيعة.

أمّا نبوغه في الأدب

فأيّ برهنة له أوضح من شعره السائر؟! الّذي تلهج به الألسن، وتتضمّنه طيّات الكتب، ويُستشهد به في إثبات معاني الألفاظ وموادّ اللغة، ويُهتف به في مجتمعات الشيعة آناء الليل وأطراف النّهار، ذلك الشعر السهل الممتنع الّذي يحسب السامع لأوّل وهلة أنّه يأتي بمثيله ثمّ لَمّا خاض غماره، وطفق يرسب ويطفو بين أواذيّه، علم أنّه قصير الباع، قصير الخُطا، قصير المقدرة عن أن يأتي بما يُدانيه فضلاً عمّا يُساويه.

كان محمّد بن القاسم بن مهرويه يقول: سمعت أبي يقول: خُتم الشعر بدعبل. وقال البحتري: دعبل بن عليّ أشعر عندي من مسلم بن الوليد فقيل له: كيف ذلك؟! قال: لأنّ كلام دعبل أدخل في كلام العرب من كلام مسلم، ومذهبه أشبه بمذاهبهم وكان يتعصّب له[1].

وعن عمرو بن مسعدة قال: حضرت أبا دلف عند المأمون وقد قال له

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ١٨، ٣٧.

المأمون أيَّ شيءٍ تروي لأخي خزاعة يا قاسم؟! فقال: وأيّ أخي خزاعة يا أمير المؤمنين؟ قال: ومَن تعرف فيهم شاعراً؟! فقال: أمّا من أنفسهم فأبو الشيص ودعبل وابن أبي الشيص وداود بن أبي رزين، وأمّا من مواليهم فطاهر وابنه عبدالله. فقال: ومَن عسى في هؤلاء أن يُسئل عن شعره سوى دعبل؟! هات أيّ شيء عندك فيه. وقال الجاحظ: سمعت دعبل بن عليّ يقول: مكثت نحو ستّين سنة ليس من يوم ذرّ شارقه إلاّ وأنا أقول فيه شعراً[1]. ولَمّا أنشد دعبل أبا نواس شعره:

أين الشباب؟! وأيّة سلكا؟! ... لا أين يُطلب؟! ضلّ بل هلكا
لا تعجبي يا سلم من رجل ... ضحك المشيب برأسه فبكى

فقال: أحسنت ملء فيك وأسماعنا. قال محمّد بن يزيد: كان دعبل والله فصيحاً[2] وهناك كلماتٌ ضافيه حول أدبه والثناء عليه لا يهمّنا ذكرها.

أخذ الأدب عن صريع الغواني مسلم بن الوليد[3] واستقى من بحره وقال: ما زلت أقول الشعر وأعرضه على مسلم فيقول لي: أُكتم هذا حتّى قلت:

أين الشباب؟! وأيّة سلكا؟! ... لا أين يطلب؟! ضلّ بل هلكا

فلمّا أنشدته هذه القصيدة قال: اذهب الآن فأظهر شعرك كيف شئت لمن شئت. وقال أبو تمام: ما زال دعبل ماثلاً إلى مسلم بن وليد مقرّاً بأستاذيّته حتّى ورد عليه جرجان فجفاه مسلم وكان فيه بخلٌ فهجره دعبل وكتب إليه:

أبا مخلد كنّا عقيدي مودّةٍ ... هواناً وقلباناً جميعاً معاً معا
أحوطك بالغيب الذي أنت حائطي ... وأنجع إشفاقاً لأن تتوجّعا
فصيّرتني بعد انتحائك متهماً ... لنفسي عليها أرهب الخلق أجمعا
عششت الهوى حتّى تداعت أُصوله ... بنا وابتذلت الوصل حتّى تقطّعا

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٤٤.
(٢) تاريخي ابن خلكان وابن عساكر.
(٣) كان شاعراً متصرفاً في فنون القول حسن الأسلوب أستاذ الفن: ويقال: انه أول من قال الشعر المعروف بالبديع ووسعه وتبعه فيه أبو تمام وغيره توفّي بجرجان سنة ٢٠٨.

وأنزلت من بين الجوانح والحشى ذخيرة ودّ طالما قد تمنّعا
فلا تعذلنّي ليس لي فيك مطمعٌ تخرّقت حتّى لم أجد لك مرقعا
فهبك يميني استأكلت فقطعتها وجشّمت قلبي صبره فتشجّعا(١)

ويروي عنه في الأدب محمّد بن يزيد. والحمدوي الشاعر، ومحمّد بن القاسم بن مهرويه، وآخرون.

آيات نبوغه

له كتاب: الواحدة. في مناقب العرب ومثالبها. وكتاب: طبقات الشعراء. وهو من التآليف القيّمة، والأصول المعوّل عليها في الأدب والتراجم، ينقل عنه كثيراً المرزباني في معجم الشعراء ص ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤٥، ٢٦٧، ٣٦١، ٤٣٤، ٤٧٨. والخطيب البغدادي في تاريخه ج ٢ ص ٣٤٢ وج ٤ ص ١٤٣ وابن عساكر في تاريخه ج ٧ ص ٤٦، ٤٧. وابن خلّكان في تاريخه ج ٢ ص ١٦٦. واليافعي في المرآة ج ٢ ص ١٢٣. وأكثر النقل عنه ابن حجر في الإصابة ج ١ ص ٦٩، ١٣٢، ١٧٢، ٣٧٠، ٤١١، ٥٢٥، ٥٢٧، وج ٢ ص ٩٩، ١٠٣، ١٠٨. وج ٣ ص ٩١ و١١٩، ١٢٣، ٢٧٠، ٥٦٥، وج ٤ ص ٧٤، ٥٦٥ وغيرها.

وأحسب أنّه كتابٌ ضخمٌ مبوّبٌ على البلدان كيتيمة الدهر للثعالبي ففيه:

أخبار شعراء البصرة. وبهذا العنوان ينقل عنه الآمدي في [المؤتلف والمختلف] ص ٦٧، وابن حجر في «الإصابة» ج٣ ص ٢٧٠.

أخبار شعراء الحجاز. وبهذا الاسم ينقل عنه ابن حجر في الإصابة ج ٤ ص ٧٤، ١٦٣، ويقول: ذكر دعبل في طبقات الشعراء في أهل الحجاز.

أخبار شعراء بغداد. ينقل عنه باسم كتاب شعراء بغداد الآمدي في «المؤتلف» ص ٦٧.

---

(١) ويروى: وحملت قلبي فقدها. الأغاني ج ١٨ ص ٤٧.

وله ديوان شعر مجموع كما في تأريخ ابن عساكر. وقال ابن النديم: عمله الصولي نحو ثلاثمائة ورقة. وعدّ في فهرسته ٢١٠ من تآليف أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر: كتاب: إختيار شعر دعبل.

ومن آيات نبوغه: قصيدته في ذكر مناقب اليمن وفضائلها من ملوكها وغيرهم على نحو ستمائة بيتاً كما في [نشوار المحاضرة] للتنوخي ص ١٧٦. مطلعها:

أفيقي من ملامك يا طعينا　　　كفاك اللوم مرّ الأربعينا

يردُّ بها على الكميت في قصيدته التي يمتدح بها نزاراً وهي ثلاثمائة بيت أوّلها:

ألا حيّيت عنّا يا مدينا　　　وهل ناسٌ تقول مسلّمينا؟!

قالها الكميت ردّاً على الأعور الكلبي في قصيدته الّتي أوّلها:

أسودينا وأحمرينا　　　.....

فرأى دعبل النبيَّ ﷺ في النوم فنهاه عن ذكر الكميت بسوء. ولم يزل دعبل كان عند الناس جليل القدر حتّى ردّ على الكميت فكان ممّا وضعه[1] وردّ عليه أبو سعد المخزومي بقصيدة. وعلى أثر هذه المناجزة والمشاجرة افتخرت نزار على اليمن وافتخرت اليمن على نزار؛ وأدلى كلُّ فريق بما له من المفاخر، وتحزّبت الناس، وثارت العصبيّة في البدو والحضر فنتج بذلك أمر مروان بن محمّد الجعدي، وتعصّبه لقومه من نزار على اليمن، وانحرف اليمن عنه إلى الدعوة العباسيّة وتغلغل الأمر إلى انتقال الدولة عن بني اميّة إلى بني هاشم، ثمّ ما تلا ذلك من قصّة معن بن زائدة باليمن، وقتله أهلها تعصّباً لقومه من ربيعة وغيرها من نزار، وقطعه الحلف الذي كان بين اليمن وربيعة في القدم. إلى آخر ما في مروج الذهب ج ٢ ص ١٩٧.

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٢٩، ٣١.

أما روايته في الحديث:

فعدَّه ابن شهر اشوب في «المعالم» ص ١٣٩ من أصحاب الكاظم والرِّضا عليهما السّلام، وحكى النجاشي في فهرسته ص ١٩٨ عن ابن أخيه: إنّه رأى موسى بن جعفر ولقي أبا الحسن الرِّضا. وقد أدرك الإمام محمَّد بن عليٍّ الجواد عليه السّلام ولقيه، وروى الحميري في «الدلائل» وثقة الإسلام الكليني في «اصول الكافي»: إنّه دخل على الرِّضا عليه السلام فأعطاه شيئاً فلم يحمد الله تعالى فقال: لِمَ لم تحمد الله تعالى؟! ثمَّ دخل على الجواد فأعطاه فقال: الحمد لله. فقال عليه السلام: تأدَّبت.

ويروي شاعرنا عن جماعة منهم:

١ - الحافظ شعبة بن الحجّاج المتوفّى سنة ١٦٠[1] وبهذا الطريق يُروى عنه الحديث في كتب الفريقين كما في أمالي الشيخ ص ٢٤٠. وتاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨.

٢ - الحافظ سفيان الثوري المتوفّى سنة ١٦١ (تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).

٣ - إمام المالكيّة مالك بن أنس المتوفّى سنة ١٧٩ (تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).

٤ - أبو سعيد سالم بن نوح البصري المتوفّى بعد المأتين (تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).

٥ - أبو عبدالله محمّد بن عمرو الواقدي المتوفّى سنة ٢٠٧ (تأريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٢٨).

٦ - الخليفة المأمون العبّاسي المتوفّى سنة ٢١٨، تأريخ الخلفاء ص ٢٠٤، ٢٢٨.

---

(١) يروي عنه وعن الثوري وهو لم يبلغ الحلم.

٧ ـ أبو الفضل عبدالله بن سعد الزهري البغدادي المتوفّى سنة ٢٦٠، يروي عنه عن ضمرة عن ابن شوذب عن مطر عن ابن حوشب عن أبي هريرة حديث صوم الغدير المذكور ج ١ ص ٤٠١[1].

٨ ـ محمّد بن سلامة يروي عنه بطريقه شيخ الطائفة في أماليه ص ٢٣٧ عن أمير المؤمنين عليه السلام خطبته الشهيرة بالشقشقيّة التي أوّلها: والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة، وإنّه ليعلم أنَّ محلّيَ منها محلُّ القطب من الرحى؛ ينحدر عني السّيلُ ولا يرقى إليَّ الطير ولكنّي سدلت عنها ثوباً، وطويت عنها كشحا.

٩ ـ سعيد بن سفيان الأسلمي المدني. (أمالي الشيخ ص ٢٢٧)

١٠ ـ محمّد بن إسماعيل «مشترك» (أمالي الشيخ ص ٢٢٧)

١١ ـ مجاشع بن عمر يروي عنه عن مسيرة عن الجزري عن ابن جُبير عن ابن عبّاس أنّهُ سئل عن قول الله عزَّ وجلَّ: وعد الله الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات منهم مغفرةً وأجراً عظيما.

الحديث. أمالي الشيخ ص ٢٤٠.

١٢ ـ موسى بن سهل الراسبي، ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٣٤٨ شيخاً للمترجم له ولم يعرفه.

وعدَّ ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٢٨ ممّن يقال برواية المترجم عنه: يحيى بن سعيد الأنصاري وخفي عليه أنّ يحيى الأنصاري توفّي سنة ١٤٣ قبل ولادة المترجم بسنين.

والرّواة عن المترجم هم

١ ـ أبو الحسن عليّ أخوه كما في كثير من كتب الحديث والمعاجم.

٢ ـ موسى بن حمّاد اليزيدي. فهرست النجاشي ص ١١٧.

---

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى ص ٢.

٣ - أبو الصلت الهروي المتوفّى سنة ٢٣٦. في مصادر كثيرة.

٤ - هارون بن عبدالله المهلبي. في الأمالي والعيون.

٥ - عليّ بن الحكيم. في اصول الكافي.

٦ - عبدالله بن سعيد الأشقري. الأغاني وغيره.

٧ - موسى بن عيسى المروزي.الأغاني وغيره.

٨ - ابن المنادي أحمد بن أبي داود المتوفّى سنة ٢٧٢. تاريخ ابن عساكر(١).

٩ - محمَّد بن موسى البُريري. تاريخ ابن عساكر.

أمّا سيره مع الخلفاء والوزراء

فهذه ناحيةٌ واسعة النطاق، طويلة الذيل، يجد الباحث في طيّات كتب التاريخ ومعاجم الأدب المفصَّلة حولها كراريس مسطَّرة فيها لغو الحديث نضرب عنها صفحاً ونقتطف منها النزر اليسير.

١ - عن يحيى بن أكثم قال: إنّ المأمون أقدم دعبل رحمه الله وآمنه على نفسه فلمّا مثل بين يديه وكنت جالساً بين يدي المأمون فقال له :أنشدني قصيدتك «الرائيّة» فجحدها دعبل وأنكر معرفتها، فقال له: لك الأمان عليها كما أمنتك على نفسك. فأنشده:

تأسَّفت جارتي لَمّا رأت زوري ... وعدّت الحلم ذنباً غير مغتفرِ
ترجو الصبى بعدما شابت ذوائبها ... وقد جرت طلقاً في حلبة الكبرِ
أجارتي إنَّ شيب الرأس يُعلمني ... ذكر المعاد وأرضاني عن القدرِ
لو كنت أركن لِلدنيا وزينتها ... إذاً بكيت على الماضين من نفرِ
أخنى الزمان على أهلي فصدَّعهم ... تصدُّع الشيب لاقى صدمة الحجرِ

---

(١) ج ٥ ص ٢٢٨. وابن المنادي في المعاجم: محمد بن عبيدالله.

بعضٌ أقام وبعضٌ قد أصار به   داعي المنيَّة والباقي على الأثرِ
أمّا المقيم فأخشى أن يُفارقني   ولست أوبة من ولّى بمنتظرِ
أصبحت أخبر عن أهلي وعن ولدي   كحالم قصَّ رؤياً بعد مدّكرِ
لولا تشاغل عيني بالأولى سلفوا   من أهل بيت رسول الله لم أقرِ
وفي مواليك للحرِّين مشغلةٌ   من أن تبيت لمشغول على أثرِ
كم من ذراع لهم بالطفّ بائنةٍ   وعارضٍ بصعيد الترب مُنعفرِ
أمسى الحسين ومسراهم لمقتله   وهم يقولون: هذا سيِّد البشرِ
يا أمّة السوء ما جازيت أحمد في   حسن البلاء على التنزيل والسورِ
خلفتموه على الأبناء حين مضى   خلافة الذئب في إنفاد ذي بقرِ

قال يحيى: وأنفذني المأمون في حاجة فقمت فعدت إليه وقد انتهى إلى قوله:

لم يبق حيٌّ من الأحياء نعلمه   من ذي يمان ولا بكر ولا مضرِ
إلّا وهم شركاءٌ في دمائهم   كما تُشارك ايسارٌ على جزرِ
قتلاً وأسراً وتخويفاً ومنهبةً   فعل الغزاة بأرض الروم والخزرِ
أرى اميَّة معذورين إن قتلوا   ولا أرى لبني العبّاس من عذرِ
قومٌ قتلتم على الإسلام أوّلهم   حتّى إذا استمكنوا جازوا على الكفر
أبناء حربٍ ومروانٍ وأسرتهم   بنو مُعيط وُلاة الحقد والزعر
إربع بطوس على قبر الزكيِّ بها   إن كنت تربع من دين على وطرِ
قبران في طوس خير النّاس كلّهمُ   وقبر شرّهمُ هذا من العبر
ما ينفع الرِّجس من قبر الزكّي ولا   على الزكيِّ بقرب الرِّجس من ضررِ
هيهات كلُّ امرىء رهن بما كسبت   له يداه فخذ ما شئت أو فذرِ

قال: فضرب المأمون عمامته الأرض وقال: صدقت والله يا دعبل[1].

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٥٧. تاريخ ابن عساكر ج ٥ ص ٢٣٣. أمالي المفيد. أمالي الشيخ ص ٦١.

روى شيخنا الصّدوق في أماليه ص ٣٩٠ بإسناده عن دعبل انّه قال: جائني خبر موت الرّضا عليه السلام وأنا مقيمٌ بقم فقلت القصيدة الرائيَّة. ثمَّ ذكر أبياتاً منها.

٢ - دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون فشكى إليه حاله وقال: يا أمير المؤمنين إنّ الله سبحانه وتعالى فضّلك في نفسك عليَّ، وألهمك الرأفة والعفو عنّي، والنسب واحدٌ، وقد هجاني دعبل فانتقم لي منه فقال: وما قال؟! لعلَّ قوله:

نعر ابن شكلة بالعراق وأهله ... فهفا إليه كلّ أطلس مائقِ

وأنشده الأبيات فقال: هذا من بعض هجائه وقد هجاني بما هو أقبح من هذا فقال المأمون: لك أُسوة بي فقد هجاني واحتملته، وقال فيَّ [1]:

أيسومني المأمون خطّة جاهل ... أو ما رأى بالأمس رأس محمَّدِ؟!
إنّي من القوم الّذين سيوفهم ... قتلت أخاك وشرّفتك بمقعدِ [2]
شادوا بذكرك بعد طول خمولة ... واستنقذوك من الحضيض الأوهدِ

فقال إبراهيم: زادك الله حلماً يا أمير المؤمنين وعلماً، فما ينطق أحدنا إلاّ عن فضل علمك، ولا تحمل إلا اتّباعاً لحلمك.

٣ - حدَّث ميمون بن هرون قال: قال إبراهيم بن المهدي للمأمون قولاً في دعبل يحرِّضه عليه فضحك المأمون وقال: إنَّما تحرِّضني عليه لقوله فيك:

يا معشر الأجياد لا تقنطوا ... وارضوا بما كان ولا تسخطوا
فسوف تُعطون حُنينيَّةً ... يلتذُّها الأمرد والأشمطُ
والمعبديّات لقوّادكم ... لا تدخل الكيس ولا تربطُ

---

(١) أول القصيدة:

أخذ المشيب من الشباب الأغيد ... والنائبات من الأنام بمرصد

(٢) أشار إلى قضية طاهر الخزاعي وقتله الأمين محمد بن الرشيد وبذلك ولي المأمون الخلافة.

وهكذا يرزق قوّاده خليفةٌ مصحفة البربطُ

فقال له إبراهيم: فقد والله هجاك أنت يا أمير المؤمنين. فقال: دع هذا عنك، فقد عفوت عنه في هجائه إيّاي لقوله هذا. وضحك ثمَّ دخل أبو عبّاد فلمّا رآه المأمون من بُعد قال لإبراهيم: دعبل يجسر على أبي عبّاد بالهجاء ولا يحجم عن أحد. فقال له: وكان أبو عبّاد أبسط يداً منك؟! قال: لا، ولكنه حديدٌ جاهلٌ لا يُؤمن وأنا أحلم وأصفح، والله ما رأيت أبا عبّاد مقبلاً إلاّ أضحكني قول دعبل فيه:

أولى الأمور- بضيعة وفسادِ أمرٌ يُدبِّره أبو عبّاد[1]

٤ ـ حدَّث أبو ناجية قال: كان المعتصم يبغض دعبلاً لطول لسانه وبلغ دعبلاً أنّه يُريد اغتياله وقتله فهرب إلى الجبل وقال يهجوه:

بكى لشتات الدين مكتئبٌ صبُّ وفاض بفرط الدمع من عينه غربُ

وقام إمامٌ لم يكن ذا هداية فليس له دينٌ وليس له لبُّ

وما كانت الأنباء تأتي بمثله يُملّك يوماً أو تدين له العربُ

ولكن كما قال الّذين تتابعوا من السلف الماضين إذ عظم الخطبُ

ملوك بني العبّاس في الكتب سبعةٌ ولم تأتنا عن ثامن لهم كُتب

كذلك أهل الكهف في الكهف سبعةٌ خيارٌ إذا عُدّوا وثامنهم كلبُ

وإنّي لأُعلي كلبهم عنك رفعةً لأنَّك ذو ذنبٍ وليس له ذنبُ

لقد ضاع ملك الناس إذ ساس ملكهم وصيفٌ وأشناسٌ وقد عظم الكربُ

وفضل بن مروان يثلم ثلمة يظلّ لها الإسلام ليس له شعبُ

٥ ـ حدَّث ميمون بن هارون قال: لَمّا مات المعتصم، قال محمَّد بن عبد الملك الزيّات يرثيه:

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا في خير قبر لخير مدفونِ

: لن يجبر الله امّةً فقدت مثلك إلاّ بمثل هارونِ

---

(١) توجد بقية الأبيات في الأغاني ج ١٨ ص ٣٩.

فقال دعبل يعارضه:

قد قلت إذ غيّبوه وانصرفوا   في شرّ قبر لشرّ مدفونِ
: اذهب إلى النار والعذاب فما   خلتك إلّا من الشياطينِ
ما زلت حتّى عقدت بيعة من   أضرّ بالمسلمين والدينِ

٦ ـ حدَّث محمَّد بن قاسم بن مهرويه قال: كنت مع دعبل بالضميرة وقد جاء نعي المعتصم وقيام الواثق فقال لي دعبل: أمعك شيء تكتب فيه؟! فقلت: نعم، وأخرجت قرطاساً فأملى عليَّ بديهاً:

الحمد لله لا صبر ولا جلدُ   ولا عزاء إذا أهل البلا رقدوا
خليفةٌ مات لم يحزن له أحدٌ   وآخرٌ قام لم يفرح به أحدُ

٧ ـ حدَّث محمَّد بن جرير قال: أنشدني عبيدالله بن يعقوب هذا البيت وحده لدعبل يهجو به المتوكل وما سمعت له غيره فيه:

ولست بقائل قذعاً ولكن   لأمر ما تعبَّدك العبيدُ

قال: يرميه في هذا البيت بالأُبنة.

٨ ـ دخل عبدالله بن طاهر على المأمون فقال له المأمون: أيّ شيء تحفظ يا عبد الله لدعبل؟! فقال: أحفظ أبياتاً له في أهل بيت أمير المؤمنين. قال: هاتها ويحك. فأنشده عبدالله قول دعبل:

سقياً ورعياً لأيام الصباباتِ   أيّام أرفل في أثواب لذّاتي
أيّام غصني رطيبٌ من ليانته   أصبو إلى خير جاراتٍ وكنّاتِ
دع عنك ذكر زمان فات مطلبه   واقذف برجلك عن متن الجهالاتِ
واقصد بكلّ مديحٍ أنت قائله   نحو الهداة بني بيت الكراماتِ

فقال المأمون: إنَّه قد وجد والله مقالاً ونال ببعيد ذكرهم ما لا يناله في وصف غيرهم. ثمَّ قال المأمون: لقد أحسن في وصف سفر سافره فطال ذلك السفر عليه فقال فيه:

ألم يأن للسفر الذين تحمّلوا   إلى وطن قبل الممات رجوعُ؟!

فقلت ولم أملك سوابق عبـرةٍ نطقن بما ضمّت عليه ضلوعُ
تبين فكم دار تفرّق شملها وشمل شتيت عاد وهو جميعُ
كذاك الليالي صرفهنّ كما ترى لكلّ أُناس جدبـة وربيعُ

ثمّ قال: ما سافرت قطُّ إلّا كانت هذه الأبيات نصب عينيَّ في سفري وهجيرتي ومسيلتي حتّى أعود.

٩ ـ حدّث ميمون بن هارون قال: كان دعبل قد مدح دينار بن عبدالله وأخاه يحيى فلم يرضيا فعله فقال يهجوهما:

ما زال عصياننا لله يرذلنا حتّى دفعنا إلى يحيى ودينارِ
وغدين عجلين لم تقطع ثمارهما قد طال ما سجدا للشمس والنارِ

قال: وفيهما وفي الحسن بن سهل والحسن بن رجاء وأبيه يقول دعبل:

ألا فاشتروا منّي ملوك المخزّم أبع حسناً وابني رجاء بدرهمِ
وأعط رجاءً فوق ذاك زيادة وأسمع بدينار بغير تندمِ
فإن رُدَّ من عيب عليَّ جميعهم فليس يردّ العيب يحيى بن أكثمِ

ملح ونوادر

١ ـ حدّث أحمد بن خالد قال: كنّا يوماً بدار صالح بن عليّ، من عبد القيس ببغداد ومعنا جماعةٌ من أصحابنا، فسقط على كنيسة في سطحه ديكٌ طار من دار دعبل فلمّا رأيناه قلنا: هذا صيدنا فأخذناه فقال صالح: ما نصنع به؟! قلنا: نذبحه. فذبحناه وشويناه فخرج دعبل وسأل عن الديك، فعرف انّه سقط في دار صالح فطلبه منّا فجحدناه وشربنا يومنا فلمّا كان من الغد، خرج دعبل فصلّى الغداة ثمّ جلس على المسجد، وكان ذلك المسجد مجمع الناس يجتمع فيه جماعةٌ من العلماء وينتابهم الناس فجلس دعبل على المسجد، وقال.

أسر المؤذّن صالحٌ وضيوفه أسر الكميِّ هفا خلال الماقطِ
بعثوا عليه بنيهمُ وبناتهم من بين ناتفة وآخر سامطِ

يتنـازعـون كـأنّهم قـد أوثقوا　　خاقان أو هزموا كتائب ناعطِ[1]
نهشـوه فانتـزعت له أسنـانهم　　وتهشّمت أقفـاؤهـم بالحائط

فكتبها الناس عنه ومضوا فقـال لي أبي وقد رجـع إلى البيت: ويحكم ضاقت عليكم المآكل فلم تجدوا شيئاً تأكلونه سوى ديك دعبل؟! ثمّ أنشدنا الشعر وقال لي: لا تدع ديكاً ولا دجاجة تقدر عليه إلاّ اشتريته وبعثت به إلى دعبل وإلاّ وقعنا في لسانه ففعلت ذلك.

٢ ـ عن إسحاق النخعي قال: كنت جالساً مع دعبل بالبصرة وعلى رأسه غلامه ثقيف فمرَّ به أعرابيٌّ يرفـل في ثياب خـزّ فقال لغـلامه: أُدع لي هـذا الأعرابي فأومأ الغلام إليه فجاء فقال له دعبل: ممَّن الرجـل؟! قال: من بني كلاب. قال: من أيِّ وُلد كلاب أنت؟! قال: من وُلد أبي بكر. فقال دعبل: أتعرف القائل:

ونبّأت كلباً من كـلاب يسبّني　　ومحض كلاب يقطع الصَّلواتِ
فـإن أنا لم أعلم كـلاباً بـأنّها　　كـلابٌ وانّي باسـل النقمـاتِ
فكان إذاً من قيس عيلان والدي　　وكانت إذاً امّي من الحبطاتِ

قال: هذا الشعر لدعبـل يقولـه في عمرو بن عـاصم الكلابي فقـال له الأعرابيّ: ممَّن أنت؟! فكره أن يقول من خزاعة فيهجوهم فقال: انا أنتمي إلى القوم الّذين يقول فيهم الشاعر:

أُناسٌ عليُّ الخير منهم وجعفرُ　　وحمـزةُ والسجّادُ ذو الثفنـاتِ
إذا فخـروا يومـاً أتـوا بمحمّد　　وجبريل والفـرقان والسـوراتِ

فوثب الأعرابيُّ وهو يقول: ما لي إلى محمَّد وجبريل والفرقان والسورات مرتقى.

٣ ـ حدَّث الحسين بن أبي السرى قال: غضب دعبل على أبي نصر بن

---

(١) ناعط: قبيلة من همدان. وأصله جبل نزلوا به فنسبوا إليه.

جعفر بن محمَّد بن الأشعث وكان دعبل مؤدِّبه قديماً لشيء بلغه عنه فقال يهجو أباه:

ما جعفر بن محمَّد بن الأشعث ... عندي خير أُبوَّة من عثعثِ
عبثاً تمارس بي تمارس حيَّة ... سوارت إن هجتها لم تلبثِ
لو يعلم المغرور ماذا حاز من ... خزي لوالده إذاً لم يعبثِ

قال: فلقيه عثعث فقال له: أي شيء كان بيني وبينك؟! حتى ضربت بي المثل في خسَّة الآباء. فضحك دعبل وقال: لا شيء والله إلّا إتِّفاق اسمك واسم ابن الأشعث في القافية، أو لا ترضى أن أجعل أباك وهو أسود خيراً من آباء الأشعث بن قيس؟!

٤ ـ عن الحسين بن دعبل قال: قال أبي في الفضل بن مروان:

نصحت فأخلصت النصيحة للفضلِ ... وقلت فسيَّرت المقالة في الفضلِ
ألا إنّ في الفضل بن سهل لعبرةً ... إن اعتبر الفضل بن مروان بالفضلِ
وللفضل في الفضل بن يحيى مواعظٌ ... إذا فكَّر الفضل بن مروان في الفضلِ
فأبق حميداً من حديث تفز به ... ولا تدع الإحسان والأخذ بالفضلِ
فإنَّك قد أصبحت للملك قيِّماً ... وصرت مكان الفضل والفضل والفضلِ
ولم أر أبياتاً من الشعر قبلها ... جميع قوافيها على الفضل والفضلِ
وليس لها عيبٌ إذا هي أُنشدت ... سوى أنَّ نصحي الفضل كان من الفضلِ

فبعث إليه الفضل بن مروان بدنانير وقال له: قد قبلت نصحك فاكفني خيرك وشرَّك[1].

نماذج من شعر دعبل في المذهب

قال في رثاء الإمام السبط الشهيد عليه السلام:

أتسكب دمع العين بالعبراتِ؟! ... وبتَّ تقاسي شدَّة الزفراتِ؟!

---

(١) الأغاني ج ١٨ ص ٣٣، ٣٨، ٣٩، ٤٢.

وتبكي لآثار لآل محمّد؟! فقد ضاق منك الصدر بالحسراتِ
ألا فابكهم حقّاً وبلّ عليهمُ عيوناً لريب الدهر منسكباتِ
ولا تنس في يوم الطفوف مصابهم وداهيةً من أعظم النكباتِ
سقى الله أجداثاً على أرض كربلا مرابيع أمطار من المزناتِ
وصلّى على روح الحسين حبيبه قتيلاً لدى النهرين بالفلواتِ
قتيلاً بلا جرم فُجعنا بفقده فريداً يُنادي: أين أين حُماتي؟!؟!
أنا الظامىء العطشان في أرض غربة قتيلاً ومظلوماً بغير تراتِ
وقد رفعوا رأس الحسين على القنا وساقوا نساءً وُلّهاً خفراتِ
فقل لابن سعد، عذب الله روحه: ستلقى عذاب النّار باللعناتِ
سأقنتُ طول الدهر ما هبت الصبا وأقنتُ بالآصال والغدواتِ
على معشر ضلّوا جميعاً وضيّعوا مقال رسول الله بالشّبهات

ويمدح أمير المؤمنين عليه السلام ويذكر تصدُّقه خاتمه للسائل في الصَّلاة ونزول قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الّذين يُقيمون الصَّلاة ويُؤتون الزكاة وهم راكعون﴾. فيه[1] بقوله:

نطق القران بفضل آل محمَّد وولايةٍ لعليِّه لم تُجحدِ
بولاية المختار من خير الّذي بعد النبيِّ الصادق المتودّد
إذ جاءه المسكين حال صلاته فامتدَّ طوعاً بالذراع وباليدِ
فتناول المسكين منه خاتماً هبة الكريم الأجود بن الأجودِ
فاختصّه الرَّحمن في تنزيله مَن حاز مثل فخاره فليعددِ
إنَّ الإلّه وليّكم ورسوله والمؤمنين فمن يشأ فليجحدِ
يكن الإلّه خصيمه فيها غداً والله ليس بمخلف في الموعدِ

وله يمدح أمير المؤمنين صلوات الله عليه:

سقياً لبيعة أحمد ووصيّه أعني الإمام وليّنا المحسودا

---

(١) راجع ما مر صفحة ٤٧ من هذا الجزء.

أعني الذي نصر النبيَّ محمَّداً　　قبل البريَّة ناشئاً ووليدا
أعني الذي كشف الكروب ولم يكن　　في الحرب عند لقائه رعديدا
أعني الموحِّد قبل كل موحِّد　　لا عابداً وثناً ولا جلمودا

وله يرثي الإمام السبط شهيد الطفّ سلام الله عليه:

إن كنت محزوناً فما لك ترقدُ؟!　　هلّا بكيتَ لمن بكاه محمَّدُ؟!
هلّا بكيتَ على الحسين وأهله؟!　　إنَّ البكاء لمثلهم قد يُحمدُ
لتضعضع الإسلام يوم مصابه　　فالجود يبكي فقده والسوددُ
فلقد بكته في السماء ملائكٌ　　زهرٌ كرامٌ راكعون وسُجَّدُ
أنسيت إذ صارت إليه كتائبٌ　　فيها ابن سعد والطغاة الجحَّدُ؟!
فسقوه من جُرع الحتوف بمشهدٍ　　كثر العداة به وقلَّ المُسعدُ
لم يحفظوا حقَّ النبيِّ محمَّدٍ　　إذ جرَّعوه حرارةً ما تبردُ
قتلوا الحسين فأثكلوه بسبطه　　فالثكل من بعد الحسين مبرَّدُ
كيف القرار؟! وفي السبايا زينبٌ　　تدعو بفرط حرارة: يا أحمدُ
هذا حسينٌ بالسيوف مُبضَّعٌ　　مُتلطِّخٌ بدمائه مُستشهدُ
عارٍ بلا ثوب صريعٌ في الثرى　　بين الحوافر والسنابك يُقصدُ
والطيِّبون بنوك قتلى حوله　　فوق التراب ،ذبائح لا تُلحدُ
يا جدُّ قد منعوا الفرات وقتّلوا　　عطشاً فليس لهم هنالك موردُ
يا جدُّ من ثكلي وطول مصيبتي　　ولما أُعانيه أقوم وأقعدُ

وله من قصيدة طويلة في رثاء الشهيد السبط عليه السلام قوله:

جاؤا من الشام المشومة أهلها　　للشوم يقدم جندهم إبليسُ
لُعنوا وقد لُعنوا بقتل إمامهم　　تركوه وهو ضدٌّ مخموسُ
وسُبوا فوا حزني بنات محمَّد　　عبرى حواسر ما لهن لبوسُ
تبّاً لكم يا ويلكم أرضيتمُ　　بالنّار؟! ذلَّ هنالك المحبوسُ
بعتم بدنيا غيركم جهلاً بكم　　عزَّ الحياة وإنَّه لنفيسُ
أخزِ بها من بيعةٍ أمويَّةٍ　　لُعنت وحظُّ البائعين خسيسُ

بؤساً لمن بايعتمُ وكأنَّني بإمامكم وسط الجحيم حبيسُ
يا آل أحمد ما لقيتم بعده؟! من عصبة هم في القياس مجوسُ
كم عبرة فاضت لكم وتقطّعت يوم الطفوف على الحسين نفوسُ
صبراً موالينا فسوف نديلكم يوماً على آل اللّعين عبوسُ
ما زلتُ متَّبعاً لكم ولأمركم وعليه نفسي ما حييت أسوسُ

وذكر له ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» ج ١١ ص ١١٠ في رثاء الإمام السبط عليه السلام قوله:

رأس ابن بنت محمَّد ووصيِّه يا للرجال على قناةٍ يُرفعُ
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمع لا جازعٌ من ذا ولا متخشّعُ
أيقظتَ أجفاناً وكنتَ لها كرى وأنمتَ عيناً لم تكن بكَ تهجعُ
كحلت بمنظركَ العيون عمايةً وأصمَّ نعيكَ كلَّ أُذنٍ تسمعُ
ما روضةٌ إلّا تمنَّت أنَّها لك مضجعٌ ولخطِّ قبرك موضعُ

وله في مدح الإمام الطاهر عليٍّ بن أبي طالب صلوات الله عليه:

أبو تراب حيدره ذاك الإمام القسوره
مُبيد كلِّ الكفره ليس له مناضلُ
مبارزٌ ما يهبُ وضيغمٌ ما يُغلبُ
وصادقٌ لا يكذبُ وفارسٌ محاولُ
سيف النبيِّ الصّادقِ مُبيد كلِّ فاسقِ
بمرهف ذي بارقِ أخلصه الصياقلُ

وله يرثي الإمام السبط صلوات الله عليه:

منازل بين أكناف الغريِّ إلى وادي المياه إلى الطويِّ
لقد شغل الدموع عن الغواني مصاب الأكرمين بني عليٍّ
أتى أسفي على هفوات دهري تضاءل فيه أولاد الزكيِّ
ألم تقف البكاء على حسين؟! وذكرك مصرع الحبر التقيِّ

ألم يحـزنـك أنَّ بني زيـاد أصـابوا بـالترات بني النبيِّ؟!
وإنَّ بني الحصـان يمـرُّ فيهم عـلانيـةً سيـوف بني البغيِّ

ولادته ووفاته:

وُلد سنة ١٤٨ واستشهد ظلماً وُعدواناً وهو شيخٌ كبير سنة ٢٤٦ فعاش سبعاً وتسعين سنة وشهوراًمن السنةالثامنة. يُقال: إنَّه هجاما لـك بن طوق بأبيات وبلغت مالكاً فطلبه فهرب فأتى البصرة وعليها إسحاق بن العبّاس العبّاسي وكان بلغه هجاء دعبل نزاراً فلمّا دخل البصرة بعث مَن قبض عليه ودعا بالنطع والسيف ليضرب عنقه فحلف بالطلاق على جحدها، وبكلِّ يمين تبرّىء من الدم انَّه لم يقلها، وانّ عدوّاً له قالها، إمّا أبو سعيد أو غيره ونسبها إليه ليغري بدمه، وجعل يتضرَّع إليه ويقبِّل الأرض ويبكي بين يديه، فرقَّ له فقال: أما إذا عفيتك من القتل فلا بدَّ من أن أشهرك. ثمَّ دعى بالعصا فضربه حتّى سلح وأمر به وأُلقي على قفاه وفتح فمه فردَّ سلحه فيه والمقارع تأخذ رجليه وهو يحلف: أن لا يكفَّ عنه حتّى يستوفيه ويبلعه أو يقتله. فما رفعت عنه حتّى بلع سلحه كلّه ثمَّ خلّاه فهرب إلى الأهواز، وبعث مالك بن طوق رجلاً حصيفاً[١] مقداماً وأمره أن يغتاله كيف شاء، وأعطاه على ذلك عشرة آلاف درهم، فلم يزل يطلبه حتّى وجده في قرية من نواحي السوس فاغتاله في وقت من الأوقات بعد صلاة العتمة فضرب ظهر قدمه بعُكّاز[٢] لها زجٌّ مسمومٌ فمات من غد ودفن بتلك القرية. وقيل: بل حُمل إلى السوس ودُفن بها[٣] وفي تاريخ ابن خلكان: قُتل بـ (الطيب) وهي بلدة بين واسط العراق وكور الأهواز. وقال الحموي[٤]: وبزويلة[٥] قبر دعبل ابن علي الخزاعي قال بكر بن حمّاد:

المـوت غـادر دعبـلاً بـزويلة في أرض برقة أحمد بن خصيبِ

(١) الحصيف: الجيد الرأي محكم العقل.
(٢) العكاز بالعين المضمومة والكاف المشددة: عصا ذات زج في أسفلها يتوكأ عليها.
(٣) الأغاني ج ١٨ ص ٦٠، معاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٨.
(٤) معجم البلدان ج ٤ ص ٤١٨.
(٥) أول حدود بلاد السودان.

لا يخفى على الباحث أنَّ ترديد ابن عساكر في تاريخه ج ٥ ص ٢٤٢ بعد ذكر وفاة المترجم سنة ٢٤٦ وقوله: [قيل: إنّه هجا المعتصم فقتله. وقيل: إنَّه هجا مالك فأرسل إليه مَن سمَّه بالسوس] ترديدٌ بلا تأمّل، ونقلٌ بلا تدبّر، إذ المعتصم توفّي سنة ٢٢٧ قبل شهادة المترجم بتسع عشرة سنة. كما أنَّ ما ذكره الحموي في «معجم البلدان» ج ٤ ص ٤١٨ من [أنَّ دعبلاً لمّا هجا المعتصم أهدر دمه فهرب إلى طوس واستجار بقبر الرشيد فلم يُجره المعتصم وقتله صبراً في سنة ٢٢٠] خلاف ما اتّفق عليه المؤرِّخون وعلماء الرجال من شهادته سنة ٢٤٦.

كان البحتري صديقاً للمترجم وأبي تمام المتوفّى قبله فرثاهما بقوله:

قد زاد في كلفي وأوقد لوعتي	مثوى حبيب يوم مات ودعبلِ
أخويّ لا تزل السماء مخيلة[1]	تغشاكما بسماء مزنٍ مُسبلِ
جدثٌ على الأهواز يبعد دونه	مسرى النعيِّ ورمسه بالموصلِ

قال أبو نصر محمَّد بن الحسن الكرخي الكاتب: رأيت على قبر دعبل مكتوباً:

أعدَّ لله يوم يلقاهُ	دعبلُ: أن لا إلَه إلاّ هو
يقولها مخلصاً عساه بها	يرحمه في القيامة الله
الله مولاه والرَّسول ومن	بعدهما فالوصيُّ مولاهُ

خلف المترجم ولداه: عبدالله وحسين الشاعر: ذكر النديم للثاني منهما ديواناً في نحو مائتي ورقة، وترجمه ابن المعتز في «طبقات الشعراء» ص ١٩٣ وذكر نماذج من شعره وقال: الدعبليُّ مليح الشعر جِداً.

---

(١) خيل السحاب: رعد وبرق وتهيّا للمطر.

آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

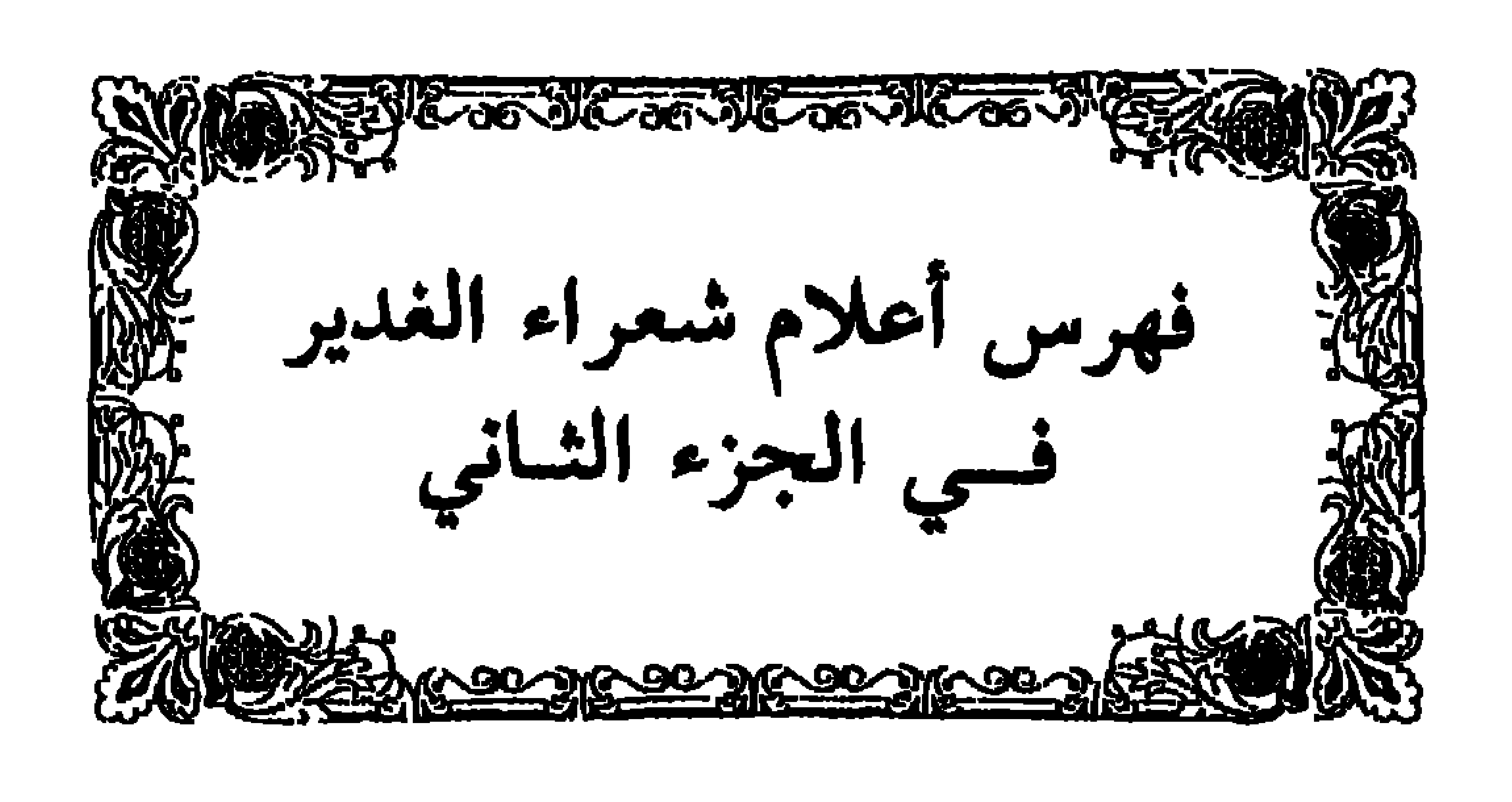
هنا ينتهي الجزء الثّاني، ويتلوه الجزء الثالث، ويُبدأ ببقيّة شعراء القرن الثّالث، أوّلهم أبو إسماعيل العلويّ

والله المستعان وعليه التكلان

شكر على تقدير

كان في هواجس ضميري: أنّ كتابي هذا سيقدّره كلُّ رجلٍ دينيٍّ، ومَن يحمل ولاء العترة الطاهرة، فصدّق الخُبر الخَبر، وأتتنا رسائل كريمة وكتابات أنيقة من أرجاء العراق وخارجها من شتّى الأقطار من الجمعيّات والشخصيّات البارزة في تقريظ الكتاب والإعجاب به نظماً ونثراً، كلّ ذلك ينمُّ عن روحيّـةٍ حاسّةٍ قويّةٍ في الملأ الإسلاميِّ، وفكرةٍ صالحةٍ في المجتمع الدينيِّ، وشعورٍ حيٍّ في رجالات الامّة، فحيّا الله العرب ودينـه الحقّ، ومرحباً بالتـابعين له بإحسان من الامم الإسلاميّة، فنحن نقدِّم إلى الجميع شكرنا المتواصل، ونسأل لهم التوفيق، ونأمل الرقي والتقدّم لحملة القرآن الأقدس.

المؤلف الأميني



فهرس أعلام شعراء الغدير في الجزء الثاني



شعراء الغدير في القرن الأوّل

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

شعراء الغدير في القرن الثاني

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

شعراء الغدير في القرن الثالث

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة